

www.alkottob.com

الأندلسيون

فلسفة الآداب الخلقية

الفكر بالسريانية

العلامة الكبير والفيلسوف السرياني الشهير

مارغريور يوس ابن العبري مفران المشرق

ترجمه وكتب مقدمته

الملفان مارغريور يوس بولس بهنام

مطران بغداد والبصرة

دعا در وقت نماز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

حَسْبُنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ
وَبِسُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَسُورَةِ الْحَجَّةِ . وَسُورَةِ
الْحَمْدِ . وَسُورَةِ الْاِنشَاءِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْثَاءِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ
الْحَمْدِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .

وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .
وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ :

وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .

وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ . وَسُورَةِ الْاِسْتِغْفَارِ .

المقدمة

بفضل المترجم

بعد حمد الله تعالى :

كنا منذ امد بعيد قد اخذنا على عاتقنا دراسة التراث السرياني الجليل ، لما لهذا التراث من منزلة رفيعة في نفسنا وفي نفوس المطلعين على قيمته وغزارته ، وهو غني عن الوصف والتعريف وقد قال الرب و لا تخفى مدينة موضوعة على جبل ، .
اما تراث علامتنا ابن العبري فلا شك انه من تفاس ما جرت به الاقلام في مختلف العصور المسيحية ، وخاصة من الناحية الروحية ، وقد اخترنا اليوم كتابه الجليل (الايثيقون) فعرّبناه ليطلع عليه الناطقون بانضاد الميزة عامة ، وابناء الكنيسة السريانية خاصة . وعلى هذا الامل نضع امام القارئ الكريم - كمقدمة للايثيقون - النقاط التالية :

١ - من هو ابن العبري

نظراً للشهرة الواسعة التي يتمتع بها علامتنا الكبير مارغريغوريوس ابن العبري مفرّيق الشرق الجليل نورد فقط خلاصة عبارة لتاريخ حياته الخصبية ، وكتنا قد درسناها

دراسة وافية في كتابنا (ابن العبري الشاعر) . (١)

ولد هذا العالم الكبير عام ١٢٢٦ م في مدينة ملاطية من ابوين مسيحيين فاضلين ، وأبوه هو الطبيب الشهير في عصره الشماس اهرود بن توما اللطاي السرياني النازح ابوه او جده من قرية (عبري) الجامعة يوماً على نهر الفرات بقرب مدينة ملطية ، وهذا هو السبب في تسميته (ابن العبري) لا ما ذهب اليه بعض الكتاب الذين يجهلون هذه الحقيقة التاريخية الهامة .

احب العلم منذ نعومة اظفاره (٢) فدرس على مهرة اساتذة مدينته ، واتقن اللغة السريانية ، وطقوس الكنيسة ، وقرأ مبادئ الطب على ابيه ، وفي أواخر عام ١٢٤٣ رحل والده باهله الى انطاكية ، فاستمر علامتنا في دراساته الواسعة ، ثم انتجع مدينة طرابلس الشام فاتم دراسة الطب والبيان والنطق على استاذ هناك اسمه يعقوب ، ولم يتوقف عن الدراسة والتتبع حتى تضلع بجميع علوم عصره ، الفلسفة بجميع فروعها ، والعلوم اللاهوتية ، واللغة العربية ، ولم يترك شاردة او واردة الا واطلع عليها وتفهمها تفهما كاملاً ، من جميع العلوم المرووفة في ايامه ، على ان اعظم موضوع عصمه من الزلل هو تتبعه تعاليم اساطين النساك الكبار (٣) ومن المؤكد انه كان يتقن من اللغات ، السريانية والعربية والفارسية والارمنية والاغلب انسه مطلع على اليونانية اطلاقاً كافياً .

عام ١٢٤٦ رسم اسقفاً لبلدة جوباس بجوار ملطية ، ثم نقل الى اسقفية لاقين ، ثم نصب مطراناً لحلب ، وفي ١٩ كانون الثاني سنة ١٢٦٤ نصب مفراناً للمشرق ، فاقام اثنتين وعشرين سنة وبمض شهور متنقلاً بين الموصل وقراها ودير

١ - مجلتنا لسان المشرق . الجزء الممتاز الاعداد ١ و ٢ و ٣ السنة الثالثة . ١٩٥٠ (الموصل)

وابن العبري الشاعر . طبعة القامشلي ١٩٦٥ .

٢ - كتابه السرياني . الحماة . دير الزعفران ص ٦٦ سنة ١٩١٦ .

٣ - فيه ص ٦٧

مار متى وبنغداد وتبريز ، واخيراً لاقى وجهه ربه في مدينة مراغة بأذربيجان ، بعد عمل شاق وجهاد ، وفق طويل في ٣٠ تموز عام ١٢٨٦ وهو اخو ستين .

تشمل مؤلفاته جميع العلوم الآهية والانسانية ، وجاءت بسة وثلاثين مؤلفاً بين موسوعة كبيرة ورسالة صغيرة حوت علم الكتاب العزيز وتفسيره ومعارضة ترجماته المتعددة ، والاهليات والفلسفة ، والشرع والاخلاق والتاريخ واللغة وانطق والطب والشعر ، وبالإضافة الى طول باعه في الكتابة والتأليف ، كان ذا مقدرة فائقة في الترجمة من العربية الى السريانية ، فقد ترجم في الفلسفة كتاب الامارات والتهيهات للشيخ الرئيس ابن سينا ، وفي الطب ترجم قسماً من القانون للشيخ الرئيس نفسه ، وكتاب انتخاب ديوسقوريدس في افردات الطبية .

كتب كل هذا التراث الضخم بالسريانية ، اما بالعربية فقد كتب تاريخه الشهير مختصر الدول ، ورسالة ضافية في علم النفس ، ونخص كتاب جامع المفردات الطبية اي الادوية لابي جعفر احمد بن خليل الفاقهي الاندلسي انثوفي ٦٥٠ هـ ، وكتاب منافع اعضاء الجسد ، وشرح فصول ايقراط ، وتحرير مسائل حنين وخطبة لعيد الشمانين . (١)

٢ - كتاب اريثيقون

انجز العلامة ابن العبري تأليف كتاب الايثيقون في مراغة في ١٥ تموز سنة ١٢٧٩ قبل وفاته بسبع سنوات ، وانتشر في الخزائن السريانية منذ وجوده انتشاراً واسماً ، لما حواه من مؤونة روحية سامية ، وفي الخزائن العالمية الكبرى اليوم من هذا السفر الجليل نسخ نفيسة كثيرة اهمها :

١ - الخزانة البطريركية الكلدانية رقم ٩٩ انجزت سنة ١٢٩٢ اي بعد وفاته بست سنوات

١ - راجع وصف هذه المؤلفات في اللؤلؤ المنشور . البطريرك افرام الاول برصوم . طبعة

- ٢ - اوكسفورد رقم ٤٩٠ انجزت سنة ١٣٢٣ بخط الراهب سايبا خيزون
 - ٣ - نسخة ثانية في اكسفورد رقم ٦٨١ انجزت سنة ١٣٣٢ بخط الراهب يشوع
 - ٤ - المتحف البريطاني رقم ٧١٩٤ انجزت سنة ١٣٣٥ في دير نوظفا بجوار ماردين
 - ٥ - باريس رقم ٢٤٥ انجزت سنة ١٣٥٣ في اورشليم
 - ٦ - نسخة ثانية في باريس رقم ٢٤٦ انجزت ١٤٠٩ وهي نسخة دير السريان في مصر .
 - ٧ - نسخة ثانية في المتحف البريطاني رقم ٤٤٠٧ انجزت في قرية باخديدة (قره قوش) بجوار الموصل .
 - ٨ - الخزانة البطريركية السريانية بدمشق انجزت سنة ١٥٧٦ بخط الراهب بهنام الاربوي .
 - ٩ - نسخة ثالثة في المتحف البريطاني رقم ١٨٢٩٥ في دير السلام .
- نشر الاب بيجان هذا الكتاب الثمين سنة ١٨٩٨ معتمداً على خمس نسخ هامة هي ، نسخة باريس رقم ٢٤٥ ونسخة باريس الثانية رقم ٢٤٦ وثلاث نسخ في المتحف البريطاني رقم ٧١٩٤ و ١٨٢٩٥ ، و ٤٤٠٧ ، ونسخة بيجان هذه هي التي اعتمدنا عليها في ترتيب الكتاب .
- يقسم المؤلف كتابه هذا الى اربع مقالات كبرى ، تحوي كل منها ابواباً وفصولاً شتى ، يبحث فيه المرفة من ناحتها العملية التجريبية على حد تعبيره في المقدمة ، او بالاحرى الناحية الخلقية الخاصة بتكوين انسان الله الكامل ، ويشتم بحوثه باي الكتاب العزيز ، واقوال اساطين الفضيحة السيجية (العارفين) الذين ظهوروا في العصور الاولى وشرقوا كالمصاييح هدى للاجيال المتعاقبة .
- يكسر المقالة الاولى لبحث تنظيم حركات الجسد وتقويمها ، واعطاء الامس

الخلقية الاولى التي تتوقف عليها مبادئ الخدمة الروحية لانسان الله الكامل ، ويورد كل ذلك في تسعة ابواب كسبرى ، يخصص كل باب في ناحية معينة من فواحي الحياة الروحية العملية ، واول خطوة يجدها في هذا المنهج هي الصلاة ، وموقف العقل البشري بالنسبة الى ربه اثناء الصلاة ، وكيف يتوصل العقلي الى درجة المصلين الكاملين ، ثم تتعاقب الخطوات العملية الباقية التي هي كمالات واجبة متممة لتكوين عقلية روحية قريبة الى الله واعماله ، فهناك اعمال الزهد التي تحيل الانسان الى كائن روحي كامل ، متمرد على نزوات الجسد ورغائبه الفانية ، ومحاكم يكمل ذلك الحرص على اليقظة الدائمة والهديز بالاجاد الخالدة المعدة للمتقنين ، والتصعيد العقلي المتواصل ، والامعان في الترتيل وممارسة الانشاد الروحي ، والترفع عما يفذي شراسة الجسد وينمي غرائزه المتطرفة ، والاخلاد الى اخلوة الروحية ، والاغراق في التأملات الروحية في اوقات خاصة من اليقظة النفسية .

والمقالة الثانية بحث فيها تقويم الاعمال الطبيعية لحياة الجسد وتهذيبها ، واعطاء الجسد حقوقه الطبيعية المعقولة لاستمراره حياً نامياً متكاملًا مهذباً نقياً صالحاً لسكنى النفس الكريمة الخالدة ، وينتظر في هذه المقالة الى تربية الاطفال وتنشيتهم تنشئة صالحة تليق بمجتمع مدني محترم ، ووجوب اعطائهم الفرصة الكافية لارتشاف العلوم على اختلاف انواعها ، لبناء صرح حضاري كامل ، واعداد اجيل انسانية فاضلة تخلق مجتمع بشري متكامل ، ثم يتقل الى فضيلة العمل الانساني الحر ، ووجوب ممارسة سائر الاعمال الشريفة التي يحصل الانسان فيها على اوفى الحياة وكيفية سلوك الانسان في الاخذ والعطاء ، والبيم والشراء ووجوب اتباع طرق الحق والعدل في سائر تصرفاته ، وعلاقاته مع سائر طبقات البشر ، وتكريس قسم خاص من ربحه الخلال لاسعاف الفقير والبائس والمريض والمعطل ، والتصدق القاي من كد اليمين وعرق الجبين لختلف وجوه الخير ، وتكريس هذا العطاء لوجه الله وصيانة كرامة الانسان ، كل انسان .

المقالة الثالثة ، خصصها لبحث كيفية تنقية النفس من الاهواء المنحرفة الشريرة . ، وقد قيل قديماً ، ان النفس لامارة بالسوء ، فجاء المؤلف العلامة واصفاً الاسس القوية ، فيجعل هذه النفس لا امارة بالسوء ، بل معتقة طرق الخير والصلاح ، وقد اوضح باعيتها وقواها ومفاعيلها وعواطفها ، وشرح جميع مبادئ الشر التي تتزاحم حول النفس الانسانية فتشوه جمالها الروحي ، وتقودها الى الانحراف عن طريق الخير التي يريد لها خالقها ، وهو الخير المطلق والصلاح اللامتناهي .

بعد ان يشرح ماهية النفس وقواها العاقلة ، ينتقل الى العادة عامة ، فيبحث امراض النفس ، وكيفية معالجتها ويضع على طاولة التشريح كل اسقامها ويعطي الطرق الكفيلة بشفائها التام ، ثم يعود فيضع امام القارئ عناصر تلك الامراض النفسية ، كاشراة والرذيلة وعثرات اللسان ، والغضب والحقد والحسد والباطيل الشهوات الدنيا ، والامعان في فانيات الحياة ، والمجد الفارغ ، والمرااة والكبرياء والتفاخر ، وما الى ذلك مما يتعلق بالنفس الانسانية فيحرفها عما خلقت له ، ويصف لكل داء دواء ناجحاً .

في المقالة الرابعة ، وهي مسك الختام لهذا المؤلف النفيس ، يبحث تجميل النفس بالفضائل على اختلاف انواعها ، واول فضيلة يريد لها تبراساً للنفس الانسانية هي المعرفة ، والمعرفة يريد بها سائر العلوم الالهية والبشرية ، ويضع امام المتعلم المادة الضرورية ، ويرشده الى كيفية التسامي في معارج العلوم العقلية والنقلية ، ثم يتطرق الى كيفية اهداء الاخرين الى طرق الصواب وبعد ذلك ينتقل الى سائر المعارف الروحية كالايان والتوبة ، والصبر والتقوى والرجاء وخشية الله ، والتجرد والزهد والتوكل على الله ومحبة القريب ، وذكر الله والهديز باعماله المجيبة ، ونقاء الافكار ومحبة الله وذكر الموت .

ان المقالة الرابعة هذه ، هي بحق ذروة التعاليم الروحية التي يعطيها الفيلسوف

لقارئه ، وقد نما فيها الطريقة الصوفية الصرفة ، وهي بحق القمة العليا لكل ما ورد في سائر بحوث الكتاب .

فأنت ترى ان في (الايشيقون) من المبادئ اسماعا ، ومن الروحانية اصنافها وانقائها ، بل فيه دروس قيمة لابناء عصرنا الذين يجدون حولهم فيوضاً زاخرة من المبادئ الغربية الوافدة مع تيار المدنية الزائفة ، مناهضة للمبادئ الروحانية السامية التي الفتها اجيالنا المتعاقبة ، آمليين ان نكون قد قمنا بشيء من واجبتنا الروحي نحو ابناء جلدتنا الذين هم بحاجة ماسة الى مثل هذه المبادئ الروحانية القيمة.

و (الايشيقون) موسوعة جليلة للمثل الروحية العليا ، وميدان فيصح للطرق المثلى التي اختطها هذا الفيلسوف الجليل امتناداً الى خبرته الروحية من جهة ومن جهة ثانية الى العارف الروحية التي استقناها من (العارفين) الذين نبغوا في عصور المسيحية الاولى ، واصبحت حياتهم وأقوالهم دروساً ثمينة للاجيال المتعاقبة

وقد اتفق السابقون او يسموا هذا النمط من المعرفة بـ (التصوف) والايثيقون بروحيته السامية لا تختص قراءته بمصر من العصور ، ولا برهط خاص من البشر ، بل انما هو دروس ومبادئ ذات صبغة عامة يجدر بكل لبيب ان يدرسه دراسة هادئة حكيمة ، اما التصوف فندرسه في الخطوات التالية .

٣ - نشوء التصوف وانتشار الفكرة في الشرق

افاقت الروح البشرية منذ اجيل كثيرة وفي حناياها وجد وحنين ، وبين جوانحها شوق ولهيب دفين ، افقت ظمأى ، وقد اصابها السير في ممالك وعرة مفروشة بالشوك والقرطاب ، فهذا يرويهما ؟ وايه كؤوس مترشحة تطفئ فيهما ذياك اللهب ؟ وهذه لذات نخبة كهنا احلام باطلة ، وخيالات زائلة ، ادن

لتعودن الى ينبوع الاول ، المنساب برقة وهدوء منذ الازل ، لتعودن الى باربيها فتتحد فيه ، ففيه السمادة الكاملة ، وهي وحدها تطفىء ظمأها الروحي وتهدئها سواء السبيل ، وهكذا نشأت فكرة (المبردة) او قسفة الوجود الروحي والتمناه في الامتناهي ، وهذه هي فكرة (التصوف) .

كان ذلك في القرن الخامس ق. م حيث برزت فكرة (الوحدة) في الفلسفة اليونانية نتيجة للدراسات في حقل الروح طويلة وواسعة ، وهذه النفس البشرية لا يمكن عودتها الى باربيها الطاهر الا بتطهيرها من شوائب الجسد واهوائه .

يظهر ان فكرة (المصية) تعلق الانسان منذ اقدم العصور ، اذ شعر الانسان ان هناك حدثا يحول دون عودته الى ربه والاتحاد به ، اتحاداً روحياً مناسباً ، وهذا الخائل هو الخطيئة بالذات ، فبدون زوالها لا يمكن العودة الى حالة البر والقداسة التي خلق فيها ، منذ مطلع وجوده ، وهكذا شرع يبحث عن افضل السبل المؤدية الى تطهير هذه النفس والعودة بها الى خالقها طاهرة كما صدرت عن يده البدعة ، ومنها كانت تصورات الاجيال عن سبب تلويث النفس البشرية بادران الخطيئة متباينة متشعبة ، الا انها تدل على شىء واحد هو الشعور بثقل الخطيئة ذاتها من جهة ، والشعور بوجود تطهير النفس من جهة ثانية ، فأخذ الفلاسفة يفكرون بأفضل الطرق المؤدية الى هذين الهدفين بأن واحد ، ومن ذلك نشأت فكرة تثنية القوى الانسانية المتضادة ، الجسد واعماله واهوائه من جهة ، والنفس وقواها وورغائيسا الروحية من جهة ثانية ، واعتبروا الجسد سجناً رهيباً للنفس فكان لا بد لها من طريقة . فمالة تمكثها من تحطيم هذا السجن الرهيب ، فتنتقل حرة الى الله^(١) وقد نادى بهذا المبدأ الرواقيون امثال مينيكاس^(٢) ومرفس او ريلبيوس^(٣) .

1 - History Of The Philosophy. Wilhelm Windelband . Voll . New York 1901

pp 237 - 255 2 - History of The Philosophy p 230

3 - History of The Philosophy p 230 .

وكان فيثاغوروس (١) قد قرر ان تطهير النفس يتم بالعلم والفلسفة والتأمل العميق والتزوع الى الحكمة توصلنا الى الحقيقة الواحدة المجردة ، وقبل الشروع بذلك يجب إمانة الاهواء الجسدية والترفع عن مغريات الحياة العابرة ، وحصر الفكر وتصويبه الى الواحد (٢) وجاء بعده برمنديس (٣) فوجد ان تطهير الروح والتوصل الى السعادة يتم بالمنطق بالاضافة الى الترفع عن المادة ، ويقوم المنطق بملاحظة المقدمات والتوصل الى النتائج الاكيدة الواضحة (٤) والحصول على الوحدة ، الامر الذي تجدد فيه الروح الانسانية سماتها الكاملة . وبتحاديها مع (الواحد) تروي ظمأها الروحي للزمن (٥) .

جاءت المسيحية وتعاليمها الهادفة الى التسامي عن المادة قاعطت الانسان شرعة جديدة في التجرد ضمن حياة الرب يسوع وتعاليمه الالهية (لا تكتزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اکتزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب السارقون ولا يسرقون . . . لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون ، اليست الحياه افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس ؟ انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وابوكم السموي يقوتها ، أستم اتم افضل منها ؟ . . . ولماذا تهتمون

١ ولد في جزيرة ساموس بقرب مالطة زار الشرق فتعلم الرياضيات ومبادئ التصوف ، وقضى بقية حياته في كروتونا - جنوب ايطاليا ، وتوفي سنة ٤٩٧ ق.م

2 - Zeller ' op . cit . pp 48 - 49 .

٣ - ولد سنة ٥١٥ ق.م في ايليا احدى مدن ايطاليا الغربية واكتسب شهرة فلسفية واسعة وبني به سنة ٤٥٠ ق.م

4 - Parmenides - The Truth . History of The Philosophy pp 30 - 31 .

باللباس ؛ تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو ، لا تتعب ولا تفزل ، ولكن أقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها - متى ٦ : ١٩ - ٢٩) فكانت هذه التعاليم اساساً جديداً لحياة روحية جديدة ، تستطيع النفس البشرية اتخاذها طريقاً قوياً للتوصل الى اهدافها الروحية ، واتخاذها بالله اتحاداً روحياً عاقلاً .

ان فلسفة فيثاغوروس وفكرة برمنيدس مهما كانتا ساميتين الا انها تقصران عن الوصول الى هذه الدرى الباذخة من التجرد والتسامي عن اوضار المادة ، وعليه فالسيحية فتحت ابواباً جديدة ، واعطت مفاهيم جديدة لحياة التجرد والتزوع الى عوالم الروح ، ومع ذلك رغب كثيرون من اساطين معلمها استعادة الفلسفة اليونانية وتطبيق المبادئ المسيحية هذه على متونها ، فاستمدوا الفكرة الاقلاطونية الجديدة في الاسكندرية واطافوا اليها مبادئ فيثاغوروس وغيره من الفلاسفة الروحيين ، وهكذا كانت فكرة التجرد المطلق فنشأت عنها الفلسفة النسكية ، او هي الطريقة (الصوفية) والمعروف ان السريان بصورة خاصة عنوا بترجمة الفلسفة الخلقية اليونانية ، وهي حكمة فيثاغوروس والاقلاطونية الجديدة النازعة الى التصوف (١)

وعلى هذه الاسس قامت فلسفة التصوف المسيحي منذ العصور الاولى ، الا ان التجرد الانجيلي كان الدعامة الكبرى الوحيدة للنسك المسيحيين ، وكانت فكرة (الفناء) في بادىء الامر غير معروفة بل لم يكن يفكر النسك الاقدمون الذين اعتنقوا هذه الطريقة ، وحققوا انجازات رائعة جداً في هذا الميدان ، وتأب حول الصوامع والديورة الوف من ذوي الفكر الروحية ومحيي الانفراد والتواقين الى الخلوة النفسية ، ضاربين بالدنيا وما فيها من ملاذ زائلة عرض الحائط ، قوامين صوامين قاننين لربهم حياتهم كلها .

بالإضافة الى ذلك نجد النساك المسيحيين في القرنين الثالث والرابع والى الخامس يصدرون أقوالا ويقومون بأعمال تبدو متأثرة بفكرة الفلسفة اليونانية ، ولكن بطريقة مسيحية صرفة ، وقد جمع علامتنا ابن العبري - في موسوعته الجليلة هذه - مئات تلك الفلسفة اخذاً عن النساك المصريين امثال الآباء انطونيوس ، وارسانيوس وسوسايس ، وقومان ، ومقاريس ، وتيودور ، وايسيدور ، ومن المشارقة الاب يوحنا صاحب الدوالي ، وياونني رئيس الدير ، واسحق النينوي ، وغيرهم ، وقد بنى معظم آرائه النسكية (الصوفية) على تعاليم اساطين النساك المسيحي هؤلاء ، واطاف اليها ما اكتسبه من اختبارات الشخصية وفكرته اللاحقة .

٤ - التصوف في الاداب السريانية

في غضون القرن السادس الميلادي نجد أثراً صوفياً سريانياً - وهو أول أثر سرياني في هذا المضمار - يظهر للوجود منجولاً ايرثاوس استاذ ديونيسيوس الاريبوفاغي ، وقد نسيه بعضهم الى اسطفان ابن صوديبي (٥١٠) الا ان المقدمة التي كتبها العلامة ابن العبري عند تهذيبه هذا الاثر الصوفي تشرح بانه مترجم عن اليونانية بشأنه شأن كثير من ابواب المعرفة التي ترجمت من اليونانية الى السريانية اعتباراً من القرن الرابع الى نهاية القرن التاسع تقريباً .

في هذا الاثر صورة صحيحة للفلسفة اليونانية الصوفية تتخلها عقيدة وحدة الوجود ، وهذا هو مذهب (البانتست) الذي يعلن ان الاله الواحد هو كل الكائنات ، وقد تبنى ابن صوديبي هذا المذهب في الشرق السرياني ابان القرن السادس الامر الذي حدا بالكتّاب السريان الى نسيه الى ابن صوديبي ، ومن المعروف ان الكنيسة اعلنت سخطها على ابن صوديبي لاعلانه اراء تخالف الحقائق المسيحية مخالفة صريحة ، وذلك بالرسائل اللاهوتية التي كتبها العلامة مار فيليكسينوس المنبجي (٥٢٣م)

شجياً لتلك الآراء الفائلة . ومن دراستنا الأثر المنحول إيرثاوس تتجلى لنا الحقائق التالية :

١ - أن نسبة هذا الأثر الى إيرثاوس لانعتقدها محتملة لان احداً من كتاب القرون المسيحية الاولى لم يذكر مؤافاً بهذا الموضوع لايرثاوس ، ولو وجد لما صمت عنه علماء الاسكندرية في القرنين الثاني والثالث . ابن تفيشي آراء الافلاطونية الجديدة والفيثاغورية في المدرسة الاسكندرية ، وتبني بعض علماء هذه المدرسة مبادئ تلك الفلسفة ودفاعهم عنها وعملهم على انتشارها بشتى الطرق .

٢ - اذا كان لاهوتيو الكنيسة السريانية قد شجبوا آراء الباتريستية عند ابن صوديبي كما شجبوها عند غيره ، فليس ذلك معناه ان ابن صوديبي لم يكن كاتباً كبيراً ومفكراً حراً بالنسبة الى عقيدته هذه ، ومن المعروف ان تبنيه هذه الآراء الغربية المخافة للمسيحية ادى الى طمس اثره منذ وجودها ، اما ان يكون الأثر المنحول إيرثاوس صادراً عن قلم ابن صوديبي فليس لدينا الدليل الحاسم على ذلك ، كما اننا نعتقد ان ابن صوديبي لم يكن اقل من ان يصدر اثراً من هذا القبيل ، لانه يمتد نفس الاعتقاد ، وقد نادى بعقيدته هذه بكل صراحة متحدياً بذلك كنيسته برمتها مع وجود كبار الكتاب بين علمائها عصرئذ ، امثال فيلكسينوس النجبي ، والبطريرك سويريوس الانطاكي (٥٣٨ م) وغيرهما من العماقة الكبار ، وقد علمنا ان مار فيلكسينوس قاوم هذا الكاتب وقارعه مقارعة صارمة برسائله وفند آراءه ، وهذا ما حمل المتبع السرياني يومئذ على الاعراض عن كتابات ابن صوديبي فيما اذا وجدت ، بل ادى الى هربه من موطنه الرها والتحاقه ببعض معتقي مذهب في فلسطين واستمراره على مراسلة تلاميذه في وطنه ، ومع ذلك لم يكن لفكرته نصيب من الذبوع والانتشار في الاداب السريانية .

ان الأثر المنحول إيرثاوس انتشر في الكنيسة السريانية عن طريق المتصوفة والذمك فقط ، والمعروف ان طريقة النسك والزهادة انتشرت في الكنيسة السريانية

انتشاراً عظيماً وواسعاً جداً منذ القرن الرابع بشك لم يسبق له مثيل في الكنيسة المسيحية كما لم يعقب له مثيل ايضاً ، وكان النامك السرياني بحاجة الى تعاليم روحية تقربه من هدفه الاساسي ، وهو مقارعة قوى الجسد واطفاء اهوائه واتسامي الى الكمان الانجيلي ، وقد وجد كل ذلك في هذا الاثر ، بغض النظر عن عقيدته المخالفة للمسيحية .

٣ - يظهر ان الآراء الصوفية النسكية الواردة في هذا الاثر نالت اعجاب بعض العلماء السريان رغم ما فيه من تعليم ، ناهضه هؤلاء العلماء وشجبوه شجباً كاملاً ، وعلى هذا الاساس نجد البطريرك تيودوسيوس التكريتي المولد (٨٨٧ - ٨٩٦ م) يقدم على تفسيره تفسيراً مسهباً ، اجابة الى طلب امازر اسقف قوروس فاعطانا بذلك مجلداً ضخماً بانشاء بليغ (١) .

٤ - ترجمت آراؤه الصوفية الى العربية في مطلع القرن التاسع او قبله بقليل وانتشرت لدى المتصوفة الشرقيين بدليل وجودها كاملة عند الفلاسفة العرب فاحذوا بها بالطريقة التي اختطوها لانفسهم في البحث والابداء ، ولو قابلنا افكاره الصوفية بما نادى به الفيلسوفان العربيان الكبيران ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٤٧ م) والغزالي (١٠٥٩ - ١١١١ م) لوجدنا اتفاقاً كاملاً في التفكير منذ مطلع تطهير النفس البشرية حتى ارتفاع العقل الى الملأ الأعلى ارتفاعاً روحياً واتحاده بالواحد الاحد ، منطلقاً من رتبة المادة .

٥ - استمرت آراؤه الصوفية ذات اهمية كبرى لدى الفلاسفة السريان والعرب بان واحد ، حتى المصور المتأخرة بدليل التلخيص البليغ الذي اضفاه العلامة ابن العبري على هذا الاثر ، اجابة الى طلب نامك فاضل معاصر له .

٦ - يظهر ان العلماء السريان ، رغم ما عن معرفتهم الاكيدة بالآراء الشاذة

(١) - منه نسخة قديمة في الخزانة الزعفرانية بخط الراهب ابي نصر البردالي سنة

التي يحملها هذا الأثر ، أولوه قيمة نفسية كبرى ، فاخذوا بهذه الآراء وارتقوا تلك اذ قطعوا من روضته الازهار وارتقوا الاشواك تماماً كما كان يفعل القديس الذهبي الفم بالنسبة الى مؤلفات اوريجانس ، ولما كانت الفكرة الفيثاغورية وغيرها من الفكر الفلسفية تتبوا درجة عالية لدى المثقفين الريان ، اقدم البطريرك تيودوسيوس نفسه على تفسير حكم الفلاسفة الرمزية ونقلها من اليونانية الى السريانية بما في ذلك رسالة فيثاغوروس الحاوية مئة واثنى عشرة حكمة ، وقد نشرت بالسريانية والعربية (١) .

٧ - نظراً لوجود هذا الاثر الصوفي الهام منذ مطلع القرن السادس الميلادي - على الاقل - وانتشار آرائه لدى جميع المتصوفة الشرقيين والكتاب المعين بهذه الطريقة ، تعتبر آرائه اسماً وحيداً ومصدراً فريداً لجميع ما انتجته اقلام الفلاسفة الشرقيين من عرب وسريان حتى العصور المتأخرة ، بدليل وجود عناصرها مبثوثة في جميع البحوث الصوفية العربية والسريانية بغض النظر عن اتهاج كل فيلسوف طريقة خاصة لبحثه (٢) .

بعد استعراضنا هذه النقاط السبع يمكننا ايراد آرائه الصوفية استناداً الى النص الذي تهذبه وفتّره العلامة ابن العبري واتخذها اسماً لفلسفته الصوفية ، شأنه شأن جميع الفلاسفة الشرقيين .

ان العلامة ابن العبري لا يذكر في استعراضه الاثر المنحول ايرثاوس ، ابن صوديبي مطلقاً ، ذلك لانه لا يعتقد اعتقاداً جازماً ان ابن صوديبي هو الذي كتبه ، ومن المعروف ان الكتاب الريان القدامى لم يجزموا ان ابن صوديبي هو

(١) - باريس رقم ١٥٧ خطت سنة ١٥٤٠ ، نشرها زوتنبورغ سنة ١٨٧٦ م .
٢ - دليل المخطوطات السريانية لرايت سنة ١٨٧١ ص ٨٩٤ - ٨٩٥ ، ومخطوطات برلين لساخو سنة ١٨٩٩ رقم ٢١١ ص ٦٨٩ ، وراجع ايضاً كتاب ايرثاوس مع تفسير البطريرك تيودوسيوس رقم ٧١٨٩ من مجموعة روزن وفور شال ص ٧٤ وهي النسخة التي اعتمدها ابن العبري في تهذيبه وتفسيره للكتاب (حاشية مجموعة رايت ص ٨٩٤)

حقيقة واضح هذا الاثر ، وقد كتب البطريرك قرياقس (في القرن التاسع) في جوابه على السؤال الخامس للشمامس يشوع الترمنازي « ان الكتاب المنحول ايرثاوس ، ليس له ، ويحسبه بعضهم من وضع ابن صوديبي المتدع (١) ، وعلى هذا الاساس لم يتطرق ابن العبري بكلمة واحدة الى ذكر ابن صوديبي ، كما ان المستشرقين المعاصرين ايضاً لا يرون ذلك ، وعليه لاجابة الى ذكر ابن صوديبي في هذا المضمار .

ان المقدمة التي كتبها العلامة ابن العبري لهذا الاثر تشتم القارىء ان ابن العبري نفسه يعتبر نسبة الكتاب الى ايرثاوس امراً حقيقياً مفروغاً منه فلا يذكر كلمة واحدة ضد هذا الرأي ، بل يدخل الموضوع مباشرة كأن الكتاب صدر من قلم ايرثاوس بالذات لا من قلم كاتب اخر مجهول الهوية فيقول في مطلع المقدمة : « اعلم ايها الاخ الروحي اني درست بدقة كتاب الحكيم العالم الشهير ايرثاوس زمنناً مديداً ، فوجدته كتاباً جليلاً وعجيباً . » ومن هنا يتضح ان ابن العبري يحزم في اعتقاده ان الاثر لايرثاوس لا لغيره ، ولكن ملاحظته في الكتاب وردت بقوله : « الا اني لاحظت مقالاته وفضوله مرتبكة مشوشة ، وطويلة ، قلقه وهكذا بعض عباراته . » وينزه ابن العبري ايرثاوس من ذلك ويلقي بالبعة على المترجم من اليونانية الى السريانية فيقول : « ذلك لم يصدر عن المؤلف المذكور ، بل بداعي الترجمة من اليونانية الى السريانية » ثم يذكر تهذيبه الكتاب بصورة عامة ، فيقول : « وعليه قررنا تهذيب الكتاب ووضع كل شيء في محله اللائق به ، او حيث يليق هو بذلك المحل ، طبقاً لرأينا واعتقادنا الخاص ، وفي عملنا هذا لم نشوش عبارات المؤلف ولا المترجم ، أي اننا لم نبدل ولم نضف شيئاً من عندنا سوى بعض الالفاظ اليسيرة (كأدوات التوكيد وما إليها) الا اننا حذفنا ما كان عديم الفائدة كعلم التنجيم وما إليه ، واستغفينا عن بعض الابواب والفصول ، وان وقعت فيه بعض

العبارات المتكررة فذلك جاءت بداعي الحاجة او الضرورة ، وضحنا فصول الكتاب على اعمال الرب اخلصية ، فابتداءً من العهد ثم الجهاد ضد قوى الشر ، والصلب والدفن والقيامة والصعود ، ثم تطرقنا الى الجوهر انعام فمراتب الملائكة وفقاً لمصوص الكتاب المقدس ، وقد اثبتنا فصول التوبة وشجرة الشر أولاً منسوبة الى العقل البشري ، لان العقل البشري بحاجة الى التوبة واستئصال الشر دائماً ، ووصفنا الكتاب باسم (المختار من كتاب ايرثوس الشهير) وفيه اثنان وعشرون فصلاً بمدد الحروف الابجدية (الـريانية) و ٣٦٠ عبارة بمدد ايام السنة الكبيسة ، أسأل الله ان يمضني ويبلغني الى حسن النهاية .

من هذه المقدمة نفهم ان علامتنا ابن العبري استعذب ماورد في الكتاب من روحية سامية ، بعد ان عزل عنه ما كان يشوبه من اشواك وادران ، واتخذ منطلقاً لفلسفته الصوفية ، شأنه شأن غيره من الفلاسفة الشرقيين كما سنعلم فيما بعد .

من كل هذا نعلم ان الاقلام الـريانية التي عملت في اثر ايرثوس ، انما عملت على تنقيته من الاوضار البانتيسية بصورة مطلقة ، وخاصة منذ تناوله قلم البطريك تيودوسيوس في القرن التاسع ، كما تناوله قلم العلامة ابن العبري بالتهذيب والتنقية في القرن الثالث عشر ، فانك تجد الان بين يديك نفيحات روحية نقية متخلصة تماماً من عقيدة منحرفة طالما رسخت في عقول كثيرة في القرن السادس وهكذا اذا تغلفت في هذا الاثر تجد فيه آيات بينات منبثقة من كتاب الله العزيز ومطابقة كل المطابقة لروح الصوفية المطلقة ، وكلها تدور حول الاشواق الروحية الالهية الصادرة عن العقل البشري ، في حضيض هذه المادة الى النمتع بالالتحاق بالعقل الالهي الاسمي ، والتصاعد الى الملا الاعلى ناضياً جلباب المادة الكثيفة .

في هذا الاثر الصوفي الجليل اثنان وعشرون نقطة ، طبقاً لعدد فضوله ،

هي الاعمس الكاملة لكن نواحي الفلسفة الصوفية في الشرق ، فكما ورد في هذه الفلسفة الواسعة النطاق من العناصر الروحية السامية انما امتدت مبادئها من هذه النقاط بعينها ، ولو جمعنا كل ما جرت به افلام فلاسفتنا العرب والبريان وعصرناه عصرآ ، لما وجدنا بين ابدنا غير هذه العناصر بعينها ، ومعنى ذلك ان هذه النقاط التي اتنا بها العصور الاولى الآداب السريانية وتبلورت بهذا الشكل في الاثر المنحول ايرثاوس ابان القرن السادس الميلادي ، انما هي المنطلق الوحيد لافكار جميع الفلاسفة الشرقيين في هذا المضمار .

ولنلق الآن نظرات عاجلى على بعض هذه النقاط طبقاً لما ورد في الاثر المنحول ايرثاوس الذي هذبه علامتنا ابن العبري ، لنوضح للقاريء الكريم انها الاعمس الكاملة للفلسفة الصوفية في العصور المتسابعة الى القرن الثالث عشر الميلادي ، واليك ذلك :

١ - حالة العقل الانساني الطبيعية : النفس البشرية العادية مغمورة بالاهواء الشاذة المتضاربة ، وعليه فان العقل في هذه الحالة يشعر وكأنه في سجن رهيب ، وذل وهوان لا ينطق بها ، فتراه يئن مشتاقاً للتخلص من حالته هذه منطلقاً الى الله كغوث للهفته وموئل لغربته ، وحكمة الله لا تقف منه موقف المتفرج بل تسمحفه بقوة خاصة للنهوض واعلانها حربياً شعواء ضد القوى الشريرة ، فيتعملل رويداً رويداً للنهوض والحق بالعقل الأزلي والاتحاد به ، ويدفع (القلس الاخير) فيحطم ابواب سجنه الرهيب . (خلاصة الفصل الاول وشروحه للعلامة ابن العبري) .

٢ - الخطوة الاولى : تنطلق خطوة العقل الاولى نحو الحرية الكاملة ، عندما يشور الحب الالهي ، ويتفجر الشعور من الاعماق ، بوجود الانطلاق ، فمن العقول من تنطلق حالة انبجاس المعرفة والقوة فيها ، ومنها من تبقى رازحة تحت اثقال الهوى ، وتكون سرعة الانطلاق للنوع الأول بالنسبة الى قوة الحب

الناثرة فيه ، والزروح ايضاً بالنسبة الى تمسك النوع الثاني بجبال الاهواء والشهوات المنحرفة ، وهذه من سمير اتون شهواتها تعلن حرباً شعواء ضد الخير اذ تستطيع المكوث تحت اثقال المادة ، فالكاثن الذي لا ينال قوة العقل الاول هو مساو للهاثم المدينة الحكيمة .

والشروع بالتوجه الى الخير الاسمي ، انما هو تصعاد ، وعدم الشعور بذلك انما هو هبوط ، والعقل الذي يثور فيه هذا الشعور انما هو قد شرع في التصعاد ، والذي لم يثر فيه هذا الشعور انما قد شرع في الهبوط ، وهو الخطوة الاولى للانحدار .

وهناك غيوم دكناء من قوى الشر تتصاعد متلبدة ، وهي لا تضعف شعاع الحقيقة فحسب ، بل تحجبه عن باصرة العقل وبصيرته ، فتخبو كل الاشعة الخيرة ويخيم الظلام ، فيتلاشى فيها العقل ، وكل عقل لا تقبل صفحته المواضيع الروحية انما هو عدو الخير .

واذا تصاعد العقل الى ذروة التشبه بالله ، ونال درجة الكمال ، ولم يحتفظ بيقظته الكبرى ، فانه لم يزل في خطر مستطير ، لانه ما لم يلاحظ ذاته ملاحظة دقيقة وفي اعماقه ولو شيء يسير من جذور الشر لم يزل حياً ، فان هذا الجذر الصغير ينمو بسرعة هائلة وفي لحظات يصبح شجرة كبيرة تعيش على اغصانها طيور السماء ، فترمي خراعيها الى البحر وغصونها الى الانهار وتلقي بظلال اوراقها على الاسرار الالهية الخيرة بعنف فتطفئ العقول المتألقة الساطعة ، وتستمر بالنمو والانتشار ، وبلحظة اخرى بسيرة تينع ثمارها الرديئة ، وقد حذرت كلمة الله من مرائها التي تخنق العقول ، اذ تظهر لهذه العقول السامية بعلامة دكناء ، ان ثمارها كرهية واوراقها قذرة ، تخيم على العقول الساطعة فتحجب عنها النعمة الالهية الوضاعة وتظلم بظلامها القاني ألق العقل المتسامي ، تلك هي شجرة الشر ، فلا ظلها في ارضنا ولا خيلها في شعبنا ، وقد حذرت منها كلمة الله فقالت لآدم :

يوم تأكل منها موتاً تموت . وهكذا ترى هذه الشجرة وقد اندفعت اغصانها من تحت اللجج ، وهي لن تموت طالما هناك جذر واحد من جذورها لم يزل حياً .

ان الخير الاول الاسمي ، هو وحده قادر ان يعيد الحق الى نصابه ، فيقتل عثرات الساقطين ، ويشير فيهم الشوق العارم للعودة الى الحظيرة الخيرة ، ويتناول التينة العميقة - بعد انتظارها ثلاث سنوات وتسميدها - يتناولها بالقطع والاستئصال ائلا تبطل ارض العقل الصالحة .

انحدرت النفس الانسانية هابطة شيئاً فشيئاً ، كما حدث للأبالسة حيث تجليت شرهم وسقطت من عليائها ، وتخبطت في مجاميل موحنة وتعرضت لالف محنة ، وتجردت عن خيرها فانطأناً كيانها ، وسدرت بتمردها ، وهكذا يجب ان ينحدر العقل البشري الى اعماق الاعماق متعباً جذور الشر ليحمل على استئصالها .

٣ - معمودية الآلام : لا يقطع دابر الشر الى بالأم والجهاد ورغبة العقل وشوقه الى خوض غمرات هذا الجهاد ، وهذه هي معمودية الآلام فيقول الفيلسوف : « لا يحيا ذو جسد مالم يهبط الى حميم هذه المعمودية ، وقد اشار الرب الى هذه المعمودية - معمودية الآلام - بقوله : لي صبغة اصطبغها وانتم لاتعرفونها ، وهذه هي المعمودية التي تهبط الى اعماقها العقول الراضية في التأله ، التي بها يتحد العقل بالواحد الازلي ، وعليه فان الفيلسوف ينصح تلميذه بقوله : وانت يا بني ، فانظر الى فوق ، وأعرض عما في الارض ، دع الظل وانحد بالحقيقة ، اعرض عن الطبيعة الفانية واهبط بقوة آلهية الى اردن هذه المعمودية القدسة المجردة عن الهبولي ، واذا سمعت الرب يقول لابني زبدي - اما كأسني فتشربان واما صبغتي فتصطبغان - فاعلم انه يشير لي - هذه المعمودية المطهرة التي بها يعتمد الكاملون فيطهرون .

ان العقل التأله ، بعد صعوده الثاني ، يندفع بقوة آلهية الى هذه

المعمودية ، فيعتمد فيها ، ويزداد قداسة وتطهيراً ، فيتجلى له الروح القدس ويحل عليه بشبه جسم حمامة ، فيصبح العقل شبيهاً بالمسيح بكنيته ، وترتفع حينئذ منزلة العقل ويدعى (مسيحاً) ويأمر بعذاب الاشرار بسُلطان عجيب ، ويفسر ابن العبري هذه الخطوط الجريئة بقوله : لان العقل الكامل تشبه بالمسيح كلياً ، واصبح نظيره ، ولا فرق بعد بين العابد والمعبود ، وعليه فان العقول الكاملة تقدم لها العبادة من العقول غير الكاملة .

وبناء على هذه الوحدة التي نراها العقل مع الازلي لتشبهه به ، وضرورته نظيره ، يعود الفيلسوف ويقول لتلميذه : اعلم يا بني ان المسيح الان لا يعبد ، بل تعبد العقول التي استحققت هذا الاتحاد العجيب ، والمسيح ليس رئيساً للعقول المتحدة به ، لان المسيح (بكر الراقدين) او (رئيس الراقدين) اما الذين استيقظوا فليس المسيح رئيساً لهم . انها طفرة خطيرة جداً لا يستطيع العقل البشري المجرد ان يقرها ، بل إنما هي أخطر مما يتصوره العقل البشري العادي ، فتجلى له كفرة صريحاً ، إلا أن العقل المتحد بالمسيح يشعر بهذه الوحدة الروحية الصرفة ، ويفسر العلامة ابن العبري هذه النقطة الهامة الدقيقة بقوله : ان المسيح ليس رئيساً حينئذ للذين نالوا الحياة الجديدة واتحدوا به ، واصبحوا نظيره ، بل هو رئيس العقول التي لم تزل في طريق التطهير والاتحاد ، والتي لم تزل تعاني من نوم الموت ، والخطيئة لم تزل متسلطة عليها ، والتي تعرف (الراقدين) على حد تعبير الرسول بولس انه — بكر الراقدين —

فالعقل المطهر ينال صفات المسيح ، ويمكنه حينئذ ان يقول : قد دُفِعَ الي كل سلطان مما في السماء ومما في الارض . ويمكنه القول ايضاً : ان موسى اؤتمن كعبد ، اما انا فكرب البيت ، ويقول : الاب مجئني بالمجد الذي كان لي عنده منذ الازل . ويعلق ابن العبري على هذا التعبير بقوله : ان ذلك لا يقلل من عظمة المسيح ، بل يعظم قيمة العقل البشري الطاهر ، الذي ينال الكمال المطلق ،

فلا يبقى اي فرق بينه وبين المسيح ، وكل ما يطلق عى المسيح يطلق عليه
(خلاصة الفصل الثالث) .

٤ - قوى الشر : ان هذه القوى تعلن حرباً ضروساً ضد القوى
الخيرة ، تريد اعادتها الى حظيرة الشر ، من جديد ، ويقول الفيلسوف : اني
اقول بكل قوة ، وبعمونة الله ، ان كل عقل لم يتطهر لم ينل بعد حرته الكاملة
من هذه القوى الشريرة ، فالعقول الطاهرة وحدها ذات هذه الحرية . (خلاصة
الفصل الرابع)

٥ - جهاد العقل ضد الجسد وكبح جماح الاهواء الجسدية : لما كانت
قوى النفس في الانسان تمثل الخير ، مضادة لقوى الجسد وهي تمثل الشر ، كان
لا بد من التصادم بينها ، اذ يقع الخلاف بين هاتين القوتين على حد تعبير الرسول
بولس ، وعليه يكون جهاد العقل منصباً على خضد قوى الشر الكامنة في الجسد ،
والانتصار لقوى الخير الكامنة في النفس ، وبناء على ذلك يقول الفيلسوف : يجب
على الذين يرغبون الارتفاع من هذا العالم ان يوحّدوا قواهم الخيرة ، فيقتلعوا الشر
من أعماق جذوره ، فقد يخشى ان يظهر الشر من حيث لا يشعرون ، فالجسد
هو بيت النفس ، والنفس رداء العقل ، فيجب على النفس ان تطهر العقل بذاتها
ويستصعب العلامة ابن العبري الحصول على التطهير المطلق ، وعنده ان من الصعب
على الساقط في الماء الا يتبلل .

ولكن ، اذا انعم الله على الانسان فنال التطهير الكامل واصبح العقل في
درجة التصاعد الى الملاء الاعلى ، فهناك تخشم قوى الجسد ، وتذهب ريحه ، يقول
الفيلسوف : اذا ما بشر العقل بالتصاعد ، فان الجسد يرتقي كاليت ، وهذه الحالة
قد شرحها الفلاسفة المتأخرون ، ومنجدها في محلها .

ومع هذه الحالة العجيبة لايسلم العقل ايضاً من الاخطار ، يقول الفيلسوف :
اني رأيت عقولاً كثيرة صعّدت ذروة الصليب (صليب المجد) الا انها مقطّعت ،

لان ثيابها كانت لم تزل قدرة ، فقد دعت الحكمة الالهية النفس والجسد غير الطاهرين ثياباً قدرة .

وهنا يحتاج الكامل او كما يسميه الفلاسفة (العارف) الى الخطوة المطلقة ، وعدم التفريط بما ناله من آلاء ربه ، يقول الفيلسوف : اما أنت يا بني ، فادخل مخدعك واغلق بابك ، ولا تشرب الا من ينبوعك ، وليكن لك وحدك ، فلا يشرب معك غريب ، ولا تنم في القرية وتترك زرعك في الحقل ، لئلا يأتي العدو ويؤرع الزؤان في حقلك . هذه امور سامية لا يستطيع سماعها الا الكاملون ، وعليه يحذر الفيلسوف تلميذه بقوله : لا تبح بكلماتي هذه امام العقول غير الطاهرة . . . لان الانسان الذي لا تمى نفسه معاني الروح يزدريها .

٦ - قوى العقل : قوى العقل ثلاث حالات ، الاولى ، الطبيعية ، وهي الحالة التي لا تمى الا ما كان محسوساً ، وبسببها الفيلسوف حالة الطفولة ، واذا استسلم العقل لحالة الطفولة هذه ، ولم يحذر شرورها ، فانه ينتقل الى حالة دونها وهي الثانية ، حالة الشر والخطيئة ، وهذه تقوده الى الحالة الثالثة وهي حالة الاجرام فيساوى مع الوحوش الكاسرة والبهائم .

والعقل الطاهر هو فوق جميع هذه الحالات ، فانه ينظر إليها وهي تقاسي المرائر في دركاتها السفلى ، وهو ذروة مجده الاسمى ، ان العقل الطاهر الذي نال درجة البتوة ينتقل الى حالة جديدة فائقة للطبيعة ، ويفهم السر في قول الكتاب : (الاب لا يدين احداً بل قد اعطى الدينونة كلها للابن) اي يصبح العقل حينئذ بمثابة ابن الله له السلطان في دينونة الآخرين .

٧ - حركة العقل الفائقة الطبيعة : دعيت حركة لان لها مميزات كثيرة فيدعى العقل اولاً ملاكاً ، ويدعى احياناً اسمى من الملاك ، فاذا عرضت له عشرة من العثرات ادت الى سقوطه ، فانه يهبط الى دركة الحيوانية . ان حركة العقل في ما وراء الطبيعة ، هي الخطوة الاولى في التصاعد

الى اعمال البر والفضيلة ، فيدعى صاحبها حينئذ باراً وقديماً ، واحياناً يصيب صفة القوى المائقة في اقداسة ، واما اذا ارتفع العقل الى حالة فوق الطبيعة ، فانه يخشم ويلوذ بالصمت والارتاج ، ويغذ السير بدون طريق ، والمعرفة التي ارتفعت فوق الاشكال العادية لم تبلور بعد وبما انها لم تزل بحاجة الى اكمل فانها تدعى حركة ، وبما انها فوق كل شيء هي فوق هذه الطبيعة ، ويفسر ابن العربي هذه الحالة بقوله : ان نهاية الحركة في ما وراء الطبيعة هي بداية الحركة الفائقة الطبيعة ، حيث يستولي على العقل الصمت العميق والخشوع المطلق ، فتلاشى امامه معالم الطريق لان الاشكال تتلاشى ، فيلغ العقل الى الجواهر الفاتقة كل وصف وكل اسم ، لان الاسماء تغطي على الاشكال ، وحيث تتلاشى الاشكال فلا بعد اسم ، فيخيم الصمت العميق لأن جوهر النفس البشرية لم يتحد بعد بالجواهر العام الاسمى ، وهي بحاجة بعد الى ارتفاع اكثر لكي تتحد ، وحينئذ تنطلق فلا تخفت .

وما دام العقل سالكاً طبقاً لنظام الطبيعة ، تثير الحرب ضده الابالسة المنتمية الى الجواهر التي قوة الشمس ، وهي على حد تعبير ابن العربي ، الابالسة الاقل شراً من غيرها ، ولكن اذا اندفع للسلوك في ما وراء الطبيعة ، فان ابالسة اعظم شراً واكثر نفاقاً تنبئ لمحاربتها ، اي اذا شرع يسير في الطريق المؤدية الى الله ، واذا حبت النعمة العقل المتصاعد الكامل فتجسد قوى الشر كل عنفها ضده لاعادته الى حظيرتها واسقاطه في مهاوي الزلل .

وسنرى كيف عبر الفلاسفة عن منطقة الخطر هذه ، ابان بلوغ العقل اعلى الدرجات في السمو والتصاعد الى ذرى القدااسة واوج الكمال ، وفكرتهم طبعاً مستمدة في هنا .

٨ - تصاعد العقل الطاهر في درجات سيم الكمال : بعد ابتعاد شديدة وجهاد شاق ، تشرع العقول الطاهرة في تصاعدها درجات الكمال ، فيثور

فيها الشوق اللاهب للوصول الى القمة ، وتسمفها الجواهر الروحية التي تصادفها في طريق تصاعدها ، اذ تجتمع كل تلك القوى وتحيط العقل بهالة من المجد والقدامة بطريقة عجيبة . ان قواها اقدمية تتحرك بحيلة بالعقل ، لكي تسجد له ، وتتهج به ، كما لو بعثت من الموت ، وهذا ينطبق مع قول الرب : ان الملائكة في السماء تفرح بخاطيء واحد يتوب ، كل كمين عاقل يحوز معرفة ما دونه ، ولكن العقل الكامل يجمع كل المعارف .

وهنا يشرح الفيلسوف حالات العقل او العقول التي تبلغ درجة الكمال ، يقول : ان جواهر العقول تتاز بعضها عن بعض ، سمواً وكهلاً ، وظيفاً لسمو جواهرها يكون تأقها كثيراً او قليلاً بالنسبة الى ما يجاورها من العقول ، وهكذا العقول التي انحدرت من الجواهر الفاضلة ، هي بحاجة الى تطهير يسير ، فالمقول المنحدرة من جوهر الاب ، هي بحاجة الى (الصليب) مرة واحدة ، والمنحدرة من جوهر الابن هي بحاجة الى (الصليب) مرتين ، والمنحدرة من جوهر الروح القدس ، هي بحاجة الى (الصليب) ثلاث مرات ، وهكذا كل جوهر بالنسبة الى ما فوقه من الجواهر يجب ان يقاسي الجهاد والصليب ، ويشرح ابن البري هذه النظرية بقوله : ان العقول التي قانت الكمال من لذت الاب فقط ، كالانبياء ، كانوا بحاجة الى تطبيق الناموس الموسوي فقط ، فكانوا اذاً بحاجة الى صليب مرة واحدة ، واما الذين نالوا الكمال من لذت الابن كالرسل ، فكانوا بحاجة الى الصليب مرتين ، اي ان يتألموا مع المسيح اولاً ثم ينالوا آلام الشهادة ، واما الذين نالوا الكمال من الروح القدس ، فقد تألموا ثلاث مرات ، وهم من يروا الرب ، كالأساقفة والرعاة الصالحين والكهنة والابرار ، وهؤلاء قاسوا آلام الصليب ثلاث مرات ، الاولى مع الانبياء ، والثانية مع الرسل ، والثالثة ، في حياتهم الكهنوتية الشاقة لاجل المسيح .

والعقل في انحداره يتأثر بقوة دافعة ، كذئك في تصاعده هو بحاجة الى قوة جاذبة ، ترفعه الى الذروة المناسبة ، اما انا فقد رأيت عقولا كثيرة لم تثر ضدها حرب ضروس ، وغيرها قاست اكثر من الاولى ، حتى استطاعت الارتفاع الى المنازل المعدة لها ، واذا ما شرع العقل في التصاعد ، فإن قوى الشر الثلاث تثور ضده تريد الهبوط به الى الدرجات السفلى . اما العقل ، فيتجلبب قوة الالهية ويحوز صفة الجبروت العجيبة ، ويضرب اعداءه الى ورائه ، ويجعلهم عاراً في العالم .

القوة التي يتخذها العقل واسطة لتصاعد ، تتلاشى اذا ما بلغ العقل نهاية ذروته ، وشأن هذه القوة الكمال الراعين في الكمال .

انت العقول الموثوقة في الحبال - من أي نوع كانت - إذا رأيت العقل المتأله حراً ، فانها تهتز مشتاقة ، الى العروج معه ، والاتحاد به ، ولا ترغب الانفصال عنه ، انها تبتهج به ، وتنعطف اليه ، قائلات : كل خبزنا وارثنا واثابنا فقط ليدع اسمك علينا فيزول عارنا ، وشأنها شأن المأخوذ من سيياً ، الذين رأوا أحد أبناء وطنهم ، يفرحون ويتوقون الى مرافقته انى مضى ، انهم يبسطون اليه اليد ، يد الشوق والحنين عليه ينقذ حياتهم من الذل والهلاك ، وكأني بهم يناجونه قائلين : الا اتقنا من الهلاك والشقاء ومن حمأة الهوان . ان هذه العقول تتزاحم ضارعة الى العقل الطاهر ان يعطف عليها فتبعه في عروجه . ثم ينصح المعلم تلميذه ، يقول : انى ، يا بني ، قد محصتك الحب الذي كنت مديناً به ، اما انت ، فاسمع واعمل وبادر ، ولا تتأخر ، لئلا تقرب الشمس قبل ان تدخل المدينة فتقطع بيد المهلك ، فاطلب الى الله بلجاجة وشجاعة تمكئك من الوصول الى الكمال ، الكمال الحقيقي والاتحاد به .

٩ - الحب : ما الحب ؟ ولم الحب ؟ اقول : الحب صلة الالهة مقدسة بين المحب والمحبوب ، فاذا وجد الحب فلا توجد الوحدة بعد بينها ، ويفسر ابن العبري

هذه النقطة الدقيقة بقوله : اذا تمت الوحدة لا يبقى محب ولا محبوب ، اذ يتلاشى اسم الحب بينهما لانها اصبحا واحداً لاثنين ، فما دام الحب موجوداً هناك فرق بينهما ، والمحـب لم يزل يشعر ان محبوبه ناقص لا يجوز كماله الا باتحاده به فاذا اتحدا ، حصل الكمال .

ويعود الفيلسوف فيقول : ان اسم الحب يفترض الانفصال ، لا يتألف من واحد ، بل من اثنين ، من المحب والمحبوب ، فداعي الانفصال اذن ، يتأتى اسم الحب ، واذا كنا قد قررنا ان الحب علامة الانفصال ، فلنتظر ماذا تسمى المقول المحبة ، ولنقل : امنحنا ، اسماً يقرب لحظة الاتحاد ، وهذا الاسم هو المحب المجيد . اما انت يا بني ، فلا تتوقف عند الحب ، بل وارك المحبة جانباً ، وانزع الى الاتحاد ، وابلغ فروته بقدره فائقة ، فان الاتحاد فوق ما يسمى بالمحب او المحبة ، اما انا يا بني ، فليست اجد ما يسمى بالمحبة ، لاني لم ازل ارى فيها معنى الهماد ، واعلم ان الذي يحب المسيح فانه يراه على حد قوله : (اظهر له ذاتي) اما انت يا بني ، فلا ترغب ان ترى المسيح (فحسب) بل كن في المسيح ، وقد اشير لك (ان المسيح يكون فيك) فلولا خشيتي لقات لي كلمة الله ، ان لم تعرفوا ان المسيح هو فيكم فانكم منحرفون) ولم تقل كلمة الله (انكم اتم المسيح) فان كنا في المسيح فانه يعرفنا ويلمسنا ، ولكن ان كان المسيح فينا ، فانسنا نعرفه ونلمسه .

١٠ - التمجيد والعبادة : قبل الدخول في موضوع التمجيد الحقيقي ، يشير الفيلسوف الى سمو العقل الطاهر بقول : اننا نعم ان كل كيان عاقل ، يحصر ، ويعرف ويلمس من قبل جوهر يفوقه سمواً ، وهو بدوره يحصر ويعرف ويلمس الجوهر الذي يقل عنه سمواً . اما العقل الطاهر فانه يحصر ضمن نظراته جميع الجهات . ثم يدخل موضوعه ، فالتمجيد الحقيقي انما يؤدي للخير الاوّل ، يقول : اما نحن يا بني ، فاننا نجد الخير الاوّل ، وهو غذاء ظهور للمتجعين حضرة

الله ، ونهاية اسواقهم الطبيعية وسير اضطرارهم اللاهب الوضاء ، وهذا
التمجيد ينبجس من حنين الهي ، ويتعاضم ويتسامى بطريقة سامية قدسية ،
ليتصل بالجواهر الاسمي الذي آثاره ومن هنا عرفنا معنى هذا التمجيد ، انه
شوق البعدين وحنين الساقطين ، واذا قال الابن للاب (مجد ابنك ليمجدك ابنك)
فذلك يدل على اعطاء المجد للمجيد المتحد به .

فاية تماجد تليق الآن بمخادعنا ؟ هل من الطبيعة ام
مما فوق الطبيعة ؟ اما انا فاظن ان ما يفوق كل نطق وتفكير ، يجب ان
يؤدي بدون نطق او تفكير .

اذا بلغ العقل درجة من السمو فوق كل تصور بشري ، وانكشفت
له الأسرار الخفية في رهبة الحضرة الالهية ، وتوصل الى مخادع
المللكوت في المجد الازلي ، ماذا يقول ؟ وكيف يعبر الفيلسوف هنا
يقف مشدوهاً متبهاً وكل ما يمكنه ان يقول هو : فاية تماجد تليق
الآن بمخادعنا ؟ هل من الطبيعة ام مما يفوق الطبيعة ؟ اما انا فاقول :
ان ما يفوق كل نطق وتفكير ، يجب ان يؤدي بدون نطق او تفكير . وذلك
لانسه لم يجد كلمة بشرية يمكنها التعبير عن رهبة تلك المخادع ، ولا
الافصاح عن هبة ذلك الموقف ، ولذلك يتابع قوله : لا لا ، عرف
الامر ، هنا الصمت المطلق ، والارتاج الطبق ، امام الأسرار السامية
التي تتلشى تجاهها الحواس ، وتزول الاشكال ، الصمت العميق في
لحظات (الوحدة) الوحدة التي هي الكمال الابدی . امام الخير الازلي
المطلق ، وقد معنا معنا الالهي . ان من يتبع الرب يكون وايه روحاً واحدة ،
وحيث تمت الوحدة اقتفى الفاصل .

لم يستطع الفلاسفة المتأخرون من الاتيان بألمع من هذا التعبير
بالنسبة الى حالة العقل اذا بلغ هذه الدرجة النهائية من التسمي الروحي ،

وسجد ذلك عند الفلاسفة ابن مين وابن العبري وابن المديني .

ويتابع الفيلسوف حديثه عن نفسه يقول : هذا - يا بني - ما يمكن قوله
للذي مثلي ، التي انتظر نهاية التطهير وكل المغفرة ، وبعد ذلك الالتحاق برفاقي ،
وهكذا اذا سجدنا للمسيح فذلك علامة التطهير ، واذا سجدنا بالروح فذلك اما
علامة الكبر للطلق الذي لم يبق بحاجة الى السجود ، واما علامة التمرد للذين
يشقون الطاعة ، وان كان بعد هنية يعود المتمردون الى سواء السبيل ويصبحون
طائعين .

١١ - انبوع الى ذروة الغظيرة والتغند في قلب الاستمرار ، ثم انقوض :

بعد ان يبلغ القمل ذروة الغضبية ، وتنجي له الاستمرار ، وقد وقف في
قلبها العميق ، وسر غورها البعيد ، يرتج عنده ، فلا يجد كلمة من الكلمات
البشرية كافية لتعبر عما هو فيه ، بل لا يجد تعبيراً بشرياً يلبق بما يشعر به من
العبادة ، ولذلك يقول الفيلسوف لتلميذه : اما انت يا بني ، فانظر الى ما يحيط بك
واجماً صامتاً متبياً ، وتأمل النملة وتعلم طرقها كيف تخزن قوتها وتخفي طعامها ،
والصدفة التي ان تهبط الى الاعماق وتخفي لا يمكنها تربية اللوثة ، احفظ
كل ذلك ، واعمل به تحياً نفسك .

واذا امكن التعبير عما يشعر به الكامل - في حالة الوجد والوحدة -

بشكل من أشكال اللغة البشرية ، فذلك ليس مباحاً الا للمعلمين والمرشدين ليوقفوا
تلاميذهم على بعض الحقائق السامية التي يناها العارف الكامل في حالة توصله الى
درجة الوحدة الازلي ، وعلى هذا الاساس يقول المعلم لتلميذه (واذكر - يا بني -
التحذير الالهي والنعح الصريح الذي اعطيت لدوي العقول الطاهرة ، بالا يكتفوا
الاسرار الالهية التي اوتوها ، واني علم انك انت ايضاً توصلت اليها ، فشمكتك كما
شمكتنا قلبك ، لاننا جميعاً اخذنا روحاً واحداً ، فاذا ذكرت ذلك تعلم وتفهم

بسهولة لماذا قال ارسون بولس (لايسوغ لانسان ان ينطق بها) .
ان المعلم يشعر ان له الحق بان يصرخ ببعض ما يشعر به من معاناة روحية
وهو في ذروة الوجد الكامل ، فيقول اتمامه : (اني ساحاول التعبير بطريقة
بشرية ببعض ما لا يخضع للغة البشرية لان الروح يفحص كل شيء ، ويحكم في كل
شيء ، والروح يفحص حتى أعماق الله) ويفسر ابن العبري ذلك بقوله :
(ان التحذير الذي يضعه المعلم امام تلميذه ، انما وضع للعقول الطاهرة ، لئلا
تفصح عن أعماق الاسرار الالهية امام العقول الغارقة في الاهواء البشرية ، واما
المعلم فانه مباح له ذلك ، لانه يعرف مقياس النقاء الذي تتوصل اليه العقول فتصح
اهلا لا يداع الاسرار الالهية فيها ، واعماق الله يريد بها احكامه الغامضة ، واذا
كان الروح قادراً على تفحص مثل هذه الاحكام ، اذن ، يسوغ لي ايضاً التعبير
عنها او عن بعضها ، لانه لا يمكن ان يقرر بي احد فاكشف الاسرار العميقة
الخفية التي تتفحصها الروح) .

ويعود الفيلسوف الى نفس التعبير الذي كان قد قدمه لتلميذه سابقاً
(الفصل الثاني) فيقول بالحرف الواحد : (اما انت يا بني ، فلا تكشف كل
هذه للعقول غير الطاهرة ، لئلا تتعرض للشجب القاتل : لانضع عشرة امام الاكمة
ولا تعط السم القاتل للمريض ، لان الانسان الذي يريد فهم اسرار الروح بروح
مادية ، فهذه الاسرار تكون اضداداً له ، فلذ اذن بالصمت الخاشع التهييب ، معرفة
هذه الاسرار) ويفسر ابن العبري ذلك بقوله : يريد الاكمة هنا ، اعنى العقل
الذي يشك بالمعرفة عوضاً عن ان يتمتع بها ، لانسه ليس كل عقل يمكنه تحمل
اثقال الوحي ، كما لا يستطيع كل عين التمتع بنور الشمس ، الا اذا كانت سليمة
واما الاضداد فهي على حد تعبير الرسول بولس : ان الجسد يشتهي ما يضر الروح
والروح تشتهي ما كان غريباً للجسد .

ويريد المعلم كشف بعض هذه الحقائق الالهية بقوله : لاتعتبر ، يا بني ،
اظهاري بعض هذه الحقائق السامية - مشافة او كتابة - خرقاً للناموس ، فاني
اخذت ذلك من المشير الحكيم ، بان اكشف بعض تلك الاسرار الخفية ،
ويفسر ابن العبري هذا القول مرتين : اني لن اقدم جزافاً على خرق النع الذي
اصدره رئيس احبارنا ، المسيح ، وامرنا ان نصون الوحي واجين ، فاني لم افعل
لله ذلك الا بعد ان اذن لي الحكيم العظيم ، مشير الحقائق الكبرى ، استاذي
ومعلمي بواس .

في غمرة الوحي ، وفي حالة الوجدان الاسمي والعقل في أعلى الذرى من
القداسة ، وقبل الاتحاد المطلق بالازلي الاحد ، تعرض خاطرة ذنوبية لبعض العقول ،
فتسلبها كل ماذاته بعد جهاد شاق ، وتب لا يوصف ، وتهدم كل ما شيدته في
في غضون سنوات عديدة ، تهدمه بلحظة واحدة فتسقط تلك العقول الى اخط
الدركات ، وكان اعمالها الفاضلة لم تكن . يقول الفيلسوف : (اني رايت اثناسا
كثيرين قد سقطوا بفتنة ، لانهم كشفوا الاسرار الالهية ، وشاهدت مع ربنا
الشیطان ومن شابهه ، يسقطون من السماء كالبرق ، اذن ، لا يجب ان يخفي عنك
يا بني هذا العقاب الذي يحيق بالعقول اذا ما اقدمت على كشف هذه الحقائق الالهية)
ويفسر ابن العبري ذلك بقوله ، قوله رأى الشيطان ساقطاً كالبرق ، اي بين الروح
لان الشيطان ايضاً كائن روحي لا يرى ، ورأى من يشبهه ساقطاً معه ، اي
يهودا الاسخريوطي ، الذي سقط هو ايضاً كازهرة الداوية من شجرة المجد .

١٢ - عودة العقل ، السيف ، السلطان . : بعد ان يرسخ العقل في
الحقائق الالهية ، وينال المجد الساطع باتحاده بالواحد الاحد ، يعن له ان يعود الى
العالم ليرى ما فعله الشرير ببناء المعصية ، وليشاهد جهاد القديسين ، الذين يستعدون
للصعود الى ذرى الحقائق الالهية ، يعود الى العالم غير وجل ولا هياب ، يقول

الفيلسوف : (حينئذ يشرع العقل التصاعد الطاهر بالانحدار ايزور من في العالم بفرح لا يوصف) (انني اعلم ان طبيعة الشر لا يمكنها بعد محاربتسه ، كما كانت تفعل سابقاً ، فقد صعد الى ذروة الحقيقة ونال قوة لا تقهر ، على حد تعبير النبي القائل : صعد الى العلاء وسي سيباً وشاهد العقل الطاهر المتأله ، في ذلك السر الاجمد المقدس ، شاهد ذلك السيف السري العجيب ، الذي قال فيه معلمنا الالهي : من ليس له سيف فليعم ثيابه ويشترى له سيفاً .

ويعلق ابن العبري على ذلك بقوله : ان الذي يضرب بسيف الروح هذا - وهو كلمة الله - يهلك ومن قاومه يقني ، فقد يضرب سراً ، ويقتل علانية يدخل الى اعماق الاعضاء ، ولا ترى ضربته ، ان هذا السيف يراه العقل ، ويتأكد ان متقلده له قوة عظيمة لا تقهر ، وامر الرب لتلاميذه يعني ان يخلعوا الانسان العتيق ، انسان الضلال ، ويتقلدوا سيف الروح الذي يعصم متقلده كل خطر ، وبه يقتل اعداءه ويقهر النفوس الضالة . ويمضي الفيلسوف بتعداد الانتصارات الروحية التي يحققها متقلدو سيف الروح هذا ، حيث تؤتي العقل قوة وجبروتاً تنحدر امامها كل الاعداء ، اعداء الحقيقة الالهية ، وبذلك يحوز العقل سلطاناً على كل ما في السماء وما على الارض لانه يتساوى بقدرته مع الله لانتحاده به .

١٣ - الصليب والكهال والام

الصليب انما هو الام الذي يقاسيه القديسون في هذا العام ، اقتفاء لاثار الاله المتألم ، ولا يستطيع مقاساة هذه الآلام الا الذين بلغوا ذروة الكهال الانجيلي وتقدموا بالحق ، يقول الفيلسوف : (يجب على الذين نالوا الكهال الالهي وتقدموا بالمظمة التشبه بالمسيح في كل شيء ويكونوا نظيره ، ويخضعوا لنا عندما الرسول بولس بقوله - انخرج اليه خارج المحلة حاملين عارء - وسمعوا الرب نفسه يقول

— اذا اراد احد أن يكون تميذي فيحمل صليبه ويتبعني — وهكذا يعطي
بإيراد الآيات الكتابية الموجبة تجسم الآلام تشبهاً بالمسيح إلى أن يقول : (فعلى
العقول الطاهرة التي تريد التشبث به بالمسيح في كل شيء ، أن تقتفي أثره على
الصليب ، والا كيف تريد بلوغ الكمال ؟) ويورد رغبة ابني زبدي في الجلوس
عن يمينه وعن شماله في ملكوته ، قول الرب لهما : (استطيعان ان يشربا الكأس
التي أنا اشربها ؟ مشيراً بذلك إلى الأمة ، الأمر الذي لم يقاسه ابنا زبدي ، ولم
يتيسر لكثيرين من أصدقائه ان يقاسوه ، وبالتالي كان يعني الآلام التي يجب على
العقول ان تقاسيها وتخوض غمراتها ، وبدون ذلك لا تستطيع هذه العقول الطاهرة
التوصل إلى الكمال الإلهي والتقديس المطلق ما لم تتوقل ذروة آلام الصليب) .

وقصد الفيلسوف من ذلك ، هو خضد شوكة الجسد ، وصلب رغباته
المنحرفة ، الأمور المعبر عنها في الكتاب : (الانسان العتيق) وعليه يقول :
(يجب اذن ، ان يقتل الانسان العتيق ، وقد قتل المسيح على الصليب ، فلا
يضلن احد فيظن ان ذلك الانسان العتيق يقتل بغير الصليب ، فقد أكد ذلك
الرسول بولس بقوله : نعرف ان انساننا العتيق قد صلب معه ، فبطل جسد
الخطيئة لئلا تعود بيد إلى الظهور ، فيجب اذن ، على العقول المتألهة ، ان تقتل
هي ايضاً جسد الخطيئة على صليب الآلام ، ورب مسائل يقول : لماذا يصلب
العقل ؟ الذين لا يموتون لا يموتون ايضاً فقد قال الرسول بولس في
المسيح : اذا تألمنا معه تمجد ، فكيف تتمجد معه ما لم نتألم بآلامه ؟
وكيف نتألم بآلامه ما لم تقاسي الصليب معه ؟) ويعطي الفيلسوف
بتأييد هذه الحقيقة بآي الكتاب الكريم ، إلى ان يقول : (اني دعوت
الصليب كناية عن قوة مطهرة منقية ، يزيل الآلام المبرحة بالآلام .)

ثم يقول : لو لم تكن المقطة ، لما كان الألم ، ولو لا الألم ، لما كان
الصليب ، ولو حنظ العقل جوهرة لعله لم يأت وحيث لا يجيء لا ذهاب ، فقد

تأكدنا اذن ، ان الصليب لاحاجة للعقل إليه الا للتطهير (وهنا بغض الغموض في هذه النظرية يزبله ابن العبري بقوله : « لو حفظ العقل كيانه الروحي الطاهر لنا احتاج الى مجيء جديد نحو الامور الروحية النامية ، والاتحاد بها ، بل لاستمر متحداً بها بدون انفصال » .

وينتقل الى تفسير الآلام التي يجب ان يقاسيها العقل في تصاعده الى ذروة الكمال ، فيضع امامه ثلاثة صلبان ، او ثلاثة أنواع من الآلام يقول : (هناك ثلاثة صلبان تظهر للعقول الطاهرة ، الامر الذي حدث للمسيح بالذات ، وبعدها ان الانسان مركب من ثلاثة عناصر ، يجب ان يتطهر في هذه العناصر الثلاثة عينها فمن العدل اذن ، ان يقاسي ثلاثة صلبان) .

وهنا يفسر معنى الصلبان الثلاثة ، والعناصر الثلاثة المصوبة بوحدة ، يقول : (اعلم يا بني ، ان ثلاثة يصلبون ، ولكن لا يحيا ثلاثة ، المسيح وحده عاد حياً ، ومعه طيطوس ، هكذا يصلب العقل ، فيعود حياً ومعه النفس عن يمينه ، مثل طيطوس ، ويموت الجسد عن شماله ، مثل دومكوس » .

قرر الفلاسفة ان العقل قوة من قوى النفس ، واما فيلسوفنا هنا ، توصلنا الى هدفه ، وهو تطهير العقل من شوائب الشر ، يجعل العقل متميزاً عن النفس بينما هما كائن روحي واحد ، وعليه يطبق حالته تجاه الآلام التي يقاسيها في هذا العالم الى اللحظة التي يتوصل فيها الى ذروة كماله الروحي ، يطبق ذلك على ماقابه الرب في طريق الآلام ، حتى وصوله الى ذروة النصر الحقيقي ، وذلك خطوة فخطوة ، وهكذا يتابع قوله

(لعلك تظن ان في جوهر الابالة يتم هذا العمل المجيد — الام — لا ، بل ان الام ينقلب الى شر يشبه شر الابالة ، وبه يتم صليب الآلام ،

وقد تقدم العقل الطاهر الى ذروة الاتحاد - الاتحاد بالله - تاركاً نفسه مهملًا جسده في انات لا توصف في غمرة الالام ، حتى ينال قوة وجبروتاً لا يوصفان ، ناظرًا الى الصالين الذين يحيطون به - الالام - ويقول لهم : من تظليون ؟ فيقولون ، اننا نطلبك ، فيتلاشون امامه كما تلاشى الصالون امام الرب (في الجسيمي) اذ سقطوا على وجوههم ، فيؤكد للالام انها ضعيفة وضئيلة وإنه برادته تقدم الى خوض غمراتها ، فصلب ، يتقدم العقل عريانا - بدون نفس ولا جسد فانها يبقيان وحدهما - ويقدم العقل ذاته برادته الى صليب الالام محاطاً بهالة من القوة والقداسة ، والتواضع ، كمنجاة امام الجزار ، صامتاً ، ويرفع على الصليب الذي في الوسط ، فيرى النفس عن يمينه مصلوبة مثل طيطوس ، والجسد عن شماله مثل دومكوس ، يقدم له الصالون - الالام - خيلاً في اسفنجة كما قدم للمسيح ، فتدنو لحظة الموت ، التابعة للالام الصليب ، فتقول النفس للعقل ما قاله طيطوس - اذكرني في ملكوتك - طالبة الاتحاد ، فيصدر لها الوعد بالتطهير المقدس الالهي ، الذي ستناله بواسطة العقل ، فيصرخ العقل الطاهر قائلاً : الهي لماذا تركتني ويخني رأسه بتواضع عظيم ، ويقاسي الموت السري كما قاساه المسيح قبله ، فلا يستطيع ان يكون مساوياً للمسيح من لم يتمجد به - هذا الموت فتموت النفس والجسد ايضاً معه)

اما انت يا بني ، فافهم معنى الجسد ، فبعض ملائكته - قواه - تمثل دور الوحوش ، وبعضها دور الشرط ، فيتقدم احدها بطريقة سريرية الهية ، وبطن العقل في جنبه بحربة ، ويجري منه - بطريقة مقدسة ايضاً - ما يمثل الدم والماء ، ولعل البعض سيمثل دور يوسف ، فينزل العقل عن الصليب .

وهنا يشير الفيلسوف الى اختلاف العقول بالنسبة الى مقاساة هذه الالام فبعضها تقاسيها مرة واحدة والبعض مرتين او اكثر يقول : (لايشككك عدم

تساوي هذه العقول بالنسبة الى الالام ، فاني رأيت عقولا كثيرة لم تقدم الى هذه الالام مرة واحدة او مرتين ، بل يجب ان يصرح بالحق انها ربما اقدمت عشر مرات او عشرين مرة ، او ربما مرات لا تحصى ، بل رأيت عقولا كثيرة استمرت تقاسي الام الصليب فترة الحياة الانسانية كلها)

يشرح ابن العبري عدم تساوي العقول بالنسبة الى مقاساة الالام بقوله :
(العقول البشرية المتكاملة بمقاساة الالام يتضاءل ويتضاءل اليها الى الطبيعة البشرية ذاتها وقوة الالام النفسية ، ومدى القوى الجسدية ، فبعض العقول يكفيها ان تدخل بودة التطير مرة واحدة ، وبعضها مرتين . وبعضها تستمر طيلة فترة ارتباطها بالجسد غارقة في الشهوات ، وبعضها حتى اتسمة الاخيرة تهزجها الاهواء ومعنى ذلك ، ان السائر في طريق الملكوت الضيقة ، يتماز بعضهم عن بعض تبعاً لاختلاف الطبائع والارادات ، ولنحجم اذن ، عن اظهار الحالات البشرية بالنسبة الى سيرها في طريق الله امام العقول المريضة ، لئلا يزدي القائل ، ويعتبر جاهلا امام الذين لا يدركون عظمة هذا السر) واخيراً بطمئن الفيلسوف تلميذه بقوله : (يا بني ، لاتطل التفكير في أمر العقول الكثيره المتطهرة لعلها جميعاً سواسية امام آلام الصليب)

الى هنا يجدر بنا التوقف عن الاسترسال مع الفيلسوف الصوفي الذي طاب له اتخاذ اسم ايرثاوس الخالد هذا ، مع ان الفصول الباقية من الكتاب هي الذروة العليا من تفكيره السامي في هذا المضمار ، وقد رأينا كل ذلك واضحاً لدى فلاسفتنا العرب والسريريان منذ القرن العاشر الميلادي والى القرن الثالث عشر ، حيث تناول هولاء الفلاسفة كل تلك النقاط الروحية طبقاً لحاجاتهم في البحث ، واضفوا عليه حلاً رائعة من التعبير المبتكر ، الا انهم لم يأتوا بشيء جديد ، وعليه تجد في الفصول الباقية من هذا الاثر الرائع ، تقارير روحية سامية في جميع

الحالات التي يمر بها العقل منذ يقضته الاولى ، بعد هبوطه الى عالم الخطيئة
والمعصية حتى التحاقه بالملأ الأعلى واتحاده بالواحد الازلي .

في حالة الخطيئة يصور الفيلسوف العقل (جثة هامدة) وهذه الحياة
انما هي قبر رهيب لتلك (الجثة) ، الفانية ، قراها مغمورة في اهواء
هذه الدنيا كما تفسر جثة الميت تحت طبقات اثري ، (الفصل ١٤) وما
هي الا برهة حتى تجد رحمة الله الواسعة تحيط العقل الخالد بمطفأ السامي وتضفي
عليه قوة جديدة تمنحه يقظة جديدة ونهوضاً شامخاً جديداً بعد تلك الكبسوة
الكبرى ، فيحيا الميت ويستعد لنهوض الكامل من جديد ، (الفصل ١٥) .

الا ان ذلك يؤلم رئيس الشر في هذا العالم ، فيهاجم العقل
من حيث يدري أو لا يدري ، ويعلن الشر حرباً عواناً ضد الخير ،
الخير الذي حازه العقل عند يقضته الكبرى فتصبح هذه اليقظة كفيلة في حركة انتصاره
على قوى الشر العارمة (الفصل ١٦) .

بعد الفوز بهذه المعركة الضروس ، يشرع العقل بتصياد جديد الى
الملأ الأعلى ، متقللاً من حالة الى حالة ، بسبل مرتقياً من قوة الى قوة ،
حتى يبلغ الذروة العليا حيث قدس الاقداس الأسمى ،
مستعداً للدخول ، وهنا برهة روحية عذبة عجيبة لا تستطيع اللغة البشرية
الاحاطة بها (الفصل ١٧) .

ان برهة الاستعداد والانتظار امام قدس الاقداس صعبة
وقاسية ، فالعقل يتوقف واجماً متيباً ، ترتد فرائضه خشية الفشل
والاندحار ، فلم يزل قوي الشر تلاحقه ، حتى امام ذلك الرتاج العظيم ،
الا انه يعود الى تفحص قوتيه الروحية العظيمة فيراها كافية للاحتفاظ بمنزلة
الرفيعة ، فيلتفت الى أعدائه الروحيين ويسحقهم تحت قدميه ، ويتخذ من
قداسته اجنحة نورانية قوية يبلغ بها أعلى طبقات التصاعد والمفارقة

فيدخل خالداً في قدس الاقداس الاسمى (الفصل ١٨)
يعود الفيلسوف ليوضح الغاية النهائية لتصاعد العقل ، فيجد ان الجوهر
العام الاسمى ، هو وحده النهاية الكبرى والغاية القصوى ، هو نهاية المطاف التي
ينتهيها العقل ، وعند بلوغ الحضرة الازلية يكون قد بلغ مرتبة الرؤية ، وفي
غمرة هذه الحالة ، يستولي عليه ذهول وخشوع عميقان فيستسلم الى الراحة الكبرى
والصمت المطلق وقد بلغ غايته القصوى واتحد بالازلي او الجوهر العام ، ثم يتابع
الفيلسوف نظراته في شرح الجوهر العام ، وهو الكائن الازلي الذي يصدر عنه
كل كائن ، واليه يعود في نهاية المطاف (الفصل ١٩ و ٢٠)

كل أم يقاسيه العقل ، انما يقاسيه في سبيل انتقاله من حالة الخباثة والمصية الى
حالة البر والقداسة ، والتشبه بالله الى ابعد حدود التشبه يمكن لهذا الكائن العاقل
التوصل اليه ، وللبالغين هذه الدرجة السامية ، وهذه الحالة الروحية المطلقة ،
مراتب ودرجات بالنسبة الى قوة النعمة التي تحوزها كل مرتبة من تلك المراتب ،
وعليه فان للكاملين البالغين درجة الروحانية المطلقة ، درجات يختصون بها ، كما
ان للكائنات الروحية المطلقة (الملائكة) درجات ومراتب ، فيستعرض الفيلسوف
مراتب الملائكة ودرجاتهم ويطبق عليها حالات الكاملين ومراتبهم ودرجاتهم ،
وكيف أنهم يمتازون بعضهم عن بعض ويتفاوتوا بالمجد والكرامة والمراتب والدرجات
ومن هذه النقطة ينطلق الى تعداد طمات الملائكة ويسميا (العقول الطاهرة)
ويصور حالاتهم الروحية تصوراً رائعاً ، ويطبق كل ذلك على حالات الكاملين من
البشر الذين حازوا هذه المرتبة السامية من الروحانية المطلقة ، ثم ينتقل الى
وصف الاغاريذ الروحية والنقاديس المستمرة التي تمارسها العقول الطاهرة سواء من
الملائكة او من البشر الذين اصبحوا ملائكة من طراز جديد (الفصلان ٢١ ، ٢٢)

وهنا يختم هذا السفر الجليل الذي يتخذ الفلاسفة الشرقيون مورداً عذياً

لانطلاقهم الصوفي اعتباراً من القرن العاشر الميلادي الى القرن الثالث عشر .

في القرن العاشر ظهر كاتب سرياني ، رغب اخفاء شخصيته كان اسقفاً
لرها ، اعتزل منصبه الاسقفي وانفرد في أحد الجيال متنكراً ، ولف كتابه
الشهير (علة كل العلل) اورد فيه تفحات صوفية عطرة ، تتعلق بتعظيم قدر
العقل والبحث عن الحقيقة ، باعتبارها ضالة الانسان ، وطلب ان يترجم الى
اللغات ليفيد منه كافة الناطقين بها .

يعطينا هذا الكاتب الجليل فلسفته الروحية الصوفية ، استمداداً من ايمانه
العميق بالله وبقوة العقل باعتباره (كتاب الله الازلي ونبوع الحقيقة) ويعتقد ان
الانسان بإمكانه الاتحاد بالله عن طريق العقل والحقيقة المجردة ، بعد ان يتزهد عن
شهواته الجسدية ويتسامى عن نزواته البشرية المنحرفة ، وليس هذا الاتحاد
كاتحاد قطرة الماء في البحر وتلاشيها في غمرة ، لان الله تعالى روح بسيط لا يتجزأ
ولا يقبل زيادة ولا نقصان ، بل هو اتحاد بالروح والحق وقبل هذا الاتحاد
يجب ان يحوز الانسان صفة القداسة المتناغمة مع قداسة الله ، ويعتقد الفيلسوف ان
(مدى) هذا الاتحاد يتوقف على (مدى) توصل الانسان الى الحقيقة ، فيقدر
اتصاله بالحقيقة ، يكون اتصاله واتحاده بالله قليلاً او كثيراً ، ويعتقد ان ما تركه
لنا الانسان منذ الاجيال الاولى من علم وفلسفة ومعرفة لا يفتي قليلاً في معرفة
(الحقيقة) بقول :

لندع كل الكتب والشرائع جانباً ، ولنهمل جميع النواميس التي وضعها
البشر ، ونحطم كل القيم التي تبجح بها الانسان ، لان جميعها فاشلة خائبة ، ولا
تستطيع ان توصلنا الى الحقيقة ، ولنعودن الى كتاب الله الازلي ، الى العقل ،
فهو وحده يمكنه ان يهدينا الى طريق الحقيقة .

ان قدر العقل عظيم عند شيخنا هذا ، ولكنه ليس إلهياً يعبد ، بل
لديه فقط القوة الروحية الكافية لهدايتنا الى الحقيقة ، يقول : العقل ينبوع الحقيقة ،

وموجد الكتب ، وخالق الفلسفة ، والتفكير ، وهو ذو المواهب الزاخرة ، والقوى الروحية العالية الا ان هذه (القوى) - الروحية العالية - تتوقف امام عظمة الخالق الحكيم ، يقول : عندما يظهر لنا الضمير الحقيقة في الموضوع الذي خطه الازل في كتاب الكون ، نعطف اليه ولكن ضمن الحدود التي يضعها انا الخالق الحكيم ، الذي يدبر الكون بحكمته الفائقة ، وعقله الاسمي ، وهنا يجب ان ندعن لهذه الحقيقة لانها لم تصدر عن حكم بشري ، ولا عن عالم طبيعي ، ولكن عن رب الحقيقة السامية ، والحكيم الازلي الاحد ، ومعلم الفلاسفة وملقن الحكماء وعنده ان الحقيقة ليست الا ما يعصم النفس على التهور في مهاوي الضلال بل هي الحد الذي تراح اليه النفس العاقلة وترغب فيه ، ولا سيما عندما تعيها باطيل هذه الحياة

وهنا يفرق بين الحقيقة النفسية والحقيقة الروحية ويقول : ان الحقيقة النفسية لا تحتاجها الا في هذه الحياة ، فهي تعصمنا من الضلال بين منعطفات هذه الدنيا ، ومصدرها العقل المفكر في الخير الكامن في هذا الكون ، اما الحقيقة الروحية فنحتاجها في هذه الحياة وفي الآخرة ، وهي تعصمنا من الهلاك العمد للذين لم يسلكوا بحسب وحي هذه الحقيقة السامية ، ومصدرها ليس العقل البشري ولا هذه الحياة الدنيا ، بل تصدر مباشرة من الله بفيض خاص ، ينسكب من النعمة الالهية فيطير بالروح البشرية الى حيث الحقيقة السامية ، الى حيث يوجد الله ، ومكذا نتحد فيه ، بعد ان نعال تلك الدرجة من الحقيقة .

ينظر شيخنا الى الحقيقة نظرة صوفية صرفة فهو يريد ان يوجد بسين الله والانسان بواطة الحقيقة ، فليست هذه الحقيقة الا القوة المنبئة من الله لكي تجذب الانسان للاتحاد به ، ولا يستطيع الانسان حيازة هذه الحقيقة الا بعد رياضة طويلة ولكنه على كل حال يحوزها اذا صبت نفسه اليها .

وعنده ان السير في ضيق الحقيقة لا يمكن ان يكون الا
باتباع مشيورة العقل الفاعل تحت سيطرة الله ، فهو وحده يستطيع كبح
جماح الميول الشائرة ويأتي بها الى طريق الحقيقة ، وبدون هذا العقل لا
يستطيع الانسان التوصل الى الحقيقة ، اما اذا طفت الميول على العقل ،
واخذت المبادرة من بين يديه ، فانها تجمع بالانسان حتماً الى مهاوى
الهلاك ، لأن هذه الميول تكون عمياء صماء ، لا تبصر ولا تسمع ،
فانها لا تستطيع ان تبصر الحقيقة المنبعثة من مدينة الله فوق منارة الخير
كما انها لا تستطيع ان تسمع اصوات المرشدين الذين ينصحون بكبح
جماحها ، والاقبال بها الى صوت الحقيقة ، وعلى ذلك يقول : « كما ان البرد
يقلص اجسامنا ، والقيم الكيف يحجب عنا شعاع الشمس ، فان برودة
الاباطيل نملصها ، وظلام الحياة يرهيبها في مهاوى الهلاك ، وكما ان الحيوانات
الكاسرة اذا احاطتنا في عرض غابة من الغابات الموحشة تفرسنا وتحطم
اجسامنا ، كذلك شهوات هذا العالم اذا استوت علينا ونحن بعيدون عن
الاعتصام بالحقيقة السامية ، تنقض على نفوسنا فتدفع بها الى الهلاك
المحتم ، اما هذه الكواسر التي تؤثر على ارواحنا ، فهي الحسد ، والبغضاء
، والمجد الباطل ، والغضب والحقد ، وحب المال ، وما اليها ، واعظم جميع
الميول الشريرة ، التي تحجب عنا انواع الحقيقة ، هي الكبرياء التي تضاد الله
، والعجب ، والصلف ، والافتخار الباطل ، الامور التي اذا تراكمت حول
النفس خنقتها كما تخنق الاشواك الرديئة زهرة جميلة فواحة ، وهناك
آفات أخرى تفتك بالنفس فتكاً ذريعاً ، اهمها : الكذب ، فانه اذا
استولى على النفس البعيدة عن معرفة الحقيقة ، ينهبها ، بل ينهب اقدس اقداسها ،
كما يسطو اللصوص على دار مليئة بالجواهر فينهبونها لان الدار لا تحرسها
جدران قوية ، ولا تحميها ابواب حديدية ، موصدة ، ثم لان رب

الدار اما غارق في نوم عميق ، واما بعيد عن مجوهراته ، كذلك الكذب اذا سطا على النفس وكان العقل غارقاً في الشهوات الدنيسا ، غافلاً ، او بعيداً عن نور الحقيقة ، فانه يخطف اقدس اقداس هذه النفس ، ويذهب بها حيث يشاء ، وغائباً الى الهلاك الروحي الاكيد .

واما الحصول على الحقيقة فيقول فيه الشيخ : الحقيقة لا يمكن اتيانها الا بالبحث والتنقيب عنها ، وهذا البحث يكون بالرياضة الروحية الطويلة من قبل النفس ، لكي تتوصل الى هذه الحقيقة السامية فتعرفها وتميز بينها وبين الباطل .

وفي ختام هذا الفصل (وهو الثاني من المقالة الاولى) يقدم نصائح ثمينة للانسان لاكتساب الحق ، يقول : من هنا - من الرياضة الروحية - نستطيع بناء معرفة الحق على اساس الخير المطلق ، وتحت اشعة النور الازلي نور الحقيقة ، لنقي به نفوسنا كما نقي جسومنا من طوارئ الفصول في البيوت الحجرية .

وفي القرن الثالث عشر تبغ البطريرك يوحنا ابن المعدني (١٢٦٣ م) وكان ذا روحية ساهية ، وعقلية متألفة ، عاش في بغداد ردهاً من الزمن وفيها تعلم اللغة العربية فاحكمها ، واطاع على الفلسفة العربية فاحبها ، وخص عن اصولها عميقاً جداً بالإضافة الى الفلسفة ائقدية ، وتركت هذه الدراسات اثراً روحية عميقة في نفسه ، ظهرت في قصائده ، وهو وان كان من المقامين في الشعر ، الا ان قصائده بلغت ذروة رفيعة في مظهر التمسك والبيادىء الروحية الصوفية ، وترك لنا ثلاث قصائد رائعة في هذا المظهر .

الاولى ، قصيدة الطير ، والطيور فيها رمز للنفس البشرية ، تختلف كثيراً عن قصة الطائر لابن حيان ، لان الشاعر اخذ عناصرها وبيادها من الكتاب المقدس واورد فيها بطريقة شبرية رائعة قصة هبوط النفس البشرية من علياء تقائها

الى حضيض المادة مجذوبة بشراستها وشهواتها الجسدية ، ثم يصف آلامها وهي
مكبلة باغلال المادة ، ويورد تصاعدها الى الملا الاعلى صفة نفوس طاهرة اخرى ،
للقاء ملك السماء بغية تقطيع شراكها القاسية وعودتها ثانية الى الارض لا كمال
رياضتها الروحية وتصاعدها من جديد الى موطنها الاول مجلية بحلل القداسة ، ولولا
ضيق المقام لاوردنا شذرات منها اظهاراً للجهال التمري الذي نسجته عقلية
هذا الفكر الكبير .

والقصيدة الثانية هي الاخرى تدور حول النفس البشرية ، وقد عارض
فيها شاعرنا قصيدة ابن سينا المعروفة (هبطت اليك من المحل الارفع) ولكنه اتخذ
لابداء فكرته الصوفية اسلوباً خاصاً به ، ومعاني جديدة مبتكرة تختلف تمام
الاختلاف عن المعاني التي رصع بها ابن سينا قصيدته العينية هذه ، ولازى مانماً
من اراد ما كنا قد كتبناه في هذه القصيدة قبل بضع سنوات واليك ذلك بقصه :

تنجني الحقيقة لشاعرنا الفيلسوف ، فيتصور النفس بعد هبوطها من عليائها
مكبلة باغلال حدسية لا تستطيع تحطيمها الا اذا تحطمت على شواطئها الصخرية
جميع رغباتها المادية ، وعادت الى طبيعتها الاولى فاستعادت طهرها ونقاها ،
وحيث تبدد امامها سجف الدخان الكثيفة التصاعدة من اقون المادة وغابات هذا
العالم المحترقة ، فترى الله وجهاً لوجه ، وهذه هي الحرية التي تتوق اليها النفس
منذ فجرها الاول .

خفت النفس منذ البدء حرة طليقة ، ووجدت بحالة الطهر والقداسة ،
وعذا هو السبب الوحيد في حرقتها ، الا انها هبطت من علياء قداسها ، الى هذه
المادة ، فاتحدت بها واتحدت منها طبيعة جديدة ، هي طبيعة الشر ، هو القيد
الحقيقي الذي افقدنا حرقتها وانساعنا انطلاقها في عالم المقولات .
بصيرة شاعرنا الفيلسوف هذه الحالة بهذه الطريقة الشعرية الرائعة ، فيتخيل

النفس حمامة طاهرة ، انحدرت مشفوفة بهذا الجسد الكفيف ، وفقدت بذلك عزتها واضاعت حرمتها ، هبطت اليك الحمامة الجميلة من علياء القداية مجذوبة مشفوفة بالاتحاد .

وكأنني به يراها . يراها الروحاني متربعة على عرش السماء بعيدة عن ادران هذه الحياة ، الا ان هبوطها يؤدي بها الى عاقبة سيئة ، كانت محجوبة وراء سجن الحياء ، ولكنها مزقت الحياء في اللحظة التي مزقت فيها هاتيك الحجب . ثم يهبط معها الى ارض الخطيئة ، فيراها متحدة بالسادة الكثيفة ، بعد ان فنت حياءها وقداستها . يراها في غمرة الحسرة والبأس تريد الانطلاق الى عالمها الازلي مرة اخرى سئمتك بعد ان تذوقت مرارة الاتحاد ، واخذت تبحث لها عن طريقة تفصل بها عنك كما تفعل العشيقة النافرة ، سئمت العبودية لانها خلقت حرة .

تأ هذا الجسد الكفيف ، انه قيد حدي صادم ، يراه الشاعر في رجلها وهي مصعوقة لا تستطيع الحراك ، فيتبدل لديها كل شئ السعادة بالبؤس ، والنور بالظلام ، والحرية بالعبودية ، انساها الالم مسارح الغبطة ، نسيت ذاتها وموطنها الازلي كالجنونة ، وتبدل لديها عرش الحرية بذل السقوط ، بعد ان كانت تعانق طهرها وهي حرة .

ثم يرى بؤسها وشقاءها فيرثي لحاها ، ويحاول ان يكفكف دموعها ، ان انمله تخونه فينفق قربها باكياً مولولاً وهذه عبراته ، هبطت الحمامة الكريمة من عليائها ، فانكسر جناحها في حضيض الوهدة ، هبطت البائسة من علياء سئتها ، وهي الان غارقة في دموعها الالهية .

وما زالت البائسة في صحرائها القاحلة تذرف الدموع النازية ، نعلها تروي غليظها الجاش ، من هذه القطرات الالهية ، الا ان هذه الدموع تجف تحت

حرارة الشمس المحرقة في هذه البيداء المقفرة ، وتحت هذه الأشعة اللافتة هبت نسيمات الريح على مروجها الذابتة ، فمسحت دموعها لتسقي الزهور فميد إليها جماتها ، حتى تترك متفاتها الصارم عندما تناديا ابواق الحرية .

الى هنا كانت النفس في حضيض الامها ، وفي اغلال شرورها تصرخ ولا يجيب ، فتذهب دموعها وتنيداتها ادراج الرياح ، لانها بأسورة للشر ، مستعبدة للخطيئة ، ساقطة تحت اقبال المادة الكثيفة ، غير ان الفيلسوف الشاعر يراها تتعلم رويداً رويداً ، فتتنفض عنها غبار المادة وتدرى في الرياح السافية ، هنا تشر بمرارة العبودية ، وعذوبة الحرية ، الامر الذي لم تكن تستطيع الشعور به وهي في أوج مجدها ترفل في مساح حررتها ، غير ان السقطة علمتها درساً في حب الحرية وتقدير قيمتها ، وهذا مايقدمه لنا شاعرنا الفيلسوف مكوباً بكؤوس من الشعر الجميل ، هنا تبلغ النفس غايتها من العبودية والسقوط ، فتقطع الاعلال وتحطم القيود ، فتشق لها طريق الظفر بانغام اللهب .

ثم يراها ترفع رأسها نحو السماء ، فاتحة عينيها للنور الجديد ، واذا بالنيوم الكثيفة تنقش والظلمات اللامسة تبدد ، فينجلي السر الخفي عن البصر لهذه النفس البائسة واذا انقضت حجب الظلام الكثيفة ، ترى السر الخفي عن العين الحية .

ثم نلاحظ في كلام الشاعر بادرة جديدة هي ، ان المعرفة واسطة اولية لتحطيم اغلال النفس ، وتكبير قيودها بينا الجهل هو السبب في سقوطها والسر حررتها فأول شيء يراه الشاعر في النفس بعد انطلاقها من اسرها كونها واقفة على شجرة المعرفة ترسل في الجو انغام الظفر ، وانخلاص يقول : تراها مفردة على شجرة المعرفة بالنسبة الى انطلاق النفس ، فان الحكمة او المعرفة ، هي اليد القوية التي حطمت قيودها ، واطلقها حرة امام وجه الحياة ، فسواء كان سقوطها ارادياً

لوقرباً فان الحكمة وحدها ارتفعت عليها جميعاً ، .

لم يكن سقوطها هذا فارغاً لا معنى له ، ولا فائدة ، فان النفس البشرية جنت منه فوائد جلييلة ، وتعلمت دروساً خالدة ، واصبحت تقدر قيمة الحرية ، بحسب ما هي لا بحسب ما يترأى للعين البيطة ، والسبب هو انها تذوقت مرارة العبودية ، فعرفت من ذلك عذوبة الحرية ، وبالتالي فهت قيمتها ولولا سقوطها لما شمرت بلذة النهوض ، ولما عرفت معنى الظفر ، والخلاص ، يقول ، الشاعر : « انها نالت من سقطتها درساً في التأديب والتقويم ، وغلبت بالروح ذلك الذي ظفر بها منذ القدم . »

ثم لم تكف بهذا الدرس من الحرية ، بل جعلت هذه الحرية حاداً تحطته بعد المرور على فيض من الفضائل اهمها ، التواضع ، فان السقطة المروعة كانت درساً في التواضع لهذه النفس التي اغواها جماها ، وبهرها طهرها وشعرت بشيء من العجرفة الامر الذي كان سبباً مهماً في سقرطها وهكذا وهي في غمرة السقوط ، تعلمت امثلة جديدة في الوداعة والتواضع ، قال : « تعلمت بسقوطها نظام التواضع وبواسطة هذا التواضع وطئت تحت اقدامها علياء الاله ، ثم تحطت من هذا الدرس الى درس آخر أكثر سمواً واعظم من جميع الدروس الا وهو اطلاعها على خفايا الروح ، ومعرفة الامور الزممة ، هذه المعرفة التي لا تنجلي الا للأنبياء والكاملين الذين اتخدوا بالله اتحاداً كاملاً ، « انها تلقنت من التجربة الاسرار الالهية ، وتعلمت من الدهر جميع الخفايا والزممات . »

هنا يعود الشاعر الى تبيين قيمة الحرية مرة اخرى ، لكي يبرهن على عدم معرفة النفس بهذه القيمة قبل السقوط ، فيؤيد ان النفس الحرة استهانت

بحريتها يوم كانت ترقل بأثواب المجد متمتعة بسلطانها الذاتية ، وما هي الا برهة ، حتى نراها تفقد حريتها فتفقد معها كل شيء وتهبط الاسر مغلوبة على أمرها ، ذكرت القهورة ايام عزها ومجدها الذاهب ، فبكت على ذاتها بكاء مرأ ، اعدت لها الطبيعة اثراكاً قاسية فكبكت عتقها ، قعدت عن الصعود والانطلاق الى سمائها الاولى ، ولما امتحن تقديرها للحرية ، هبطت الى السي مأسورة باغلال قاسية .

وهنا في السي ، تحت وطأة الاغلال ، تشمر النفس المسكينة بمرارة العبودية وآلام الرق ، فتشوب الى رشدها ، وترسل في الجو ، انات مؤلمة كانت اجنحة لها فطارت بها الى سماء السعادة ، مرة اخرى بعد ان فقدتها يوم فقدت حريتها ، يقول الشاعر : « ولكن تهدها التوأم بنعها قوة الخلاص ، والاقلات ، وصار لها واسطة للتجديد والتصعيد ، ومعنى ذلك ان ندامتها العميقة ، وجهها للحرية ، وشعورها بمرارة الاستعباد ، ودموعها ، كانت لها كلها اجنحة اتقنتها مما كانت عليه من الذل والهوان ، فاستطاعت ان تجمم قواها وتطير مرة اخرى الى حيث الحرية الكاملة المليئة بالخير .

وهنا بعد مضي العبودية ، وذل الاسر ، صارت النفس البشرية تعرف كيف تضمن قيمة حريتها الجديدة ، وسعادتها المستعادة .

بعد ان ينهي الشاعر اعلان وصول النفس الى سعادتها انخالدة ، يقف امام هذه السعادة مشدوعاً ، مفكراً بما كانت عليه في موطن الذل وربوع الشقاء ، يرسل آخر شعاع من فكرته الوضاعة ، متحيراً في سبب سقوطها ، وهو لا يدري اهي المادة هبطت بها الى الخسيف ، ام هو الموت بسط عليها تقابه النظم ، فرجها في غياهب الظلام غير انه يعود فيؤكد ان كل ذلك لا اهمية له طالما عادت الى فردوسها المنقود ، اما انا ، فقلت ادري ، هل كانت الكثافة سبب سقوطها او هو الموت

ولكنتي رأيت عند ابتعاد النفس عنها (المادة والموت) عادت الى الكرامة التي خلقت لاجلها منذ البدء .

اما انت فعندما تصل معه الى مشاهدة النفس تعود الى فردوسها المفقود ، ربما يخامرك الشك او تريد صرف نظرك عن هذه المعاني الروحية التي اتاك بها من عالم الشعر الجميل ، فيقول لك : « اما انت يا ابن الادب فاسمع نغاتي ، واذا شككت بشيء منها فلدّ بالصمت (١) . »

الى هنا تنتهي هذه الخريدة النفيسة ، وعندى انها ارووع ما قيل وما يمكن ان يقال في هذا الموضوع الروحي الخطير .



والقصيدة الممثلة هي (طريق فضيلة السالكين) وهي قصيدة صوفية بلامنى الصحيح ، والاتجاه الواضح الصريح ، وقد نسج فيها على منوال المتصوفة السابقين . ونورد هنا آراءه كاملة طبقاً للنقاط التي وجدناها بارزة في هذه القصيدة ، واليك ذلك :

- ١ - للعارفين طبقات يمتاز بها بعضهم عن بعض .
- ٢ - أغمضوا حواس الجسد ، واخذوا لهيبه ، وسحقوا رأس الحياة القديمة ، توصلوا الى انحاء الاعلى .
- ٣ - الحد الاول للزهادة الاعراض عن شهوات الدنيا وهموم الغنى .
- ٤ - رحيل العقل الى القسيم (الاول) انوال اشعة القداية الماطعة على صفحة النفس الطاهرة .

(١) - ديوانه المطبوع في القدس ١٩٢٩ ، ص ١٦ - ١٩ ، ومجلة - لبنان المشرق -

- ٥ - ما أسعد من أصاب هذا الهدف ، وقد دعني (عارفاً) لعرفانه طريق الحق ، وعقله مرتبط بربه ، بل أصبح صورته من جديد .
- ٦ - يعتبر الجهال من النساءك النسك صيرفة ، وجعله غيرهم رشوة ، رهبة من العذاب الآتي ، هؤلاء من صنف العبيد ، ونسكهم انما هو عبودية واضحة
- ٧ - العارف الخائر على درجة البنين ، هو الذي ربط نفسه بربه . فتسامى الى اوج الروحانية ، لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العذاب ، بل حباً بربه
- ٨ - (العارف) لم يزهد في الدنيا مبادلة في الآخرة ، بل تمرداً على التزوات وتوصلا الى قدس الاقداس .
- ٩ - اتخذ النسك رياضة روحية فطهر ضميره هداية ، وفطم نفسه عن الشهوات انقاداً لصورة الله التي شوه جمالها سابقاً في الخطيئة .
- ١٠ - القوى النفسية والاورهاه التي هي اعلال للجبناء اذا طهرت اصبحت اجنحة للعارفين يخلقون بها الى الملاء الاعلى السعيد متحدين بآبناء الروح .
- ١١ - الكائن التراخي اذا طهر من ادران المآادة ، وتخلص من اوضاع الامجاد الزائفة ، يسبح حراً في بحار النور ، ويملاء كثر العقل فضائل .
- ١٢ - العارف مشتاق الى الحق الاول ، فالشوق ديدنه ابدأ ، ولا يثنيه عنه هدير العالم الفاسد ، ولا شهواته الباطلة ، فقد اجتذبه الشوق الكائن الازلي .
- ١٣ - (العارف) لا يتخذ الحق دفاعاً عن الصيرفة ، ولا يجعله سبباً في استبدال نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ، والواسطة الوحيدة التي تنقذ العقل من العذاب استمساكه بجبال الحب دون النظر الى العوض .
- ١٤ - الشوق الى الحق الاول هو الدرجة الاولى للزهد (العرفان) وهو البذرة الاولى في تربة العقل ، ثم تنبت وتتنامي رويداً حتى تبلغ الكمال .

١٥ - ان شوق النفس الى العلة الاولى امر طبيعي طبقاً لتاموس (العملية) فاذا اغرقت في التخلص من الشهوات ، نالت بواسطة التطهير قوة الذأله

١٦ - ميدان الرياضة الروحية ثلاث مراحل ، الاولى ، التخلص من شهوات الجسد ، والاتجاه نحو الفضيلة ، والثانية ، اتقاذ سيادة النفس وانخضاع قوى الجسد لهذه السيادة ، فتذكر اصلها الكريم وصورتها الاولى الجليلة ، فتحتقر ايجاد العالم الفانية ، وتتخذ لها اجنحة تخلق بها الى موطنها الاول ، والثالثة ، جعل عواطفها وحركاتها شفافة لكي ترى الحق منبجاً واضحاً ، واعداد قواها كالمرآة المجولة لقبول صور الحق

١٧ - في المرحلة الاولى تكبح جماح الشهوات باعمال الزهد الشاقسة ، وتفرض النفس سيادتها على النزوات المتحرقة ، وفي المرحلة الثانية نقاء النفس ، بالتهجد والتعبد والخشوع المطلق ، ومتابعة اعمال الزهد صياماً وقياماً وقنوتاً ، والاحتفاظ بالضمير نقياً من الموبقات ، وممارسة الالحان الشجية بصوت رخيم ، وسماع الموعظة من معلم بليغ ، فان هذه الامور تصقل النفس مما فيها من الادران وتضرم اشواقها الى بلوغ اوج القداسة . وفي المرحلة الثالثة ، الاحتفاظ بالقلب والافكار طاهرة انتصاراً على الاهواء ، واستغراقاً في الحب ، الذي يتسامى فوق ما يسمى بالعقاب والثواب ، ويطلب جمال الواحد الاحد فقط .

١٨ - اذا بلغ العارف هذا الحد ، فانه يبصر خفايا الامرار الالهية ، يعين الروح ، فتمسه العناية ، وتسمعه في الاستمرار في رياضته الروحية .

١٩ - تشرق عليه اشعة الرؤى ، كالبروق ، ثم تخمد وتختفي حذراً من ان تبهره بسطوع انوارها .

٢٠ - وكلما ازداد تصاعداً في سفوح جبل القدس ، تماوجت الصور القدسية على صفحات مرآة النفس المجلوة ، وتزاحمت عليه اوقات الافتقاد ، حتى تطير اشوائه باجنحة الروح الى الملا الاعلى ، وتنجلي لباصرة نفسه جميع القبول الروحانية ، وهو مستمر في تصاعده فوقها جميعاً ، يراها ويتفحصها بدقة ، وينشق عبيره المنعش في جنباتها .

٢١ - واذا ضاعف رياضته الروحانية وجهاده النبكي ، تبدل البروق الخاطفة الى اشعة ساطعة وثابتة مستمرة الاشعاع ، فلا تخبو كلما اراد لها ذلك .

٢٢ - يرتفع الى مرتبة جديدة اكثر سمواً من الاولى ، وتتزاحم عليه الرؤى الروحانية ، وتخضع اوقات الافتقاد لارادته ، الحرة ، وينهي جهاده وتصاعده الى ربه باكثر سهولة

٢٣ - ثم يتعدى الى مرتبة جديدة اخرى اكثر سمواً واشراقاً ، وتتزاحم عليه اوقات الافتقاد اكثر فاكثر ، فيخضع برؤى الملائكة . ويضيف الى اجنحته اجنحة اخرى تمينه على ارتفاعات جديدة

٢٤ - هنا ترسو سفينته في ميناء القدس ، فينسى آلامه واوجاعه ، ويستمر ، في مناجاة ربه وجهاً لوجه

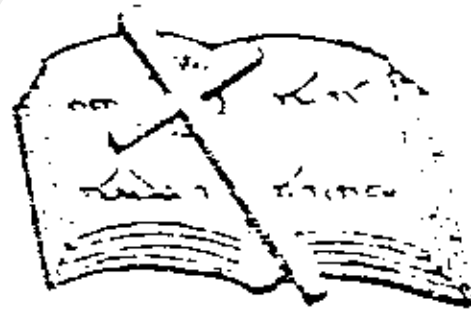
٢٥ - يطبع ذاته بطابع العوام الجديدة ، ويتخذ صورة نفسه جديدة ويلتلب بلظى الحق ، الذي يحرق ما بقي من طبيعته البشرية ، ويتخذ طبيعة جديدة روحية ، وهو ماض في جهاده الروحي .

٢٦ - هنا يقف في ذروة عليا يفوق الشمس سطوعها ، ويتعدى فوف المعلمين ، في نقطة النهاية العظمى

٢٧ - العارف الذي نال درجة الابتهاج ، مع الله ، يتحرر من سلطان الظلام ، ويبلغ درجة الاتحاد الكامل ، فلا يعود يميز ذاته .

٢٨ - ان المقامات هناك كثيرة ، بل لاتحصى ، ولا يمكن الاحاطة بها سماعاً ، بل الرؤية العيانية .

٢٩ - ان اوصاف العارف جليئة رائعة بل فائقة الاشراق ، تتسامى على اشعة الشمس ، وافكاره وضيفة وهماجة ، انه ، ودبيع صلب ؛ عنيف هادىء ، وحكيم ساذج ، وصامت فصيح ، ورخيم صوته ، وكثيب مبتهيج ، ومتواضع شديد وقوي شفاف ، وزاهد غني ، وحزين بسام ، وغيور متأن ، حمال للاذى شجوب للنقائص ، وقريب بعيد ، وبطيء سريع ، مجيد وفيه كل جمال الروح ، يحب الاخوة ، يدوس الحن ، يتخلى الابعاد ، يقل ويكثر ، رهيب على المنحرفين ، يجرح ويداوي . يعد ويدني ، ويخضد شوكة المتكبرين ، ويرى وحدة في الانسان لكونه متملقاً بالواحد الاحد ، حصر بين جانبي قلبه هجة مكان السوء ، وحرر ذاته من كل كآبة ، اتخذ من رب الملائكة سوراً منياً ، فانتصر على الموت والضلال ، احب الحق وثبت فيه .



٥ - التصوف لدى ابن العربي

ان ميدان التصوف ، في تراث علامتنا ابن العربي نسيح الجنبات واسع الآفاق جداً ، وهو بكل حق اعظم كاتب سريلاني في هذا الموضوع كما هو كذلك في غيره من المواضيع اللاهوتية ، والفلسفية والعلمية ، واللغوية وغيرها ، ومن المعروف ان فيلسوفنا وضع كتابين جليلين في علم التصوف ، الاول كتاب الايشيقون هذا ، والثاني كتاب (الحمامة) وهو ملخص كتاب الايشيقون ، وعندني ان الباب الرابع من كتاب الحمامة هذا ؛ اروع ما صدر عن راع كاتب سمواً وروحية ، وتضاعداً في عام الحقيقة الروحية ، وقد اعتمدنا على هذا الباب كثيراً في بحثنا هذا (١٥) بالإضافة الى ذلك قصائده الصوفية الرائعة ، وقد اعتمدنا على كثير منها في هذا البحث ايضاً ، اجلها قصيدته (الكمال) وملحمته (الحكمة الالهية) اللتان لم تنتج فكرة شاعر نظيرهما في الاداب الشرقية (١٦) اما فلسفة الصوفية فلندخلن الى محرابها الان خاشعين :

١٥ - راجع وصفه في المؤلف المشور - للسعيد الذكر الطريرك افرام الاول برصوم . طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٦٢٥

١٦ - ديوانه - طبعة دير مار مرقس - القدس ١٩٢٩ ، وهذا ثبت قصائده الصوفية (١) النفس العاقلة ص ٨٤ (٢) النفس وفيضها من الله على الجسد ص ٨٦ - ٩٤ (٣) الحكمة الالهية ص ٩٩ - ١١٤ (٤) الحب الالهي ص ١١٨ - ١٢٣ (٥) قصيدة ثنية في الحب الالهي ص ١٢٣ - ١٢٥ (٦) قصيدة الكمال ص ١٢٨ - ١٥٤ .

لكل انسان حياتان ، حياة ظاهرة يعيشها لاختيه الانسان ،
وحياة خفية يعيشها لربه ، فالحياة الظاهرة لهذا الرجل الجليل مليئة
بالعمل والجهد والنشاط ، فكانت اكثر خصباً ، واغزر إنتاجاً واعظم انجازات
من اي رجل آخر من رجال الكنيسة .

اما حياته الخفية التي عاشها لربه فكانت حياة المتصوف الحقيقي ،
فهجر الدنيا في ميعه صباح ونفض يديه من مبادئها واجمادها الفانية في ريق
شبابه ، واخذ الى السكينة النفسية في احد الاديار بجوار انطاكية ،
وامضى في عزلة هذه سنة كاملة ، خبر خلالها حياة النك ، واستمذّب
حياة التصوف قواماً قائماً لربه ، واستطاعت نفسه العظيمة من تفهم الاهداف
الروحية من هذا الوجود ، فاصابت من الكمال في هذه الفترة القصيرة ما لا
قصيه غيرها دهرأ طويلاً ، ووقف على جلالها ودقائقها بتفهم وعمق لا يسبر
غورها ، وكأنني به قد دخل بيت الحكمة هذا وتفهمه تفهماً كاملاً ، لذلك
يشبه ان يشبه بمن سمع فيه سمعاً قبل : « ان الذي عرف بروعة الهيكل
السلباني بمجرد السمع كيف يقابل بمن دخله فرآه بأمر عينه واحصى
نفائسه ، وقواريره ، وكواه ، ومسجته ، ودوائر اسسه ، وشرقاته وبدائمه ،
واجنحة كرويه وجلال عتباته (١) . »

ترك لنا فيلسوفنا في كتابه (الحياية) قصة كاملة لحياته العقلية
والروحية ، منذ « يومية اظفاره ، حتى « اشترقت عليه اشعة النور
الحقيقي كالبرق الخاطف ، وشرح لنا (شفقه) بالعلم وتدرجه فيه وتوقله
سليم الحقائق درجة فدرجة ، وما قامناه من صراع نفسي عنيف فترة طويلة

من الزمن ، كانت فترة قلق واضطراب ، وصعود وهبوط ، وسقوط ، ونهوض ، مبتدئاً بعلوم الكتب المقدسة وتفسيرها ، ماراً بالعلوم اليونانية على تشب منحها ، بالفكر درجة الكمال الحقيقي بين احضان التصوف العميق ، واليك حديثه بالحرف الواحد :

دشقت بالعلم منذ نعومة اظفاري ، وحذقت الكتب المقدسة وتفسيرها الضرورية واخذت اسرار كتب الملافة القديسين على مهرة العليين ، و تراه في هذه الفترة واقفاً بباب الحكمة يطجرق ويطرق ولكن بدون جدوى :

| | |
|------------------------------|-------------------------|
| ثم قات من يدي طارق ؟ | قد طرقت انا حتى اشرفت |
| في هوالك العذب بمبي مؤرق | قلمت اني ذلك الصب الذي |
| كل قلب في هوانا خفاق | فاجابت ، اي صب يا ترى |
| وشيوخ في الجوى قد ارهقوا (١) | بين اصحابي شباب قد ذروا |

ظماً قاتك ، وحين عميق الى شيء لا يعرفه حتى هذه الساعة ، و حياة التقليد يعيشها العاديون من الناس ، اما عظام النفوس ، فلهم وحياتهم الخاصة ، وتفكيرهم العميق ، الا ان فيلسوفنا بحكم رسالته الدينية كان لا بد له من حياة التقليد في بادىء امره قال : و لما بلغت العشرين من عمري اضطرني بطريرك زماننا الى قبول رئاسة الكهنوت (الاسقفية) فالجاني الموقف الى منازلة لوباب الديقات الاخرى ، المسيحية وغيرها ، فدرست فن الجدل زمناً طويلاً حتى حذقته ، الى هنا كانت حياته

(١) ديوانه ص ١١٥ وتعريبها من العمري الشاعر طبعة القامشلي ١٩٦٥ ص ٦٣

العقلية حياة تقليد ونسج على منوال السابقين ، ولكنه لم يسر طويلاً حتى ظهر له نتيجة تلك الدراسة الطويلة ، انه يجب ان يتخطى التقليد ، فيسير حراً بناء على اختياراته العلمية ، وهكذا سمعناه يقول : ^{رأية أميين} « لم يختلفوا على الجوهر - بل على الالفاظ والتعبير . . . واستنتجت من كل ذلك انهم متفقون غير مختلفين ، فاستأصلت جذور البغضاء من اعماق قلبي ، استئصالاً كاملاً ، واعرضت عن الجدل في امر العقيدة الاعراض كله . »

تخلص هنا من البغضاء (التقليدية) ولكنه كان لم يزل يشمر بهدم وصوله الى نهاية اللطاف ، ونفسه ظمأى الى شيء لا يعرفه ، وفكرته لا تتوقف عن الامتداد ، يقول : « ثم قررت دراسة حكمة اليونان ، فدرست العلوم الطبيعية والالهية ، والرياضيات والهندسة ، والفلك والهيئة ، وبما ان الحياة قصيرة والمعلم واسعة ، اخذت الضرووي فقط من كل علم . »

الى هنا لم يتوقف عن السعي وراء (الحقيقة) ونفسه الظمأى تتنازعها التيارات الجارفة الكثيرة فعاد يطلب المزيد ، والفلاسفة يبحثون عن (الحقيقة) بكل ما لديهم من جهد وتفكير ، وفيلسوفنا فارس هذا الميدان ، الا انه لم يتوصل الى ارواء ما في نفسه من الظمأ ، والفلسفات كلها ظهرت له كأنها صخرة يابسة لا ماء فيها ولا غذاء ، فادلمت في آفاق فكره غيوم سوداء ، من الشكوك والانفعالات ، والريب المتضاربة يقول : « وفي دراستي كل هذه العلوم اشبهت غارقاً في البحر يرمي يديه هنا وهناك لعله ينجو ، وبما اني لم اعثر على ضالتي في كل العارف سواء كمنسية كانت ام فلسفية ، فقد اوشكت على السقوط ، ولا يمكنتي الآن ايضاح ما حاق بي من فحاح واشراك ، لان ذلك يضر بكثيرين من ضعاف النفوس . »

فترة عسيرة قاسية وهو يتخبط في ليل بهم ، لم يعثر على ضالته ، في كل هذه العلوم الواسعة ، فإن يترى (ضالته) هذه ؟ نفس تتمخض ، تغوص في خضم الشكوك تارة ، وتطفوا طوراً ، ويوششك على السقوط ، وسقوط العظيم عظيم . . . يقول : لو لم يقف الرب الى جانبي في مفاوز العلوم المتشعبة والفنون المتنوعة ، ويهديني الى الهدى بتعاليم (العارفين) سبع سنوات متوالية ، لرسيخت في العادات السيئة التي اراها راسخة في كثيرين (١)

هذه كانت المحجة النهائية من تطوافة الفكري الواسع ، وهنأ بعد سبع سنوات قلقة غائصة ، يجد ضالته ، المنشودة ، يتابع قصته الشيقة هذه فيقول : وخلاصة القول ، لو لم يعضد الرب ضعف ايماني في هذه الفترة القاسية ، ويرشدني الى دراسة كتب اساطين النساك كالاب اوغريس وغيره من جهابذة الزهد الشرقيين والغربيين ، لهوت في هوة الضلال ، ويشت اليأس كله من حياتي الروحية لا الجسدية ، فطالمت هذه الكتب سبع سنوات متوالية .

ثم تكن هذه الفترة مسالة هادئة ، بل تزايدت لديه الشكوك ، واستمرت الريب تقلق هذه النفس العظيمة ، ورغماً عن اروحية السامية المتدفقة من تعاليم (العارفين) يقول : وفي هذه الفترة ايضاً اقلقتني عشرات ، وشكوك لا تحصى ، وكنت اسقط احياناً في الكفر فأقول : ما اعلى طنين (٢) هؤلاء النساك ، ورحاهم فارغة من الطحين ، اي افكارهم ضحلة لا تقوى على برهان الى هنا ايضاً كان يطلب البرهان ، ترافقه الفلسفة حتى الى اقدس اقداس الروح ، ولكن لم يعدم

١ - الحجاب ب و عدد ٢٥ . يتكلم فيلسوفنا هنا كتابك لا كلاهوتي ،

ففي ميدان اللاهوت اثبت حقائق الارثوذكسية وقارع البدع مقارعة علمية قوية .

٢ - الحيامة الركن و

فترة صحو رائعة ، اعادته الى الصراط المستقيم ، يتابع قوله : واحياناً كان عقلي ينصحني ويقول : لاتهد ، ولا تظن ان كل ما لاتعرفه ليس موجوداً ، ان ماتعرفه اقل بكثير مما لاتعرفه ، وفي غمرة شكوكي هذه كنت اعرج عن الجانبين ، حتى اشرقت علي بعض الاشعة من النور الخفي كالبرق الخاطفة ، وسقطت عن عيني قشور الشكوك فانفتحتا ، وابصرت ، ولكن بصورة ضئيلة ، واني اصلي باستمرار ان ابصر اكثر فاكثر ، منتظراً تقص هذا السياج الحاجز ، فأرى الحيب الذي لا يرى ، لا في غياهب الظلام ، بل بوضوح وجلاء

اننا نجد فيلسوفنا في رحلته العقلية هذه يمر بثلاث مراحل ، يشقى ويطلق في المرحلتين الاولين ، ويتوصل الى الضالة المنشودة ، عند عتبة المرحلة الثالثة ، ونستتج من اختباراته وتدرجه وتصعاده في سلم الحقيقة ، ان المرحلة الاولى كانت (مرحلة الحس) والحس تتنازعه شكوك وريب كثيرة ، ولم يستطع التوصل عن طريق الحس الى (الحقيقة) ضالته المنشودة ، يقول : ان ادراك العين قد يكون صادقاً ، كادراكها ان البحر اوسع من الغدير ، وقد يكون كاذباً ، كرهويتها الشمس مثل الترس ، والنجم مثل الدرهم ، وهذا طبعاً بسبب البعد الذي يفصلنا عنها ، فلا تراهما كما ترى الموضوع القريب (١) والمرحلة الثانية هي مرحلة (العقل) وفي هذه المرحلة ايضاً الصدق والكذب يتنازعان البقاء في بلوغ المواضع العقلية ، والالما حدثت الخلافات في المواضع العقلية كالعقائد والاراء ، وبالتالي ، لاتوصل المعرفة العقلية المجردة الى الحقيقة ، الضالة المنشودة ، يقول : ومعرفة العقل ايضاً ، قد تكون صادقة ، كمعرفته ان الله واحد واجب الوجود ، ازلي ، خالق ، وقد تكون ناقصة او كاذبة ، اذ لايمكنه معرفة الخالق الازلي كما

هو الا في الحالة التي يتحرر فيها من رتبة الجسد (١) ،

يتضح ان هاتين المرحلتين لا يراها الفيلسوف كافتين بلوغ هدفه من معرفة الحقيقة صفاته المنشودة ، ولا يمكنه التوقف قبل بلوغه الهدف ، كما رأينا في خطواته السابقة ، ولم تبق غير مرحلة واحدة ، وهي الأخيرة ، مرحلة الروح ، او الايمان المطلق عن طريق الكشف او الالهام ، وهو ما يسمى بالفيض ، يعود الفيلسوف فيقول : « كما ان الخفاش لا يرى الشمس اطلاقاً ، والانسان وان يراها ، ولكن لا يراها كما هي ، هكذا الفيلسوف يسمع عن الله سمعاً ، ولكنه لا يراه ، اما العارف فيراه ، ولكن في بعض صفاته ، لا في كلها . لانها غير محدودة (٢) ، » .

اذن لا العالم ولا الفيلسوف ، يمكنها التوصل الى ما يسمى عند الصوفية بـ (رؤية) الله ، ذلك فقط يتجلى للمارقين الذين رسيخوا في عالم الروح ، وتوصلوا الى درجة الكمال ، وعليه نسمع فيلسوفنا يقول : « عود نفسك على ان تؤمن بما يقوله (الصادق) وان لم تعرف كنهه ، ولا تطالب ادلة منطقية ، ففي هذا الايمان تكون ذا منعة ضد الضلال ، بارشاد الفارقليط روح الحق الذي يتجلى لك وبوقفتك على الحقيقة كلها وجهاً لوجه ، ويذكرك كل شيء ويعينك (٣) ، »

في تاريخ الفكر البشري فلاسفة كثيرون ، ومفكرون لا يحصى عددهم ، كان الشك لهم اساس الايمان ، فشقت نفوسهم الكبيرة وقاست جهاداً عنيفاً ، ارتياباً بحقائق فلسفية وعنمية كثيرة ، بحثاً عن حقيقة من الحقائق ، العقلية او

(١) - الختامة ص ٨٦ - ٨٧ عدد ٨٨

(٢) - الختامة ص ٨٧ عدد ٨٩ (٣) - الختامة ٨٧ عدد ٩٠

الروحية ، وتخطوا مراحل التفكير الكثيرة ، مرحلة بعد مرحلة ، فضل بعضهم سواء السبيل ، واهتدى غيرهم الى ينبوع الحقيقة ، فترب وارتوى ، وبكفي ان تلقى بعض النظرات الى فيلسوفين كبيرين ، كانت حياتها تحمل صفات كثيرة من صفات حياة فيلسوفنا ، واتتبا الى نفس النتيجة وتخطياً مرحلة الخطر ، واهتديا الى محجة الحق ، راسخين في ايمانها وعقيدتها الروحية .

اولهما ارونيموس (القديس جيروم Jerome) الذي نشأ مسيحياً (ولد عام ٣٤٠ م) وحصل علومه في مسقط رأسه ستوردوا - دلاسيا ، ودرس الفلسفة في روما ، وقام برحلات في الغرب والشرق ، وفي انطاكية ، توفي رفيق له متأثراً بالحمى ، وابتلي هو نفسه بمرض شديد ، ثم شفي ، وثارت في نفسه شكوك عنيفة افقده قوته الروحية وسلبت ايمانه بالله ، فاستغرق في مطالعة كتب شيشرون واراؤ الوثنية الرومانية ، وكاد يقضي بين برائن الشكوك ، وبلغ به الامر الى اليأس ، فظهر له الرب يلومه على حرصه بأن ينقلب شيشرونيا ، فتاب الى رشده ، وراح يقرأ الكتب المقدسة ، وزهد في الدنيا في صحراء مجاورة لانطاكية ، وكان له شأن عظيم في الكنيسة الغربية .

وثانيها الفيلسوف الغزالي ، حجة التصوفة المسلمين ، حدثنا عن حياته العقلية في كتابه (النقد من الضلال) (١) بما يشبه تمام الشبه ما حدثنا به فيلسوفنا ابن العربي ، واذا به يتخطى من مرحلة الشكوك الكثيرة بين مختلف المذاهب الفلسفية والفكرية ، ثم ينتهي الى المرحلة الاخيرة وهي مرحلة اليقين عند بلوغه محجة الحقيقة الروحية .

بحث الغزالي مرحلة الحس وتبعتها الى نهاية آفاقها ، وكان يرجو فيها الوصول

(١) النقد من الضلال . طبعة مصر ١٣٠٩ هـ عن ٣

الى ما تتطلبه نفسه من الحقيقة إلا أنه اصطدم في صخرة شكوك كثيرة ، ان
(الحاسة) تكون مخدوعة في مواضع كثيرة ، وخاصة ان المواضع العقلية لاحكم
للحاسة فبها ، اما المواضع انادية ، وهي المواضع الخاصة بالحاسة ، فانها عرضية
بالدرجة الاولى للكذب والخداع ، فالعين مثلا ، تخدع لانها ترى الظل ساكناً ،
وهو في الحقيقة متحرك ، فانتفى ايمانه بالحواس ، وتخطاها الى العقل ، والبرهان ،
وكان يرجو ان يكون معصوماً من الخطأ والضلال ، واذا به يرى نقاط الضعف ،
ومواطن الضلال ، مثلما رأى في الحاسة و لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر
إذا تجلى كذب العقل في حكمه ، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه
وعدم تجلي ذلك الاداك ، لا يدل على استحالتـه ، وتوقف عقله عن الجواب ،
فشرع يبحث عن (عاصم) جديد لا يتطرق اليه الكذب ، ولا يطاوله الضلال ، ولم
يجد ذلك (العاصم) غير الله ، فاهتدى الى اليقين و ولم يكن ذلك بنظم دليل ،
وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح اكثر
المعارف ، فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة ، المجردة ، فقد ضيق رحمة
الله الواسعة ، وانخلاصة ان الغزالي لم يجد اليقين الا عند الصوفية ، ولا شك ان
شكوكه كانت واسطة لايمانه وهذا يتفق وما مررتنا به في تاريخ الحياة العقلية لفيلسوفنا .
نعود الى فيلسوفنا فنجد من هناك . . . من قدس أقداس الروح ، يوقفنا على
حقائق جديدة استقاعنا من عالم اللانهاية بعد ان «سقطت قشور الشكوك من عينيه ،
ويعطينا اراءه الخاصة في حركة التصوف الروحية التي لها شأن عظيم في شرقنا
هذا منذ العصور الاولى للمسيحية ، وآراؤه هذه وان كانت قد اخذت مبادئها
من الفكر القديمة في هذا المضمار ، الا ان لها اتجاهتها الخاصة وتبايرها اللاهوتية
المتفقة وروح التعاليم المسيحية ، واليك ذلك في النقاط التالية :

١ - الايمان :

ان الايمان الصوفي ليس ايماناً سطحيّاً عادياً ، ولكنه ينبع من اعماق

القلب البشري ، ويعتمد على الرؤية العقلية الروحية للاسرار الالهية ، ومن كان
ايمانه غير ذلك ، فلم يبلغ بعد هدفه الاسمي ، يقول فيلسوفنا : من لم يتطلع من
باب قدس الاقداس الالهي ويحمل نفسه مع المؤمنين يكذب ، وان اعترف بلسانه
وخشم بقلبه (١) . ومعنى ذلك ان تعلم الايمان سماعاً لا يفيد المؤمن من هذا الطراز ،
لانه لا يمكنه تصور جلال هذا الايمان وعمقه الحقيقي ؛ كما لا يجدي ان تخبر من
ولد اعمى عن الالوان ولا الاصم عن الانغام ان الذي ولد اعمى وان صدق
بوجود الالوان ، الابيض والاسود والاخضر والاحمر ، والاصم ايضاً وان آمن
بان حاسة السمع تنتعش بسماع الانغام الموسيقية ، الا ان ايمانها اقرب الى الشك
منه الى اليقين (٢) .

والايمان القلبي الصحيح لا يكون الا اذا هبط فيضاً من الله ، واستقر في
اعماق القلب ، ويسميه هنا (الايمان الوحي) يقول : اذا كنت يا أخي خالياً من
الايمان الوحي ، فلا تمط سنة لعينيك ولا نوماً لاجفانك ، حتى تجد مكاناً للرب ،
ومن هناك تنال الايمان ، وتتمدد بالنار والروح لا بالماء (٣) وهذا النمط من
الايمان لا يمنح للناسك الا بعد جهد شاق ، واتعاب وقنوت بخلاف ما يمنح للانبيا
والرسل هبة وانعاماً خاصاً ان الايمان الوحي ، يمنح للانبيا والرسل من العلى
بطريقة الكشف (الالهام) دون تعب او عناء ، اما الناسك فبالتعب والجهد والمناء
والتلمذ ، وهكذا يرتقون من الایمان الظلي الى الايمان الوحي (٤) ويتم ذلك
بفتح كوى القلب الى الملاء الاعلى وحصر انظار النفس البشرية في الذات الالهية ،
والاعراض عن كل شىء في هذا العالم عندما تفتح كوى القلب ، فانك تطير
الى ملكوت الله ، فترى هذه جميعها هناك واضحة ، ولا تحتاج بعد الى سماعها ،

(١) الحمامة ص ٧١ عدد ١٧

(٢) الحمامة ص ٧٢ عدد ٢٠

(٣) فيه ص ٧٢ عدد ١٩

(٤) فيه ص ٧٢ عدد ٢٠

ولا تكون بعد غير مؤمن بل مؤمناً (١) وهكذا يسدي نصيحته للنسك بقوله :
عود نفسك ان تؤمن بما تسمعه من الصادق ، وان كنت لاتعرف كنهه ، ولا
تطلب ادلة منطقية ، فقي هذا الايمان ، تكون ذا متعة ضد الضلال ، بارشاد
الفارقليط ، روح الحق الذي يتجلى لك ويوقفك على الحقيقة كلها وجهاً لوجه ،
ويذكرك كل شيء ، ويعلمك (٢) .

٢ - امارة الاهواء الجسدية :

يبي الايمان القضاء على الاهواء الجسدية القضاء الكامل ، اذ بدون ذلك
لا يمكن للقلب البشري الوصول الى اهدافه الحقيقية ، من أعمال الزهد الشاقة ،
وقد شبه الفيلسوف القلب الذي تشغله الاهواء بسفينة مثقوبة ، لا يمكنها الوصول
الى اهدافها ، وان كانت الريح مؤاتية لها ان السفينة المثقوبة لاتفيدها الريح وان
كانت مؤاتية لها ، هكذا القلب الذي تشغله الاهواء لايفيده المرشد وان كان من
درجة عالية (٣) وما لم ترفع النفس اعلاها واشواقها كلها الى الملاء الاعلى لايمكنها
الظفر بالمواهب الروحية السامية ان الجرة التي نكس راسها اسفل ، لاتستوعب
ماء ، وكذلك النفس السادرة في ار الدنيا لاتنال الموهبة السموية (٤)

وعليه لافائدة من التطلع بالعلوم والمعارف بدون تطهير الضمير ، الامر
الذي عليه تتوقف امكانية قدرة النفس على النسامي في سلم الكمال : ان الذين
يهتمون باكتساب جميع العلوم ولا يهتمون بتطهير ضميرهم ، وهم يظنون انهم
وصوا الى درجة الكمال ، يضلون فما الفائدة من مراة جنية مرصعة بالبللبل
الكرمية والجواهر اليتيمة ما لم تكن مجلوة من الغبار ؟ والمرآة المجلوة، وان كانت

(١) - فيه ص ٧٣ عدد ٤١

(٢) - فيه ص ٨٧ عدد ٩٠

(٣) - فيه ص ٨٠ عدد ٦٠

(٤) - فيه ص ٨٥ عدد ٨١

بسيطة في صنعها الا انها تقن عملها (١) ، فالنفس اذاً مرآة ، وهي بحاجة الى ان تكون نقية ، والا لما امكنا ان نقوم بواجبها ونسأى الى عوالم الروح ، فتصاعدها في معارج الكمال يكون بالنسبة الى درجة نقائها ، يقول الفيلسوف :
« كما ان المرآة خالية بذاتها من كل صورة وشكل ، وبالنسبة الى نقائها من الاوضار المادية ترسم عليها الصور الخارجية ، هكذا العقل خال من الصور ، وبالنسبة الى درجة نقائه من الاهواء الدنيوية ترسم على اشكال لا مادية (٢) ، وقد يكون ذلك اعتماداً على معلم ماهر ومرشد خبير بتحصاربه الاهواء ، او بممارسة اعمال الزهد المتنوعة يقول : « اذا اصاب العارف طرفاً صغيراً من تعليم الكاملين يمكنه الاهتداء به ، والا ليمضي في اعمال النك ، تطيراً لبصرته ، وهذه سترى الطرق السوية الممهدة (٣) ،

اما اعمال الزهد التي يكون هدفها تطهير القلب من الاهواء المنحرفة ، فيجب ان تؤدي بتفكير وحكمة ، وبذلك يمكن الاهتداء الى طريق الحق :
« احذر ان تطبع ذاتك بطابع ابناء المكوت بقراءتك العجلى انتافية فان كثيرين تعبوا كثيراً ، ولانهم لم يعلموا بتفهم وتعقل لم يدركوا طريق الحق ، ولم يصلوا الى ميناء الحياة (٤) فالاعمال الشاقة في الزهد وحدها لا تكفي ما لم تؤدي بتأمل عميق وشيخذ الفكر كله الى اهدف الاسمي ، ان الكمال ، لا ينال بالاعتاب الجسدية وحدها ، بل بالجهد الفكري ، التمثل ، فزعين اذن رياضتك الجسدية برياضتك العقلية ، لكي تفهم وجهتك الفكرية والجسدية بساكن واحد (٥) ،

(٢) - فيه ص ٧٥ عدد ٣٢

(٤) - فيه ص ٧٢ عدد ٢١

(١) - الخمنة ص ٦٩ عدد ٢

(٣) - فيه ص ٧٩ عدد ٥٧

(٥) - فيه ص ٧٣ عدد ٢٢

ان الالهواء انديوية ، تحول دون وصول العقل الى اهدافه الروحية بل تمنع انجذابه الى اللأ الاعلى ، يقول الفيلسوف : كما يجذب الحديد النقي الى المغناطيس ضرورة ، كذلك النقل النقي يجذب ضرورة الى العسرة الالهية ، ولكن اذا مزجت الحديد مادة غريبة تحد من انجذابه ، ومثله العقل اذا مزجته شهوات الجسد عاقت انجذابه (١) وبالقدر الذي ينقي فيه الحديد من المواد الغريبة ، بذلك القدر يتحرر جوهره ويصبح قابلاً للانجذاب : كما ان صهر الحديد وتنقيته من اية مادة غريبة - كالذهب والفضة ، والنحاس والقصدير - تحرره من سائر المؤثرات الخارجية التي تعيق انجذابه ، كذلك اذا طهر العقل من السجاياء البيمية والاهواء الطبيعية الراسخة فيه كالانهمك بامور التروجة والاولاد وجمع الغنى (٢) وملازمة الاتقياء القلوب عامل مهم من تخلق المرء باخلاقهم ، والاهتداء الى الطرق المثلى في تطهير القلب ، ان الاستمرار في معايشة اتقياء القلوب تعين كثيراً من يرغب في التشبه بهم ، فانقياء القلوب هم الذين طهروا انسانهم الباطن من جميع الادران ، ونالوا كل موهبة صالحة من فوق من ابي الانوار (٣) فما أسعد من أهدى الى عارف فاق شعاع سراجيه ، فتلاشى نوره بنور ربه ، ومات للعالم وعاش لله (٤)

ونقاء القلب يتم طبقاً لآية الانجيل القائلة (ان لم ترجعوا وتصيروا كالأطفال ان تدخلوا ملكوت الله) يقول الفيلسوف : اقم لكم رب الارباب ربي ، ايها العلماء الاعلام ، ما لم ترجعوا وتصيروا كالأطفال ، فانكم لاتعرفون حتى جهة الملكوت ، فكيف تريدون السفر في هذا الطريق ؟ وكيف تريدون

(٢) ، فيه ص ٧٣ عدد ٢٥

(١) ، فيه ص ٧٣ عدد ٢٤

(٤) ، فيه ص ٨٠ عدد ٦٣

(٣) ، الحمامة ص ٨٠ عدد ٦٢

انتجبت ؛ انكم مستبعمون في الوقت الذي فيه تظنون انكم تقربون (١) وهكذا
اذا ظهرت النفس ترفو الي مصدرها ضرورة ، وتوق الي التصاعد ، كل نفس
ظاهرة تطلب موطنها الاول . وانيه تعود ، بقرب طريق مهيبة ، الامر الذي
يشل عبور الصديقين على جسر النار ، فالنار تلتهب متصاعدة على الطريق المستقيم
ولا تنحرف (٢) .

وبعد جهاد شاق وتصاعد في درجات الكمال الروحي يشير الفيلسوف العارف
بقوله ؛ بعد جهادك الجسدي والنفسي الشاق ، تمسك يا أخانا ببساطة سمعان المطلقة
او بما يقرب منها ، واعلم ان ليك قد اتقضى ، ونحيك قد مضى ، وفجرك قد
دنا ، وصباحك قد دنا ، وسيرسل لك ربك نور الايمان ويعزيك بوحي آمنه (٣)

٣ - معرفة الله والشوق اليه

هناك طرق كثيرة في معرفة الله ، لشهرها ثلاث ، الاولى معرفة البسطاء ،
والثاني معرفة الفلاسفة ، والثالثة معرفة العارفين ، وهي اسمى ما يمكن ان يتوصل
اليه العقل ، يقول الفيلسوف في هذا المضمار ؛ ان معرفة الخالق من مخلوقاته ،
كمعرفة العامل من عمله ، معرفة سطحية بسيطة ، يستطيع حتى البسطاء الاحتذاء
اليها ، واما الفلاسفة فادبهم طريقة البرهان العقلي الدقيق ، وبها يتدون الى واجب
الوجود ، فالوجود اذا كان واجب الوجود فهو المطلوب ، واذا كان ممكن الوجود
فانه يحتاج الى واجب الوجود ، اذن ، يوجد واجب الوجود (٤) ثم يشرح طريقة
العارفين ، وهي الطريقة الروحية الصرفة ، يقول ، والعارفين معرفة اخرى اكثر
دقة ، وتم بقاء الافكار ، وتلطيف الجسد ، وانغماض الحواس ، والاعراض عن

(٢) فيه ص ٨٦ عدد ٨٥

(٤) فيه ص ٨٣ عدد ٧٣

(١) فيه ص ٨٢ عدد ٦٩

(٣) فيه ص ٨٨ عدد ٩٣

الارتباك الديني ، فقها مخدع قلبهم ، وتنمكس فيهم الملكوت ، متجسمة في داخله ، فلا يطالبونه حينئذ لاني هذا الجيل ولا في اورشليم (١) وهذا ما صرح به احد العارفين ، بقوله : اني بلهي عرفت الهي ولولا الهي لما عرفت الهي (٢) وقال عارف آخر : اني اعرف الله قبل معرفتي العالم ، فمعرفة التي اوجبت الكائنات اشرقت في ضميري ، وسبقت معرفتي بجميع الكائنات ، (٣) وقال ايضاً : اني عرفت المسيح قبل ان اعرف ذاتي ، فقد سبقت معرفته في قبل ان اعرف كل معرفة ، فاضت عن روجه (٤)

وهذه المعرفة السامية لا تنوص عليها النفس الا لتضاعف شوقها الى الله ، وغير ذلك لا يقع تحت تصورهما ، قال الفيلسوف ولا تنوص للنفس الطاهرة على المعرفة طلباً للجد الذي يناله العارفون في العالم ، بل لتضاعف اشواقها الى ربه ، واتمكن من الاجلاد والاحتجاب في السحابة الالهية ، (٥)

فمعرفة الله اذن ، والحالة هذه ، لا تأتي بمراد الاقنسة المنطقية والبراهين الطبيعية ، فعالم الروح اكثر وضوحاً ، واعظم اشراقاً من عالم المادة ، وعليه يقوله : ما دمت تطلب ان تعرف الله بواسطة الادلة والبراهين والشواهد ، فانت تضرب على جديد بارد ، وليس فيك بعد من الايمان بقدر حبة الخردل (٦) وما زال الامر كذلك فان درؤية الله - معرفته - تكون باشماس الجواس ، وفتح كوى القلب ، وتتزيق الحجب عن اعين العقول . وهذا هو ما قيل اسعد الكوى يضيء الخدع (٧) ومعنى ذلك يتضح من قول الفيلسوف : ان معرفة الكماين هي معرفة وحية (٨)

(١) فيه ص ٨٣ عدد ٧٤ (٢) الايشيقون ص ٤٤ ب ١٥ ف ٦

(٣) الايشيقون ص ٤٤ ب ١٥ ف ٦ (٤) الخدمة ص ٦٨ عدد ١

(٦) فيه ص ٧٠ عدد ١٠ (٧) فيه ص ٧٠ عدد ١١

(٨) فيه ص ٧٨ عدد ٥٠

وعليه فانه «لنا» كلت معرفة التاملين معرفة وحيية — نبوية — ولا يمكن الحصول على هذه المعرفة من قراءة الكتب (١) ويحتم فيلسوفنا تعاليمه الروحانية بالتحذير التالي: احذر ان تكون طفولتك — افكارك الصيانية — لتضايك ، وتظن انك ستعرف هذه المعاني من الكلمات ، لا يا أخي ، لا يا أخي ، إذا رغبت الوقوف على الاسرار الخفية ، فاعرض عن العالمين كليهما ، ودع الموتى يدفنون موتاهم ، واطلب الحي القيوم وحده ، فانك تجا إلى الأبد (٢)

٤ - محبة الله

ان السبب الوحيد لمحبة الله هو معرفته الإكيدة الواضحة ، وقد اوضح فيلسوفنا تلك المعرفة بقوله: «إن العارفين يفقهون حقيقة معرفة الله ، لذلك استبحت محبتهم على الصخرة ، فلا يقوى عليها إلا الأمل ولا الاضطهاد ولا السيف ولا النار» (٣) ويذهب إلى اعتم من ذلك بقوله: «الاسباب التي تنظم محبة الله هي: أولاً — ان يصرف الانسان وجهه عن كل شيء في الدنيا ، ويعرض عن كل هوى ، ويتسامى إلى الرغبة في الواحد الأحد ، نامياً بالرجاء والأيمان ، ممعناً في الزهادة والنسك ، وهكذا اذا ما طهر ضميره واطفاء فكره يصبح من جملة الاتقياء القلوب الذين يعاينون الله ومن هذه الرؤية تلتب نار المحبة (٤)

والذي محب الله حياً حقيقياً ، يجب ان يحبه وحده ، ولا يشرك به ، والا لما استطاع ان يحبه ، لان « المحبة هي طلب المحب لمحوبه ، والطلب الصادق هو توجه الطلب بكلية إلى المطلوب ، فيصبح الطلب والوجود توأمين ، أي في اثر الطلب يبرز الوجود ، والذي يطلب هكذا يجد ، ومن يسأل يأخذ» (٥) ومحبة الله

٢ فيه ص ٨٥ ضد ٨٣

٣ في الاثنيون ص ١٥ ف ٦

١ فيه ص ٧٨ عدد ٥١

٣ فيه ب ٣ ف ٤ ص ٦١

٥ الخيمة ص ٧٣ عدد ٢٣

معان سامية لا يتوصل الي انتفض فيها الا من تذوقها تذوقاً صادقاً ، يقول : « من لم يذوق حلاوة محبة ربه ، لا يمكنه فهم كرات المحبوب ، لانها رمزية ، ومليئة بروح ، ولا يمكن ان تقال الا بطريقة رمزية روحية (١)

وهناك ثلاث طبقات من الناس ، السفلى ، تطلب الدنيا ، والعلوية ، تطلب الآخرة ، والاعلى ، تطلب ربها بالذات ، وهذه هي طبقة العارفين الكاملين ، ولا يفصلها عن حبه لا الامور الحاضرة ولا المستقبلية ، ولا خليقة اخرى ، ومهما اهنت في سبيل جماله ازدادت اليه ظمأ (٢) والعارفون تشرق عليهم شمس الله فيستحيلون مخلوقات جديدة ، يقول فيلسوفنا : « اذا اشرقت شمس المحبوب على الهب ، يوماً من الايام ، يرى العروس السلبيانية متلازمة سافرة ، قد دخله بيتها ذا العواميد البسة ، وتظهره محبوباً للكائنات ، وتجمعه بالوحوش الضارية والطيور الجارحة التي تتشق منه غير باربها ، وتشر بوجوده الكائنات الجامدة ، وتخضع له الشياطين وتخدمه الملائكة (٣) وهذه هي الدرجة العظمى التي يقول فيها اذا بلغ السعيد هذه الدرجة فان ربه يسقيه من مائه ، فلا يعود يشرب من صخرة او من بشر ، فلا يعطش بعد ، بل يجري فيه ينبوع ماء للحياة الابدية (٤)

ويخشى ان يؤثر احد الاسباب على هذه المحبة فتبرد ، ويعطي نصيحتة الاخيرة في هذا المضمار ، لذوي القوى الروحية السامية ولجميع الناس فيقول : « ان الاسباب التي تبرد فيها المحبة للجميل كثيرة جداً ولأن احصائها لا قوتي تسعني ، ولا وقتي يكفيني ، فقد سبق واعيانى الكلام ، ولاذ قلبي بصمت عميق ، فمن استطاع الصمود في ميدان الحب فليصمد ، والذي لا يقوى فليجمل طعامه ضمن طاقته ، ويمد رجله بحسب بساطه (٥)

(٢) فيه ص ٨٦ عدد ٨٤

(٤) فيه ص ٨٩ عدد ٩٦

(١) فيه ص ٧٩ عدد ٥٣

(٣) فيه ص ٨٩ عدد ٩٦

(٥) فيه ص ٩٠ عدد ٩٩

٥ - حاربت العقل ضد العارفين

إذا جمع العقل في نطاقه الروحي ، الإيمان الخبي ، وانتصر على اذاهواء الجسدية ، ورسخت فيه محبة الله رسوخاً عميقاً ، واحب الله بدون شريك ، او عديل ، يتسامى الى طبقة العارفين ، فيخلد في صحابة الله الوضاعة ، ويغيب فيها الى ابد افاقها ، فيدخل قدس أقداس الروح ، وهناك يسمع كلمات لا يمكنه النطق بها ، ويصف فيلسوفنا هذا الضرب من العارفين بقوله : « ان الذين يخلدون في الصحابة إنهم يدركون عمق حكمة الله وغناها ، بدون الحاجة الى دليل » (١) وهكذا اذا خلد في الصحابة الالهية يتوصل الى كمال اللذة الروحية ، التي لا توصف ، وان العقل في السحاب يحوز لذة لا توصف ، برؤية الجميل ، تفيض عنه فيصبح وكأنه يسمع بصيت الجميل ولكن لا يراه ، (٢) ولا يكون ذلك الا اذا تفتحت عيننا العقل وحاز من ربه تلك النعمة السامية ، « اذا تفتحت عيننا العقل بقدر استمداده ، تفيض نعمة الله عليه ، فيسطع بالاشعة الملائكية المتألقة ، ويلتحق بابناء الملكوت ، ويقف بين صفوفهم ، فيفرح معهم ويتجدد ، ويكون غريباً عن هذا العالم بما فيه (٣)

ان العقل هنا يرتفع الى اعلى درجات التسامي ، ويتعالى الى مرتبة لا يمكن لابناء الحياة العاديين حتى الشهور بها ، يقول الفيلسوف : « اذا ادرك العقل ان هناك كلمات لا يمكنه النطق بها ، واعمالاً لم تر العين مثلها ، ولم تسمع الاذن نظيرها ، ولم تخطر على قلب بشر ، حيثئذ يتسامى فوق جميع المراتب البعيدة عن السحاب ، ويتوقل الدرجات الباقية فيها (٤) »

(١) الجملة ص ٧١ عدد ١٢

(٢) فيه ص ٧١ عدد ١٥

(٣) فيه ص ٧١ عدد ١٦

(٤) فيه ص ٧٣ عدد ٢٦

و اذا سمع العقل كلمات لا يمكن الافصاح عنها ، ولا يستطيع تفسيرها ويرى ما لم تره عين ، هناك في مسكن الرب يسكن وفي جباه المقدس يحل (١) ، حقاً ان حالة عقول العارفين عجيبة ، اذا بلغوا ربوع الوحي ، وتخلدوا في جنة الالهام ، يقول فيهم الفيلسوف : « ان الذي حاز الوحي تراه تارة عصي الكلام ، عي اللسان ، وطوراً نسمعه خطياً مصقماً ، تجري من فيه لنهار ماء الحياة ، (٢) »

يعود الفيلسوف الى نفسه فيصف لنا اللحظات الدقيقة المرافقة لهذه الحالة ، الوحية المذبية ، يقول : « ما اسرع الزمان ، وما اعجل لحظة هذا النور وقليلون نادراً يستحقونه ، اما انا فقد مرت مواكبهم بقربي ، كالشمس في فجر عميق ، وكالبرق انقلب رايته وانا مبادر في ظلامي (٣) » ثم يتابع ، ان شمسي لم تزل نظيري في برج الجدي ، واذا سارت الى ابعد من الجدي نحو الجنوب ولم يبلغ آفاقي بعد في تصادها ، واني لمشتاك وظمان ان يشرق علي بالروح والحق (٤) ، وينقل الينا كلام احد العارفين في هذا الضمار ، يقول : « حدثني عارف سعيد قال : لما كنت مبتدئاً ، كنت مرة اتخيل النور الساطع ، فتلاشت اعضاءي وخبا عقلي واشبهت السادر في ظلام دامس ، واذا هدأت العاصفة عاد الي صوايي ، واخذ لساني يتلثم قائلاً : قد كان ما كان ، وان اقول ما كان ، فاسمعي ، اسمعي ، واخضع ، ولا تقل افصح وفسر » ثم تابع قوله : ولما ازددت قوة ازدادت محبة ربي في مهيراً ، ولم تدعني اكمل فرضي مرات كثيرة ، فكنت اسقط على وجبي كالميت ، وكان جسدي يضطرم . وزفراتي تحتدم ، وقلبي يقول لي : الى متى هذا البكاء واضطراب الروح ؟؟ وماذا تفيد ذكري

الحبيب ، والحبيب في قفص البعاد ؛ ووارد العارف يقول : « واذا ما بلغت
اشدي ، صدر امر من الملك العظيم ، الذي سلطانه لا يزول وملكه الى ابد
الدهور ، ليؤذن لي بالدخول ، وفي الحال ، حطم عقلي القفص كالنسر او
كالمجنون ، وطار الى عشه الاول ، ومثل بسين يدي ملك الملوك ، وإله الآلهة ورب
الارباب ، وكان بجواره تحيطه النعمة ، (١)

٦ - معرفة ايرثاوس وابن سينا

علمنا سابقاً ، ان الاثر المنحول ايرثاوس الذي وجد بالريانية في النصف
الاول من القرن السادس ، انتشرت مبادئه الصوفية في الشرق انتشاراً واسعاً ، وفي
القرن العاشر زادت انتشاراً ، وتوسماً حيث فره بدقة واسهب الفيلسوف
مارتودوسيوس التكريتي البطريك الانطاكي فاصبح والحالة هذه مصدراً وحيداً
أساسياً لفلاسفتنا في فلسفتهم الصوفية اعتباراً من هذا القرن ، بدليل وجود مبادئه
كاملة وواضحة في التراث الصوفي الذي خلفه الفلاسفة في هذه الفترة ، فالمبادئ
الصوفية الواردة في فلسفة الشيخ الرئيس ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) مستمدة من
هذا الاثر ، الامر الذي لم يشر إليه الى الآن كاتب من كتاب ادابنا الشرقية . والمعروف
ان العلامة ابن العبري هذب هذا الاثر وغسره من جديد ، وكذلك درس فلسفة
ابن سينا دراسة واسعة ، وترجم الى الريانية كتابه الفلسفي القيم (الاشارات
والتنبیيات) الذي سجل فيه ابن سينا فلسفته الصوفية ، فيكون ابن العبري ، والحالة
هذه ، ذا علاقة عميقة بمبادئ اثر ايرثاوس من جهة ، وبفلسفة ابن سينا من جهة
ثانية ، مع العلم ان فلسفة ابن سينا الصوفية تحمل نفس المبادئ التي وجدناها في
ايرثاوس منذ القرن السادس الميلادي ، وعلى هذا الأساس ندرس هذه العلاقة في

قصيدته الصوفية الرائعة التي قاضها في بغداد عام ١٢٧٧ م وهي المعروفة بقصيدة (الكمال) وتعد من عيون الشعر الرياني في هذه الفترة .

ينتج قصيدته انفسية هذه خشعاً أعم انغزة الالهية متبيهاً ، تبيداً لاعطاء فكرة كاملة في العقل البشري ، اذا اتهب بحب ربه ، او اختطف الى الملأ الأعلى لقاء باريه ، في انسحاب ، او توكل على الكمال ونضى عنه جلايب الجسد وخلد في عالم الروح ، فيقف امام (الكائن) الأسمى الواحد الاحد قائلاً : و الكائن التي تتوق اليه العقول ، وتخشع بحضرتة الفكر والنفوس ، الكائن الذي منه يستمير الكاملون كمالهم ، وبه ينال انساك عزاهم .

للكاملين ، مقامات وطبقات ، ودم منازل يخلدون فيها ، لا يحصى عديدها ، عقول تقمعت الجسوم جلايب شفاقة ، وكأنها تحملها ، لترفل في عالم الأرواح خاشعة برؤية ربها ، سارحة في جنان العقول المجردة كلها عن لها فنضت تلك الجلايب ، وكلما انعم عليها ربها بالاتحاد ، وسنار هاتيك الربوع لا يتنون جمالاً جديداً او غريباً ، فجبال كيانهم الروحي كاف ليجلوا الظلام من حولهم ، يتلون بين يدي ربهم ، وجبينهم انصع من قلب النهار ، وقد ارتدوا حلالاً من الخلد الأثيل في بهجة ذيك الصباح ، واذا ما تنموا بكيانهم الجديد المخلد عادوا الى جلايبهم القديمة يرتدون منها من جديد ، واذا ما نموا بكيانهم المخلد ، وسعادتهم الفائقة عادوا يتلون الدنيا انعام الخلود ، فمرآتهم المجلوة هي تقوسهم الطاهرة وقد نقشت على صفحاتها اسرار من وحي ربهم والهامة ، حالات عجيبة يجلبها الحكماء وينجبا السفهاء البلاد .

وقال ابن سينا في هذا المعنى : و ان للمارفين مقامات ودرجات يخصصون بها ، وهم في حياتهم الدنيا ، دون غيرهم ، فكأنهم - وهم في جلايب من ابدانهم - قد نضوها وتجردوا عنها ، الى عالم القدس ، ولهم امور خفية فيهم ، وامور

ظاهرة عنهم ، يستكرها من ينكرها ، ويستكبرها من يعرفها .
وقد علمنا ان مؤلف اثر ايرثاوس عقد فصلين راعين في اطراء مقامات
الكاملين (العارفين) والدرجات التي يمتدون بها ، ويسميا (العقول الطاهرة) مصوراً
جالاتهم الروحية تصويراً رائعاً ، وهما التصلان ٢١ و ٢٢ في نهاية مطافه الروحي ،
فيكون ابن سينا قد اورد فكرة قديمة واضفى عليها روعة فلسفية جديدة ، الامر
الذي فعله ابن العبري ايضاً .

ينطلق الفيلسوفان من الثقة التي وضعها مؤلف اثر ايرثاوس ، ويمضي العلامة
ابن العبري في تبيان منازلهم التي لا يحصى لها عديد اعتماداً على قول الرب (في
بيت ابي منازل كثيرة) .

ويتابع الشاعر حديثه في كيفية الوصول الى الهدف الاسمي للعارفين يقول :
« لا يبلغ الكاملون منازل ربهم القاصية الا بعد جهاد شاق وعمل مضن ، عسير ،
متصاعدين درجة فدرجة ، في سلم الكمال الروحاني ، ولهذا السلم الرفيع ثلاث
درجات كبرى ، الاولى ، ان يعرضوا عما يعكس اسماء الروح ، حاصرين كل
اسواقهم في اجتهاد انتفاع الازلي . والثانية ، ان يمدوا الخطى حثيثاً الى مصدر
ذلك الشعاع ، لان الخطوة الاولى لم تكن غير شوق الى الثانية ، والثالثة ، وهي
الوصول الى الهدف الاسمي ، وهذه هي ملكوت السماء بعينها .

وقد تفنن مؤلف اثر ايرثاوس بوصف الجهاد الذي يقاسيه الكاملون في تصاعدهم
وتوقلهم درجات الكمال ، وهي ثلاث ايضاً ، (الفصل ١٣) وشرح هذا الجهاد شرحاً
وافياً ايضاً في الفصل الثالث .

الوصول الى نهاية المراتب لدى شاعرنا ، هو معرفة الله ، المعرفة الكاملة
الدقيقة ، طبقاً لتعليم ائمة العارفين ، وهناك ثلاث طبقات من السائرين في طريق
الوصول هذا ، الاولى طبقة الزهاد ، والثانية طبقة العباد ، والثالثة والاخيرة ،

ضفة العارفين ، الكاملين الثقلين ، ويقول ابن سينا في هذا المعنى : « للمعرض عن متاع الدنيا وطيلتها ، يخص بسم الزاهد ، والواظب على فعل العبادة من القيام والصيام ونحوها يخص بسم العابد ، والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستتباً لخروق نور الحق في سره ، يخص بسم العارف ، وقد يتركب بعض هذه من بعض »

وهذه الحالات الثلاث نجدتها عند مؤلف اثر ايرناوس بطريقة اكثر سمواً مما يختص بالعقل نفسه ، فلهذا أيضاً ثلاث خطوات الى حين بلوغه درجة الكمال المطلق ، قلنا : ان حركة العقل في ما وراء الطبيعة ، هي الخطوة الاولى في التصاعد الى اعمال البر والفضيلة ، فيدعي صاحبها براءاً وقديساً ، واهيئاً يصيب صفة القوى الفائقة في القداسة ، واما اذا ارتفع الى حالة فوق الطبيعة ، فنفسه ينحشم ويلوذ بالصمت والارتاج وحيث يبلغ الذروة العليا من التصاعد . فاذا قابلنا هذا بما وجدناه لدى فيلسوفنا نجد اساساً واصحاً لفكرتها . (الفصل ٧)

يعود ابن العربي الى المقابلة بين أهل هذه الطبقات الثلاث يقول : « ان الكامل (العارف) هو زاهد وعابد بآن واحد ، اما الزاهد او العابد فليس بعد كاملاً ، وهناك فرق بين هذا وذاك ، وليس لكليهما طريق واحد ، ثم يشرح الفروق بين ابائين ، يقول : « ان الناسك ليس كاملاً ، لانه يظن انه يشتري نعم الآخرة بنعم الدنيا ، انه يعرض عن طيبات هذا العالم الزائل في سبيل الطيبات البقيات في العالم الخالد ، انه لصيرفي ، وتاجر ، يستبدل طيبات بطيبات ، واما الكامل فليس هذا هدفه ، انه ينكر الشهوات الثمانيات لنفسه ، ان تنعم الجسد يجعل العقل مضطرباً ، ويمطئه عن معرفة ذاته وادراكها ، يعز ان الجسد انما هو سحابة سوداء امام النفس ، فاذا تلبت تلك السحابة تعطلت الرؤية ،

هناك فرق بين الخدفين ، الاول عذب الجسد ثمناً لنعم مرتقب ، وهذا اعرض عن الراحة بصراً ، غير الكامل يتعب ، والثكمل مثله ايضاً يتعب ، الا ان غير الكامل يعمل ذلك ضمناً في اجرة يراها ، من عمله ، والثكمل يزيد نوراً على

نوره ، وطهراً عن طهره ، ان الكامل صوام قوام بلوغاً لقدس جديد ، وتمزيقاً
للحجب الداكنات الخالكات ، واشتقاقاً ليعني العقل . وهكذا طهر العقل استصبح
بنور الحق ، ان الكاملين العارفين هم مسارح القدس ، وحكمة الله لا تنجلي للمناجيين
في الدنيا التائبين في بواقيها ، ان الزاهد غير الكامل يعرفه العارفين عبداً ، او لغيراً
اما الزاهد العابد الكامل فيعرفونه ابناً وورثياً ،

ويشرح ابن سينا هذه العبارات الثلاث بقوله : « والعبادة عند غير الكامل
معاملة ما كان يعمل في الدنيا ، لاجرة يأخذها في الآخرة ، هي الاجر والثواب ،
وعند العارف رياضة مالممه ، وقوى نفسه المتوحمة التخييلة ، ليجردها بالتعبود من
جناب الغرور ، الى جناب الحق ، فتصير مسألة للسر الباطن ، حينما يستجلي الحق ،
لاينازعه ، فيخلص السر الى الشبروق الساطع ، ويصير فلك ملكة مستقرمة كلاً
شاء السر اطلع الى نور الحق ، غير تراجم في الهمم ، بل مع تشيع منها له ،
فيكون بكليته منخرطاً في سلك القدس ،

الفروق بين الزاهد والكامل عند ابن العربي تختلف عمداً هي عليه عند
ابن سينا ، فبالاضافة الى كون الاول يقبر صيرفاً وتلجراً ، والثاني عاملاً في
سبيل الحق وحسنه ، دون النظر الى الثواب ، يقول ابن العربي : ان الاول
عبد او اجير ، بينما الثاني ابن وورث ، وهذه الفكرة الاخيرة تراها واضحة في اثر
ابريطوس ان العقل المطهر ينال صفة البتوة الكاملة لله ويمكنه القول (ان موسى
اؤمن كعبد واما انا فكرب البيت) (الفصل ٣)

في العام نقص كثير . وفي الكليات البشري ايضاً نقص لا تعوضه الطبيعة
البشرية الخجدة ، والنقص في العالم ، او في الطبيعة البشرية بحاجة ماسة الى اكمل
درأ لاخطاره الروحية الكثيرة ، وعلى هذا الاساس اهم الله الانسان لكي يسعى
الى بئس الكمال الروحي ، الذي هو وحده يمكنه درء اخطار فواقس البشرية ،
ويمضي ان العربي في شرح هذه الناحية في بيت كثيرة من قصيدته .

الى ان يصل الى وصف الكمال الذي اعدده الله لا كمال تقص الطبيعة البشرية ،
بما ينعم عليه من وحي ، يقول : ان الكامل رسول يرسله الله لهداية الناس ،
فيستمد الوحي من السماء بلقاآته الوحيية ، بالطبيعة الروحانية ، حيث يجد انفار
الروح مكتوبة ومنها يستلهم المعرفة الحقة ، لا من علم بشري ، بل بوحي من الروح
القدس ، فتخضع له الطبيعة الجامدة . وتتبعه المعجزات والكرامات العجيبة ، فيوضح
الامور المتقبلة ، ويكشف الغيوب ، ويأتي بالنبوءات ، وهذا ما عناه الرسول
بقوله : « وضع الله في بيته اولا رسلا ، ثم انبياء ، فاعلي قوات : الخ -
ويمضي في وصف اللذة الروحية العميقة التي يشعر بها العارف ، تأخذ بمجامع قلبه ،
وتحيله الى كائن جديد .

ويشرح ابن سينا موضوع النقص البشري بقوله : « واعلم ان رذيلة النقصان انما
تتأذى بها النفس الشقية الى الكمال ، وذلك النقص تابع لما يقيد الاكتساب ،
والله بجنبة (الجنبة : الاعتزال) من هذا العذاب ، وانما للجاحدين والمهملين
والمرضين ، عما الملح به اليهم من الحق ، او بالخلاصة من فطانة براء ،

وشوق العقول الظاهرة الى الكمال قد شرحه صاحب اثر ايرناوس شرحا وافيا
قال : بعد اتعاب شديدة وجهاد شاق تشرع العقول الظاهرة في تصاعدها درجات
الكمال ، فيثور فيها الشوق اللاهب للوصول الى القمة ؛ وتسمقها الجواهر الروحية
التي تصادفها في طريق تصاعدها ، اذ تجتمع كل تلك القوى وتحيط العقل بهالة
من المجد والقداسة بطريقة عجيبة ، الى ان يقول : « ان كل كيان عاقل يجوز
معرفة ما دونه ، ولكن العقل الكامل يجمع كل المعارف ،

فانت تلاحظ ان الفكرة الاساسية مستمدة من هنا ، الشوق الى الكمال ، وحياز
المعرفة الكاملة ، بعبء شرس معروف وكيان ي ذلك ، وقد طورت الفكرة
عند الفيلسوفين بحسب ما رأينا ؛ الا ان الاساس واحد .

ويقتل ابن العربي الى تصاعد درجات العارفين ، منذ اول انطلاقتهم الى بلوغهم

تصادهم الروحي الكامل ، ويورد هذه الدرجات طبقا لما اتفق عليه العارفون
انفسهم ، يقول : « لحركات العارفين ما يسمونه هم الارادة ، حيث يحاول العبد
المرفقة بالبرهان ، ثم يستسلم للايمان المطلق ، توصلنا الى الكمال ، وحالنا
يزيد ؛ يبدأ بالانطلاق هاربا من كل شيء ماعدا محبوبه ، وما دات هذه درجته
فهو (مرید) وهو في طريق وصوله الى الحياة الخالدة ،

وورد ذلك عند ابن سينا على النحو التالي : « اول درجات حركات
العارفين ما يسمونه هم الارادة ، وهو ما يعترى المتبصر باليتين البرهاني ، او
الساكن النفس الى العقد الايماني ، من الرغبة في اعتناق العروة الوثقى فيتحرك
سره الى القدس ليخال من روح الاتصال ، فما دامت درجته هذه فهو مرید . »

ان فكرة (المرید) الواردة لدى الفيلسوفين تمثل الخطوة الاولى في طريق
الكمال ، وهي اللحظة التي يتوجه العقل الى هدفه الاسمي ، في هذه اللحظة يمكن
تسمية العقل او الانسان (مریدا) لانه (يريد) الانطلاق الى طريق الكمال
بازادته الكماله ، وقد شرح هذه الحالة مؤلف اثر ايرثاوس جاعلا اياها (الخطوة
الاولى) فقال : « تنطلق خطوة العقل الاولى نحو الحرية الكاملة عندما يثور الحب
الاهي ، ويتفجر الشعور من الاعماق ، بوجوب الانطلاق ، فمن القول من
تنطلق حالة انجاس المعرفة والقوة فيها . » (الفصل ٢)

فانت ترى ان فكرة (المرید) هي وليدة هذه الفكرة ، بحيث يصبح العقل
(مریدا) حالة توجهها الى الهدف ، فيثور فيه الحب الاهي ويدفع به الى طلب
الحبيب باي ثمن كان .

وعند الفيلسوف ابن العبري ان « المرید الحاذق لا يخشى امثرات ، ولا
يهاب الشراك ، واما المرید العادي فانه يحتاج الى شيخ ذي خبرة واسعة ،
يعرف لكل داء دواء ، ومثله كان ابن سينا يقول : « ثم ان المرید ليجتاج
الى الرياضة ، والرياضة متوجهة الى ثلاثة اغراض . »

ان المرید للی الفیلسوفین بحیاجة الی ریاضة وتوجیه لیسدد خطواته الی
محجته القصوی ، وقد طبق الشیخ الفیلسوف مؤلف اثر لیرثاوس هذه الفکرة مع
تلمیذه بالفعل فقد سمناه یقول له : « وانت یا بنی ، فانظر الی فوق ، واعرض
عما فی الارض ، ودع الظل واتحد بالحقیقة ، اغرض عن الطیبة الفانیة واهیط
بقوة الی اردن هذه المعمودية المقدسة المجردة عن الهیولی - معمودية الریاضة
والالم - واذا سمعت الرب یقول لابنی زبدي ؟ اما کأسی فتشربان واما صبغتی
فتصبغان - فاعلم انه یشیر الی هذه المعمودية الطاهرة انی بها یتمد الکاملون
فیظرون ، (الفصل ٣)

یتابع ابن العبری حدیثه بشأن هذه الریاضة یقول : « یجب ان تقوم هذه
الریاضة علی ثلاثة شروط الاول ، الترفع عن الدنیا وما فیها من الدنایا ، والزهد
فی الاموال ، والبکرامات الکاذبة والمجد الزائف ، والعجب والكبریاء والمعجرفة
والصید الخادع ، وتحطیم هوی الزعامة الفارغة ، والاعراض عن معاشره انشاء
الدنیا ، ومحاولة تقوم الاشرار . والثانی ، سحق القوتین الغضیبة والشهویة ،
واخضاعها للنفس العاقلة السیة . والثالث ، جعل النفس شفافة لطیفة استعداداً
لتلقي الاشرافات الساطعة . ویمین علی دعم الشرط الاول ، ازهد التام ،
والاعراض عن متاع الدنیا ، واحتقار کل شیء ما خلا الحق ، والشعور بحرارة
کل طیبات الحیاة ، . والشرط الثانی یدعمه ، الصوم والقنوت ، وسحق عنف
الجسد ، وخضد اشواکه القاسیة ، وتعذیه وتهذیه ، وممارسة الالحان الروحیة ،
الشجیة المنعشة لقوی النفس ، والاغراق فی التریل وانقراءة المتعلقة ، واستمداد
النصائح والمواعظ من معلمین ثقاة ، ویمین علی الشرط الثالث ، تقاء العقل وصفاء
الفکر ، واتمرد علی مناسف الدنیا المعکرة ،

وإن سینا عم بأشروط الثلاثة والقوی التویدة له : وقد قال : « والاول
یعین علیه ازهد الحقیقی . والثانی . یعین علیه عدم اسیء ، العبادة المشنوعة

بالفكرة ، ثم الالحان المستخدمة لقوى النفس ، الموقعة لما لحن به من الكلام
موقع القبول من الاوهام ، ثم نفس الكلام الواعظ من قبل قائل ذكي ،
بعبارة بليغة ، ونعمة رخيصة ، وصمت رشيد ، . واما الغرض الثالث فيعين
عليه ، الفكر اللطيف والعشق العفيف ، الذي يأسر فيه شمائل العشوق ليس
سلطان الشهوة ،

والفكرة كلها اثنا تدور حول العمل على تنقية النفس من ادران الشر اياً
كانت ، وقد اورد الفيلسوف فان هذا التقسيم الثلاثي رغبة في تنظيم الحملة ضد
الشر من قبل النفس ، وهي مستمدة من التعليم السليم الوارد لدى مؤلف اثر
ايرثاوس حيث قال : « يجب على الذين يرغبون الارتقاء من هذا العالم ان
يحددوا قواعد الخيرة فيقتلموا اشر من اعتم جذوره ، فقد يخشى ان يظهر
الشر من حيث لا يشعرون ، فالجسد هو بيت النفس ، والنفس رداء العقل ،
فيجب على النفس ان تطهر العقل بذاتها »

وعلى هذا الاساس نسمع العلامة ابن العربي يتفنن في وصف النفس العارمة
وصفاً بالغ الروعة يقول : « الحماة الحية ذات الاشواق المتمردة على الموت ،
جميلة وان كانت سوداء ، فان اصلها من الله ، وان لوحتها الشمس بشواظها ،
الحماة الطالبة ربها من وراء حجاب هذا الجسد ، المتطلعة اليه من كون العقل ،
ومن شقوق المادة ، تطوف في الشوارع والساحات اذا غاب عنها لحظة ،
توافقه الى وجهه الكريم ، هائمة كالجبنونة حتى يعود ، لا ترهب اذا طاردها
العس - قوى الجسد - بل تفر وتنجو ، وتصحو اذا عبرت قليلا ، فتلاقي
ربها وتعلق به ولا تتركه حتى تدخله خدر امها الى مخدع انقاب ، الى بيت
الحكمة ، هذا عالمها »

ويشعر العلامة ابن العربي انه لا يجوز الافصح عم تلاقيه النفس في

(مخدع الروح الاعلى) وعليه يتابع قوله : و اما ماذا يحدث في ذلك المخدع ، فليس لك ايها الشاعر ان تديس الاسرار ، ولا تحسبن ذاتك خطيا معقما ، صه ، ايها النبي ، واستر جهلك بالصمت ، فان سليمان في كل مجده لم يجراً على الكلام هنا احذر ان تشين الكريمة المألقة فلا تطلقن العنان لغرورك باسم الحب ، في دولة الحب هذه لا سلطان لأبليس ، فكلمها نور لا يدانيه ظلام ، عد الى ربك ، وغذ عفوك القهري ، واذا اقدمت فمد الخطى خاشعاً متيبساً .

وهنا ، في بيت الحكمة ، في عالم الروح ، تبلغ النفس درجة الارتاج فلا يستطيع اللسان التعبير عما يشعر به القلب من الغبطة والسعادة ، وقد وصف مؤلف اثر ايرثاوس هذه الحالة بقوله : و اذا ما نثر العقل بالتصاعد فان الجسد يرتجى كائيت ، ثم يوصي تلميذه بألا يبوح لأحد بهذه الحالة العجيبة يقول : و اما انت يا بني ، فأخل مخدعك واغلق بابك ، ولا تشرب إلا من ينبوعك وليكن لك وحدك ، فلا يشرب معك غريب ، ولا تم في القرية وتترك زرعك في الحقل ثلاً يأتي العمدو ويزرع الزوان في حقلك . ، الى ان يقول : و لا تبح يكلماتي هذه امام المقبول غير الطاهرة . . . لان الانسان الذي لا تهي نفسه معاني الروح يذريها . (الفصل ٥) وقد وصف حالة العقل لدى تصاعده الى حالة فوق الطبيعة : قال : واما اذا ارتفع العقل الى حالة فوق الطبيعة فانه يخضع ويلوذ بالصمت والارتاج ، (الفصل ٦) واذا ما بلغ العقل فروع الفضيلة وانجحت له الاسرار ، ووقف في قلبها العميق ، وسبر غورها البعيد ، يرتج عليه ، فلا يجد كلمة من الكلمات البشرية كافية للتعبير عما هو فيه ، بل لا يجد تعبيراً بشرياً يليق بما يشعر به من السعادة ، ولذلك يقول الفيلسوف (ايرثاوس) لتلميذه و اما انت يا بني ، فانظر الى ما يحيط بك واجماً صامتاً متيبساً ، (الفصل ١١) ويعود الفيلسوف ان العبري ايضا ما تحويبه الدرجة الثالثة

— درجة الاختطاف — ذاتها من الطبقات ، يقول : « هذه الدرجة طبقات وحدود ولا حجاب بين حد وآخر ، ففي الحد الأول يشرق على العارف نور الحق ، ويشعر بلذة عميقة لا يقوى على الوقوف امام تيارها ، فيزداد سطوعاً وتألُقاً ، ويرى بروقاً قومض ، ثم تحتفي ، ويسمي العارفون ذلك اوقاتاً ، ويشعر ان بين الوقت والآخر اخطاراً تخين به ، وتهاجمه ، فيحزن اولا لتأخير وصوله ونواله ، واخيراً لان الاخطار تداخمه ، »

وقد عبّر ابن سينا عن هذه الحالة بقوله : « ثم انه إذا بلغت به (العارف) الارادة حـداً ما ، عثت له خلجات — من اطلاق نور الحق — لذيدة كأنها بروق قومض ، ثم تخمد عنه ، وهو المسمى عندهم اوقاتاً ، وكل وقت يكتمفه وجدان ، وحد اليه ، ووجد عليه ، ثم انه ليكثر هذه الغواشي اذا امعن في الارتياض . »

والحد الثاني — يقول ابن العربي — الذبوط الى بحر الرياضة ، وكلما غاص في الاعماق ، كلما تكاثرت البروق امامه اشراقاً وتألُقاً ، والحد الثالث اذا بلغه ، وهو ماض في رياضته الشاقة ، لاحتفي البروق الالامعة عنه ، حتى اذا تباطا في رياضته ، ولا يظن في سحب تلك البروق ، ليخلد فيها ، لان نور الازل يلهه ولادة جديدة ، فلا يقلقه هم ، ولا يثنيه عن سيره عدو ، او مال او متاع ، فالحيب كأنه قاب قوسين ، فيحث السير اليه ، يرى الحق في كل شيء . »

والحد الرابع هام جداً لدى الفياصوف ابن العربي ، فكأنه متصف الطريق بين الشك واليقين ، او بين الجهاد والهدف ، بل انما يظهر الهدف الاسمي قريباً جداً من العارف المضي سيره ، الحثيث الطويل ، يقول : « والحد الرابع لا حدود لسطوعه فيروته تلمع وتلمع ، ولا تنقطع عن الاشراق ، فينوء العارف تحت اقبالها ، وربما يرجو احتجبتها بعض اللحظات ليثوب قليلاً الى مرشده ، ففي سطوعها

التألق قلبي لسكينة ، واضطراب الهدوء - نفسه ، وقد يصلي ليمنح من النعمة
قنباً ضئيلاً فقط ، ويمتد ذلك يكفيه وإن كان ضئيلاً .

ويصف ابن سينا هذا الحد بما يأتي : « ولعله الى هذا الحد يستعلي عليه
غواشيه ، ويزول هو عن سكنه ، فيتبه جليسه لاستيفازه عن قراره ، فاذا طالت
على الرياضة ، لم يستفزه غاشية ، وهدى للتليس ،

ويعود ابن العربي الى الحد الخامس حيث تقرب نهاية المطاف وتهدأ سورة
الاضطراب ، ويلوح الهدوء لقلب العارف ، يقول : « وفي الحد الخامس يشعر
كأنه ابل من مرض عضال ، فينتقل من الاضطراب الى الهدوء ، ومن القلق الى
السكينة ، والاشعة التي اقلقت سكينة نفسه ، اصبحت مألوفة كأنها طبيعة جديدة
لذيذة ، والالسنه النارية تلاشى فيها قوة الاحراق ، فتصبح نوراً والبروق التي
اومضت قبل قليل فاقلقت نفسه ، اصبحت لثة مألوفة ، فيغيب العارف في هذه
الاحظات في فيض من نور ، وقد غشيه نعمة القدر ، يغذيه خبر الملائكة ،
وترضعه العناية من ثديها كالطفل وان كان شبحاً ، فاذا فاه انقلبت بهجته
حزناً واسى ،

وبهذا المعنى قال ابن سينا : « ثم انه لتبلغ به الرياضة مبلغاً ينقلب له
وقته سكينة فيصير المخطوف مالوفاً ، والوميض شهاباً ينياً ، فاذا انقلب عنها
انقلب حيران اسفاً ،

وفي الحد السادس ، يوشك ان يلحق النهاية بيديه ، فيستحيل العارف الى
كائن جديد ، يقول الفيلسوف : « وفي الحد السادس يوشك ان يبلغ نهاية الشوط
تستحيل صفحة النفس مرآة مجلوة صقيلة ، ترسم عليها صورة ربه ، فاذا بلغت
النفس هذا الحد ، تستمرى اشعتها الساطعة ، وتعاين لثلاء سيناء مشرقاً عليها ،
هنا يغشى العارف متبهجاً فقد اصبح سعيداً . وقد اعتبر ابن سينا هذا الحد

(نيلا) ، قال : و فاذا عبر الرياضة الى النيل صار سره مرآة مجلوة ، محاذياً بها شطر الحق ، و يرب عليه اللذات العلى ، و فرح بنفسه لما بها من اثر الحق ، و كان له نظر الى الحق ، و نظر الى نفسه ، و كان بعد متردداً ،

ان حالة التردد هذه عند ابن سينا ، في غمرة هذه الدرجة ، من الحد السادس ، هي حالة خطر مستطير عن حد تغير ابن العربي يقول : و في الحد خطر مستطير ، و محاك لا يطاق ، فكثيرون سقطوا كالنوق من تلك التروات العاليات ، و من ينجو ما لم تعصمه النعمة ؛ فاذا ماران الكيان الضعيف جلال النور و بهاءه ، و سطوعه و اتقه الشرق ، طارت نفسه شعاعاً ، فاذا غرب التوجد و التسيح عن شفثيه هنا لحظة واحدة دبط الى اسفل الدرجات ، و اهم سبب للسقوط هو الغرور بما يناله العارف ، فلك النعمة ما لا قبل للتفوس الضعيفة من تحملها و الاحتفاظ بها ، يقول الفيلسوف : و ان كثيرين في هذه الحالة الشربة ركبهم الغرور ، و تملكهم العجب ، فسقطوا و كان سقوطهم عظيماً ،

و اذا نما العارف من اخطار الحد السادس ، انتهى كل شىء ، خطوة واحدة و اذا به في اندار الامينة ، يقول الفيلسوف : و يتعالى العارف الى الحد السابع ، الى ميناء الحياة ، الى الهدوء و الراحة و الامان ، هناك خاتمة الحدود ، و نهاية المطاف ، فيتوقف السير ، و لا سبيل بعد الا الى الاعتكاف العميق الخاشع في زاوية من زوايا الصومعة ، حيث تنقلب الصومعة الصغيرة المظلمة الى مشكاة النور و مصدر الضياء ، و لا قدم تقدم بعد ، هذا شبراً واحداً ، هنا لا يعود العارف يرى حتى ذاته ، و عينان لا تبصران الا مصدر النور الاحد ، الا بهاء ربه الساطع فيه ، و بالروح يتلقى اشعة الروح . . . هناك تعاقب النفس ريباً ، حدود لا يحصى لها عدد ، الستة الاولى منها ، كانت منطلقاً للحركة و السير ، و السابع ، هو حد الوصال ، و ليس لواصلين ضرب واحد ، و لا للعارفين درجة واحدة ، فقد علمنا الرب (ان في بيت ابى منازل كثيرة)

هنا لا يمكن وصف حالات العارفين ، ولما خصهم به ربهم ، من النعم
الغزيرة ، واللغة البشرية اضعف من ان تترجم ولو جزءا صغيرا من ذلك ، وكل
ما امكنا قوله هو (ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يحظر على قلب بشر)
ويسمى ابن سينا هذا الحد (الوصول) ويصفه بالكلمات التالية : « انه
ليغيب (العارف) عن نفسه ، فيلحظ جناب القدس فقط ، وان لحظ نفسه ،
فمن حيث هي لاحظة ، لا من حيث يزيتها ، وهناك يحق الوصول . »

ان كل ما ورد في هذه الفقرات الاخيرة مستمد اصله مما وجدناه في
تعاليم الشيخ الفيلسوف مؤلف الأثر المنحول ايرثاوس ، فالحدود الخمسة الاولى ،
وهي الخطوات التي يتخذها العقل في تصاعدة الى المأ الاعلى قد وجدناها واضحة
في شروع العقل بتصعاده الى الخير الاسمي ، وتفجر الحب في اعماقه ، للاتحاد
بالكائن الازلي ، واشراق النور عليه من لدن العزة الالهية ، هذه كلها اتخذها
الفلاسفة مائة أولى لتنظيم هذه الحدود التي يتوقمها العقل حدا بعد حد حتى
نهايتها (اقصان ١ و ٢)

اما الحد السادس ، وهو جد التردد او منطقة الخطر ؛ فقرأ اكثر وضوحا
عما مر بنا ، فقد سمعنا الفيلسوف صاحب اثر ايرثاوس : « واذا تصاعد العقل
الى ذروة التشبه بالله ونال درجة الكمال ، ولم يحتفظ ، يبقظته الكبرى ؛ فانه لم
يزل في خطر مستطير ، ، ويمضي الشيخ بتعداد اسباب هذا الخطر ونتائجها
(الفصل ٢)

ويقول في محل اخر : « اني رأيت عقولا كثيرة صعدت حتى ذروة الصليب
(صليب المجد) الا انها سقطت ، لان ثيابها كانت لم تزل قدرة (الفصل ٤)
وهكذا في غمرة الوحي ، وفي حالة الوجد المقدس والعقل في اعلى الذروات من
القداسة ، وقبل الاتحاد المطلق بالازلي الاحد ، تعرض لبعض العقول خاطرة

دنيوية ، فتسلبها كل ما نالته بعد جهاد شاق وتعب لا يوصف ، وتهدم كل ما شيدته في سنوات عديدة ، تهدمه في لحظة واحدة ، فتسقط تلك العقول الى احط الدرجات ، وكان اعمالها الفاضلة لم تكن ، الى ان يقول الشيخ : « اني رايت اناسا كثيرين سقطوا بفتنة ، لانهم كشفوا الاسرار الالهية ، وشاهدت مع ربنا الشيطان ومن شابهه يسقطون كالبرق من السماء (الفصل ١١) وفي تعليم فلاسفتنا « وخاصة ابن العبري ، (الحد السابع) اوحى الوصول ، بحسب تعبير ابن سينا ، وهو الحد الذي يتعالى فيه العارف الى ميناء الحياة ، الى الهدوء والراحة والامان ، حيث يتوقف السير ولا يسيل بيد الا الى الاعتكاف العميق الخاشع في زاوية من زوايا الصومعة ، حيث تنقلب الصومعة الصغيرة المظلمة الى مشكاة النور ومصدر الضياء .

وقهدا المعني نفسه نسمع الشيخ الفيلسوف (مؤلف ايرناوس) يقول لتلميذه « اما انت يا بني ، فأدخل مخدعك واغلق بابك لا تسبح بكلماتي هذه امام العقول غير الطاهرة . . . لان الانسان الذي لاتعي نفسه معاني الروح يزدريها . » (الفصل ٥)

وبشأن الواصلين الذين ذكر العلامة ابن العبري انهم ليسوا ضربا واحدا ، والكاملين الذين يتنازع بعضهم عن بعض موردا قول الرب (في بيت ابي منازل كثيرة) يقول الشيخ الفيلسوف : « ان جواهر العقول تتنازع بعضها عن بعض سما وكالاً ، وطبقا لسما جوهرها يكون تأتمها كثيراً او قليلاً ، بالنسبة الى ما يجاورها من العقول . » (الفصل ٨)

وفي حالات العارفين وما خصهم به ربهم من النعم الزيرة التي لا ينطق بها على حد تعبير ابن العبري ، يقول الشيخ : « فأية تماجد تليق الآن بخادعنا ؟ لمن الطبيعة ام مما يفوق الطبيعة ؟ اما انا فأقول ، ان ما يفوق كل نطق وتفكير ، يجب ان يؤدي بدون نطق او تفكير ، الى ان يقول : « لا

لا . لقد عرف الامر ، هنا الصمت المطلق ، هنا الأرتاج العميق ، امام الاسرار السامية ، التي تتلانى تجاهها الحواس وتزول الاشكال ، الصمت العميق في لحظات الوحي التي هي الكمال الابدي ، امام الخير الأزلي المطلق ، (الفصل ١٠) .
والعارف اوصاف عجيبة بعد وصوله الى درجة الاتحاد ، قال ابن سينا : « العارف هس بش بسام ، يبجل الصغير من توضع ويبجل الكبير ، وينسط مع الخامل مثلما ينسط مع النبيه ، وكيف لا يرش ، وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء ، فانه يرى فيه الحق ؛ وكيف لا يستوي والجميع عنده سواسية ؛ اهل الرحمة قد شغلوا بالباطل ، الى ان يقول « العارف له احوال لا يحتمل فيها الهمس من الخفيف ، فضلاً عن ما تر الشواغل الخالجة . »
والعارف (عند ابن العربي) يتهج فرحان بالحق ، وديع هادي متواضع ، يبجل الصغير كما يبجل الكبير ويتساوى لديه كل الناس ، وله لحظات عجيبة إذ استغرق بوصال ربه ، يقلقه ويشقيه حتى همس الخفيف ، كما تعلق الحافظه من النظر الى الحياة الدنيا ، يمانق ربه عنق طويل لا يند ، فينظر الى هذه الدنيا بين الازدراء . »

ان اوصاف الكاملين لدى الشيخ الفياض مؤلف اثر ايرناوس ، عجيبة حقاً وعنها قد اخذ الفلاسفة الاوصاف التي مررنا الآن على بعضها ، فعنده ، ان العقل (وهو يمثل العارف) بعد اتصاره في جميع المعارك الروحية ، يأخذ في الأرتفاع والتسامي متنقلاً من هذه الدنيا الفانية الى الدنيا الجديدة البقية ، ويتقل من حالة الى حالة ومن قوة الى قوة ، حتى يبلغ الذروة العليا حيث قدس الاقداس الاسمي مستعداً للدخول ، وهنا برهة عجيبة عذبة لا تستطيع اللسنة البشرية الاحاطة بها (الفصل ١٧) وبعد انتظار مؤلم امام باب قدس الاقداس لحظات ، يحسبها العقل اعواماً واجيالاً يتخذ من قداسه اجنحة نورانية قوية يباع بها الى اعلى طبقات التصامد والمفارقة ، فيدخل خالداً في قدس الأقداس الاسمي (الفصل ١٨)
إلا ان مثل هذه الحال المعجبة نادرة الحصول ، قال ابن سينا :

« جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد ، او يطلع عليه الا واحد بعد واحد (١) ، فمن سمعه فاشمأز منه فليتهم نفة ، لعلها لا تناسبه ، وكل ميسر لما خلق » .

ويقول ابن العربي في هذا المصنف : « والذين يلغون هذه الحالة قليلون ، بل هم اقل من القليل ، ولا يحدث ذلك الا نادراً ، في كل عدة اجيال ، ويعود الى نفسه فيقول : « اما انا فقد امضيت معظم ايامي متغرباً ، برأً وبحراً ، وقد قاربت الخمسين من عمري ، ولم الق من اصحاب ذلك العرقان ، او قدم لي زهرة من تلك الجنان » (٢)

وانفلسوفنا رائعة اخرى في موضوع التصوف ، هي قصيدته الفريدة (الحب الالهي) اتخذ فيها الخمرة مادة رمزية لهذا الحب ، وراح ينتقي لها الاوصاف الشعرية المتكررة ، فاق فيها كل ماورد في هذا المعنى ، وفي مطلعها يستمقي (جيله) منها ، فقد دنا الصباح (صباح البهجة ونهاية الجهاد واقضاء ايل العذاب والالام) التي يقاسيها العارف قبل بلوغه هذا الاوج من التصاعد الروحي . يقول :

« قم فاسقني ايها الجميل فقد دنا الصباح ، رشفة خمر من تلك الحرة الشبيخة العذراء ، انها تبدد غيوم الكروب ، وتوشح ظلام ليل الآلام نوراً ، وقد تصور هنا ليالي الجهد الروحي حيث يستغرق العارف صياماً وقياماً ، في الصومعة متطلماً بفارغ الصبر الى هذا الصباح الجميل الذي تنتهي فيه آلامه ويصل جهاده الى هدفه النشود ، وهنا اشارة الى حاته الروحية اذا شرب ولو رشفة واحده من جب ربه تولد فيه ذلك الشعور العذب بانقضاء نيله وانبلاج صباحه .

(١) كل ما ورد من اقوال ابن سينا ، اخذت من كتابه . الاشارات والتحييات .

ذبيعة الاب ب . ج فوزجيت - نيدن ١٨٩٢ من ص ٩٤ - ١٢٤

(٢) ديوان ابن العربي . القدس ص ١٢٨ - ١٥٤

فمن اين هذه الخمرة ومتى انسكبت في كؤوس الحياة يقول الشاعر : « انها لا قدم كثيراً من قدم الزمان ، وهي كائنة قبل ان يكون صبح او مساء ، لا يطلها عقل ولا فكر ، ويعجز عن وصفها لسان البلغ ، ومن حول ذلك اعياء الكلام ،

اين كانت هذه الخمرة ، وبما سكبت ؟ واي كرم حواها او أي عنقود قواها ؟؟ يقول الشاعر : « لم تسكب في دن هذه الغبراء ، والفخار غريبان عنها ، ليست من الكرم ، ولم تحسب يد الكرام ، وليس عنقود العنب ابها وليست بنته ،

اذن ماذا ؟ هل يتوق انس الى شربها وهل يفرق الناس في شربها كما يفرقون في شرب خمور هذه الحياة ؟ ومن في هذا العالم يستهين بقيمة الحب الالهي ؟ يقول : « ليس عجباً ان ينكر الجاهل نكبتها ، لانه لم يذقها ، فالجهال اذن ، ينكرون قوتها ، والحكماء وخذهم يقبلون عليها ، وقد عبر عن فعلها فيهم قال :

« منها شرب موسى في جبل سيناء ، فسطع حياء اكثر من الشمس والقمر ، وهي جعلت الحديد ان يطوف بقرب الشاطئ ، وغطس الخشب في الاعماق ، «ومنها سقى ابن النجار يوماً ندمانه ، فشربوا وشموا واعلنوها حرباً على الشر ، واذا فارقت يوماً احد المدمتين عليها فانه يفقد كل شيء في حياته ، يقول : فارقت يوماً قلب كيفاً (بطرس) لحظة واحدة ، فشرع يفرق كالجمود في لحجج البحر الهائجة ،

وما لوت هذه الخمرة ؟ يقول الشاعر : « صاقية شفاقة ، بل هي لرق من الهواء والنار ، واذا سكبت لآلهجها الباصرة ، اما مفعولها في شاربها فانه يتوشح حلة المجد الخالد ، ويبرع جمالاً وجلالاً ، وينال قوة ومنعة واملا باسماً ، ويتسامى فوق الشكوك والتريب ، ويرى الحق واضحاً متلاًثماً ، ويناجيه وجباً لوجهه ويتعالى الى قدس الاقداس الرفيع ، ويصير ما وراء الحجاب ، ويسمع آيات الله اليبينات ،

واذا شرب منها فتى من النساء ، يثمل ويزدرمي السهام ، يتسامى عين المادة ، ولا يباذن الجسد ، ويعلم حرباً غواناً ضد اهوائه وشهواته اما الجسد

فانه يشربها ، يتخذ له اجنحة فيطير وينجو من بؤرة هذا العالم ، تخمد قسواء المنحرفة ، وتموت ، وينتصر على نزواته كلها ، ويخضع شروعه احده وحققه والبنضاء ويخضعها لقواه العاقلة ، وتتسامى نفسه العاقلة فوق الحس وتخييل . وتذرى اواخرها في الرياح العاصفة .

ان لهذه الحجرة قوة عظيمة ، فهي « لاتزول بل تصونها العناية للخلود ، تنجلي فيها الأسرار الخفية ، وإذا العين تطلعت عليها يوماً بهرنا منها السطوع واعياها ، وإذا اصاب منها البليد رشفة ارتقم الى مصاف الحكماء .

إذن ما هي هذه الحجرة ؟ يقول : « ليست مادة ؛ فلا حاجة بها للمكان وليست عرضاً ، فلا حاجة بها الى جوهر لتقوم فيه ، ان كيانها لكامل لا نقص فيه ، إنها كالملة الكاملة ، هي أزلية واقدم من هذه الحياة .

وان نبتت دواليها ، وان عصرت اعنابها ؟ « إن غصنها قد افرع قبل وجود الارض ؛ وجذعها تسامى قبل ان يخلق الباري الكروم ، هي كانت قبل ان تكون المعصرة ؛ تألق حبابها قبل ان يكون الضياء .

واية لذة يصيب شاربها ، وهل هناك لذة تدانها ؛ يقول : « اذا كان ذكرها كافياً ليهيج القلب الكئيب ، وعبيرها يحيل مرائر الحياة الى عذوبة وحلاوة فكيف تكون اللذة عظيمة في شربها ؟ فسأسمد الرجل الذي اصاب منها رشفة اما الذي يصيب منها : « تحيطه نعمة الباري احاطة السور الحصين ، فلا يداهمه السقم ، ومن غرس في قلبه غصنها فانه يورق مثل شجرة منروسة على مجاري المياه ؛ ويبلغ اليقظة الكبرى مثل مكان السماء ، وابن تشور فيه بمد خاطره رعناء .

والشاعر تذوق عذوبتها يوماً ، ولم يزل مثلاً (١) ، قال : « انا شربناها على

١ - الفكرة مستمدة من قول الشاعر (شربنا على ذكر الحبيب مدامة الخ)

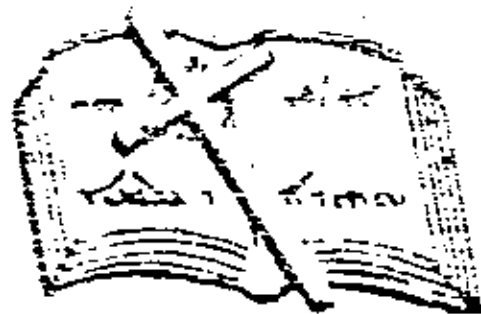
ذكر الحبيب الجميل ، وسكرنا فترنمنا على المرج الخضيل ، لم تكن كأسنا من
البلور ، بل كان كأساً لنا ، ولم تكن زجاجاً ليذيبها اللهب ،

هذا ما يمكن قوله في هذه الخريدة الرائعة ، وليست نهاية المطاف في موضوع
انثوف او الروحانية لدى شاعرنا ، ابن العبري ، بل هناك (ملحمة) الكبرى
(الحكمة الالهية) وهي أروع ما كتب في الشعر الصوفي في تاريخ آدابنا الشرقية
وكان قد عربناها شعراً ، ونشرناها في مجلتنا (لسان المشرق) الصادرة في الموصل ،
في عدد ممتاز سنة ١٩٥٠ ، واعادت نشرها مع نصها السرياني ادارة مدرسة الاحد
في القامشلي - سوريا ، في العام الماضي (١٩٦٥) وفي هذه الملحمة الرائعة يبرز
ابتكاراته الروحية الفلسفية الخاصة ، في هذا الموضوع الجليل ، ومن رغب في
تتبع فيلسوفنا في هذا المضمار ، فليعد الى تلك الملحمة الخالدة .

٧ - تأثير ايرثاوس في "الصوفية الشرقية"

لم يذكر احد من مؤرخي الآداب السريانية او العربية ان الاثر المنحول
ايرثاوس ترجم الى العربية ومع ذلك نجد اسلوبه الصوفي وافكاره الروحية تتخذ
ضربها الى الكاتب الشرقي السرياني والعربي على السواء ، فيتأثر بها الفلاسفة في
مضمار الصوفية ، دون الاشارة الصريحة الى مصدر هذه الافكار لا من قريب ولا
من بعيد ، على انا متأكدون ان هذه الافكار انتشرت في الشرق انتشاراً واسعاً
بدليل وجود عناصرها بعينها لدى جميع الفلاسفة الشرقيين الذين طاب لهم اتخاذ
التفكير الروحي صفة بارزة لنسقتهم ، فتي فاسفة ابن سينا ، وفي اختبارات الغزالي
الصوفية تجد عناصر الاثر المنحول ايرثاوس ، تنبض بالقوة والحياة ، متخذة لها
لدى هذين اذنيلسوفين وغيرهما من الفلاسفة الشرقيين طرقاً جديدة واساليب جديدة
طبقاً لما كانت تقتضيه ظروفهم البدئية وعقيدتهم الروحية ، الا انهم لم يأتوا بجديد
في هذا المضمار مطلقاً ، كما ان الفلاسفة السريان في القرن الثالث عشر امثال
الطار برك ابن المعدي « ١٢٦٣ م » والمفريز بن العبري « ١٢٨٦ م » نهجوا النهج ذاته ،

متخذين هذه المبادئ مجالاً لتفكيرهم وأساساً لتعاليمهم ، ونحن اذا وجدنا عناصر التفكير الروحي الصوفي الذي ابرزه الفيلسوفان ابن سينا والغزالي في تعاليم الفيلسوفين ابن المعدني وابن البري ، انما يعود ذلك لا الى هذين الفيلسوفين وحدهما بل يتحدر الى اعتمق من ذلك بكثير ، الى الازاء التي وجدناها متجلية في الاثر الصوفي المنحول ايرثاوس ، فيكون هذا الاثر والحالة هذه المنطلق الاول للفلسفة الصوفية في الشرق ، والاساس الوحيد الذي عليه اقام فلاسفتنا صروح فلسفتهم الروحية . ان المتبع الذي يمر بمبادئ الفلسفة الصوفية الواضحة في هذا الاثر ، اذا طبق هذه المبادئ على ما جاء به الفلاسفة الشرقيون خطوة بخطوة ، يجد تناغماً كاملاً واتفاقاً صريحاً الامر الذي يؤيد ان هؤلاء الفلاسفة انما اعتمدوا على تلك المبادئ وربما طوروا اشعبير فيها ، دون ان يطوروا الفكرة الاساسية ، ولانجد مجالاً في مقدمتنا هذه لايراد عرض كامل لما نحن بصدده ، الا ان النقاط التي سجلناها عند بحثنا بمبادئ هذا الاثر تؤيد نظريتنا هذه ابلغ التأييد ، واذا اشرنا الى اتفاق اثنين من فلاسفتنا السريان والمبادئ الصوفية التي سجلها فلاسفتنا العرب . وخاصة ابن سينا والغزالي ، انما نفعل ذلك اعتماداً على ما تأكد من أن اولئك الفلاسفة اعتمدوا في بحوثهم الفلسفية هذه ، على المبادئ الاساسية التي انتشرت في الشرق ابان القرن التاسع الميلادي ، سواء من هذا الاثر او من غيره مما ترجم الى العربية عن طريق السريانية ، مع الاقرار بان هذا الاثر المنحول ايرثاوس هو في النسبة بالنسبة الى امداد فلسفتنا الروحية بالمبادئ الصوفية الصرفة ، الامر الذي يؤكد ان الاداب السريانية كانت ذات تأثير عظيم بارز في سائر ادابنا الشرقية .



مقدمة المؤلف

إن المعرفة التي تقع تحت ادراكنا ، يمكننا ، اما معرفتها فقط ، كأدراكنا ان الله واحد ، وان العالم حادث ، واما بالاضافة الى مجرد معرفتها معرفة مفاعيلها ايضاً ، كأدراكنا ، اذا شغ الجسد ضاءت النفس ، واذا بطر اظلمت .

والمعرفة الاولى تدعى نظرية ، والثانية تدعى تجريبية او عملية .

والمعرفة الاولى تتوخى الفصل بين الحق والباطل ، والثانية تستهدف التمييز بين الخير والشر .

وهدفنا هنا ، هو الناحية العملية من المعرفة ، وهذه اما جسدية ، واما نفسية ، والمعرفة الجسدية هدفها ترويض الجسد ، وتمرينه ، والبحث في الاسباب الضرورية لتقويمه ، والمعرفة النفسية ، هدفها تنقية النفس من الميول المنحرفة ، والاهواء الشاذة ، وتجميلها بأنواع الفضائل .

وبناء على ذلك كله ، من العدل ان يكسر كتابنا (الايشيقون) هذا ، الى اربع مقالات :

المقالة الاولى - ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه -

المقالة الثانية - تقويم الجسد وترتيب اعماله

المقالة الثالثة - تنقية النفس من الميول الشاذة

المقالة الرابعة - تجميل النفس بأنواع الفضائل

الفتاوى الاولى

ترويض الجسد وتنظيم حركات تربيته
وفيه تسعة ابواب

الباب الاول

الصلاة

وفيه تسعة فصول

الفصل الاول

اقوال الارباء في فضيلة الصلاة

يروى ان الاب سومايس ، لدي قيامه بالصلاة ، كان يخطف عقله الى اللام
الاعلى ، لو لم يكن يخفض يديه ، وكان اذا فاجأ احد الاخوة - وهو يصلي -
يخفضها لثلا يخطف عقله ويكفر.

قال احد الشيوخ : اني لا اشعر بمجهود في الصلاة ، فليست الصلاة تابعة عن
لرادتي ، بل اصيخ الى الروح ينطق في ، وهذا هو معنى قول الكتاب
(الروح يصاتي من اجلنا) .

كان الاب ثودور يقول : لو حاسبنا الله على توانينا في الصلاة ، وتشوشنا
في العبادة ، لما استطعنا الثبات .

وقال الاب اوغريس : ليست لدينا اولامر مشددة بمواصلة الكدح والدأب
في العمل والقيام ، والصيام ، بل لدينا شرعة تدفع عقلنا للاستمرار بالصلاة
مقاومة للعدو .

وقال مار اسحق : ان كل صلاة وعبادة وفضيلة يقوم بها البشر في هذا العالم ،
إما ابتغاء الخيرات الزمنية هنا ، او خوفاً من العقاب في جهنم ، او طلباً للتعميم
المعد للصالحين في العالم الآتي ، أما الساك الحقيقيون ، فانهم يفعلون ذلك للتحرور
من الأهواء والتوصل الى نعمة التبرير والتقديس بكامة الله ، ونوال موهبة الروح
بتفهم .

الفصل الثاني

جمع العقل ابان الصلوة

إذا كانت الصلاة مناجاة الله ، على حد تعبير الآباء ، فنها تتطلب استقامة العقل ،
وقدرته على التزوع الى ربه بدون انحراف ، فيعاجيه بدون وسيط ، وإذا كان موسى
(على حد تعبير الأب اوغريس) مُمنع من الاقتراب من العوسجة الارضية ،
حتى خلع نعليه من رجليه ، فكيف تريد انت مناجاة من هو اسمى عن كل حوس
وشعور ما لم تخلع عنك كل فكرة مظلمة ؟ .. إلا ان جمع العقل من الشرود
ليس بالأمر الهين ، او ما يأتي صدفة ، بل جهداً شاقاً وعملاً روحياً متواصلاً ،
وتمرداً على المادة (على حد تعبير الأب اوغريس) لا يستطيع الانسان تعلم
حرفة إلا بمرور الزمن على مزاوتها ، هكذا لا يستطيع الانسان اتقان الصلاة ،
ما لم يستمر متعلقاً بالله بقلب خاشع . وقال الأب مقاريس ؛ ان لم تستقم لك
الصلاة بانروح فواظب على الصلاة بالجسد وعندئذ تمنح لك الصلاة بالروح . ومن
الاختبار عرف المواظبون ان في البداية وان كان جمع العقل صعباً ، ولكن
مع الاستمرار والترويض التام يجمع العقل بسهولة ويحصر في خزانة القلب ،
وخاصة إذا استطاع تذوق عذوبة الصلاة ولو قليلاً ، وحينئذ يتسامى عن كل ما
الارض والسوء ويتعلق بربه ويفرق في مناجاته ، كما حدثنا شيخ من الكاملين
قال : كلما وقفت للصلاة لا اقطع الا مرحلة واحدة حتى يكفر عقلي
ويخطف الى الله ، فأستمر على هذه الحالة ثلاثة ايام دون ان اشعر باعياء .

الفصل الثالث

شُرود الرفض وسفاهه

لشُرود الافكار نوعان من الاسباب ، الاول خارجي والثاني باطني .
الاسباب الخارجية هي الاصوات التي تطرق سمع البتديء ، والمناظر
التي تمر امام بصره ، فان هذه تخطف الافكار خطفاً ، وهذه الافكار
تخطف غيرها ، وهكذا يحدث الشُرود ، لذلك يجب على البتديء ان يكبح جماح
حواسه ؛ وخاصة اذا كان يصلي مع الجماعة ، او في هيكل مكتظ بالصور
والاحسن ان يصلي اما في زاوية مظلمة او الى جانب جدار ، فحتى (العارفون) (*)
يصلون في كوخ مظلم ضيق في بادئ الامر ، وهكذا بالترويض والخبرة الطويلة
يرتفعون الى الدرجة التي تمكنهم من الصلاة مع الجماعة ، فلا يشعرون
حينئذ من هو عن يمينهم او عن شمالهم ، وكثيرون من الفضلاء لا يحصرون
افكارهم ابان الصلاة فحسب بل في جميع اعمالهم .

قيل ان الأخ زكريا كان ساكناً في جبل سيناء فقال له الأب ميلونا :
افتح الماء ودعه يجري واسق الجنينة ، فخرج حالاً ، وغطى وجهه بقبعته ، وكان
ينظر فقط الى قدميه ، فرآه احد الأخوة عن بعد ، وتقدم منه وسأله : لماذا
غطيت وجهك بقبعتك وسقيت الجنينة ؟ قال : اني عمات ذلك ، يا اخي ، لئلا
تنظر عيناى الاشجار فيتشر تفكيري في عمله وينيب بين الاشجار ، وهذه هي
الاسباب الخارجية .

اما الاسباب الباطنية فثمة اكثر عنفاً واعظم تأثيراً ، فمن الذي يشرد
فكره في وديان العالم ووهاده ، لا يمكنه حصرها في موضوع معين بل تبقى
شاردة هنا وهناك ، فلا يفيد شيئاً باغماض حواسه ، ومثل هذا يجب عليه
التغلب على افكاره كرهاً وعنوة فيجتنبها لتفهم كلمات الصلاة ، ويسبق

فيخلى قلبه من كل فكرة دنيوية ، وان عجز فلا ينجو ، الا باستعمال دواء اكثر عنفاً واشد قوة ، كالزهد الحقيقي ، وقد شبه الحكماء الافكار بالذباب والاهواء بالاقذار ، ومن البديهي ان الذباب يحجم على الاقذار ، وكلما طردته عاد ايضاً ، حتى وان ضايقته كثيراً فذلك لا يثنيه . ومثله الافكار المتعلقة بالاهواء الدنيوية والشغوفة بها ، وخلاصة القول ، ان إرادتي النفس والجسد تشبهان الماء اذا سكب في قارورة مليئة بالزيت ، ومن البديهي ان القارورة تقذف من الزيت بقدر ما يأتها من الماء اذ لا يمكن ان يختلطا او يتترجا فيها سوية ، . وبما ان الزهد - وهو الدواء الثاني لهذا الداء - مره مذاقه ، وعنيف ينفر منه الطبع البشري ، وهذا هو السبب في تفشي هذا الداء في عامة الناس وتعذر شفاؤه ، حتى انه ليس فقط المدعوون بل المختارون ايضاً يقاسون اعظم جهاد الصلاة ، وهم بالكاد يقوون على تأدية صلاة طاهرة قصيرة جداً ، ومقتضية ، . فاذا كان المختارون هذه حالهم فكيف بالآخرى نحن الضعفاء ؟ ان ذلك صعب حقاً علينا وعلى امثالنا ، فيكفينا فقط ان نركع ركعة واحدة وفكرنا تقي وعقلنا مستقر في اعماق قلوبنا . ، وعليه ينصحنا الابهاء بقولهم : لا يجب ان نصلي حتى نجمع افكارنا من الشرود ، والا لاشبهنا الذين يطالبون الكمال قبل العمل ، غير اننا لا يجب ان نهمل الصلاة رغماً عن كل ذلك ، فاذا كانت افكارنا مشردة او اصابتنا المصائب والمحن والامراض ، فيجب ان تقدمها جميعاً لله في الصلاة ، ليلغنا بعمته ميناء الحياة .

الفصل الرابع

الاعمال التي بها تكتمل الصلاة

ان الاعمال التي بها تكتمل الصلاة هي :

الاول - والاعظم اهمية - تقاء الافكار ، وقال فيها مار اسحق : ان

الصلاة الطاهرة ، الكاملة ليست فقط الصلاة التي تؤدي بعقل صاف ، بل هي التي تؤدي وليس العقل فقط بعيداً عن تذكر الابطال ، بل لإحلال الابطال في

ذلك العقل ليتشوش بها . وقال ايضاً : ان الذكريات النافعة الصادرة عن الكتب المقدسة الروحية والمعاني الدالة على مجسد الله وعظمته والتي قد تجول في خواطرنا اثناء الصلاة ، لا يجب ان نحسبها معيقة لنقاء الصلاة لو معطلة لها او عائقاً لجمع الافكار .

الثاني — تفهم الجمل التي تلفظ في الصلاة ، من لا يعرف ماذا يقول فخير له ان يصمت .

الثالث — شعور النفس بعظمة الرب ، وتعرف الحكمة سبب ذلك (الاول) ان يفكر الانسان بعظمة الله وهو مائل أمامه في الصلاة و (الثاني) ان يفهم ضعف طبيعة الانسان اللصبي ، وعندما كان احد الشيوخ الفضلاء يتأمل بهذين الامرين كان يقول امام الله في صلاته متسراً : كيف اتأملك يا ربي وانت تعلم اني بهيم ولا أعرف شيئاً ، فانت اتيت بي الى هذا الوجود فخلصني من اجل رحمتك ، اني عبد وابن آمة ، ورماد وتراب . وبهذين الامرين خلقت والدة الاله وتفسها تعظم الرب اقدير القدوس اسمه الذي نظر الى قواض آتته .

الرابع — انشروع الناجع عن المعرفة ، معرفة عظمة الله وجبروته ، وقد قال الاب اوغريس : ان الصلاة حقاً باطلة وبدون فائدة اذا ناجت الله بدون خشوع وورع وتقاء ويقظة ، وبسبب ذلك يوسوس لنا الابالسة ويحملون العقل ان يبقى حالياً ومعطلا عن فائدة الصلاة الى الرب .

الخامس — الخجل الذي يعترى الانسان بتذكر معاصيه وخطاياها ، وهكذا يدعوا خجلاً ويقول : اني اخطأت بالسوء وامامك ولا استحق ان ادعي لك ابنا الخ .

السادس — الرجاء ، وسبب معرفة عطف الله وشموله كل كائن ، واذا غاب الرجاء يولد في النفس فرحاً لا يوصف .

الفصل الخامس

الفرح الذي بطراً على الطالبين في الصلاة

يحدثنا العارفون عن الفرح الذي تثيره النعمة في القلب الطاهر إبان الصلاة وما يلزمه من الرؤى والمواهب العظيمة ، يقولون : ان الانسان لا يمكنه وصفه ، فتجد احياناً الفرح يتفجر من القلب بدون سبب واضح يثيره الروح ، فيرتقي ذلك الانسان مصعوقاً ، فاذا رأى العارف ذلك التامك الكامل او يسمع صوته يتخاله محسوساً ، و احياناً يرتقي التامك جائياً على ركبته اثناء الصلاة ، ويداه ممدوتان الى السماء وعيناه تتفرسان بالصلب وكل عواطفه متصلة بالله وهو يصلي ، فيشعر في تلك اللحظة ان لذة روحية لا توصف تتفجر في قلبه ، فترتمش جوارحه ، وتغمض عيناه ، ويلتصق وجهه بالارض ، وتزدحم افكاره ، ولا تستطيع ركبته الوقوف على الارض ، تجاه تيار النعمة التي غشت قلبه . . . تأمل ايها الانسان بما تقرأ يمكن ادراك هذه الحال بمجرد قراءة هذه الكلمات ؛ وهل بمجرد القراءة تصل حلاوة العسل الى فم القارئ ؛ فاذا لم تجاهد لن تجد ، وان لم تفرع بحرارة وتسهر امام الباب طويلاً لن تجاب ، وقد قال الشيخ للفاضل يوحنا ابو الدوالي : من رغب في تذوق عذوبة المسيح فليجهد نفسه بممارسة الصلاة ، فانها تقرب الى الله اكثر من جميع الاعمال ، ففيها يتحد العقل بالله ، ويصبح شبيهاً بخائقه ، ومقراً لمواهبه ، وينبوعاً لأسراره ، وبها (الصلاة) يفتح كنوز الله لانه يصح قهرمانه وموزع نفائسه ، وبها يستحق رؤية مجده ، والتغلغل في اشعة نور معرفته ، والخلود في سحائب الروح حيث يستولي عليه خشوع وسكون وفناء في اشعة النور المشرقة ، وهذه هي حياة الروحانيين ولذتهم .

الفصل السادس

كيفية الصلاة العامة

كثيرون من البسطاء سواء من الرهبان او من العلمانيين لا يميزون بين الصلاة العامة الضرورية لجميع المؤمنين وبين الصلاة الفرضية التي تؤدي بالتراتيل والترانيم والمزامير والالخان ، لذلك يهملون الصلاة الضرورية (العامة) كأنها امر تافه ، ويعرضون الصلاة الفرضية بحجة انها طويلة ومملة ، وهكذا يقضون معظم حياتهم بدون صلاة ، ويعبتون كالهائم التي لا تعرف الصلاة .

وبما ان هذه الصلاة ليست بهذه الصعوبة ولا حاجة ان تؤدي بتزويق الكلمات والتفنن بالالخان ، بل يمكن تأديتها ببساطة وسهولة ، ولا حاجة للجاهل الذي يهملها ، وتؤدي على النحو التالي :

يقف المصلي مكف اليدين متجهاً نحو المشرق ؛ جامعاً افكاره من المشاغل الدنيوية بقدر الامكان قائلاً : قدوس قدوس قدوس الرب القوي . ويحني رأسه وعنقه وظهره . ثم ينتصب ويرسم اشارة الصليب على وجهه ، اعتباراً من بين عينيه الى صدره ، ومن الكتف الايسر الى الكتف الايمن ، ويردف : السماء والارض مملوءتان من مجدك ، المجد في الاعالي ، ويرسم اشارة الصليب على وجهه قائلاً : مبارك الذي أتى ، والآتي باسم الرب ، المجد في الاعالي ، وينحني ثالثة ويرسم اشارة الصليب على وجهه قائلاً : قدوس انت يا الله الخ ، ويركع ثلاث مرات بحيث يصل رأسه الى الارض ، وكلما انتصب ويرسم اشارة الصليب على وجهه كالسابق مكرراً قوله : (قدوس انت يا الله الخ) ثم ينتصب مردفاً (يارب أرحمني ، يارب اشفق علي وأرحمني ، المجد لك يارب ، المجد لك يارب ، المجد لك يارب ، المجد لك يارب) وينحني انحناء واحدة بدون ركوع وعندما ينتصب يتلو الصلاة الربانية (ابانا الذي في السموات الخ) وعند نهايتها

ينحني ثانية طالباً الى الله حاجته شريطة ان تكون صالحة لينالها . وهكذا تتم الصلاة العامة للمؤمنين ، سواء اذا كانوا في البيت ام في الكنيسة او في الطريق او في رأس جبل أو في سفينة . وكل من كان صحيح الجسم ويمكنه تأديتها ولا يفعل يذن مع غير المؤمنين في يوم الدين ، ومن استطاع مضاعفة السجودات والانحناءات وفعل ، يضاعف له الله الثواب . ولما الكهنة فيجب ان يؤدوا الصلاة الفرضية ثم هذه الصلاة .

الفصل السابع

ليست الصلوة الطاهرة بكلمات مصفونة

ان الكلمات المصقولة ليست فقط غير مدوحة بل هي مردولة ومحققة ، وقد علمتنا كلمة الله ذلك بقولها (واذا صليت فلا تكثروا الكلام مثل الوثنيين فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم ، فلا تشبهوا بهم لان اباكم عالم بما يحتاجون اليه قبل ان تسألوه . مت ٦ : ٧ و ٨) ويقول الابهاء العارفون : ان الصلاة الطاهرة انما هي تسحة قلبية وتأمل بالله وانشغاف به ، والذين هذه صلاحهم هم الذين يسجدون لله بالروح والحق ، وايدم يحب الرب ، طبقاً لكلمة الحياة .

قال الفاضل اوغريس : اجتهد ان تجعل عقلك في الصلاة اصم لا ينطق ، وهكذا يمكنك ان تصلي . وقال مار انحق : الصلاة ليست فاسفة وتعابير بل هي قلب صاف ، وعقل مترن هادئ رائق متحرر من تأثيرات الحواس وحركاتها . وقال ايضاً : الصلاة الطاهرة هي صفاء العقل ، تقاء القلب ، هدوء الافكار ، خمود المشاعر ، صورة العالم الجديد ، تعزية مستترة بمناجاة الله ، والعقل المشترك مع الله مجتلي اسراره وقال الفاضل ياونتي رئيس الدير : لا تتفلسف بكلماتك في الصلاة ، فان غنة الاطفال المترججة البسيطة مرات كثيرة تسرت اباهم الذي في الساء وعليه فان الصلاة الحقة هي الصادرة بتعقل عن افكار طاهرة مقدسة ،

وقد حددها الطوبايوي بولس بقوله ؛ : (اني اصلي بقلبي واصل بضميري) ولذلك اذا رغب المصلي مضاعفة التقديسات الثلاثة يمكنه اضافة (يارب ارحمني) او ما يشابهها فانه يصلي بالروح والحق . واذا اختتم الصلاة يمكنه ايضاً التأمّل باقوال الاباء الملائفة وبعض الرجال الافاضل .

الفصل الثامن

اوقات الصلوة

في قوانين الرسل القديسين نجد مئة اوقات للصلوة ، فقد ورد في القانون المنسوب الى بولس قوله : اذ الصلاة صباحاً لان الله قد اثاره ، وفي الساعة الثالثة لان فيها حوكم الرب ، وفي السادسة لان فيها صلب ، وفي التاسعة لان الطبيعة فيها ارتجت كلها وترعزت ، وفي المساء من أجل راحة الليل ، وعند صباح الديك لانها الساعة التي ينتظر ان يأتي فيها الرب . والملائفة الثقات اضافوا عليها صلاة الستار (قبل النوم) لكي تكمل آية داود القائنة (سبع مرات سبحتك على احكامك العادلة) والنسك يضيفون صلاة ثمانية ، وقد دعوا صلاة الفجر ، وتؤدي في نهاية الساعة العاشرة من الليل (الفجر) .

ان ابناء العالم الذين تحول مهامهم دون تأدية الصلوات السبع في اوقاتها المينة ، يجب ان يؤدوا الصلاة ثلاث مرات فقط ، كما صرح ايضاً قلب الله داود (اما انا فادعو الله والله يخلصني ، مساءً وصباحاً وظهراً) وقد ذكر ان دانيال النبي كانت الكوة مفتوحة في حجرته نحو اورشليم وكان يركع على ركبته ويصلي ثلاث مرات في اليوم معترفاً لله ، وكان هذا ديدنه .

الفصل التاسع

الاحتفال بالقداس ليس من واجبات الناسك

لانجد وصية في كتب الآباء تلتزم المتوحدين الناسك بالاحتفال بالقداس ،
ولكننا نسمع انهم كانوا يتناولون الاسرار من قسيس الصوامع دون ان يصبح كل
متوحد قسيساً لنفسه ؛ ولم يكن يتناول الاسرار بذاته ، ولا تجسد في القوانين
الجمعية الزاماً على المتوحد بالاحتفال بالقداس ، بل بالعكس نجد منعه من ذلك ،
فقد قال المطران يعقوب الرهاوي في قوانينه : (لا يسوغ للناسك العموديين ان
يحتفلوا بالقداس على عواميدهم) وقال ايضاً (لا يسوغ للحبساء ان يقدسوا إلا
عند الضرورة) وعليه لا يسوغ ان يوضع لدى العمودي على عموده القربان الاقدس
اذا يوجد من يتناوله اياه ، وما يؤيد ذلك ان كلمات القداس نفسها لا تميز
الاحتفال بالقداس إلا في الكنيسة ، فيقول المقدس مثلاً (السلام لجميعكم) ، نعطي
السلام لبعضنا بعضاً) ، لك احني عبيدك اعناقهم) ، وامنوا بالسلام ،) وغير
ذلك ، مما لا يصح قوله إلا أمام الجماعة .

ان في زماننا كثيرين من المتوحدين يهملون الأعمال الواجبة لتسكهم ؛ فما بالهم يقحمون
نفوسهم بالقداس ؛ فان واجبه هو فقط العبادة الفردية من اجل نفوسهم وليس
من اجل العالم ولست اعلم سبباً لذلك غير فضول منحرف لادم وجود مرشد حازم
قولاً وفعلاً ، ولو كان التقديس دالاً على التوبة لما منعت القوانين الكنسية على الكهنة
ايام الصيام الأربعيني عدا السبت والآحاد ، وخلاصة القول ان القداس هو (فصح)
أو (وليمة فرح) والذين يفرحون ويتمجون هم وخدمهم (يفصحون) وليس ذلك
للأيلين والحزاني والنائين المتظرين ارض العباد أي ملكوت السماء ، والأصلح في
هذا الباب هو ان يتناول الرهبان الذين في الدير الأسرار من مذبح الدير ، واما
المتوحدون والحبساء فيجوز ان يخرجوا للتناول في الدير كل يوم احد ، وان لم يستطيعوا
الخروج فالقسيس القدس يقدم لهم كما صرح الرهاوي نفسه ، وبقية الآباء القديسين .

الباب الثاني

اعمال النك

وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

كلام الآباء في فضيلة الاعمال

قال الأب فننوطيس : كما ان الحكام يقتلون الأشرار ، كذلك الاعمال تقتل الشهوات المنحرفة ، وكما يهرب العبيد الأشرار من مواليمهم ، هكذا تهرب الشهوات من الجهد في العمل ، ومن الجهد تصدر الخيرات كما تصدر الشرور عن البطور .

سأل احد الاخوة الأب فومان قال : ماذا أفعل اثقل الكسل المستولي علي ؟ اجاب الشيخ : للسفن الصغيرة والكبيرة مجاديف ؛ فاذا لم تهب الريح المطلوبة لتسيير السفينة ، فان الملاحين يدفعونها بصدورهم ويوصلونها الى البر ، او يدعونها تسير بهدوء تدريجي حتى يقض الله لها الريح اللازمة لدفعها الى حيث يريدون .

وعندما شعر الأب انطونيوس بالسأم في البرية صلى الى الله وقال : يا ربني اريد ان احيا وافكاري تمنعني ، فماذا افعل في ضيقي ؟ وكيف انجو ؟ فقرأ له ملاك يشبهه وهو جالس ينسج حصيرة ، ووقف الملاك وصلى ، ثم جلس واستأنف العمل ؛ ثم قام وصلى ، وسمعه اخيراً يقول له : يا أنطونيوس افعل هكذا فتحيا .

قال احد الاخوة الأب ثيودور الفرسي : مرت علي ثماني سنوات في الزهد ولم اجد راحة واحدة ، اقتريد انت الراحة بثماني سنوات ؟

قال الأب ارسانيوس : اللبنة الرطبة اذا وضعت في اساس الى جانب نهر جارٍ ، فلن تقاوم ساعة واحدة ، فاذا احترقت اصبحت مثل الحجرة .

خرج احد الاخوة من ديره متزهداً ترويحاً عن النفس فلقبه شيخ وقال له : يا بني ، لا تطلب راحة في هذا العالم ، بل عد وجاهد لثلاث تغلب .

قال الاب ايسيدور : لما كنت صبياً لم يكن حد لاعمالي .

وقال الاب اوغريس : اذا كان الرسول بولس يقهر جسده ويذله ، فلا تهمل انت عملك ابداً .

وقال ايضاً : لا ينبغي ان نستسلم للراحة حتى تهبط علينا قوة من الاعالي ، فطهر قلوبنا ، على حد قول النبي : لا اعطي نوماً لعيني ولا وسناً لاجفاني حتى اجد مكاناً للرب ومسكناً لاله يعقوب .

وقال مار اسحق : ان بدء الاعمال جميعها - على حد قول الاباء - هو عمل التمرد على الجسد فانه يدفع بالانسان دائماً الى الامام ويجعله يستعذب مرارة التمرد فيمتنع ذاتياً عن شهوة الارادة .

وقال مار يوثيم رئيس الدير : انا بحاجة الى جهد عظيم ، نحن الذين نسعى للصعود الى السماء ، وخاصة عند بدء اعمال النسك .

الفصل الثاني

تنوع الاعمال

شبه العقلاء الانسان ، بتاجر سائر في طريق نوقالوا : ان مدى طريقه هو مدى حياته ، واسفاره اعوامه ، وابصاده شهوره ، وامياله ايامه ، وخطواته انفاسه ، واعماله رأس مال تجارته ، واتعابه لصوصه ، واستعباحه بنور وجهه خالقه رباه ، وجماعاً ان الحياة قصيرة والعمل طويل ، والطريق شاق ، يجب على المبتدئ ان يسير في طريق الملاكوت الضيق في اثر شيخ حكيم كالاعمى الذي يسير في طريق وعرة على ساحل بحر ، يهوي الى اعماق اللجج اذا لم يتبع اثار دليله ، وما اجل ما قيل : ان جميع الذين من مصر يتوقون الى الخروج منها والهرب من

فرعون ، ودم بحاجة الى (موسى) وسيطاً لدى الله ليهدى الى الاعمال الصالحة .
قال الاب اوشريس : ان عملك كناسك هو الا تتبع لاجزاً ولا ماء ولا
نوماً ، وتكون مستعداً ضد كل هوى بقوة وحكمة ، والنجوء الى الله وتتمر عن
القرارة والعبادة والصلاة ، وبإقامة كلمة الله وتذكره ، وحيث تكون في منجاة من
الاهواء ، وترى في صلاتك عقلاً يتلأ كالكواكب .

وقال الفاضل مار اسحق : ان التوحد يتحاشى مقابلة الناس بتمرد عفيف
ويستطيب الانفراد الدائم في الصومعة ، ويخضع انانيته فيحفظ قوانين الالباء وفرائض
الصومعة . وهي اوقات العبادة السبعة المحددة ، والتأمل المتعقل ، والمزيد بالروحيات ،
وحفظ القلب ، وسهر الليالي والحرص الشديد على قلبه اثناء سيره في الصومعة ،
ولا يستضيف الافكار المنحرفة ، والذكرات الباطلة ، ويمجاهد صوماً قواماً . ولا
يستين بالاعمال اليدوية التي تربطنا بالصومعة ، وتبعد عنا السأم والشواني وما اليها ،
وقد تمددنا عن الصلاة في الباب الماضي بقدر امكاننا ، وبقدر امكاننا ايضاً هنا
تحدث عن الاعمال .

الفصل الثالث

في الطلبة

مارس العارفون طلبات وابتهالات كثيرة فورد بعضها هنا كما يأتي :

(طلبة) لها الخالق للبدع ، سد قم المارد بقوتك العظيمة القاهرة ، لئلا ينامط
نفوس عبيدك اقراء عليك وعليهم ، وارفع عقولهم الى علياء معرفتك لئلا تهب
عليها رياح السموم (طلبة) لها الصالح الكريم ، يامن تغاضي بعطفك عن اثمنا ،
افهم قلوبنا وداعتك وهداك واضرمها بحب اكيد لا يخمده المارد الاثيم .

(طلبة) لها المسيح يا شعاع الاب ، يامن بك تستير عيون الحكماء فيصرون
فيك اباك ، اشرق نورك في عقول طالبيك ، فينظروا اسرارك الكامنة في اعماق

حكمتك ، بما لا يقع تحت التصور والتفكير - امين .

(طلبة) ياربنا يسوع المسيح ، يا من ارسلتكم رحمتك الى عالمنا ، لفداء جنسنا ،
اشرق نورك في قلوب طالبيك ليسيروا بهدى اشراقك فيبلغوا ميناء مجدك ، ويسعدوا
بجمالك ، مع خدامك الامناء ويستمدوا الحياة من اعماق ابيك الى اللانهاية ، امين .

(طلبة) الحمد لك ايها الكوكب الساطع اللائق ، يا من تشرق في القلب
النقي ، وتراءى في القلب الوضئ ، انز نفسي بانوارك ، واسبحن بحمد جلالك ،
واذيعن في الكون عجائب جمالك ، وقد ظننت اني وجدتك في اعماقي ، اجل
رايتك متجلياً كلك في كل افاقي ، انت كامل لاتجزأ ، وتام لاتقسم ، لانهاية
لك ، ولا تتقل من واحد الى آخر .

(طلبة) الحمد لك ايها المسيح ، يا بارع الجمال ، يا صورة الاب اللامتنقلة
الى صورة اخرى ، يا من تراءى للناظرين بحسب طباقتهم ، ولكنك لن تتبدل ،
ولن تتغير ، فانت لاتغير بتغير الافكار ، ومثل ابيك لاتبدل .

(طلبة) انت ايها المسيح ، يا جمال الآب ، يا من بك فتحت لنا اسرار ابيك ،
وكانت مكنونة فيك منذ الازل ، بك ندخل هيكل قلوبنا ، وبك نراك يا كنز
الحياة الخفي ، ومنك تناول بشوق يا شجرة الحياة ، يا من غرس نفسه بحبه في
فردوسنا الناطق ، فلتصلنا عذوبتك وليشغلنا جمال منظرِكَ عن رؤية شجرة معرفة
الخير والشر وعن معرفتها والتناول منها .

(طلبة) الحمد لحبك يا الهنا ، لحناذك السجود يارثيفاً بالعباد ، اتنا املقنا بما
لدينا ، فلتنالن الغنى من لذك ، الحمد للشعاع الذي اشرق منك فاحالنا نحن
المظلمين الى ساطعين . لك العظمة يا حياة تفجرت لنا من اعماقك ، يا من اجريت
فينا مياه الحياة ، وقد كنا ينابيع للردائل والموبقات ، فبعثت فينا امواتاً خفيت
في ذواتنا الخفية .

الفصل الرابع

قوانين الطلبة

يجب على من يمارس الطلبة ان يتقيد بعشرة قوانين :

الاول : ان يكثر الطلبة بلجاجة ، في الايام المقدسة المعروفة ، كالأصوام والاعياد الحافلة ، والآحاد ، وخاصة في الاوقات الرهية والليحظات المهيبة ابان ارتفاع الاسرار الالهية المحيية ، عندما تكون الجموع قد رفعت الايدي الى السماء طالبة الرحمة ، وعند بزوغ الشمس حيث تكون ابواب السماء مفتوحة والصلوات تسمع - على حد تعبير الكاملين -

الثاني : ان يقدم الطالبات التي تقيدنا في الحياة الباقية وليس في هذه الفنية ، طبقاً لقول الرب « تطلبون ولا تناون لانكم شرّاً تطلبون ،

الثالث : ان يتجه نحو المشرق ، في الصلاة ، باسماً يديه ، فلا يرفع عينيه الى السماء بل يخفضها الى الارض خجلاً متيباً .

الرابع : الا يرفع صوته في الدعاء لان ربه ليس بعيداً عنه . لكنه قريب يسمعه .

الخامس : الا يتخطر اخطاء اقرانه ، ولا يتفاخر بفضائله ، فيتشبه بالفريسي المتعجرف الذي صلى قائلاً « اني لست مثل بقية الناس انخطة الفجار ، اصوم يومين في الاسبوع ، واعثر كل اموالي .

السادس : الا يهتم بالكلام المصقول ولا يتكر من فكره كلمات الدعاء ، لانه كثيراً ما يطلب ما ليس له ، بل يردد الصلوات التي قالها الالباء ، وتكفيه الكلمة البسيطة « اللهم ارحمني انا الخاطيء » لان ربه يعرف ما يحتاجه ، وينجحه ما لا يخطر بباله ان يطلب . وعندني ، ان اي « عارف » لا يحتاج الى اكثر من هذه الصلاة « ربي .. اجعلني مستحقاً لسعاع ذلك الصوت القائل : تعال يا مبارك ابي رث الملكوت) والثائب يكفيه ان يقول « ارحمني يوم الدين يا يسوع المطوف ، رحمتك للص والفريسي والخطئة » .

السابع : ان يؤمن بنواك رغبته ، لأن ربه رب رحيم ومشتق ؛ ويجب من يدعو بقلب خاشع ، فقد قل (اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم) .

الثامن : ان يواظب على الدعاء ، فان ربه سيحييه ان لم يكن من اجل الصداقة فمن اجل الاجابة ، وينجحه كل ما هو يطلبه .

التاسع : ان يفتح دعاءه بتمجيد الله أولاً (الحمد للآب والابن والروح القدس) ثم يشرع في الصلاة .

العاشر : ان يسامح جميع الذين اخطأوا اليه ، ثم يطلب ان يغفر له ، كما بولنا الإنجيل بقوله (اذا غفرتكم للناس زلاتهم فأبوكم السموي يغفر لكم) وواضح ان هذا القانون الاخير هو مفتاح الصلوات ، والوسيط الفعال في الاستجابة .

الفصل الخامس

ذكر الله

اني ارجب ان يكون ذكر الله مؤلفاً من عشر جمل من تسبحتي اولاد حنيا الثلاثة ، الست الاولى من تسبحة (مبارك انت) والاربع الباقية من تسبحة (باركوا) فالاول (مبارك انت يا الله اله آبائنا) والثانية (مبارك اسم عظمتك القدوس) والثالثة (مبارك انت يا ملك الملوك ورب الارباب) والرابعة مبارك انت الجالس على الكرويم وتنظر اليجج) والخامسة مبارك انت يا من لك كل سلطان في الارض والسما) والسادسة (مبارك انت في قدس اقداس وقارك) وفي نهاية كل جملة من الجمل الست يجب ان يضيف قوله (جليل انت وعظيم الى الابد) والسابعة (باركي يا جميع اعمال الرب للرب) والثامنة (باركي ايها السماء ويا ملائكة الرب للرب) والتاسعة (باركي ايها الارض والجبال والاكام للرب) والعاشر (باركي ايها الشمس والقمر وكواكب الرقيع للرب) وفي نهاية كل جملة من هذه الجمل الاربع يردف قوله : سبحيه وعظييه الى الابد .

ويجب تكرار هذه الجمل العشر وتردادها طبقاً للمكان والزمان ، فالحد الأدنى لتردادها ثلاث مرات ، والحد الأوسط سبع ، والحد الأعلى سبعون مرة .
ان الامور المعطاة لذكر الله « وذكر الله متعة العقل وسعادته ، على حد قول الآباء هي : الاخذ والمطاء ، ولقاء الاصدقاء ، والانهك بالاعمال البشرية ، والغنى الذي يفوق الحاجة . والامور المشجعة له هي : التفرغ ، والزهد الكامل ، فيكفي للناسك ان يملك كوخاً وغطاءً وقميصاً وانجيلاً .

الفصل السادس

القراءة

يقول شيخ بلخ الكمال - في فضائل قراءة الكتب المقدسة وفوائدها الكثيرة -
لني رأيت مرة في احد لاديار اخاً يقرأ الكتاب المقدس ، فهاجم ابليس صومعته يريد الدخول ، ولكنه كان يجيب كل مرة يراه مستمراً في القراءة ، واردف قوله :
ولما انقطع الاخ عن القراءة تمكن ابليس من الدخول ، فلبست له قوة ان يقتحم الذين يناجون الله ، فقراءة الكتب المقدسة ترهب الابالسة فلا تدنو ممن يمارسها .

وقال مار اسحق : اكد للنفس ان قراءة الكتب المقدسة تظهر جلال طريق الحياة واخبار القديسين . وانت وان كنت لا تشعر باللذة الروحية في بادىء الامر ، وانت متأثر بظلمات الحياة المشوشة الناتجة عن الاغراق في الامور المنحرفة ، الا انك اذا نهضت للصلاة والعبادة ارتسمت في خاطرك الصور الكتابية عوضاً عن الامال الفانية ، وهكذا يتنقى العقل . ويفرض بعض المرشدين على المتوحد قراءة سبعة فصول يومياً من العهد الجديد ، فصلاً من الانجيل ، وفصلاً من اعمال الرسل وفصلاً من الرسائل الجامعة ، وفصلاً من رسائل بولس . ويشير غيرهم بقراءة سبعة فصول متوالية من العهد الجديد ، وينصح غيرهم بقراءة اكثر من ذلك او اقل ، لكل بحسب مقدرته .

ان الضعفاء يقرأون وهم جالسون ، والاقوياء يقرأون قياماً ، وغيرهم يقرأون وهم مستندون على عصيهم ، ومما كان الامر ، فان الكتاب يوضع امامهم على منصة ويجب على التوحد ان يقرأ ايضاً كتاب الفردوس (فردوس الرهبان) ومطالع المعرفة الروحية ، وانكتب التي تعلم طرق الزهادة ، ومن كان امياً فليستن عن القراءة متأملاً باعمال الله ، كما زوى الاب اوغريس عن الاب انطونيوس اذ قال له احد الفضلاء : كيف تبصر وانت محروم من قراءة الكتب وعزائها ؟ فاجاب الاب انطونيوس : ان كتي ايها الحكيم هي هذه الطبيعة القريية الي ، فكما رغبت بقراءة كتاب الله الكبير ، تأملت اعماله العجيبة ، فانها تحمل الانسان على الهذيد بعظمة الله ومخلوقاته .

الفصل السابع

في التأمل

ان العارفين يفهمون التأمل كموضوع ذي نوعين ، الأول : تأمل الانسان بآثامه ، واحصاء نقائصه ، والنظر الى زلاته ، وقد اتفق الابهاء ان فائدة هذا التأمل عظيمة ، قال احد الشيوخ : عالم يهدم الانسان كيانه ، لا يمكنه بناء نفسه ، وقال آخر : كلما تمكنت من ادراك نفسي باني اخطأت ، فان اعود الى الزلل ، وقال الاب انطونيوس : ان قوة الانسان العظمى هي ان يضع الانسان تبعية المعصية على نفسه امام الله ، وقال الاب فومان : ان رفعنا الشكوى ضد ذواتنا ، تحفظ فينا جميع الفضائل متناغمة ، وقد قال الرسول بولس : اذا نحن ددنا انفسنا فلن يديتنا احد ، وقال عظيم العارفين اعظم اوغريس : ان قاض العارفين ضميره ، فلا يمكنه اخفاء شيء عنه حتى خفايا قلبه .

والنوع الثاني : ان يتأمل الانسان تارة بفيض رحمة الله الغزيرة ، ونداه عليه ، وهكذا يتفجر الحمد من قلبه ، قال الفاضل مار اسحق : ان بدء اعمال الفكر هو التأمل

الدائم بمواعيد الله ، وبروعة مباحج العالم الجديد ، وهو حريص على اكتساب اغضائل مجاهدات في سبيل البر ، متصوراً كأن نفس الانسان خالدة في عالم روحي فسيح ، مناجياً ملائكة النور ، ونفوس الصالحين الكامنين ، فيزول عنه الضجر والحزن ، ويسوده الامان والسرور والعزاء ويبلغ الى التأمل باعمال الله الباهرة .

الفصل الثامن

تقسيم اوقات الصلوة

اذا كانت رؤية الله تنيل الحياة الحقة ، فعدم رؤيته تنتج الموت ، وعلى ذلك فان العارفين الحقيقيين لا يتفنون نفساً واحداً ، الا ما يقربهم الى الله ، فيسعون على الواح قلوبهم سبيل سلوكهم ، ويمنطقون احقاهم بالهمة العليا ، ويتعدون عن كل لحظة تجعلهم غرباء (عن الله) ويحرصون حرصاً شديداً على تأدية صلوات الليل والنهار الثاني ، ويقسمونها الى اربع نهاراً ، واربع ليلاً ، وينظرون لكل عمل متطلباته الخاصة .

فالعدان (١) الاول من النهار يبدأ بشروق الشمس ، الى الساعة الثالثة (٢) وفي مطلع هذا العدان تؤدي صلاة الصباح ، وفي نهايته صلاة الساعة الثالثة ، والوقت الذي بينهما يهتم بالبتدىء براحة القريب ، كزيارة المرضى ، وخدمة الضعفاء ، وتلبية حاجاتهم ، ومن لا يمكنه ذلك يستمر مصابياً متأملاً مواظباً على القراءة والدرس .

والعدان الثاني من النهار ، وهو في بدء الساعة الرابعة ، (صباحاً) حتى نهاية الساعة السادسة ، وفي هذه الفترة يمارس التساك الاعمال اليدوية طبقاً لحاجات النهار ، ويؤدون في نهايتها صلاة الساعة السادسة (ظهراً) وان لم توجد لديهم اعمال يدوية يمارسون الاعمال النفسية الاربعة المشار اليها انفاً ، واني انصح بالبتدىء

(١) العدان كلمة سريانية (حَبْلٌ) معناها الوقت .

(٢) اوقات الصلاة هنا هي بحسب الساعة الشرقية القديمة ، فتشرق الشمس في بدء الساعة الواحدة وتغيب في نهاية الثانية عشرة .

ان يتم بعد هذه الصلاة وذلك لسببين ، الاول : غفوة صغيرة في النهار تجلو ثقل نوم الليل ، وتعين على السير الذي به تضيء العين ، والثاني : لان في هذه الفترة ، يعلن شيطان الكسل الحرب على الناسك ، كما ذكر الشيوخ ابائنا ؛ حيث يظهر للناسك ان الشمس لا تتحرك في هذه الفترة ، او هي بالكاد تتحرك ، ويحمله على النظر من الكوى باستمرار ويضطره احياناً الى ان يخرج من صومته ويترصد السماء ، ويشير في نفسه الحقد على صومته ، وعلى الاعمال اليدوية ، مصوراً امام عينيه ، الحياة ممثلة ، واعمال الزهد قاسية ، ففي غفوة قصيرة ينجو الناسك من هذه الحرب .

المدان الثالث من النهار ، وهو في بدء الساعة السابعة ، حتى نهاية الساعة وفي هذه الفترة ينهمك الناسك بالأعمال الاربعة ، الدعاء ، والتأمل والقراءة والدرس وفي نهايتها يؤدون صلاة الساعة التاسعة . وفي هذه الفترة يفت الشيوخ النوم ويمنعون عنه الذين قاموا قبل الظهر .

المدان الرابع من النهار : وهو من بدء الساعة العاشرة حتى غروب الشمس ؛ وفي هذه الفترة ، اي قبل صلاة النوم ، يجب على الناسك ممارسة النوع الاول فقط من التأمل ، لان فترة من حياته تضيء ؛ ولذلك ليحاسب نفسه ، ليرى ماذا ربح او ماذا خسر ، وإذا كان رابحاً ، ليشكر الله ؛ الذي ساعده ، والا ليجتهد ان يعوض بربح الليل ما خسره في النهار ، وفي نهاية هذه الفترة تؤدي صلاة المساء .

المدان الاول من الليل : وهو من غروب الشمس حتى نهاية الساعة الثانية من الليل ، وفي وسط هذه الفترة ليمارس الناسك ثلاثة انواع من العمل ، الدعاء والاستذكار ، والدرس ماعدا القراءة ، وفي نهايتها يؤدي صلاة الستار (النوم) .

المدان الثاني من الليل : وهو من بدء الساعة الثالثة من الليل ، حتى نهاية الساعة السادسة ، وفي وسط هذه الفترة ليرح الناسك أجسادهم بغفوة قصيرة ،

لان الراحة الجزئية للجسد ضرورية لعمل النفس الكلي ، كما سيأتي وفي نهاية هذه الفترة يؤدي صلاة نصف الليل ، .

العدان الثالث من الليل : وهو من الساعة السابعة حتى نهاية العاشرة ، وفي خلال هذه الفترة لينم المتدثون ، وفي نهايتها يؤدون صلاة الفجر العميق .

والعدان الرابع من الليل : هو من بدء الساعة الحادية عشرة حتى شروق الشمس ، وفي هذه الفترة لا ينام الناس بل يستمر متأملاً يقظ الفكر مضاعفاً الهذيد حتى شروق الشمس . ، وإذا غلبه النعاس ليختطف منه غفوة وهو جالس ولا يضطج - م .

الفصل التاسع

الركوع ؛ وعزم تحميل الجسد أكثر من طاقته

ان قانون الركوع يحدد ثلاث ركعات لكل وقت من اوقات الصلاة ، والناسك لا يكتفون بذلك فيؤدي بعضهم اربعين ركعة في الليلة الواحدة ؛ اي بعد صلاة الصباح وصلاة النوم ، وبعضهم يزيد على ذلك ، وفي كل من صلاتي الظهر ونصف الليل يؤدون اربعين ركعة ، وهكذا في الليل والنهار يؤدون مئتين وثمانين ركعة ، وفي العدان الرابع والأخير من الليل لا يضطرون ان يركعوا لثلاث يعذبوا الجسد فوق طاقته ، ولذلك يجب ايضاً ان يرتاحوا اثناء فترتي الراحة الليليتين ، اعني الثانية والثالثة ، ضعف ما يفعلون في فترات نهاية الليل ، اي اثناء العدان الرابع وقد قال بهذا الشأن سيد العارفين اوغريس : ان حكمة القلب هي ان تحمل الجسد ما يمكنه تحمله من الالعب اثلا يخور فتخور معه النفس . وقال ايضاً : في الاوقات التي لا نستطيع تأدية خدمتنا العادية ، يعرف الابالسة ذلك يثروننا ويزبنون لنا ان تقول بما لا تقوى على عمله ، ويحرضوننا على ان نمارس نسكنا بضعفنا ، ويحملوننا على النهوض والترتيل وجسومنا ثقيلة .

وقال مار اسحق : اذا شعرت باعياء من اعمال التوبة او من القراءة والصلاة

وما اليها ، فلا تضايق تترك باطلا بل - دع قربانك على المذبح واذهب وصالح
اخاك وحينئذ قال وقدم قربانك - بدون اضطراب ، فان لم تعمل ذلك فلا تتميز
عمن يستقي ماء ويصبه في حوض مثقوب ، كما سلنا الابهاء ، اقول - اذهب
وصالح اخاك - اي هدمي روع جسدك ، وارحله من ضيقاته ، لان النفس
والجسد اخوان توأمان ووجيدا سوية وحينئذ قدم اعمالك التي هي قربانك ، فلن
ينجح العمل الجسدي بدون جهاد نفسي .

ويعلم الاب انطونيوس : ان كثيرين عملوا اعمالا عظيمة ، ولانهم لم يعملوا
بتعقل فلم يتركوا طريق الله ولم يبلغوا ميناء القدوس .

وقال الاب اوغريس : ان الكمال لا ينال في الاعمال الجسدية فحسب ، بل
بالجهاد الفكري ، والنضال السليم تضر الا كاليل . وقال ايضاً : نوع الجهود
الروحية لتفهم ان تعبد بالعقل والجسد . وقال ايضاً : هناك من يأخذ على عاتقه
اعمالا جسدية مضية ، وظن كاملاً ، وقد اشتهر ، بينما جروح نفسه كثيرة .

الفصل العاشر

الاوراقات تختلف باختلاف المهام

ان كل واحد سائر في طريق الملكوت فلا بد ان يتقيد احدي المهام الست
الاتية ، فاما ان يكون عاملاً او مديراً او طالباً او معلماً ، او ناسكاً ، او كاملاً .
والعامل العاملي لا بد ان يكون ذا امرأة واولاد ، واقارب يحتاجونه ،
ومثل هذا يكفي ان يؤدي الصلاة ثلاث مرات ، صباحاً وظهراً ومساءً ، وفي بقية
الاوراق يمارس اعماله العادية ، ليسد زمق اهله ، وهذا وان كانت يده تشتغلان
فلا يهمل التأمل والاستدكار .

والمدير الآخري ، مفروض عليه ان يؤدي الصلاة خمس مرات ، صباحاً
وفي الساعة الثالثة ، والسادسة والتاسعة والمساءً ، وفي بقية الفترات التي تتخللها

ليتم بامور مرؤوسيه ، ويتفرغ لتصريفها ، وحل المشكلات ، وما لا يمكنه عمله في النهار بداعي الصلوات النهارية ، والقراءة والاستذكار والتأمل ، ليكمله في الليل بالاضافة الى صلوات الليل المعينة ، الستار (صلاة النوم) ونصف الليل والنجر .

والطالب او المتعلم ، يجب ان يؤدي فقط الصلوات الفرضية ، وعوض اعمال الزهد ، ليوظب على التعلم ومطالعة الكتب وتفهيم معانيها ، وكتابة ما يحتاجه .

والمعلم ايضاً ، ليؤدي الصلوات الفرضية كلها ، ففي العدا ان الاول من النهار اي منذ الصباح حتى الساعة الثالثة ، ليدرّس الطلاب ويرشدهم ، ومنذ الساعة الثالثة حتى التاسعة ، ليطالع الكتب ، واذا امكنه تأليف الكتب وتفسيرها فليفعل ، ومنذ التاسعة حتى صلاة المساء ليعلم ايضاً الطلاب ، ويرشدهم ، ومن بعد صلاة المساء حتى صلاة النوم ليمارس الدعاء والاستذكار والتأمل ، واعرف معلماً فاضلاً كان يقسم ليله ثلاثة اقسام ، الاول لقراءة الكتب والامتزادة من المعرفة . والثاني للصلاة ، والقسم الثالث والاخير للنوم .

والناسك او الراهب المتوحد ، ليؤدي الصلوات الثماني المشار اليها سابقاً ، وبعض الناسك من يقضي اوقاته كلها بالصلاة ، وبعضهم من لا ينقطع عن الترتيل ، وبعضهم يواصل التأمل ، وبعضهم لا ينقطع عن الاستذكار وذرف الدموع ، وبما ان الاستمرار المتواصل على عمل واحد معين يولد السأم فينقلب الى الكره ، يفيد كثيراً ان يمارس الناسك اعمالاً متنوعة لتلا بصييه السأم من الاستمرار بعمل واحد معين .

والكامل وهو العارف حقاً ، من انهى سعيه وبلغ جبل الله ، واتحد بالروح القدس مع تلك الصورة الحقيقية حيث تتحو الوحدة كثرة الاعداد ، التسامي عن الانحراف ، كمال التربية البنوية ، معرفة الله بقوة ، المالكوت الهاديء المسام ، فمن بلغ هذه الدرجة العليا ، كما يقولون ، لا يشعر بتعاقب الزمن .

الباب الثالث

السهر والنوم

الفصل الأول

وفيه خمسة فصول

دعا الاب ارسانيوس يوماً الابوين انكسندر وزاويلا وقال لهما : امكثا معي هذه الليلة فان الابالسة تحاول الاجياز علي في النوم ، فاسبرا معي واحرساني ، ولما كانا جالسين الواحد عن يمينه والاخر عن شماله تاما ، ثم استيقظا ، ولم يلحظاك ينسى مطلقاً ، ولما اخذ الفجر يلوح شعرا ان ثلاث مرات ثقل تنفسه ، فنهض وقال لهما هل نمت ؟ قالا : لا نعم لهما الاب فقد غفونا .

طلب الاب باخوم الى الله ان يبعد عنه النعاس ، لان ليالي كثيرة كانت تهاجمه الشياطين ، ذلك لكي يكون مستعداً على الدفاع عن نفسه متمثلاً بآية الزامير - لا اعود حتى افيهم - فمضت له هذه النعمة لنقاء قلبه ، وقتاً معيناً ، وكان كأنه يرى الله الذي لا يرى في مرآة . تحدث الاب دانيال عن الاب ارسانيوس قال : انه كان يقضي الليل كله ساهراً ، ولما كان يضطر حوالي الفجر ان يستجيب للطبيعة بشيء من الراحة كان يشور على النوم قائلاً : اذهب لهما المبد الشرير . وكان يستسلم لنعاس قليلا وهو جالس ، وكان ينهض حالاً ، وكان الاب ارسانيوس يقول : ان التوحد تكفيه ساعة واحدة للنوم اذا كان شجاعاً .

حدث الاب ايسيدورا عن نفسه قال : اجهدت نفسي اربعين سنة بالسهر الطويل والنوم اليسير . حتى اني قضيت اربعين ليلة لم اذق فيها النوم .

كان أحد تلاميذ الاب امون يقول عنه ؟ خرج الشيخ في احدى الليالي فوجدني نائماً ، امام الصومعة ، فوقف يرمقني ناحياً باكياً وقال : اين تفكير هذا الاب ياترى ؟ انه يتام بدون حساب . ؟

الفصل الثاني

الاسباب المساعدة للسهر

ثمانية اسباب تجعل السهر هيناً ؛ اربعة ظاهرة واربعة خفية :

اول الاسباب الظاهرة قلة الطعام ، لان من يكثر الطعام يكثر من شرب الماء ، ومن كان كذلك يكثر ايضاً نومه ، وبصعب عليه السهر .

الثاني : الا يتعب نفسه كثيراً اثناء النهار ، لان التعب الشديد هو سبب مباشر لاجتذاب النوم .

الثالث : ان ينام قليلاً وقت الظهيرة ، فذلك يساعد كثيراً على السهر .

الرابع : يجب ان يصلي الأخ الناعس مع جماعة الرهبان ، فذلك كما يقول الاب ياوني رئيس الدير ، في مثل هذه الحالة لانستطيع النوم خجلاً ، فنتحرر من وطأة النوم ، فمن يصلي مع الاخوة لا يجب ان يحجم عن الترتيل .

وهذه هي الاسباب الأربعة الظاهرة ، أما الاسباب الخفية فهي :

الاول : تقاء الضمير من الغضب والحقد ، من كان حاقداً على قريبه يشبه السكران فيستغرق في النوم مثله .

الثاني : الخوف والرغبة من فكرة الدين والدينونة ، فمن تأمل وقوفه امام العرش الرهيب ، يقف شعره ويطير النوم من جنونه ، وكأن المرتل يقول : قم جسدتي من احكامك واعتراضي الخوف ويقال ايضاً : ان التفكير بالويلات المحفوظة للخطاة وصرير الاسنان يخطف النوم من العيون ، فالذي بلغه خبر النار التي لا تنطفئ كيف ينام ؟

الثالث : ليعرف الانسان مضار النوم وقوائد السهر من تعاليم الثقات ، الذين يقولون ان العين الساهرة تنق العقل والنوم الكثير يشوش النفس . ويقولون ايضاً : ان النوم قرين السقوط .

الرابع : محبة الله وهو اسمى جميع الاسباب الماضية ، فان الحب يطرد النوم من العيون ، يؤيد ذلك اي نوع من انواع الحب البشري ، والتحرية تؤيد

ان الحب انما يلهمج بذكرى من يحب الليل كله ، سواء اذا كان شخصاً معيناً
ام فكرة منحرفة ، ام غير ذلك ، وسأل احد العارفين : كيف انت مع
ليلك ؟ اجاب : يظهر لي قليلاً ثم يغيب ولا يمكث معي طويلاً حتى اتمتع به ، فحالما
يدخل يؤذن بالخروج ؛ قال ذلك واصفاً العزاء العظيم الذي يشعر به اثناء سهره
في الليل والراحة من مشاغل النهار .

الفصل الثالث

طبقات الساهرين

اذا كان النوم صورة للموت ، طبقاً لما تؤيده الطبيعة ، فاليقظة رمز الحياة
ولذلك يجهد العارف نفسه بأن يحيي موته الليلي باليقظة ، وهكذا نجد الذين يحيون
الليالي يقظين سبع طبقات :

الاولى ، وهي اسمى الطبقات ، طبقة العارفين الذين يحيون الليل كله ، وفي
بسمه الفجر يأخذون شيئاً من الراحة ، استجابة لشرعة الطبيعة ، وقيل عن الاب
ارسانئوس : ان مساء السبت ايلة الاحد ، كان يدع الشمس تغيب من ورائه ، ويرفع
يديه الى السماء مصلياً ، حتى تشرق الشمس في وجهه ، وعندئذ كان يعطي شيئاً
من النوم لعينييه .

الثانية : طبقة الذين يحيون نصف الليل ساهرين ، ونصفه الاخر ينامون ،
والاجدر بهم ان يناموا الثلث الاول والسادس الاخير من الليل ، وهكذا يتم لهم النصف .

الثالثة : طبقم الذين يحيون ثلث الليل ، والاجدر بهؤلاء ان يناموا النصف
الاول والسادس الاخير من الليل ، وهكذا يتم لهم اثاث المطوب ، ويظهر ان
داود النبي كان يسهر وينام على هذا النمط ، كما يدل قوله : في منتصف الليل
نهضت لاشكرك على احكامك .

الرابعة : طبقة الذين يمكنهم اجزاء سدرس الليل او خمسة ، والاجدر بهم ان

الخامسة : طبقة الذين لا يبدون الساعات ولا يحددون الاوقات ، لكنهم يسهرون اول الليل حتى يغلبهم النعاس ، فيناموا وكلما استيقظوا نهضوا ، حتى ينعسوا مرة اخرى فينامون ، ثم ينهضون ، واغلب التوحدين الذين لا ينسكون في الديورة يمارسون هذه الطريقة .

السادسة : طبقة الذين يستيقظون للصلاة في منتصف الليل ؛ ويقدر مدة الصلاة فقط يسهرون ، وينامون بقية الليل . ، وهم اغلبية الاكليروس في الغرب . (سوريا وآسيا الصغرى) .

السابعة : طبقة الذين يستيقظون للصلاة منذ الفجر العميق ؛ كما يفعل سائر الاكليركيين في المشرق ؛ بالاضافة الى بعض الفضلاء من الشامسة والعلماء نيين .
وخلاصة القول ان كل انسان عاقل يمكنه اختيار احدى هذه الدرجات ، ويرتفع من درجة الى درجة اخرى ، فيقتدى باليقظين وخاصة ليالي الاحاد والاعياد الكبرى والسبت العظيم من اسبوع آلام الرب .

الفصل الرابع

قوانين النوم

النوم ، عند العارفين ، اذا صار ضمن نظامه الطبيعي يعتبر زهداً ، قال احد الفضلاء : ان نوم العارف افضل من صلاة الكسول ، وقال آخر : ان العارف ينام ونفسه لاتنام عن التسبيح ، وهذه الجملة فرها ياوتني رئيس الدير بقوله : النفس التي تسبح بكلمة الرب وهي يقظة ، فانها قادرة ان تهدي بها اثناء النوم ، لان واجب النوم يكون طبقاً لقوانين مفيدة ، مما يجب عرضه هنا ويجعل بعشرة قوانين يجدر بالماقل حفظها وهي :

الاول : ان يصلي صلاة النوم ثم ينام .

الثاني : ان يكون مستعداً تمام الاستعداد للعودة الى العمل الروحي فور استيقاظه وهو الاستذكار والتأمل والصلاة والدعاء .

الثالث : الا ينام من قطع على نفسه عهداً الا وعهده في خطره ، لان يوم الرب يأتي كالمص ، فيدركه الاجل في ساعة لا يعرفها .

الرابع : ان يتوب عن آثمه ، وان كان قد اغتصب احداً ، يعيد له ما اغتصبه منه ، ويتقي ضميره ، من الحقد والحسد والشر ، ولهذا السبب وضع ملافة الكنيسة صلاة الستار (النوم) .

الخامس : الا ينام على سرير او على فراش وثير ، فكثيرون من الكاملين ليس بينهم وبين الارض حتى ولا حصيرة ، اذ يقولون لجسدهم انك تراب والى التراب تعود .

السادس : الا ينام الا اذا غلبه النعاس ، ولا يجتلب نومه قسراً ، فان الكاملين اذا غلبهم النعاس يتدلى بعضهم في جبل . وكان الاب سوسايس يتعلق في صخرة على جرف هار ، خوف ان يغلبه النعاس ، حتى كان يأتي مسلك الرب فيرفعه من هناك ، وامره مسرة الا يعود الى ذلك ولايسلم غيره ذلك كتقليد ، وكان بعد ذلك يعلم تلاميذه ويقول : لاتناموا حتى تنعسوا ، ولا تاكلوا حتى تجوعوا ، ولا تكفوا حتى تسألوا .

السابع : ان يسند ظهره الى جدار ، وينام وهو جالس ، ويدها وركبته على صدره ، ورأسه مسند عليها ، وهذه طريقة الكاملين في نومهم ، اذ يخطفون شيئاً من النوم ، ومن لا يمكنه ذلك ، لينم مضطجماً على جنبه ، وركبته ويدها ايضاً على صدره ، وبعضهم من ينام على ظهره ووجهه نحو المشرق ، وحصر احد الحكماء النوم باربعة اشكال : نوم الانبياء ، على الظهر لتلقي الوحي ، ونوم النساك على الجنب الايمن ، ونوم الملوك على الجنب الايسر ، لمضم الطعام ، ونوم الابالسة على وجوههم .

الثامن : ان يغفر للسيئين اليه ، ويسامح جميع المذنبين عليه ، ويصلي من اجل اعدائه ، ويشق ان ابليس هو الذي حملهم على بغضائه وليس ذلك منهم .

التاسع : ان يتأكد ان رغب في النوم ، ان النوم شبيه بالموت ، واليقظة شبيهة بالقيامة ، وكما ان امائر النوم تشبه اشكال هذا العالم واعماله ، كذلك امائر

اليقظة تشبه تماماً امائر العالم الجديد واعماله ، وقال احد الفضلاء : اذا كنت تشك في الموت فلا تنم ، واذا كنت ترتاب في القيامة فلا تستيقظ ، فكما تنام ثم تستيقظ بعد نومك ، هكذا تستيقظ بعد موتك .

الناشر : ان يعمل اعمال الروح فور يقظته ، اي ليصل اذا كان وقت الصلاة ، والا يمضي في الاستدكار والتأمل .

الفصل الخامس

ما يحدث في الودع

قال اوغريس — عمدة العارفين — اذا حاربنا الابالسة في غلات الليل ، يصورون لنا الاصدقاء والاقارب ، ومظاهر الاهواء ومسيئاتها ، فاذا كنا مصابين بهذا المرض فان وطأته تشتد علينا ، واذا ثار الحقد قينسا فانهم — الابالسة — يظهرون لنا كأننا نسير في طريق وعرة رهية ، يهاجمنا فيها مسلحون او وحوش مفترسة او افاع خبيثة . وقال ايضاً : ان الحركات الطبيعية التي تحدث في الاحلام دون صور او اشكال ، فانها دلائل صحة النفس ، واذا ظهرت الصور والاشكال في الاحلام فانها دلائل المرض ، والوجوه التي تراءى لنا وهي غير معروفة لدينا فانها دلائل هوى قديم ، والمعروفة دلائل هوى جديد في النفس .

وقال ايضاً : عدم الميل هو صحة النفس ، وعلامات ذلك تعرقها من افكارك نهاراً ، ومن احلامك ليلاً ، وغذاؤه هو المعرفة التي تضمنا مع قوات القديسين غير المجسمة .

الباب الرابع

في الزامير

وفيه سبعة فصول

الفصل الاول

كيفية الترتيل

تقصد بكيفية الترتيل ما يؤدي اثناء الصلاة من الزامير ، عندما يقف المصلي متجهاً نحو المشرق مرتلاً ، وفي اوقات الصلاة يرتل جالساً متجهاً نحو المشرق ايضاً ، ويجب ان يصل بين آيتي الزمور بكلمة (هليلويا) سواء اذا كان يرتل وحده ، او مع جوقة المرتلين ، وكلما وردت كلمة (المجد) يقول : (المجد للاب والابن والروح القدس ، من الازل والى ايد الأبدن امين .)

وفي مطلع كل مرثي (قسم معين من الزامير) يبدأ بكلمة (بارك يا سيد) ويواصل الترتيل بنغمة موزونة ، ولا يسرع او يطيل الانتقام ، لان النغمة الموزونة وضمت لتكون كلمات الزمور مفهومة وواضحة للذهن ، قال الاب اوغريس بهذا الشأن : ان الزامير ترتل احياناً بسرعة ، واحياناً ببطء ، وكلتاها موجبتان ضد ابليس ، فاذا اثار فينا السأم يجب ان نرتل ببطء واذا اثار فينا الخلاء بحجة عذوبة ترتيلنا فحينئذ نرتل بسرعة ، ويجب على المرتل ان يرتل جهراً حتى يسمع هو ذاته صوته ، واذا سمع من كان بقربه فذلك افضل ، وخاصة في الليل ، فان ذلك يوقظ جيرانه لكي يرتلوا هم ايضاً ، ويسبحوا الله تظيره ، والافضل ان يرتل الزامير كلها حتى يمكنه ان يتلوها عن ظهر قلبه وليس في الكتاب ، واذا لم يستطع تلاوة جميعها غيباً فعلى الاقل زمير الليل ، لانه لا يمكنه اضاءة السراج للترتيل بسهولة . وفي نهاية (التسبحة) ركع ثلاث مرات ، وفي ختام كل مرثي يؤدي تسع ركعات ، وفي كل آية فيها كلمة السجود ينبغي ان يسجد ايضاً .

كقوله (هلموا نجثو ونسجد له) و (اسجد في هيكل قدسك واشكر اسمك)
وبقية الآيات التي ترد فيها كلمة (السجود) عدا الجمل التي تروي صياغة العجل
والسجود له او للاصنام .

الفصل الثاني

عدد المزامير المرتبة

ان عدد المزامير التي يجب ان ترتل طبقاً للتقليد الدارج في الديورة منذ
القديم ان يكملوا ترتيل المزامير كلها في يوم كامل ، فيبدأون من مطلعها في صلاة
الصباح ، ويأتون عليها في اخر صلاة من صلوات الليل ، ولكن بما ان ترتيلا مثل
هذا لا يكون بتفهم بسبب السرعة ، يرتل بعض الفضلاء ، بعد فرضهم اليومي ،
المزامير كلها مرتين في الاسبوع الواحد في صوامعهم ، وبعضهم يأتون عليها مرة
واحدة في الاسبوع الواحد ، وبعضهم يكملونها مرة واحدة في الشهر ، وهكذا
يرتلونها بتفهم كامل ، وقسم معلوم الطقوس الكنسية المزامير كلها الى خمس عشرة
مرهين (المزمير قسم مدين من المزامير)

مرميثان اثنتان لصلاة الصباح ، الاولى تبدأ من الزمور الاول (طوبى
للرجل . مز ١ : ١) حتى الزمور (يارب من يجل في مسكنك ١٥ : ١) واثانية
تلي هذا الزمور الى الزمور (اليك يارب رفعت نفسي ٢٥ : ١) .

واثنتان لصلاة الساعة الثالثة ، الاولى بعد الزمور (لاتغر من الاشرار
٣٧ : ١) واثانية تلي هذا الزمور حتى الزمور الذي مطلعته (فاض قلبي بكلام
صالح ٤٦ : ١) .

واثنتان لصلاة الساعة السادسة - الظهر - الاولى تلي الزمور السابق حتى
الزمور الذي مطلعته (ارحمني يا الله لان الانسان قد اهانتني ٥٦ : ١) واثانية
تلي هذا الزمور مباشرة حتى الزمور الذي مطلعته (نقيم الله فيثنت اعدائه ٦٨ : ١)
ومرميثان لصلاة الساعة التاسعة ، الاولى تلي الزمور السابق حتى الزمور

الذي مطلعته (قد اعترفنا لك يا الله قد اعترفنا لك ٧٥ : ١) والثانية تلي هذا المزمور الذي بدأه (اللهم من يشبهك ٨٣ : ١) (١) .

واثنان لصلاة المساء ، الاولى بعد المزمور السابق حتى المزمور الذي يبدأ (صالح الاعتراف للرب ٩٢ : ١) والثانية تلي هذا المزمور مباشرة حتى المزمور (باركي يا نفسي الرب ، ايها الرب الهى لقد عظمت جداً ١٠٤ : ١)

ومريميث واحدة لصلاة الستار - النوم - تلي هذا الى نهاية المزمور ١٠٧ : ١) واربع مراميث اخرى لصلاة الليل الاربع وتبدأ بالزامير التالية : (مستعد قلبي يا الله مستعد قلبي ١٠٨ : ١) (٢) و (طوبى للازكياء في الطريق ، للسائرين في شريعة الرب ١١٩ : ١) و (اذكر يا رب داود وكل ذله ١٣٢ : ١) و (اعظمك يا سيدي الملك ١٤٥ : ١) .

والذين يكملون المزامير كلها مرتين في الاسبوع الواحد ، فهم يرتلون في كل يوم من ايام الاسبوع اربع مريميثات ، اثنتين في الليل واثنين في النهار ، وفي يوم الاحد يرتلون ست مريميثات ، ثلاثاً في الليل وثلاثاً في النهار ، والذين يكملون المزمير كلها في الاسبوع الواحد مرة واحدة ، فهم يؤدون في كل يوم من ايام الاسبوع مريميثين اثنتين الواحدة في الليل والاخرى في النهار ، والذين يكملونها كلها مرة في الشهر الواحد ففي كل يوم يؤدون نصف المريميث ، اي تسبيحين فقط ، واحداً في الليل والآخر في النهار .

-
- ١ - ان هذه الجملة - اللهم من يشبهك - واردة فقط في النص السرياني ، واما في بقية الترجمات فليست موجودة فيبدأ المزمور - اللهم لاتكن ساكتاً -
 - ٢ - ترد هذه الجملة مكررة في النصوص السريانية والانكليزية والاميركانية المربية اما في العربية الموسوعة فليست مكررة .

الفصل الثالث

وجوب الترتيل بمخشوع وبكاء

اتفق الآباء جميعاً ، بوجوب ممارسة تلاوة المزامير بمخشوع وبكاء ، ويقولون من كان قلبه قاسياً وليس له استعداد للبكاء فليندل قلبه ، ويؤنب ضميره بتذكر معاصيه وتمداد اثمه ، وتصور العذاب المعد للأشرار اضرابه ، وهكذا يرق قلبه القاسي فيكي .

روى ناسك فاضل قال : رأيت في الحلم كأنني ارتل المزامير امام داود بن يسي ، فقال لي : اعجب منك ؛ كيف تعلمت الترتيل ولم تتعلم البكاء ، او لم تسمع اني (غمرت في كل ليل فراشي ، وبدموعي غسلت دثاري ؟) ان هناك انساناً لديهم استعداد طبيعي للبكاء بدون دافع ارادي ، ومثل هؤلاء ليس بكأؤهم محذوحاً ، على حد قول الفاضل مار اسحق : ناد بالطوبى لمن له استعداد طبيعي للبكاء بدافع ارادي ، فقد وجد من طبيعته عضداً لارادته ، ومن كان له مجرد استعداد للبكاء فلا خير فيه ، ولا تناد بالطوبى لمن كان فاقد اللب .

الفصل الرابع

اسباب البكاء

ان الآباء يعرفون ثلاثة اسباب للبكاء في الانسان :
الاول (قوة اللذة التي تستولي على العقل ، والاعجاب الشديد بالامور الظاهرة ، وهذه تفرق العقل بالمعاني الروحية الغامضة .
الثاني (شدة الحب لله ، الحب الذي يلهب النفس فلا يمكنها الاحجام عن البكاء لشدة عذوبته .

الثالث (تواضع القلب العميق ، ويتولد تواضع القلب في الانسان عن سببين اثنين اما معرفة ذنوبه ، واما ذكر عظمة الله ، وحيث يوجد حب الله حقاً ، او الاغراق في الاعجاب بعظمة اسراره ، هناك يخشع القلب تواضعاً وتهيباً ، فلا يستطيع الانسان

الاحجام عن البكاء ، وان كان غير مقصد ، ومن ليس فيه خشوع ، فانه لا يفقه شيئاً من ذلك وان كانت فيه فضائل عظيمة اخرى ، واذا سمع بالبعض انهم يكون دائماً ، يعجب ويظن انهم انما بارادتهم يكونون ، او فطرت نفوسهم على ذلك ، فمن ليست له دموع اذن ، فليس فقط مجرد عن الدموع ، بل هو مجرد عن اسباب الدموع ، وليس في نفسه ما يفجرها ، اي انه لا يشعر بعذوبة معرفة الله ، ومحبته ، ولم تخطر على قلبه فكرة اسرار الله ، وهو فاقد اللاب .

الفصل الخامس

الاحساس الذي يثور في الطالبين لدى الترتيل

ليس الاحساس الذي يثور في الكاملين بدافع الترتيل مجرد احساس ، بل يثور فيهم احساس ومشاعر كثيرة وعميقة النور بعيدة الآفاق ، والاحساس الاول يثور فيهم لدى تأملهم بعطف الله تعالى علينا ، فانه اسمعنا كلمته الحية السامية التي لا يدركها الكروبيم ، ولا يستطيع سماعها السروفيم ، فقد نقلنا الى عقلنا الضئيل متجسدة بجسد ترابي كثيف ، وهي على حد تعبير الكاملين قد هبطت الى مستوى افهامنا ، كما يحدث احياناً وتهبط كلمتنا الى مستوى مدارك البهائم والطيور اذا رغبتنا في ملاطفتها او مجافاتها حيث نستعمل اصواتاً ثلاثم طبيعتها ، كذلك عندما اراد الله - تجدد وتعالى - هدايتنا الى طريقه القويم ، ارسل كلمته السامية مجلية بجسدتنا البشري ، ليذهبها عقاننا الضعيف .

انهم يحسون ايضاً بغزارة مواهب الروح القدس ، وقد اشرف من ابي الانوار ولم ينتقل ، والتمتع في عقول الانبياء وظهر للعالم اقباساً من قلوبهم النقية ، كأنه حبل به في البطن ، فملاً الكائنات من معرفته .

ويشعرون ايضاً ، كمشاعر روحية سامية ، تثور في نفوسهم من معاني الزامير السامية ، وبلفظ كل جملة او سماعها يكتبون حالات روحية جديدة سامية ، فاذا سمعوا قول الزامير (اعبدوا الرب بخوف وعظموه برعدة) يثور

فيهم الخوف ويعتريهم الهلع ، واذا ما قرأوا قول (اغضبوا ولا تخذوا) فانهم
يجمعون عن الخطيئة اتقاء لغضبه ، واذا ما رتلوا قوله (انت رجائي من الرحم ،
املي من ثدي امي) تتوهج فيهم الآمال الروحية ، وتبسم لهم الحياة كلها ، وهكذا
كلما طرق سمعهم صيت فضيلة ، أو نبأ شر ، يسمعون الاولى بشغف ، والثانية
بكره واشمئزاز .

واذا ما قرأ الرجل الحكيم قوله (طوبى لمن هم بلا عيب في الطريق)
فلا يعتقد انه من صنف هؤلاء بل يجاهد لكي يصبح منهم ، ويتبيح شعوره
اذا ما رتل قوله (ان معاصي قد طمت فوق رأسي) يشعر كأنه هو بذاته
المقصود بهذه الكلمات .

ويثور فيهم الشعور بالتسامي الروحي اذا ما واصلوا الترتيل ، واذا رسخت
معاني المزامير في نفوسهم رسوخاً عميقاً ، يشعرون كأن داود بذاته ينشد المزامير
بنغماته الروحية العذبة ، حتى وان كانوا صامتين . فتسامي عقولهم فوق اضرار
المادة ، وتتلاشى الاصوات والكلمات عن اسماعهم ، وتستحيل المعاني الروحية الى
اعذب من الالحان في اذهانهم .

وهناك درجات اخرى تشبها او تفوقها سمواً ، وهي درجات الخالدين في
السحب الروحية بمقولهم ، حيث يستحيلون الى عقول مجردة ، ساجدة في عوالم جديدة .

الفصل السادس

تفهم المزامير ذو أثر وفائدة

يتصح المرشدون تلاميذهم بمواصلة ترتيل المزامير ، بتفهم او بدون تفهم ، وغايتهم
من النصح بالترتيل بدون تفهم احياناً لانه يقود استمراره الى التأصل والتفهم
اخيراً ، وينصحون ايضاً ان يقلل المرتل من المزامير ويحرص على الفهم والتفكير ،
فذلك يؤدي الى الفائدة التوخاة ، وقد قال الملقان : من الضروري ان يشفع
القراءة بالتفسير ، اذا كان المرتل أمياً ، ان القليلين يفهمون المعنى
حتى اذا كانوا يقرأون ، فضروري اذن ، الحشد من القراءة في سبيل تفرغ

النفس لتفهم المعاني واضحة . ان البهائم تسمع الاصوات ولكنها لا تفهم المعاني ،
فليحرص العقل اذن ، على اصطیاد المعاني وتفهمها ؛ فالتفهم يظهر روعة القراءة .
(مار يعقوب السروجي) .

ويسبق التفهم امران ضروريان ، الاول جمع شتات العقل من الطباشرة في
الافكار الدنيوية ، والثاني ، اجتلاء معاني كلمات الزامير ، وهذا يكون بتكرار
الجملة ، يحكى عن احد الفضلاء انه كرر عشرين مرة آية الزمور القائلة (فيكون
كالشجر المغروس على مجاري المياه ، الذي يوثي ثمره في اوانه ، وورقه لا يذبل)
وكان يريد من تكرار هذه الآية ، ويردد في عقله الشجرة والجدول ، والثمر الذي
ينضج في اوانه ، والاوراق التي لا تذبل ؛ ويقابل كل ذلك بالرجل الصالح واعماله
وكان فاضل اخر يتدارس شهراً كاملاً الآية القائلة (لذلك لا يقوم المتناقضون في
الدين) وكان يسأل المقرين . وكان فاسك اخر يتعلم الزامير فوصل الى الآية القائلة
(قلت اني احافظ على طرفي ولا اخطيء بلساني من ٣٩ : ١) توقف عند هذا
الزمور ولم يتابع القراءة ، وكان يقول : عار علي ان انتقل الى زمور جديد
ولم اتعلم هذا بعد .

الفصل السابع

لكل شأن وميل نفسي زمور خاص

- اذا رغبت ايها الأخ تطويب انسان صالح فأتلُ الزامير (١ و ٣٢ و ٤١
و ١١٢ و ١١٨ و ١٢٧) واذا رغبت لوم اخوان النفس فأتلُ الزمور ٢
واذا اضطهدت فرتل الزمور ٣ .
واذا دعوت الله في الضيق فرتل الزامير ٤ و ١١٥ و ١٤١ .
واذا كمن لك الأشرار فرتل الزمور ٥ .
واذا شعرت بتهديد الرب فرتل الزمور ٦ و ٣٨ .
واذا قام عليك الأشرار فرتل الزمور ٧ .

- ولاظهار نعمة الرب في كل مكان رتل الزمور ٨ ولايقاف الدور رتل الزمور ٩
وعند الاتكال على الرب رتل الزمور ١١ وضد الشر التطاير رتل الزمور ١٢
واذا تطاول الشر عليك رتل ١٣ وضد الذين يتكبرون النياية رتل الزمور ١٤
ولكي تعلم من هو ابن ملكوت السماء رتل الزمور ١٥ واذا رغبت بتعلم صلاة موسى من ٩٠
واذا نجوت من الاعداء والمضطهدين من ١٨ واذا ادهشك نظام الكائنات من ١٦ و٢٩ و٢٢
واذا عزيت الخزانى من ٢٠ واذا نجحت في امر من ٢٣
واذا احاطك اعداؤك من ٢٥ واذا سلحت لله امرك من ٢٦ و ٣٥ و ٤٣
واذا كثر مناصبوك من ٢٧ واذا خشيت اعداءك من ٢٨
واذا شكرت الله من ٢٩ واذا ابغضك اصدقاؤك في سبيل الحق والعدل من ٣١
واذا رايت الذين يخلصون من المهالك بالعماد من ٣٢ واذا نجوت من اعدائك من ٣٤
ولتعلم ان الشر ليس في طبيعة الاشرار بل في ارادتهم يخطون من ٣٦
ولكي تتعد عن الشرور من ٣٧ ولتصلح شأنك ولا تخطيء من ٣٩
ولتتعلم كيف تفيد من الصبر من ٤٠ وان يرحم الساكين من ٤١
ولكي لا تضرب اذا عيروك من ٤٢
ولتذكر عطايا الله ونكران البشر للجميل من ٤٤ و ٧٨ و ٧٩ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٤
وعندما تظهر عطفك من ٤٦ وعندما تخطيء وتتوب من ٥١
واذا ثلبت من ٥٢ و ٥٤ و ٥٦ واذا يغفلك المضطهدون من ٥٧ و ١٤٢
واذا نجوت من السجن من ٥٩ واذا عيرك الاعداء المتظاهرون بالصدافة من ٥٥
وضد المتكبرين من ٥٨ وضد الذين يناصرونك العداة بقسوة وعنفة من ٦٢
واذا طردت الى البراري فلا تخف ورتل من ٦٣ واذا مجدت الرب من ٣٥
واذا طلبت الرحمة من ٦٧
واذا رايت الاشرار في نعمة والابرار في ضيق فلا تخف ورتل من ٧٣
وهكذا ضع بقية الزامير لاهداف اخرى ، وفيها ترى ايضاً ادلة واضحة على ميلاد
الرب التزميني ومن الآب الازلي ، ومجيئه بالجسد ، وحقد اليهود وتسليم يهوذا الاسخريوطي
والصليب القادي .

الباب الرابع

الألحان

وفيه تسعة فصول

الفصل الاول

رأي انساك الذين لا يحبون الروحان

يقول هؤلاء ان كل لغة مادية لا تستهدف قوام الجسد الضروري هي من الشرير ، ولغة الالخان ليست ضرورية بدليل ان عدمها لا يضر بالجسد بوجه من الوجوه ، واذا كانت كلمة الله قد اجازت للاجيال الماضية باستعمال الالخان والتراتيل فذلك لا يهدف الى فائدة روحية تحيي منها ، بل لان تلك الاجيال كانت متأثرة بالعقلية الوثنية ، وكان من الصعب تغييرها ، والعادة ليس من السهولة استئصالها فجاء ، مثال ذلك ، ان بني اسرائيل الذين تأثروا بالحياة المصرية الوثنية لطول اقامتهم في مصر ، سمح الله لهم بممارسة الذبائح الدموية ، فكان يعلم لو منعهم عنها فجاء ، لما اطاعوا ، ولكن امرهم ان يقدموا الذبائح له فقط ، وبذلك لجم ميولهم المنحرفة نحو عبادة الاصنام ، حتى اذا ما بلغوا الى عقلية روحية كاملة ، هبطت الآية على داود (لا اخذ من بيتك ثيراناً ، ولا من قطيعك جداء من ٥٠ : ٩) وقال الله ايضاً : (اني لا اكل لحم العجول ولا أشرب دم الجداء اذبح لله حمداً واوف العلي نذورك من ٥٠ : ١٣ و ١٤) وقال ايضاً : (فاذا لم تسر بالذبائح ولم ترض بالمحروقات الكاملة ، انما ذبائح الله روح متواضعة من ٥١ : ١٧) وكذلك اجاز الترتيل على انغام القيثارات وسائر الآلات الموسيقية ، لانهم نشأوا على سماعها مرافقة اعياد الشياطين وحفلات الاصنام وذبائحها ، ولكنه حذر اخيراً بفتح النبي جهاراً فقال : ابعدي عني صوت ابواقك ، فلن اسمع بعد رنة كناراتك ويقول اصحاب هذا الرأي ان كل ذلك يدل على عدم وجوب استعمال

الانعام والالمان ، والاجدر من كل ذلك ينبغي تسييح الله بهدوء كما عثم الرب تلاميذه ، وكما ناجى موسى الله في العليقة ، ويجب استعادة قول الرسول بولس ان هناك (كلمات لا ينطق بها ، وان الروح يصلي من أجل القديسين بتهدات . وبخلاف ذلك يقولون انه اذن مباح للربان العودة الى الدنيا والتمتع بآية الرجس التي هي حبة الدنيا ، وهي ماثلة في كل مكان مقدس ، . ان الربان ذوي الاصوات الرخيمة الذين اعتادوا منذ حداثهم على الانشاد ، ولا يحرصون على تذوق سعادة الزهادة الروحية ، بل يندفعون لحضور الحفلات العامة غير مدركين ان عبادة الله انما تكون بالروح والحق ، وبالصمت الروحي العميق الذي يفوق عذوبة جميع الانعام والالمان ، ان مثل هؤلاء نصحبهم ، اذا كانت لنا دالة ، الا يتمانوا برسال اللحن ، ليحرصوا على تأدية المعاني الروحية لتهديب عقولهم ، وليرسلوا لحونهم في سبيل السمو الروحي الفائق والتسييح الرخم لله ، والتمجيد للمسيح .

الفصل الثاني

الرأي الصبياني الذي بناه بمرافقة آوت الطرب والرقص للترتيل

يقول اصحاب هذا الرأي ، ان الفكرة المحرمة ، اما ان يحرمها العقل او الكتاب ، اما تحريم العقل لهذه الفكرة ليس صحيحاً ، بدليل تمتع الاذن بالالمان تمتع العين بالمناظر الجميلة ، وتمتع حاسة الشم بالروائح العطرة ، وكما ان رؤية المناظر الجميلة وتنسم الروائح العطرة ليس محرماً ، كذلك الالمان ليست محرمة . ولا جالبة للخطيئة ، ويقولون ايضاً : ان اللحن اما ان يصدر عن تفريد طير ، او غناء انسان ، او صليل آلة ، وواضح ان تفريد الطيور لايجلب اثماً ، وكذلك غناء الانسان ، وصيل الآلة الموسيقية .

والكتاب ايضاً لم يحرم اللحن ، بدليل التقايد العبرية القديمة ، فان النبي داود رتب اربعة رؤساء اجوائ الترتيل بالالمان المتنوعة ، وكل جوقة كانت مزلفة من اربعين مرتلاً ، وكان دأبهم الغناء والترتيل . وفي الترتيل الآلي يقولون ، لو

كان ذلك محرماً ، لما استعمله الآباء القديسون ، وقد قيل عن مريم النبوة اخت هرون انها اخذت دفناً وخرجت معها النساء بالدفوف والطبول وكن يغنين ، وقال داود : (تقدم الرؤساء حاملين الكنارات في عذارى ينقرن الدفوف مز ٦٨ : ٢٥) وهو يشير الى الفتيات العبرانيات الناقرات بالدفوف على اثر انتصار داود على جليات اللواتي كن يغنين (قتل شاول الوفة وداود ربواته ١ صم ١٨ : ٧) وقال داود ايضاً : (سبحوه بصوت البوق سبحوه بالعود والكنارة ، سبحوه بالدف والرقص سبحوه بالادوتار والمزمار ، سبحوه بصنوج السراج ، سبحوه بصنوج الخفاف مز ١٥٠ : ٥-٣) وفي الرقص يقولون ، كيف نجرمه ، وهوذا داود وهو افضل منا ، ودعي قلب الرب ، كان يسير امام تابوت عهد الرب راقصاً ، وقيل في الانجيل (غنينا لكم فلم ترقصوا ، ونحننا لكم فلم تبكوا مت ١١ : ١٧) وينا قيلت هذه الجملة بصيغة التوبيخ ، الا انهم يعطونها قوة ايجاب الرقص في الافراح ، والنواح في المآتم .

الفصل الثالث

رأي من يحيز بعض اللحن ويمنع بعضها ؛ وهو الاوصوب .

يقول هؤلاء انه ليس كل لحن يليق بقداسة الله ولا كل غناء تحرمه الكنيسة ، ذلك لان بعض هذه الانتقام روحي ، وهي الانتقام البيعة ، وبعضها شعري ، وهي الانتقام الدنيوية ، والنعمة الروحية هادئة ورسينة وشجية ، تشير في النفس الخشوع ، وبعد ذلك تربي في النفس الليول الروحية فتغسل بدموعها ، وتطهر من الشرور والآثام ، يينا تلبب الشجاعة احياناً وتكسب العقل قوة روحية ، فقد كان إرميا ينشد ألماً وحزناً على خراب اورشليم ، مشيراً بذلك الى جهاد النفوس الروحي ، وهكذا كل الانبياء كانوا ينشدون التراتيل الروحية .

واما النعمة الشعرية الدنيوية ، فانها مبتذلة واهيئة رخيصة مائة ، وبين مطاويها اهواء منحرفة تثيرها في النفس ، فصطادها وترجها في الشر . قال احد المعلمين : لم اجسد الى اليوم شاعراً مغنياً يصدر الالحن من صميم قلبه

لو يقرع صدره ، او يخذ الميول المنحرفة ، لو يحني عنقه الى الارض فيسقيها بالدموع ، بل بعكس ذلك ، يقف منتصباً ، يحرك رأسه ، ويحرك عنقه ذات اليمين وذات الشمال ، ويشير بيده ، ويفرقع اصابعه ، وكثيراً ما يركل الارض برجليه ، والذين يسمعونهم ونفوسهم مائة ، افواههم مفتوحة ونظراتهم في الفضاء زائغة ، وهم مقتنون بلذة كاذبة عابرة .

وقال الجليل اوغريس : - مميّزاً بين الغناء البتذل والترتيل الروحي - ان الاغاني البتذلة تثير الميول المنحرفة والتزعجات العارمة في كوامن النفس ، والتراتيل الروحية والزامير ، والتسايح تجتذب النفوس الى رياض الفضائل ، وتخدم الحقد والغضب ، وتطفئ الميول الملتية ، ولذلك لا يجب ان نخلط بينهما ، بل لترتلن بهدوء وقداسة ، كما كان يفعل النبي موسى ، وبنو اسرائيل يوم سبحوا تلك التسبحة الرائعة وقالوا : اننا نتجدد الله بالتسبيح والترتيل الواجب ، وحيث وقع هذه الترتيلة الخشوعية قال (اني باسم الله ادعو) مشيراً الى ترتيلة انوش الذي هو اول من هتف مشيداً باسم الرب مرثلاً ، وعنه اخذ الترتيل في الاجيال المتعاقبة ، وطبقاً لذلك اخذت بيعة الله تمارس الترتيل الروحي . وفي قصة موسى نجد ان ترتيلة قصيرة كانت منقوشة على احد الآبار ومن قراءتها نعرف جلياً ان هذه الترتيلة لم تتشد مع تفر الدفوف كما فعلت مريم ، بل بهدوء وتنظيم رصين يليق بالعزة الالهية .

اما الآلات الموسيقية وان استعملها النبي داود بالهام الروح القدس - وكان صغيراً بين اخوته ومحوباً في بيت ابيه تصلح يدها للعود وانامله للقيثارة - الا ان هذه الآلات تستعمل في ايامنا للطرب ورافقها السكر والعريسة ، لذلك ليس استعمالها مباحاً ، وربما يمكن الترتيل بآلة النفخ التي تستعملها الكنيسة الرومانية (اعتقده يقصد الارغن) ويمكن ايضاً استعمال غيرها من الآلات الموسيقية احياناً ولكن بحذر شديد ، كما يعقد دوائر للغناء الالي اليوقان والرومان والسريان الكركرة ، ويباح للشبان العلمانيين استعمال الآلات الطرب ولكن ليس دائماً بل فقط

في حفلات الفرح ، واما النساء (المؤمنات) وبنات العهد (الراهبات) تأذن لمن القوانين بترتيل الاناشيد الروحية والمداريس بيتهن وايس في الكنيسة .

الفصل الرابع

من وضع الاغاني الرومية في الكنيسة السريانية ومنى ؟

منذ زمن مجمع نيقية المقدس شرع قديسنا مار افرام ينتج الاناشيد القدسية والمداريس ، ضد اهل البدع في زمانه ، وتبع ملائمة آخرون امثال مار اسحق وبلاي (اسقف بالش) وغيرها استمدوا التساييح من آيات مزامير داود . وفي عهد مجمع افسس ظهر اناس قوقيون (خزافون) اتقيا حركهم الروح القدس فانتجوا اناشيد روحية كثيرة ، وبعد سنة ٤٥١ نبع اللاهوتي الكبير علامتنا (نحن السريان) مار سويريوس قائل اناشيد روحية باليونانية وترجمت حالاً الى السريانية ، وضعها بالمعاني اللاهوتية السليمة ، وقدم عليها ايات من المزامير . وفي عهد يعقوب الرهاوي والعلامة جرجس اسقف العرب ، وضعت في - الطائفة السريانية - التساييح المعروفة بالقوانين اليونانية ، الف بعضها عالم دمشق اسمه قوريني بن منصور ، كما الف بعضها الاخر راهب يدعى قوزما الذي ابتكر ما يعرف بـ (القوقلين) او (القوانين) وهي اكثر عدوية من الاناشيد التي وضعها قوريني . وقوريني هذا كان من اتباع المجمع (الخلقيدوني) الا انه لم يتطرق بتساييحه هذه الى المواضيع اللاهوتية المختلف عليها ، ولذلك اخذت تساييحه وقوانينه طريقها الى كنائسنا في الشرق والغرب ، كما اكد لنا الاسقف عزيز ابن العجوز .

وكيفما كان ، فان الكاملين الذين لهم فكر المسيح ، لا يحتاجون الى الالحان الصارخة ، لانهم يحتاجون ربهم بأغماظ ناعمة هادئة ، وبافكار روحية صامتة ، اما الذين هم اقل درجة في الكمال الروحي ، والذين لم يزلوا يحملون العقول الصبيانية فانهم بحاجة الى صخب الالحان وارتفاع الأصوات ، ولذلك اعطاهم الاباء هذه الطريقة لكي يسبحوا الله بها طبقاً لرغباتهم ، لكي ينادى بالمسيح سواء بالكلام او بالحن .

الفصل الخامس

الاسباب التي من اجلها دخلت الروح الى الكنيسة

انني اعرف سيين اثنين ، من اجلها وافق الابهاء القديسون على ترتيب التسايح الروحية في الكنيسة المقدسة .

السبب الاول : ان النعمة بعدوبتها تخفف من وطأة الاتعاب النسكية ، وتلبي الناسك فينسى الشعور بالوقت والملل ، واذا عدم الانسان الشعور بالوقت والملل يعدم ايضاً الشعور بشدة وطأتها واعبائها ، وهذا الهدف يظهر واضحاً في الاطفال الذين اذا آلمهم شيء يلوذون بالبكاء ، واذا ما فاغتهم الأم بالخانها أنسبهم ما كانوا يتألمون منه فتهدا فيهم سورة البكاء ، ولا شك ان اللحن يؤثر ايضاً في الحيوانات فهذه الجمال مثلاً يقودها الحادي بالخانها ، وعلى ظهورها احمال ثقيلة تخفف عدوبة اللحن البسيط وطأتها ؛ فتقطع المسافات البعيدة ولا تشعر بالجوع او العطش او الاعياء .
والسبب الثاني : ان اللحن يؤدي الى زيادة تفهم المعاني الكامنة في التسايح الروحية ، وذلك على وجهين ، الاول : ان نظام الكلمة المرافق للنعمة يغطي امتداد الابيات وطول الوقت ، ويفسح مجالاً واسعاً للعقل لادراك المعنى وتفهمه ، والثاني ان الكلمة التي تنغظ بعدوبة موسيقية تكون افضل في النفس واحبها اليها . ولذلك تخشم النفس مستأنسة ويضطرم شوقها الى الله مستغرقة في تأملاتها .

الفصل السادس

اللذة المترتبة من اللعنة وسببها

يقول الحكماء بشأن اللذة الحاصلة من اللحن المتناغم ، ان كل لذة انما تتولد من الشعور الباطني الذي يثير العقل وينشئ الضمير ، وخاصة اذا كانت كل مقوماته موجودة ، واذا كانت فيه هذه المقومات ناقصة فان اللذة تسمو وتخفض بالنسبة الى قلبها واكثرتها ، واللذة التي تجني من عدوبة الاحن ، تؤثر في النفوس الرقيقة الحساسة

اكثر من تأثيرها في غيرها ، لأن اللذة انكاملة تكون باستمرار اللذة الروحانية ، بعد ألم زوالها ، ولذلك اذا داعبت نعمة عذبة النفس ثم غابت ، تليها النعمة الثانية فتعيد اللذة العابرة بتوقف النعمة الاولى ، وإذا ما غابت هذه ايضاً ، تتبعها نعمة جديدة فتعيد الهدوء والسعادة الى ساحة النفس من جديد ، وهكذا كل ألم يعقبه عزاء ولذة ، وبعد كل ضيق تأتي سعادة جديدة اعظم ، وعليه فان الارواح الحساسة الرقيقة بادراكها الشفاف لتوابع تدرك اللذة وتتجدد فيها السعادة كما داعبتها نعمة جديدة عذبة ، وان الارواح الكيفية المضطربة فشعورها الضيق لا تأبه لنعمة عبرت ، ولا تشعر بلذة النعمة الجديدة التي هدرت .

الفصل السابع

اسباب النعمة الطبيعية

ان الاولين الذين ابتكروا الالخان ، بنوا هذا الفن على اربعة اركان هي اركان العناصر الطبيعية الاربعة ، الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسه ، (١) ولا يمكن وجود أي منها ما لم يركب مع عنصر آخر من العناصر الباقية ، كما يظهر ذلك في عناصر الطبيعة والاختلاط ، فالعنصر الحار اما ان يكون رطباً كالهواء والدم ، أو حاراً كالنار والحرارة الحمراء ، والبارد أيضاً ، اما ان يكون رطباً كالماء والدم ، أو يابساً كالتراب والحرارة السوداء ، فمن الضروري اذاً ، ان تحصر انواع الالخان باثني عشر لحناً ، لان اللحن الموافق للحرارة والرطوبة ، اما ان يتفق معها اتفاقاً متساوياً ، ان يتفق مع الحرارة بصورة محدودة ، ومع الرطوبة بصورة أوسع ، أو بالعكس ، والالحن الموافق للحرارة واليوسه ، اما

١ - ان تطبيق الالخان على العناصر الاربعة المعروفة ، ربما هو مستمد من طبيعة الحر ذاته ، فالحرارة والبرودة والرطوبة واليوسه مستمدة هنا من كيفية اداء ذلك اللحن ، وهي تمثل في العرف الحديث ، رقعة اللحن او خشوته .
نعومته او فخامته (المترجم) .

ان يزيد في قوة كليهما زيادة متساوية ، او يزيد في الحرارة بصورة محدودة واليبوسة بصورة اوسع ، او بالعكس ، والليحن المتناغم مع البرودة والرطوبة اما ان يتناغم معها تناغماً متساوياً ، او يتناغم مع البرودة بصورة محدودة ، ومع الرطوبة بصورة اوسع ، او بالعكس . والليحن الذي ينمي البرودة واليبوسة ، اما ان يزيد في عنفها زيادة متساوية او يزيد في عنف البرودة بصورة محدودة واليبوسة بصورة اوسع ، او بالعكس ؛ وبناء على ذلك ابتكر الموسيقيون الفرس اثني عشر لحناً اساسياً ولا نزي من الضرورة احصاءها هنا وairad اسمائها . اما الملحنون الكنسيون اليونان والسريان وغيرهم فانهم اعتبروا الليحن المتطرف في المنف لحناً وقحاً وصبغاً ، ولذلك اجتنبوه ، وابتكروا فقط ثمانية لحن اساسية وسموها (اكاديس) ومن الخبرة استدلوا ان :

الليحن الاول والخامس ينميان الحرارة والرطوبة ، إلا ان في الليحن الاول رطوبة ضئيلة ليثة ، وهي عذبة مُبهجة ، وعليه فقد نظم فيه طقس عيد الميلاد ، لانه احتفال فائق البهجة ، وفيه اذيع الفرح الذي غمر العالم كله ، ومثله طقوس القيامة حيث جلبت الغبطة للتلاميذ والتلميذات والعالم اجمع . اما الخامس ، فانه حار جزئياً وفيه نظم طقس عيد الصعود ؛ لان فيه فارق الرب تلاميذه صاعداً الى السماء ، فاضطرموا شوقاً اليه ، واتهبوا بحبه الالهي ، ولولا كثافة الجسد لارتفعوا معه الى السماء .

والثاني والسادس ، يعززان البرودة والرطوبة ، إلا ان البرودة المتوسطة توجد في الليحن الثاني على قياس اوسع ، وعليه نظم فيه طقس العهاد ، لان فيه اذيع جلال عظمة الرب ، وان كان قد تنازل فاعتمد من عبده يوحنا ، إلا ان تلك العظمة اذيعت بحلول الروح القدس عليه وصوت الاب القائل (هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا) وبما ان الرطوبة هي أكثر موافقة للحزن ، وهي الاضف ، وهي أكثر ظهوراً في الليحن السادس ، لذلك نظم فيه طقس خميس الاسرار ، وسبت البشارة لانها ذكريات حزن والم .

والثالث والسابع ، لهما ينميان الحرارة واليبوسة ، إلا ان اليبوسة الجافة العنيفة هي أكثر عنفاً في الليحن الثالث ، لذلك نظم فيه طقس دخول الرب الى

الهيكل ، لان فيه خاطب الشيخ سمعان العذراء بعنف وقسوة اذ قال لها (وانتِ
سيجوز سيف في نفسك لو ٢ : ٣٥) والحرارة اثنائية التي تلتهب بقوة فاتها في
اللحن السابع لذلك نظم فيه طقس عيد العنصرة ، ففيه حل الروح القدس على
التلاميذ بثبه السنة نارية .

والرابع والثامن ، فيها البرودة واليوسة ، ولذلك نظم طقس عيد البشارة
باللحن الرابع ، لان العذراء غير المتزوجة ، سمعت بالحبل والولادة هالها الامر
فارتاعت ، وخشيت ان تخدع كما خدعت حواء في الجنة ، وكأني بها قالت للملاك :
اخشى ان تخدعني ايها البشر كما خدعت امي حواء ، بين الاشجار ، وعليه ففيه
ايضاً نظم طقس عيد السعائين لان فيه الملك المترج فوق الكروبيم ركب بتواضعه
جحشاً حقيراً بائساً . واليوسة العنيفة القاسية غزيرة في اللحن الثامن ، لذلك
فيه نظمت طقوس اعياد الشهداء الذين قاسوا العذابات الهائلة ، وتألقت فيهم بطولة
النفس الفاتقة . (١)

هذه هي الدعائم التي بنيت عليها الاغان طبقاً لما نظمه الحكماء الاولون ،
والذين جاءوا بعدهم ، وان لم يصيخوا سمو معارفهم الا انهم نسجوا على منوالهم ،
فحرصوا على الحفاظ على هذا الفن ، لمؤهلاتهم وان كانت ضعيفة .

١ - من المعروف ان الاغان الثنية المستعملة في الكنيسة السريانية نظمت عليها
الطقوس طبقاً لموضوعها ، كما ترى هنا ، وتسير الآحاد ايضاً طبقاً لنظام آخر
معروف لدى الطقسين السريان ، أما الحان ايام الاسبوع البسيطة فتكون تابعة للحن
يوم الاحد الذي يسبقها ، فاذا كان لحن الاحد هو اللحن الاول مثلاً ، - والمعروف
ان اللحن الاول يوافق اللحن الخامس - ففي ايام ذلك الاسبوع يتناوب اللحنان
الاول والخامس ، ثم الثاني والسادس ، ثم الثالث والسابع ، ثم الرابع والثامن ،
وهكذا حتى نهاية السنة الطقسية ، وهذا هو السبب في ان المؤلف يشرح كيفية
استعمال الاغان بهذه الكيفية ، مراعيًا تجانسها هذا (المترجم)

الفصل الثامن

درجات الفهم لعاني العار التزبل

ان درجات الفهم لهذه العاني ثلاث :

الاولى - درجة البسطاء : وهم الذين تتمتع نفوسهم باللحن فقط ، دون ان يفكروا بالمعنى الذي يتخلل الجمل والكلمات ، ومثل هؤلاء ليست لهم اية فائدة او اية خسارة ، من تبديل اشكال الكلمات او اوضاعها .

الثانية - درجة المفكرين : وهم الذين يشعرون بعذوبة الكلمات شعورهم بعذوبة اللحن ، وهؤلاء اما ان من الشباب ذوي الالهواء الجسدية العنيفة ، وهم يفسدون فهم معنى العبارات الملحنة ويسبونها طبقاً لاهوائهم المنحرفة ، فمجة الله يفسرونها بالحجة الجسدية ، وشوق النفس الى ربها ييلونسه الى شوق الى الامور المادية ، والاهواء المتشعبة الكامنة في قلوبهم ، وخاصة اذا رتل التراتيل الخاصة بحل بيعة الله والنفس الخالدة المستمدة من الزامير او من نشيد الانثاك ، منها الجمل الآتية :

ابنة الملك في المجد قامت . وبالمهدايا تذهب الى انك ، والعداري رفيقتها معها ، وخداك جميلان كجنة الاطياب ، وجدائك كارجوان الملك ، والعنق الرقيق كالحصن ، والشعر كقطع المعزى ، والاسنان مثل انعم الصاعدة من الماء ، كلها متم وليس فيها عقيم ، وعيون كبرك حشيون ، وحك مثل الحرة الطيبة هلمي لكي فنظر اليك ، سييتي باحدى عينيك ، وما الى ذلك من التعابير .
ان مثل هذه الجمل ينسبونها الى شخص معين ، فشير فيهم الالهواء العنيفة المضطربة ، وعوض الفائدة تلحقهم خسارة روحية كبيرة ، من سماع هذه الاذن .

الثالثة - درجة الكاملين : وهم الذين هم ذهن انسيح ، وافكارهم متعقة بحجة الله ، وهؤلاء ، كل كلمة يسمعونها تدل على الحجة ، يعزونها الى حجة الله الروحية ، كهجة النفس لربها ، فلاية القائلة مثلاً (احبتك العدارى) يفهمون

بها النفوس الطاهرة التي احبت المسيح ، والآية القائلة (انا وجميلة) يعزونها الى اسوداد النفس بالآثام وجمالها الاصيل الذي هو من اصل إلهي ، تأييداً لقول الله (نخلق الانسان على صورتنا كشبهنا) والآية القائلة (أدخلوك الى مخزن الخمر) يقصدون بها مثل النفس بالمعرفة الروحية السامية ، وهم يفهمون بالجسد جلباباً يحجب النفس عن ربها ، ويفهمون بالآية القائلة (انه واقف خلف حائطنا يتطلع من الكوى ويرقب من الشقوق) انقشاع كثافة الجسد لتجلى له الرؤى والالهامات . والآية القائلة (وجدني الحرس الطائف في المدينة ، ضربوني وجرحوني ورفعوا ازاري عني) يفسرونها بالشياطين المترصد خطوات النفس فتتزع عنها مجدها الروحي ويفسرون (الثعالب الصفار المفسدة للكروم) بادواء الجسد العنيفة .

وهكذا يجدون لكل جملة من هذا القبيل معنى سامياً من المعاني الروحية ، وان لم يكن يقصد ذلك قائلاً ، مثال ذلك الاب اوغريس كان سائراً مرة في شوارع مصر ، وسمع طفلاً يقول لأمه ، ان احد الاغنياء يحبني ولكنني اكرهه ، و فقير يكرهني وانا احبه . قال لتلاميذه : الذين كانوا معه ، بالحقيقة ان الله غني ويحبنا ولكننا لا نزيد طاعته ، والنيطن فقير وهو يكرهنا ؛ ولكننا نحب شروره .
وسمع اخ فاضل طفلاً يتعجبني العبارة القائلة (عودي يا نفسي الى راحتك) تنهد وقال : كم اقول لها عودي وهي لا تعود . وسمع احد الفضلاء العارفين اغنية تقول (حبيبي التوهج الضياء ، جماله الفتشان يشبه القمر الذي يتبدل نوره كل يوم ويتغير) قال : لا تبدل في جمال المسيح السامي ، ولا تغير في اشعته المتوهجة ولكن باختلاف اتباعه يحدث تبدل بالهائاته ، ويتغير افكار الناظرين اليه بتغير اشياء منظره .

الفصل التاسع

تأثير الالهام في النفس

بعد اللذة التي تناولها النفس من سماع الالهام وتفهم معاني عباراتها ، تتأثر بها تأثراً عميقاً او ضحلاً ، طبقاً لعمق استعدادها او ضحالتها ؛ شوقاً كان

اورهبة ، المأ أو فرحة ، حزناً أو بهجة ، عزاء أو ندامة ، امتداداً أو انكفاء ، الى ما هنالك من التأثيرات والميول ، وهكذا تطراً عليها تأثيرات عظيمة هذا مقدارها بحيث يتأثر الجسد أيضاً بتأثيرها ، فتصيب الانسان حالة عنيقة تشبه الجنون وعلى حد قول الآباء : ان في لحظات الوحي التي بها يشف القلب بلحب الآلهي ، المتحد بالمسيح ، يخرج الانسان عن طوره الطبيعي ، فلا يمكنه السيطرة على نفسه اللتية ، حيث تطير فرحاً وابتهاجاً بما يفوق الطبيعة ، متاهة الى تلك الرؤية المجددة ، وتحاول حتى اجتذاب الجسد معها بكل كيانه ، بلحمه وعظمه وشرائينه لكي يتمتع معها بهذه اللذة الروحية الفائقة ، ومن المؤكد ان هذا الحب نفسه تأثر به داود فدعا جميع الامم واسباط اسرائيل لكي تصفق وتفرح وبتبجح ، وترقص امام تابوت عهد الرب ، باعواد الارز والعنوبر وبالقيثارات والكنارات والدفوف والطبول وبصنوج السماع ، وبما ان حركات الجسد غير الطبيعية هي علامات الجنون ، ولكنها هنا ليست رديئة لان جنونها متعلق بحجة الرب ، وددؤها هو دليل العقل ، فانه يحرص ان يهدى من روع اعضاء الجسد ، بقدر المستطاع ، ان التبجح اذا كان من الطغمة الكهنوتية يحجم عن ذلك لان الرقص غالباً يذهب بالوقار والهيبة وربما عرض الكرامة الى الخطر ، والدليل على ذلك ، لما اطلت ملكيل ابنة شاول من الثباك فرأت داود يفرح ويرقص ويتظاهر بما يشبه الجنون امام تابوت الرب ازدرته واستهجنته وقالت : ما اجد اليوم ملك اسرائيل وقد ظهر امام جولري عبيده كأحد التافين ، وكانت محقة ، لذلك لم يكنها داود ، بل انتقم منها بعبارة مقذعة قال : اني امام الرب الذي فضلي على أيك ، وكل آل يته ، ورفني مدبراً لشعبه اسرائيل ، فضحكت امام الرب ، واني اقل من ذلك اذ اصبحت تجاهه ضئلاً في عيني نفسي ، لذلك تنازلت الى وسط الجوارى لكي يرفن قدرتي ، . ومن هذه الامور يظهر ان اللعب والرقص تكونان غالباً من دلائل الهوان .



الباب السادس

الصوم

وفيه سبعة فصول

الفصل الاول

تأثير الصوم وفوائده

بما ان الانسان خلق مزدوج الكيان ، عاقلاً ومائتاً ، وقد اعطاه خالقه درجة اعلى من البهائم واحط من الملائكة ، ولذلك يمكنه اخذ ميوله المادية بقواه العقلية ، فاذا تسلطت عليه ميول النحرقة يمكنه الصوم ضدّها واخذها بجهد التواضع ، ولهذا السبب ، كلما استسلم للميول هبط الى درجة البهائم ، وكلما انتصر عليها ارتفع الى درجة الملائكة ، وباقترابه منهم يقترب من العزة الالهية لان القريب من القريب قريب ، وهذا القريب (الملائكة) ليس محصوراً بمكان لان الاجسام وحدها تحصر في كل مكان ، وليس الارواح ، يتج اذن ، ان المجابين بالجسد ، يرتفعون الى سمو الملائكة ، باشكال خاصة من السموات ، ولما كان الامر كذلك نقول :

ان الصوم متجه الى هذا الهدف ، لان عيني النفس تتقي به الاوضاع فتبصر الروحانيين ، وكلهم ، وتتوق اليهم وتنجو من ثقل الاطعمة الدسمة ، المتبوعة التي تسدل ستار الظلام على بصيرتها بانخربتها التصاعدة ، وتنهبها عن رؤية الامور الروحية ، ففي الانقطاع التواضع عن الطعام ، تخمد الالهواء النحرقة ، والميول البشرية ، فتصقل مرآة النفس وتصبح صالحة لانعكاس الصور الروحية ، ويؤكد العارفين ان ذلك مئات من تأثير الصوم .

الفصل الثاني

انواع الصوم الاساسية

إن التمسكين بفريضة الصوم ، أما انهم يتمسكون بها ، بالنسبة الى الزمن ، واما بالنسبة الى نوعية الاطعمة ، واما بالنسبة الى الاطعمة فقط ، دون النظر الى الزمن ، واما بالنسبة الى الزمن ونوعية الاطعمة معا ، وهذه هي انواع الصوم الثلاثة الاساسية ، وأما الرابع وهو الصوم الذي لا يلاحظ الزمن ونوعية الاطعمة ولا يتقيد بها ، فليس قانونياً ، .

النوع الاول - وهو صوم اليهود وغيرهم بحيث ينقطعون عن جميع الاطعمة نهائياً ، ويتناولون جميع الاطعمة ليلاً .

النوع الثاني - وهو صوم غالبية المسيحيين ، الروم والارمن والاسيريين ، والسريان المغاربة ، والذين في الشمال الغربي ، ان هؤلاء ينقطعون فقط عن الاطعمة الدسمة ، وما يذبح من الحيوانات ومنتجاتها ، كمنتجات الحليب والبيض ، وذلك في جميع الاصوام ، ويقتصرون فقط على الاطعمة البسيطة كالبقول والفواكه والنباتات ، وهم يأكلون نهائياً ، وبعضهم يأكلون مرة واحدة فقط ، وذلك في الساعة الثالثة ، والبعض في الساعة السادسة ، والبعض في الساعة التاسعة ، يأكلون وجبات كاملة بدون تحديد .

النوع الثالث - وهو صوم القبط والسريان المشرقية ، وجميع الذين يسكنون الجنوب الشرقي ، ان هؤلاء ينقطعون عن جميع الاطعمة منذ الصباح حتى المساء ، وفي المساء يأكلون الاطعمة المختلفة . والذين يأكلون نهائياً فانهم يأكلون الاطعمة البسيطة وينقطعون عن الاطعمة الدسمة بعكس الذين يصومون مساء فانهم لا يأكلون الاطعمة المقلاة والطبوخة والمشوية .

وبما ان الرسل القديسين والآباء ، قد حددوا صوماً بسيطاً في قوانينهم ، دون ان يوضحوا كيفية هذا الصوم ، لذلك اختلفت تقاليد الصوم عند المسيحيين .

ان النوع الاول هو ضد اهداف الصوم ، لان الغاية من الصوم اذلال الجسد وكبح الاهواء المختلفة ، واخماد الميول الجسدية ، لكي تضيء النفس التي اظلمت بظلام المادة ، وتمتقي كالرآة من الاقدار التي تشوشها ، اما الذي يقاص معدته ويعذبها بالجوع النهار كله ، ثم يتناول في المساء الاطعمة الفاخرة فانه يشمر بلذة اعظم ، وبسبب هذه اللذة تمتشى الاهواء في جسده ، وبدهي انه لو لم يصم لما تناول هذه الاطعمة ومن هنا نستدل ان الصوم الافضل هو النوع الثالث المشار اليه ، والصوم الاجوف هو النوع الاول ، واما النوع الثاني فهو وسط بينهما ، لانه ليس شرهاً كالاول مجدياً كالثالث .

الفصل الثالث

درجات الصوم وقوانينه العامة

ان المعلمين الثققات ، يعرفون ثلاث درجات للصوم القانوني ، العام والخاص والأخص الصوم العام : هو الانقطاع عن الطعام والشراب نهائياً انقطاعاً كاملاً ، طبقاً لرأي بعضهم ، او الانقطاع عن تناول لحوم الحيوانات ومنتجاتها نهائياً وليلاً كراي الاخرين . والصوم الخاص مع الانقطاع عن الطعام والشراب انقطاع الخواس عن ممارسة اهوائها المنحرفة .

والصوم الأخص ، بالاضافة الى الانقطاع عن الاطعمة وتوقف الخواس عن الاهواء صوم النفس ايضاً عن الافكار الشريرة .

الصوم الخاص وهو لجميع المؤمنين ، وله اربعة قوانين عامة هي :

الاول - يجب ان يعرف جميع المؤمنين اوقات الاصوام السنوية وتواريخها ،

وخاصة الصوم الكبير ، المقدس ، ولا سيما اذا كان احدهم في بلد غريب وبين ابناء

الاديان الاخرى : فانه يرتبك اذا كان يجبل موعد الصوم ، ولا يعلم كل مؤمن ان الصوم

الكبير يصادف يوم الاثنين التابع الهلال الجديد الذي يظهر في شباط او آذار فيما

اذا لم يظهر في شباط ، والمعروف ان الصوم الكبير هو ثمانية واربعون يوماً ، وقد

حدد مجمع الابهاء القرمس : ان المؤمن يجب ان يشرع بالصوم الكبير اعتباراً من اليوم

العشرين من شباط ويحتفل بالعيد الكبير في العشرين من نيسان ، اذا كان متغرباً ولا

يعرف حساب الصوم . ومن قوانين مار سوريوس ، اننا لا نحل الصوم مساء السبت العظيم بل بعد صياح الديك ، ثم نبدأ بفرح العيد .

القانون الثاني : عندما يستيقظ المؤمن الصائم صباحاً ، فايصل ويقرر انه مستعد لمتابعة الصوم ، ويطلب الى الله ان يقبل صومه ، ويعضده في الجهاد ، وقرار مثل هذا ضروري بدليل ان كثيرين من الناس - يصدق احياناً ولاسباب مختلفة - لا يذوقون الطعام حتى المساء ، وهذا يعتبر صياماً ، وكثيرون لا يمكنهم الشبع حتى بالكفاف ، وهؤلاء ايضاً لا يعتبرون زهاداً .

القانون الثالث : ليحذر الصائم من ولوج أي شيء مما يؤكل او يشرب الى فمه وخاصة اذا كان راغباً في تناول الاسرار المقدسة ، وان ابتلع أي شيء بدون ارادته ، فلا حاجة ان يحل صومه ؛ ولكن لا يجب ان يتقدم من الاسرار المقدسة ، والذي يغسل فمه فان لم يتص شيئاً من الماء فلا يمنع من تناول الاسرار المقدسة ، وطبقاً لرأي بعضهم ، ان الذي يتقياً لا يجب ان يتناول ، اقول ، اذا كان تناول الاسرار ضرورياً له فليفعل ، وخاصة في خميس الاسرار وصباح احد القيامة العظيم ، وان لم يدخل شيء من الدم في بلعومه ، فليغسل فمه وينترك بالاسرار المقدسة .

القانون الرابع : ليحذر الصائم من القيء ، واذا هاجمه مرض مثل هذا فاستمر يتقياً فليحل صومه ، واذا ضايقه المرض فاضطر ان يحل صومه فليعط طعماً لفقيرين في المساء .

الفصل الخامس

قوانين الصوم الخاص

هو صوم المؤمنين الصادقين ، وله سبعة قوانين :

الاول : اغماض العينين عن النظر الشره ، ورؤية ما يعطى العتل عن ذكر الله واحكامه الرهية .

الثاني : حيانة اللسان من الكذب والنميمة والاشتياب والازخراء والشم والهدر والكلام الباطل ، والتبذل .

الثالث : سد الآذان عن سماع الكلام القبيح فما كان قبيحاً النطق به ،
قبيح أيضاً سماعه .

الرابع : كف اليدين عن الاسراع الى الضرب ، والرجلين عن السعي
الى الشر .

الخامس : الحذر الكامل من أكل ما جاء عن طريق الظلم ، او الحرام ،
على حد قول الملقان : اذا تحدثت عن صوم الائمة فانه عار عظيم ، انهم يصومون
ويأكلون الربى ، ويصلون ويشربون الخنى ، ومن مساء الى مساء آخر يأكلون
لحوم المساكين ويشربون دماءهم .

السادس : ان زين الغني الصالح صومه بالرحمة ، لان الرحمة بالنسبة الى
الغني الحكيم ، تعادل الصوم الحقيقي ، ويذكر انه قيل لاحد الحكماء : ان الغني
الفلاني يكثر من الصوم والصلاة ، فقال : ان الرجل بائس ، فقد اهمل واجبه
وتمسك بواجبات غيره ، فالاصحح له ان يشبع الجوع ، ويكسو العراة ، ويهتم
باليائسين ، من ان يجوع ، ويصلي ويضيف على يساره يساراً . وقال الملقان في
هذا الصدد : هناك من يذل نفسه بالصوم ، ويلوي عنقه ، ولا يرغب اعطاء
كسرة خبز للمساكين ، وهناك من يبرغ فراشه بالرماد ويكتسي بالمسوح ، ويرى
المحتاج في ضيقه ولا يرحمه ، وقد يكت اشياء صوماً مثل هذا وازدراء واحتقره .
السابع : الا يصوم الصائم ويتجج كالرائين ، انهم يتظاهرون بالكآبة
والعبوس ، ويخدعون الناس كأن الصوم اعيام ، فاذا كانت للانسان عادة فليدهن
ويقتل وليخف ضعفه بقدر استطاعته ، طبقاً لتعليم الانجيل .

الفصل الخامس

قانون الصوم الرفض

الصوم الاخص هو صوم الكماين العارفين ، وهو استئصال شأفة الشرور
من اعماق القلب ، ومجدهه المجيد بالانبياء اشياء بقوله : (اليس هذا هو الصوم

ينتظرون منه منحة او ينتظر غنى ، وليقدم خدمة نصوحاً ليحوز الغنى فيكرسه لرفع شأن سيده اكثر مما يخص منه لرفع شؤونه الخاصة . ولا يتملك ما هو جدير بالملك فقط ، والا لاهلك حياته وما حازه بأن واحد ، ولا يطمعن باكثر من مرتبة ومن ابتلي بخدمة ملك ظالم او سيد عاتٍ . فانه بين نارين . فاما ان يرضى ظم سيده فيغضب الله ، واما ان يحاول الدفاع عن ابناء الشعب المظلومين فيعرض نفسه لهلاك اكيد ، قال احد الفضلاء : اذا اسماك الملك اخاً ، فسيه انت سيداً ، ولئن اكثر فضلك عليه فاعتبر فضله عليك اعظم ، واجتهد ان تلبى وامره بخدمتك الدائمة المستمرة ، لان الملك ينسى سريعاً ان يجعل نهاية كل خير بداية لخير آخر . واذا خاطبك فاجعل كل عضو من اعضائك اذنًا صاغية ، ولا تفكر بأي فكر او عمل آخر ، ولا تلتفت الى جهة اخرى .

الفصل الرابع

ما لا تصرف رجال البر مع الملوك الظفاه

هناك ثلاث حالات لتصرف رجال الصلاح مع ملك طاغٍ او حاكمٍ ظالم .
الاولى : ان يذهب رجل الصلاح الى الظالم . : الثانية ان يذهب الظالم الى رجل الصلاح
الثالثة : الا يذهب رجل الصلاح الى الظالم . الرابعة : الا يذهب هذا اليه . وعند العارفين ، ترفض الحالة الاولى ؛ وتحبذ الثالثة ، والثانية بين بين ، .
ان يعاشر حاكمها ظالماً يخطيء باربعة امور : بالعمل والسكوت والكلام والفكر ،
اما في العمل ، فانه عندما يدخل عليه فمن البدهي ان يسلم ، ويؤدي له ورائض الخضوع والاحلال ، وبذلك يكون قد رفع قدر من يحتقر الله واوامره ، الامر الذي ليس حقاً . وفي السكوت ، ان يرى لديه خرقاً للشريعة فيخشى او يخجل ان يصرح بذلك . وفي الكلام ، ان يمدحه ويباركه ويصلي من اجله ، وقد قيل قديماً (الاثيم يبارك والرب يغضب) وفي الفكر ، عندما يتظاهر بتصديق اكاذبه ويعتبره من الملوك العادلين .

كان موسى يدخل على فرعون ؛ وايليا على آخاب ؛ وناتان على داود ، للتأنيب والتوبيخ لا للمجاملة والمدح . والحظوى عند الظالمين ، كما قد نعمل نحن البؤساء الضعفاء .

وفي الحالة الثانية ، اذا دخل الحاكم الظالم على الرجل البار ، فليرد له السلام باختصار ولا يستقبله الى الخارج ، ولا يقف له اجلالاً ، لكي تظهر للظالم مظالمه ، واما اذا دخل عليه بجماعة ، فيجب على البار ان يقف له اجلالاً ، ويحترمه ، لئلا يحقره عيده فيهلكهم ، فيكون البار قد اشترك باهلاكهم .

وفي الحالة الثالثة ، الافضل الا ينظر الحكام الظالمون بال الرجل البار ، لكي لا يغضب او يُغضب ، واذا شعر الرجل البار انهم يريدون لقياء ، فليخفف او يتعد ، كلاب سيمون الذي بلغه ان حاكماً يريد رؤيته ، فربط حقويه حالاً وصعد الى نخلة عالية ، واخذ يتقيا ، ولما وصل رسل الحاكم ، ورأوه على النخلة سألوه : ايها الشيخ ابن دو الناسك ؟ فاجاب : انه ليس في صومعته ، وهكذا عادوا خائين .

وبعض الناسك الكاملين لا يصلون في كنيسة زخرفها الحكام الظالمون ، ولا يمرون على جسر عليه يمرون ، وفي القنادق التي يشيدون لا يتزلون ، متشبهين بسيد الانبياء الذي اتخذ له رسلاً ومبشرين من الخطاة والمشارين ، وكان يدخل عليهم لا لكي يرضي عنفوانهم ، بل ليجذبهم الى غفران خطاياهم .

الباب الخامس

ارعمال الابدوية

وفيه ستة فصول

الفصل الاول

اقوال الآباء في فضيلة الاعمال الابدوية

لما سئم الاب انطونيوس تراءى له ملائكة الرب بشكله جالساً ينسج حصيرة ، فترك (الملائكة) عمله وصلى ، ثم جلس ينسج ، ثم قام وصلى ، وسمعه بعد ذلك يقول : اقل هكذا انت ايضاً يا انطونيوس فتجيبا .

قال احد الشيوخ : اذا استيقظت صباحاً ، قل ايها الجسد اشتغل لتعيش ، واستيقظي ايها النفس تنالي الحياة . وقال آخر : ان كنت غير محتاج فلا تهمل العمل اليدوي ، اعمل ما استطعت الى العمل سبيلاً ، اعمل بدون اضطراب .

قال الأب نستير : في الاب نيسطايون نقلا عن الأب اثير : اذهب وقلص معدتك وعظم عملك ولا تضرب في الصومعة . وقال ايضاً : امكث في صومعتك ونقِّ بقولك ، ذلك خير لك من ان تذهب وتطلب من الناس .

قال شيخ من طيبة (تالابيس) لا تأخذ صدقة من أحد ، بل لتكف يداك حاجتك ، وان لم تستطع التصدق من عملك ، يكفيك ان تسد رمقك من عمل يديك .

وقال الأب امون : ذهبنا مرة . الاب بطيميس وانا ، لزيارة الاب اخيلا ، فوجدناه ليلا ينسج حصراً كثيرة ، وقال لنا : اني حقاً لا احتاجها ، بل اعمل فيها ليلا يلومني الله بكوني استطيع العمل ولم اعمل ، اني اشتغل بكل قوتي .

وقال الاب اوغريس : احرص على ان تعمل يديك ، اذا استطعت نهائياً وليلاً ، ليلا تثقل على احد ، لان من لا عمل له تتنازعه الالهواء المختلفة .

الفصل الثاني

تفطير الاعمال اليدوية

قال البعض ، كيف تفضل الاعمال اليدوية والرب قال : تأملوا طيور السماء التي لاتزرع ولا تحصد ، ولا تخزن في اهرائها ، وابوكم السموي يقيتها) ومريم التي لم تكن تشتغل مثل مرثا المهتمة بامور كثيرة وجدت نصيباً صالحاً لن يزرع منها ، وورد في كتاب فردوس الرهبان ، ان احد النساء لم يكن يشتغل البتة ، وكان يدخل صومعته مساء فيجد خبزه معداً ، واثر عليه ناسك اخر فحماله على العمل ، ولما كان المساء ودخل صومعته وطلب الخبز كعادته فلم يجد شيئاً ، نام كئيباً ، وظهر له من قال : لما كنت منصرفاً الي قمتك ، واما الان فقد باشرت تشتغل فادلب قوتك من عمل يديك .

يقول : ان ذلك خليف بمن انصرف بكليته الى الاعمال الروحية ، واما الذي لم ينصرف بكليته ، فعليه ان يشتغل ، لانه ما لم ينصرف الى احد هذين الاتجاهين تصرفه البطالة الى اهوائه المنحرفة ، فلا يمكنه المكوث في الصومعة .

قال القديس بولس : ان الذي لا يريد ان يشتغل فلا يأكل . وقد امر الذين يسيئون التصرف ، وهم لا يشتغلون ، ان يشتغلوا بهدوء ويعيشوا من اعمالهم ، وقد نادى داود بالطوبى والسعادة لمن يعيش من عمل يديه .

جاء احد الاخوة الى الاب سيلونا ؛ ولما رأى الاخوة يشتغلون قال متعجباً اعمالوا لقوت يفتى ، اما مريم فقد اختارت لها نصيباً صالحاً ، قال الشيخ لتلميذه زكريا : اعطيه كتاباً واذهب به الى صومعة فارغة ، ولا تطعمه شيئاً ، ولما طال الوقت وجاع لامهم لانهم لم يدعوه للغداء ، قال له الشيخ : انت رجل روحاني ولست محتاجاً الى العمل ؛ اما نحن فجسدانيون نشغل ونأكل . ولما دخل وقدم التوبة قال له الشيخ : ان مريم كانت ايضا بحاجة الى مرآة ، فعمل مرآة كانت مريم معتزة ومرقحة .

والعمل اليدوي ؛ يكون اما لسد الحاجة ، واما لاكثر من الحاجة . والاول ، وان كان بالامكان ان يعيش الناسك بدونه ، إلا ان الافضل ان يشتغل ويعيش . والثاني يكون لتوفير ما يمكن ان يقدم صدقة للمحتاجين ، وهذا مايفعله الابرار كقول الاب اوغريس : ليكن لك عمل يديك للصدقة . وسد حاجات الغرباء ، وخالصة القول ترك العمل اليدوي جدير بأربعة اصناف :

الاول : للناسك الذين ينصرفون الى العمل اليدوي بالاضافة الى الركوع المستمر والصلاة المتواصلة . ويحذر الاب اوغريس مثل هؤلاء بالأقل يقللوا من الصلاة بحجة الاعمال اليدوية .

الثاني : للكاملين المنصرفين الى الاعمال الروحية الصرفة ، وهؤلاء اذا سدوا رمتهم بدون الصدقة فانهم لا يشتغلون .

الثالث : الاكليريكيون الذين يمارسون انخدم الكنسية ، وقال فيهم الرسول :
الذين يخدمون المقدس يأكلون ، والذين يخدمون المذبح فمن المذبح يعيشون .
الرابع : الآباء الذين يرثسون الشعب وينشرون بشارة المسيح بروح رسولية
وهؤلاء وان كانوا جديرين بان يعيشوا من الحق الاول ولكن الاجدر بهم ان
يشتغلوا ، كما قال بولس لاهل تسالونيقي : اننا لم نأكل خبزاً مجاناً من احدكم ،
ولكننا كنا نشغل وندأب ليلاً ونهاراً لئلا نثقل على احد منكم ، ليس لانه لا يحل
لنا ، بل لكي نعطي لكم بذاتنا قدوة لتتقدوا بنا .

الفصل الثالث

انواع الاعمال

هناك خمسة انواع للعمل الشرعي الذي يتج الارباح السادة المشروعة ،
وكل رجل يرغب ان يعيش كريماً يجب ان يعلمها ، وهي :
النوع الأول : الشراء والبيع ، وله اربعة عناصر اساسية ، الشاري ،
البائع ، البضاعة ، الرضى .
الشاري او البائع لا يجب ان يكون قاصراً او مجنوناً او معتوهاً ، والعبء
ايضاً بدون موافقة سيده لا يسوغ له الشراء او البيع . والبضاعة التي يمكن ان تدر
ربحاً مشروعاً يجب ان تكون تحت تصرف صاحبها ، وغير مرهونة ، ومعروفة
بجوهرها وحالتها وكميتها بالاضافة الى الرضى ، كأن يقول البائع ، بعت ، والشاري
يقول : اشتريت . وذلك في المبيعات الهامة كالعقار والاقمشة والدواجن ، وليس
المواد البسيطة كالخضار والخبز وما الى ذلك .

النوع الثاني : البيع مقدماً : كمن يسبق فيدفع ثمن حنطة او شعير او عسل
او زيت ، وما إليها ، وذلك قبل ان تكون جاهزة للبيع . وهنا يجب ان يكون
الثمن معيناً ليرد الى صاحبه فيما اذا تلف البيع ولا يمكن ان يتظر الشاري الى
الموسم الثاني . ويجب ان يكون البيع معروفاً ومعيّناً بجوهره وحالته وكميته ، والمدة

اتي خلالها يجب ان يسلم للشاري ، ويشترط الا يكون المبيع متوقفاً وجوده على التنقيب والبحث عنه كالمعادن مثلاً .

النوع الثالث : الايجار : وله عنصران ، بدل الايجار واستعمال المأجور ؛ وبدل الايجار يجب ان يكون معيناً ، سواء كان عقاراً او عملاً ، واستعمال المأجور يجب ان يكون ظاهراً وصريحاً ، وعليه فمن يتوسط بين المستأجر والمؤجر يجب ان يبين الثمن ، وبعض المبيعات ليس فيها ارباح اخرى ؛ كبن الموضع ، وحجر الكاتب ، وخيوط الخياط .

النوع الرابع : التجارة وتتوقف على حصول التاجر على قوة نقدية ، ولها ثلاثة عناصر . الاول : النقد نفسه ، الثاني : الفائدة ؛ ويجب ان تكون معينة اي حصة صاحب النقد وحصة التاجر ، والفاء صاحب النقد التجارة فيما اذا وجدت المبيعات وليس فيها ربح ، فياخذها كما هي واذا دربت ربحاً معيناً يبيعها التاجر والربح الصافي منها يقسم بين صاحب النقد ، وبين التاجر طبقاً للشروط المسبقة بينهما . ويجوز للتاجر نقل البضائع من مكان الى مكان بموافقة صاحب النقد ، واجوز النقل والحائوت تسقط من الارباح العامة ما عدا ايجار سكنى التاجر .

النوع الخامس : الشركة - ولها اربعة اركان ، الاول : مشاركة الرضى كأن يقول كل منها ، اتفقنا ان نكون شريكي بما لنا وما علينا . الثاني : مشاركة العمل : وهي قسمة ارباح عملها مناصفة ، الثالث : مشاركة القابلية : فيقدم احد الشريكين مالاً ، والثاني نفوذاً وخبرة ، وما اليها . الرابع : مشاركة التملك : ويتم في توحيد ما يملك قبل الشراء والبيع ، ويقسمان الارباح كل بالنسبة الى رأس ماله ، والركن الاخير شرعي ، والثلاثة المتقدمة جائزة .

وهناك نوع سادس ، وهو الربى والتسليف ، وتمننه جميع الاديان العمومية وتعتبر المرابين والسلفين ائمة يسلبون اموال الناس ظلماً ، ورد في التوراة قولها (ولا يعيش اخوك ولا تعط له تسليفاً ولا بالريسي) ثم قيل في الرجل الصالح (فضته لا يمطيا بالري) .

الفصل الرابع

الخطايا الناتجة عن البيع والشراء

يقول الحكيم : بين حجرة واخرى ينزل وتدد ، وبين البائم والشاري تكثر الخطايا . والخطيئة هناك تكون بطريقة الاغتصاب . والاضراب يقع من رجل على آخر واما ان يكون عاماً او خاصاً ، والاضرار العام نوعان ، الاول ، الاحتكار ، كاحتكار الفلّال الى وقت الضيق والفلاء ، وهذه خطيئة عظيمة لانها متاجرة بارزاق البشر عامة ، وقد قال الحكيم : ان الذي يحتكر الغلة الى زمان الضيق فانه يتركها للأعداء ، والبركة على رأس البادر في البيع .

والنوع الثاني : التعامل بعملة مزيفة ، وهذا واضح ، لأن من يأخذ عملة مزيفة فانه يخسر ثمنها لعدم شرعيتها وامتنعالة التعامل بها . واذا دفعها لمن يتعامل بها خلصة فانه يخطيء ايضاً ، ويحمل خطيئة لغيره ، او يدفعها لرجل لا يتعامل بها فيسبب له خسارة ايضاً .

ويجب ملاحظة ثلاثة امور في العملة المزيفة ، الاول : اعادة هذه العملة الى صاحبها الاول - إن عرف - لكي يتلفها او يرميها في بئر . الثاني : وجوب معرفة التاجر المزيف من غير المزيف ، لان ربما يأخذ عملة مزيفة ويدفعها للغير ، الثالث : يضطر ألا يبيعا باثمان ناقصة ، فيكون قد غش الآخرين ، وتزييف العملة يكون باستعمال معدن يشبه الفضة او الذهب وليس منها . واما العملة الحقيقيه فهي ما اتفقت عليه الحكومات بالنسبة الى النوعية والكيفية لتعامل مختلف الامم بطريقة مشروعة .

والاضرار الخاص : ما خسر به الشاري وحده ، وللتجارة المشروعة اربعة شروط : الاول : الا تمتدح التاجر بضاعته كاذباً ، فيخطيء ، ويجب ان تكون دعايته لابضاعة صادقة ، وحينئذ لا يخطيء ، ولا يسوغ ان يقدم ابداً .

الثاني : الا يخفي عيوب بضاعته ويظهر الجانب الحسن منها ويخفي الجانب السيء ،

ولا يعرض بضاعته في زاوية مظلمة ، كما يفعل اليوم التجار الروميون الى جانب البحر . يحكى ان رجلاً كان يمزج ماء في حليب بقرته ويبيعه ، فجاء مرة سيل وجرف البقرة ، فقال له ابنه : يا ابي ، ان الماء الذي كنا نمزجه مع الحليب بكميات قليلة تجمع اليوم واصبح هذا السيل فجرف البقرة .

الثالث : الا يغش في المكايل والمقاييس ، بل ليكن للناس كما يريد ان يكيلوا له ، كقول الله تعالى : اتخذوا لكم ميزان الصدق ومثقال الحق شرعة العدل . وقال الحكيم في هذا الشأن : اختلاف الثاقيل والمكايل اي تفاوتها ثقلاً وقياساً ، امور مكروهة لدى الرب . ولا ينجو الانسان من هذا الاثم الا اذا اخاف عند العطاء واتقص عند الاخذ .

الرابع : ان يصدق في الثمن في الشراء والبيع ، فاذا خرج تاجر المدينة لشراء قمح من القرى ، يجب ان يعطي نفس الثمن الذي يعطيه في المدينة ، واذا عرض شيئاً للبيع فيجب ان يعين ثمن الشراء الاصلي ، والربح الذي يريده منه .

الفصل الخامس

اسماء المعروف في التجارة

يمكن للتاجر لاسماء المعروف في تجارته بستة اشكال :
الاول : اذا اشترى احد منه شيئاً ، وكان الشاري محتاجاً الى ذلك الشيء حاجة قصوى ، ويمكن للتاجر وضع سعر عال على تلك البضاعة نظراً لحاجة الشاري اليها ، ولكنه لا يفعل ذلك فيعد عمله هذا معروفاً .

الثاني : اذا باع التاجر بضاعة لفقير ، واعطاه فرصة خاصة ففي ذلك معروف ، الامر الذي لا يتعامل به مع رجل غني يشترى منه نفس البضاعة .

الثالث : اذا باع التاجر بضاعته لفقير ايضاً ، بثمن اقل من ثمنها الاصلي ، لو اقضه ديناً ، ولم يضايقه بتسديد ذلك الدين حالاً ، فان في عمله معروفاً ، على حد قول الله في التوراة : اذا كان اخوك مديناً لك بشيء فلا تدخل بيته لاسترداد

الدين ، بل انتظر لكي يأتبك به الى السوق ، وان كان فقيراً فلا تم في ردائه بل اعده له قبل غروب الشمس .

الخامس : اذا اتفق على شراء او بيع بين شخصين ، وحصل كل منهما على حقه ، ولكن ندم احدهما ورغب بالغاء الصفقة ، فاذا وافق عميله على ذلك فمواقفته معروف .

السادس : اذا باع التاجر بضائعه للفقراء والمساكين ، ولم يأخذ منهم إلا ربحاً بسيطاً ، واذا وقع احدهم تحت دين له ، يعمله حتى يمكنه دفع الدين ، فذلك كله معروف .

الفصل السادس

حقيقة العدالة في التجارة

العدالة في العمل هي ألا يغدر الانسان ولا يُغدر ، وحقيقة العدالة هي ان يوفر الانسان لنفسه ارباحاً روحية بالإضافة الى الارباح المادية ، ويكون ذلك في سبعة اساليب :

الاول : ان يبدأ التاجر تجارته مستهدفاً الخير ، واستهداف الخير هو الحصول على الأود الضروري للعيش بكرامة مع افراد أسرته ، وليس بقصد الاثراء الفاحش من الطرق المحرمة ، وقد قال الرسول بولس : ان الذين يرغبون في الاثراء يسقطون في تجارب كثيرة متعرضين لاشراك الشر والاهواء المحرمة التي تفرق الانسان بالهلاك والشبور .

الثاني : ان يمارس ذلك بقصد بقاء الجسد سالماً لخير النفس ، وليس بقصد الترف والبطر .

الثالث : ان يمارس الاعمال الضرورية لخير البشر وانغاء الرقاه لهم ، سواء بواسطة التجارة والصناعة او اي عمل حلال آخر ، لانه اذا تعطلت التجارة وبارت الصناعة واعرض الناس عن التعازن ، لا يمكن ان يستمر العالم . وليحذر الانسان من الاعمال المخجلة والربح الحرام .

وامم الاعمال التي تدر الربح الحلال هي : الزراعة ، الحصاد ، البناء ، الطب ، نساخة الكتب المقدسة ، رعاية الغنم ، صيد السمك ، حياكة الزقاييل وما اليها ، السكافة الخياطة ، القصارة ، الصياغة ، السراجة (عمل السرج للخيل) الدباغة .

واما الاعمال الخفية ذات الربح الحرام ، والتي منعتها قوانين الرسل في المادة السادسة هي : السحر ، الرقي ، التعزيم ، التحريز (عمل الخرز) التطير (زجر الطيور) الفأل ، تفسير الاحلام ، تفسير طرقات العين ، تعيين الاقدار ، وتحديد الآجال ، التنجيم ، العصارعة ، السباق بالركض ، السيمياء ، التزمير والتطيل (عمل الفجر) .

ومن الاعمال النحطة ، عند ديدسقالية الرسل : الحجابة (كتابة الحجابات) التكر (اتحال وجوه كاذبة ، تصوير الخازي ، غش الذهب والفضة ، جمع المكوس (التعشير) التلصص ، بيع المسكرات ، القصابة على أنواعها ، عمل الجلادين .

ويجعل بعضهم الحياكة من النحطة ، ويروى ان العذراء مريم لما كانت تبحث عن يسوع في اورشليم مدة ثلاثة ايام طبقاً لما ورد في الانجيل ، سألت بعض الحياكة عنه ففشوها ، باخبار كاذبة ، فلعنهم وقالت : ليسحب الرب البركة في عملكم وبيوتكم ، ولتموتوا بالفقر والحاجة ، ولتكونوا محترقين في عيون الناس ، . غير ان القديس باسيليوس لا يحتقر الحياكة واكد ان تلك الرواية لا صحة لها ، وهي في الخرافات الكاذبة .

ويعتقد البعض ، ان كل صناعة تدخل فيها الجلود المدبوغة وغير المدبوغة انا هي صناعة غير شريفة ، الا ان ليس جديراً بالاعتبار ، لان الرسول بطرس اقام في بيت سمعان الدباغ ، وكان القديس بولس يشتغل سراجاً كما يصرح في سفر اعمال الرسل .

الرابع : وخشية ان تسبب التجارة المادية تعطيل الفوائد الروحية فيجب على المؤمن القيام للصلاة في الكنيسة منذ الفجر حتى افتتاح السوق ، وحالما يسمع صوت ناقوس الكنيسة مؤذناً بصلاة الصباح او القداس او صلاة الرمش (المناء) يجب ان يتوقف عن العمل هنيئة (ويتأمل بما لله) يحكى ان صائغاً فاضلاً كان اذا رفع المطرقة وسمع صوت الناقوس لا ينزلها حتى يتوقف الناقوس عن القرق .

الخامس : ليردد ذكر الله وهو في حانوته ، فيعد عنه القدر والنصب ، وقد قال الحكيم : ان التاجر بصعوبة كبيرة ينجو من الخطايا .

السادس : الا يكون طماعاً ، وليرضَ برباحه الشروعة . وتظهر اطاعته بحضوره الى السوق قبل جميع التجار جيرانه ، وتركه السوق بعدم جميعاً ، وبركوبه المخاطر والاهوال في البحار والانهار معرضاً حياته للعواصف واللجج الصاخبة والاعاصير المهلكة ، وقد قال الرسول بولس في هذا الصدد : الذي لا يعمل ويرتبط بهام العالم ليرضَ الذي جذمه ، والذي لا يجاهد جهاداً شرعياً فلن يتال الا كليل .

السابع : ليس فقط يمتنع عن الظلم بل يمتنع عن الوقوف الى جانب الظالمين ، . يحكى ان أحد الحكام طلب الى سجين لديه قطعة شمع ليختم صكاً كتبه ، فلم يعطه وقال : اعطني الصك لاقراء اولاً ، فان وجدته خالياً من الظلم اعطيتك الشمع .

الباب الخامس

الصدقات

﴿ وفيه اربعة فصول ﴾

الفصل الاول

﴿ انواع الزكاة واجناسها ﴾

ان جميع الكتب المقدسة تشيد بقدر الزكاة اشارة فائقة . وتفضلها تفضيلاً كاملاً على جميع الاعمال الصالحة ، والزكاة في هذا المظهر هي ما يقدم صدقة واحساناً وبراً . والزكاة اما ان تكون مينة او غير مينة . والمينة هي ما ورد ذكرها ومقدارها في الشرائع الالهية ، مثال ذلك قول الله في التوراة : عشروا كل غلات زرعكم التي تنتجها الارض لكم بعد سنة . وقوله : كل امام الرب

الهك في المكان الذي اختاره لسكنى اسمه فيه . ادفع عشور عبدك وخدمك وزيتك
وابكار ابقارك واغنامك .

وغير المعينة هي التي يحسن بها الانسان طبقاً لرغبته وبدون حدود ، من ماله
الخاص الحلال الذي انعم الله به عليه .

ومادة الزكاة المحدودة ، ثلاثة انواع عندنا ، الحيوانات المحللة ، وإنتاج المزروعات
والعملة . والاول كالبقر والثيران والنعيم ومن كان يملك اقل من ثلاثين رأساً فلا
زكاة عليها ، ومما فوق الثلاثين يقدم عجل ابن سنتين . كل سنة زكاة ، ومن الاربعين
يقدم عجل ثلثي ، ومن ستين عجلاً ، ثنيان ، وهكذا في الاعداد المضاعفة . ومن
الاغنام يدفع كبش ابن سنة واحدة ، وتيس ابن سنتين ، واذا ارتفع عدد الاغنام
من الاربعين الى المئة والمشرين فيقدم كبشان ، الى حدود المئتين . وتدفع ثلاثة
اكباش اذا بلغ عددها ثلاثمائة ؛ وبعد ذلك رأس واحد لكل مئة رأس .

ويجب ان يكون كبش التقدمة سالماً ، فلا يصلح اذا كان اعور او مكسوراً
او مجروحاً او مترهلاً ، او اجرب او اجرد ، او مقطوع الأذن او قصير الالية .

الثاني : كالحنطة والشعير والأرز ، والسمسم وما اليها ، فيقدم منها ، ومن
ثمار الاشجار وتنتاجها كالزيت والخمر والزبيب والتمر والبلح ، من هذه كلها يقدم
في كل سنة - اذا ابلغ النتائج ثمانئة وزنة - يدفع عن كل وزنة مئتين واربعين
قرشاً من كل انسان . ويدفع العشر منها زكاة اذا كانت الارض مروية مسيحاً ،
ونصف العشر اذا كانت تروى مطراً .

الثالث : العملة - بالنسبة الى الفضة فمن اقل من مئتي قرش لا تدفع زكاة
واعتباراً من مئتي قرش تدفع خمسة قروش زكاة ، وهكذا إذا تضاعف المبلغ .
واما بالنسبة الى الذهب فعلى اقل من عشرين ديناراً لا تدفع الزكاة ، واعتباراً من
عشرين ديناراً فما فوق يقدم ربع العشر زكاة ، وهكذا إذا تضاعف المبلغ .

الفصل الثاني

اصحاب الحق في تناول الصدقة

تقدم الصدقة من اموال الزكاة للمؤمن الحر ، وقيل هنا الحر ، لأن العبد يهتم سيده بشأته وقيل المؤمن طبقاً لأمر الرسول بولس حيث قال : ان لنا زماناً لنفعل الخير الى كل أحد ، وخاصة الى اهل بيت الايمان . والعشر وإن كان يدفع طبقاً لاوامر الشريعة ، للاوى والمائد الى الرب واليتيم والارملة اطلاقاً ، ولكن يجب ان يفهم من ذلك الفقراء والبؤساء الذين فيهم وايس الاغنياء . ثم للمرضى والمرزوثين والمقعدن والمفلوجين والمميان ، وطبعاً للفقراء منهم ايضاً وايس للميسورين ؛ ومن هذا يظهر ان الذين يستحقون تناول الصدقة خمسة اقسام :

الاول : للمعدمين ؛ سواء كانوا من الزهاد والرهبان او لم يكونوا ، ويقصد بالمعدم هنا من لا يملك شيئاً ولا يقوى على العمل . ومن كانت له مهنة وليست لديه معداته فانه معدم ، وهكذا من يمكنه ان يؤدي عملاً لا يليق بجناته ، ومثله قل عن الذي ينعمه العلم او المرض عن العمل .

والثاني : للفقراء ، وهم الذين دخلهم لا يكفي لمد حاجتهم الضرورية ، والكاتب الذي لا يملك اكثر من كتابه الضروري هو فقير . وإذا كان لديه نسختان من كل كتاب ليس فقيراً ، ومن يحوز كتابين في موضوع واحد ، احدهما مطول والآخر مختصر ، اذا كان طالباً قليح المختصر منها وليحتفظ بالمطول ، وان كان معلماً فليعمل بالعكس .

الثالث : للدينين الذين انفقوا ما اقترضوه في طرق عادلة وليس لهم ما يقفون الديون ، فيجب ان تدفع لهم الصدقة واذا كانوا قد انفقوها بطرق مضادة للشريعة فليس من العدل ان تدفع لهم ما لم يتوبوا .

الرابع : يجب ان يفقدى الاسرى والمسيبون من اموال الزكاة ولا يتركوا بأيدي الظالمين .

الخامس : المحاربون الذين يدافعون عن مدن المؤمنين وقراهم بشجاعة ضد

اعدائهم ، يجب ان يقدم لهم العون من الزكاة .
واعلم ان الكهنة الذين يخدمون الكنائس ، والآباء الذين يرأسون المراكز
(الابريشيات) فلا يدفع لهم من الزكاة ، بل يتناولون الحقوق الكنوتية المسماة
(الريثيث) او التقدّمات المفروضة على المؤمنين .

الفصل الثالث

ما يترتب من الشروط على مقدمي الزكاة

هناك ثمانية شروط يجب ان يتقيد بها مقدم الزكاة ، هي :

الاول : اذا وجد بائساً محتاجاً معدماً ، يجب ان يشكر الله الذي عطف
عليه ومنحه من الخير اكثر من حاجته .

الثاني : الا يخرج المحتاج ليأخذ بالطلب ، بل يقدم العطاء حالاً بعطف واشفاق ، فان
الله يحب المعطي بسره .

الثالث : ان يكثر من اعطاء الصدقة والزكاة ، اياماً معينة من السنة ،
كالاعياد والمواسم الدينية والاصوام .

الرابع : ان يخفي ما يقدمه ، صدقة بقدر طاقته ، (اما انت فمتى عملت
صدقة فلا تعلم شمالك ما تقعه يمينك) طبقاً للامر الالهي ، ان الصالحين كانوا
يخفون الصدقات الى درجة كبيرة ، بحيث لا يعرف المعطي له من هو المعطي . وهكذا
يضعون صدقاتهم بايدي العميان او يلقونها على قارعة الطريق او يصرونها في فقير
ذمهم ، او اذا حضر مع اناس لا يتصدقون ويتصدق امامهم ، فهذا جميل اذا كان ظاهراً .

الخامس : الا يحمل جيلاً او منة للفقير الذي يتصدق عليه ، ولا يزوجه بكامة

السادس : ان يعتبر ما يتصدق به بسيطاً جداً بالنسبة الى ما انعم الله به عليه .

السابع : ان يتصدق من ربحه الحلال ، وليس مما جناه بالحرام والاعتصاب

ومن التوكيد ان المعتصب الذي يتصدق هو أفضل من المعتصب البخيل ، وقد مدح
الرب وكيل الظلم لا لأنه كان ظالماً بل لأنه تصدق .

الثامن : ان يختار المستقين لصدقاته فقط ، وهؤلاء سبعة انواع :
(١) ان يكون انساناً فاضلاً (٢) قارئاً للكتب وعارفاً قوة الله (٣) من
الشاكرين الذاكرين الفضل (٤) من الذين لا يمكنهم الخروج الى العمل (٥) ان
يكون ذا اسرة كبرى مؤلفة من اولاد كثيرين لا يمكنهم العمل (٦) من الذين
لا يمكنهم العمل بسبب مرض او سجن وما الى ذلك (٧) يفضل من كان من
الاقرباء طبقاً لتعليم الرسول بولس (اذا كان انسان لا يهتم باقربائه وخاصة اهل
بيت الايمان ، انه ينكر الايمان ، ولذلك هو شر من غير المؤمن .)

الفصل الرابع

﴿ الشروط التي يجب ان يتقيد بها متناول الزكاة ﴾

هناك أربعة شروط يجب ان يتقيد بها من يضطر الى قبول الصدقة وهي :

الاول : ان يشكر الله مقبته .
الثاني : ان يشكر المحسن ويصلي من أجله ، ويخفي عيوب منحة اذا كانت ضئيلة ،
ولا يذكرها بسوء بل يتدحها ، لان المعطي يعتبر المنحة الصغيرة كبيرة وان كانت
صغيرة بالنسبة الى حاجته .

الثالث : الا يأخذ منحة من الاثمة ، فقد امر الرسل القديسون في كتاب
الديسقالية (خير لكم ان تموتوا جوعاً من ان تأخذوا صدقة من الاشرار .

الرابع : ان يأخذ فقط ما هو بحاجة لمد ريقه .



المقالة الثالثة

تقية النفس من الاهواء الشريرة
﴿ فيها اثنا عشر فصلاً ﴾

الباب الاول

النفس . قواها . فصائصها . ميواتها
﴿ وفيه احد عشر فصلاً ﴾

الفصل الاول

تفسير اسماء النفس

ان الكتاب المقدس يسميها تارة النفس ، وطوراً الروح ، واحياناً القلب ،
واحياناً العقل . ومن البدي ان وحدة ذكر هذه التسميات تؤيد وحدة الموضوع
واختلاف الاسماء تدل على اختلاف القوى ، ولذلك نبحت هنا عن الوحدة في النفس
واختلاف معانيها (باختلاف اعمالها) .

١ - اسم النفس : ويدل على ثلاثة معاني :

الاول : القوة الغذائية ، وهذه اما فاعلة او مفعول لها ، والفاعلة اما جاذبة للغذاء
او ماضغة او هاضمة ، او داحضة للفصلات . والمفعول لها ، اما مولدة او مفذية
او مربية ، والنفس باعتبار هذه الحالات تدعى نفساً نباتية .

الثاني : قوة الشعور الحيواني ، وهي القوة الارادية التي بها تتحرك ، والنفس باعتبار هذه الحالة تدعى نفساً حيوانية .

الثالث : القوة المميزة للخير والشر ، والنفس باعتبار هذه الحالة تدعى النفس الناطقة .

٢ - اسم الروح : ويدل على ثلاثة معاني :

الاول : جسم لطيف غازي من الدم ، ويتكون في البطن الأيسر للقلب ، وبواسطة ذبذبة الشرايين يعطي الحياة والحركة والحس للجسم .

الثاني : النفس الناطقة ذاتها ، اذا شرعت تتنقى تطلب الامور الروحية لا الدنيوية .

الثالث : احد اقانيم الثالوث الأقدس .

٣ - اسم القلب : وله معنيان :

الاول : المصو الرئيسي الذي يحمل شكلاً مخروطياً ، وهو كائن الى الجهة اليسرى من الصدر .

الثاني : النفس ذاتها ، عندما ينبع الشعور الروحي ، والجمع بين معني القلب (بأن واحد) يفسره النبي داود الذي كان يطلب الى الله قلباً نقياً وروحاً مستقيمة .

٤ - العقل : وله اربعة معان :

الاول : الاستعداد لاكتساب المعارف الطبيعية كما هي الحالة لدى الاطفال .

الثاني : وجود هذه المعارف الطبيعية كالكل اكبر من الجزء .

الثالث : المعرفة الناجمة عن الخبرة والتجربة في امور الكون .

الرابع : المعرفة المدركة للمواضع المعقولة الفائقة للاحاساس ، وهذه المعرفة

تكسبها النفس لا في بداية تطهيرها بل بعد ان تطهر من اضرار الافكار الدنيوية تطهيراً مطلقاً .

وبهذه المعاني يدعى الملائكة ايضاً عقولاً ، والمعنيان الاول والثاني طبيعيان

(فطريتان) الثالث والرابع ، اكتسابيان . والمعني الاول اصل والثاني فرع

وينبجس طبيعياً او فطرياً وليس بالتعليم واما الثالث والرابع فانهما

فرعان للثاني ، وهما يتموان بالتعليم وليس بالفطرة وهذا ثابت من اطلاق اسم العقل على المعاني الثلاثة بأن واحد .

الفصل الثاني

القوى الخارئة للنفس

وهذه صنفان ، الاول محسوس والثاني معقول . والمحسوس اما ظاهر واما باطن . والظاهر يشمل الحواس الخمسة الظاهرة : البصر والسمع والشم والذوق واللمس . والباطن ، يشمل الحواس الخمس الباطنة : الحس المشترك ، والخيال ، والفكر ، والتصور ، والذكر .

والمعقول : يشمل ثلاث قوى ، النطق وهو العقل ، والغضب ، والشهوة . العقل وان كان خادماً للنفس الا ان له منزلة البين لانه مولود منها . والقوتان الاخرتان خادمتان لها . ولذلك نجد العقل مشعاً كالشمس ، والقوتان الاخرتان كالسراجين الضئيلين .

وقد غرس الخالق الشهوة والغضب في كيان الانسان لان الجسد يحيا بالغذاء ويستمر محفوظاً بالتناسل . وهذا عمل الشهوة ، وهو بحاجة الى قوة دفاع ضد الفناء ، وهذا عمل الغضب .

ان الشهوة والغضب آمتان خاضعتان للقوة العاقلة المتسلطة ، والنفس هي السيدة الكبرى المتألقة المترتبة على عرش عظمتها ، واذا العقل عصاها متمرداً هبطت من علياء عزها وسقطت من عرش جلالها .

وقد شبه بعض الحكماء العقل بالفارس القناص ، والشهوة بأجواد ، والغضب بكلب الضياد ، وقالوا : اذا كان الفارس القناص شجاعاً ، ومدرباً ، وكلبه مروحاً فالصيد الغزير مأمون ومضمون ، واذا الفارس جباناً والجواد جموحاً والكلب رعدياً فانه ليس فقط لا يصيب صيداً بل نسيه الهلاك المحتم .

الفصل الثالث

﴿ أقوال الانبياء في قوى النفس الثلاثية ﴾

امر موسى الكليم ، وهو ينقذ الشعب من مصر ، بان يرش دم الختان على قائمتي الباب يمينا وشمالاً ، وعلى العتبة العليا لئلا يدخل المهلك ، مشيراً بذلك الى قوى النفس الثلاث التي منها تدخل وتصدر الافكار المحتاجة الى التطهير ، وفي مكان اخر حصر النبي هذه القوى الثلاث بثلاثة اركان لتطهير الآنية المدنسة ، النار والماء والاتلاف .

وعلم ان تطهير المعادن بالنار كالفضة والذهب وغيرها ، وفيها سر القوة العاقلة للتطهرة بتار المعرفة وثياب الكهنة وجسومهم تغسل بالماء فتطهر وفي ذلك سر القوة المطهرة بالوصول الشرعي خشية الوصال المحرم . والانية الخرفية فطريقة تطهيرها اتلافها ، وفي ذلك سر القوة الغضبية المطهرة بزوالها فقط .

فانظر الى الحكمة البالغة الكائنة في كتاب الله ، والتي لاتحاول اتلاف الفكرة وهي كيان النفس الكريمة بل تعلم تطهيرها وتطهيرها ، ولم تحاول ايضاً اخماد الشعور الجنسي لان تأثيره يولد الانبياء والرمسل والابرار والكهنة والآباء القديسون ، واما القوة الغضبية فانها تجمع بالانسان ، فتطهيرها لايم الا باخمادها وملاشاتها .

ورب الانبياء ايضاً اشار الى ذلك بمثل الزرع الساقط في الارض الجيدة التي انتجت غلاتها بثلاث كميات متفاوتة ، فالبعض اعطى مئة والبعض ستين ، والبعض ثلاثين ، . الاولى ، وفيها سر القوة العاقلة وفقاً لسموها فاقت اثنانية التي هي القوة الشهوية اربعين ضعفاً ، وهذه بالنسبة الى كونها متوسطة (القوة الشهوية) فاقت بثلاثين ضعفاً . وهي انقوة الغضبية فعندها ينتهي كل شيء دليل نهايتها . ولم يقل انها فاقت غيرها . باضعاف كذا وكذا .

الفصل الرابع

فصائص النفس العاقلة

يتميز الانسان عن بقية الحيوانات بخاصتين واضحتين وهما : المعرفة والارادة العاقلة . فالمعرفة ، هي ادراك المواضيع الالهية والبشرية ، اي تختص بالعالمين . والارادة العاقلة ، هي النزوع الى اصدار نتائج المواضيع التي لها نهاية خيرة ، وان كان الحصول عليها يكاف جهداً واتعاباً ، وواضح ان ارادة مثل هذه تكون بإدراك عاقل ، ولذلك يمتاز ويختلف عن ارادة الحيوانات الشهوية البهيمية ، وهذه القوة المدركة لاتوجد بالفعل عند الطفل ولكنها تنمو بنموه وتتكامل بتكامله . فالطفل يفقه اولاً بعض المعرفة البديهية ، كمعرفته ان الجسم لايمكن ان يوجد في مكانين بان واحد ، ويتدرج من هذه المعرفة الفطرية الى المعارف المكتسبة ماراً براحل متعددة ، التي تختلف فيها نفس عن نفس اخرى طبقاً لمقدار معارفها العاقلة وكيفية الحصول عليها ، فالجسد اذاً مطية النفس ، والنفس كثر المعرفة ، والمعرفة تجارة ، لأجلها النفس التاجرة تتبوأ سفينة الجسد وتمخر في عباب هذا العالم الصاحب ولذلك اذا تهبّت الرياح طبقاً لرغبتها توصلها قوى الجسد الى اهدافها وتندق عليها غنى لاينضب من المنح الالهية . واذا جرت الرياح ضدها عاتية فليس فقط لاتصيب شيئاً من الغنى بل تتحطم في غمرات الامواج المتلاطمة واللجج الثائرة . وتفرق في قبر الخضم الهائج وفي الهاوية السفلى اللامتناهية . وغالباً تجد حرباً عواناً بين القوى الجسدية والميول النفسية طبقاً لما اعلنه الرسول بولس بقوله : اني ارى ناموساً غريباً في اعضائي يتناحر ضد ناموس ضميري .

الفصل الخامس

الحالات المختلفة الطارئة على النفس البشرية

ان الطبيعة البشرية تطراً عليها اربع حالات متباينة متخذة في كل حالة صفات احدى الكيانات اثنائية : كيان الوحش ، كيان البهيم ، كيان الشيطان ، وكيان الملاك .

فاذا جمع بها الغضب استحوالت الى كيان وحش مفترس ، فتظهر فيها ضباعه ،
الغضب والبغضاء والحقد . واذا ثارت فيها الشهوة استحوالت الى كيان بهيم فتظهر فيها
طباعه ، الطمع والشراهة والعبر . واذا انكب تغفل فيها استحوالت الى كيان شيطان
فتظهر فيها طباعه ، الظلم بشكل العدائة والنظر القبيح بشكى العفة واذا ظهرت
مرآتها المكونة على صورة الله استحوالت الى كيان ملاك فتظهر فيها طباعه ، الايمان
والرجاء والمحبة .

فانساننا الباطن ، لا هذا الظاهر ، ذو القدر القويم والحيا الوسيم ، والاضافر
العريضة - انساننا الباطن يستحيل الى كلب بغضبه ، وخنزير بتجموع شهوته ، وابليس
بشدة دهائه ، وملاك بتلاشي شهوته بالغضب ، وتلاشي غضبه بالشهوة ، فاذا اخضع
هاتين القوتين الوحشية والبهيمية لسلطان القوة العاقلة فانها تندحران وتلاشيان
ولا يبقى لهما مجال للسيطرة والسيادة .

فاذا فاز انساننا الباطن بهذه السيادة وهذا السمو ، يستقدم له الملك وتكمل
فيه الفضائل وتصدر في احكامه العدالة ، واذا اهمل ذلك وغفا ولو لحظة واحدة
ويده على خده ، سادت عليه القوى التي كانت تحت سلطانه ، واذلتته واشقتته
فيستحيل وضعياً بعد ان كان ملكاً ، وعبداً بعد ان كان سيداً ، ومعدماً بعد ان
كان ميسوراً ، فيتوق ان يلاء بطنه بالخرنوب .

الفصل السادس

﴿ النفس الناطقة بالنسبة الى العقولات ﴾

النفس الناطقة بالنسبة الى العقولات هي كالمرآة بالنسبة الى المرئيات ، وكما
ترسم اشكال المرئيات على المرآة لا المرئيات ذاتها وبجوهرها ، كذلك اشكال
العقوليات ترسم على النفس لا للعقوليات ذاتها ، ولولا الامر كذلك ، لاحترق
بالنار كل من عرف النار . وليس الامر كذلك ، فالنفس اذن ، تدرك الصفات
العقولة البسيطة المنتزعة عن المواضيع المادية .

وكما ان المراثيات لا ترسم على صفحة المرآة لاربعة اسباب هي : عدم قابليتها (كعدم كونها صقيلة) او تراكم الغبار عليها ، او احتجابها وراء ستار حاجب ، او انحراف وضعها . كذلك لاربعة اسباب لاترسم صور العقولات على النفس وهي ضعف قابليتها كنفس الطفل ، وتشويش صفاتها بالاهواء المنحرفة واحتياجاتها وراء ستار الضلال الذي يحجب الحق عنها وانحرافها عن الطريق السوي الذي يؤدي الى كنه العقولات مثال ذلك ، ان من لا يعرف كون العالم مثلاًشياً زائلاً ، يمكنه اكتشاف ذلك بمقابلة الفكرة بما يشبهها ، واستنتاج النتيجة منها ، فيعلم ان العالم مركب ؛ وكل مركب متلاشي ، فالعالم اذاً متلاشي . ومن البدعي إذاً انحراف القياس هذا فلا نتيجة لكبراه وصغراه ، ولولا الاسباب المأذمة التي عرضناها لادركت النفس جميع الحقائق كما هي بحقيقتها لانها مكونة على صورة الخالق .

الفصل السابع

★ طبقات المعارف ★

المعارفون اربع طبقات ، لان كل معرفة إما أن تكون هبة الهية كمعرفة الانبياء والرسل . او مكتسبة بجهد روحي طويل كمعرفة النساك الكاملين . او مستمدة من العلم والدرس والتفكير كمعرفة الفلاسفة ، وتبحر علمي وخبرة عملية كمعرفة الملافة الكنديين .

ان معرفة الانبياء والرسل منحة الهية ونعمة الاختيار الالهي تأتيمهم بدون تعب او جهاد ، فموسى مُنبح الوحي والمعرفة وكان راعياً للغنم ، وصموئيل دعاه الرب وهو بعد صبي عديم الخبرة والمعرفة ، واليشاع كان يحرث واتي عليه الرداء النبوي ، وإشعيا ذكر الله اسمه وهو بعد في حشي امه ، وإرميا قدمه الله قبل ان يكمل تصويره في احشاء امه ، والرسل دعاهم وهم يصلحون شباكهم واعدتهم صيادين للناس ، أعطيت الحكمة لكل هؤلاء ورفعوا الى سمو المعرفة والنعمة بحيث كانوا يعمهون في الجهل والغباوة .

اما النساك الكاملون فصقلت نفوسهم وأرهفت حواسهم وانتصروا على المادة
بجهد روحي طويل كما تنقي الصقلة الحديد فاتحدوا بالله واستنارت عقولهم بنوره .
يقال ان معرفة الحق مكتوبة بالدم ، ومنقوشة بالآلام ولا تتجلى إلا بعد جوع
وظمأ وسهر وتجرد ، ولا ينكر الفلاسفة حقيقة هذا الرأي واستقامته ، ولكنهم
يقولون انها طريق شائكة مخوفة بالمخاطر ، ضيقة السبل ، بطيئة النتائج ، لأن في
الجهاد القاسي يضطرب الكيان البشري ويتشوش العقل ويهزل الجسد ، ويمضي الانسان
قبل ان يصل الى هدفه ، وعلى هذا الاساس يشيرون الى وجوب ممارسة العقل
الجهاد العلمي الصحيح لكي يبلغ العقل اهدافه الكاملة من المعرفة بطريقة مأمونة ومضمونة .
اما الملائنة القديسون ، فانهم يجمعون بين الطريقتين لاكتساب المعرفة الكاملة
طريقة التبخر العلمي والاختبار الفكري ، وطريقة الجهاد الروحي والعمل النسكي
فضروري في رأيهم التضلع العلمي اولاً ثم تلطيف الجسد باعمال الزهد ، وهكذا
ينتظر العارف تجلي اسرار المعرفة .

الفصل الثامن

حجج ضد الذين يعطلون اعمال النساك بسبب خطر الامراض

ان الجسد البشري حتما عرضة الآلام ، وعليه فالذين يعيشون مترفين ايضاً
يمكن ان تحول الامراض دون ممارستهم اعمال النساك ، وليس من المؤكد انهم
سيكونون دائماً متمتعين بصحة كاملة ، ولما كان الأمر هكذا ، لم يبن آباؤنا الاولون
صروح الفضيلة على اساس التمتع بالعافية المستمرة بل ابعدوا عنهم كل فكرة تشفق
على الجسد ، وعانقوا الفضائل ذاتها وامعنوا في اعمال الزهد الشاقة ، وخاصة اصحاب
البطولات الروحية السامية الذين انفردوا في انبراري وانقمار وزهدوا في كل انواع
الراحة الجسدية ، فحفظ بعضهم بعناية الله كل ايام حياتهم صحيحي اجسام اقوياء
كأب انطونيوس الذي عاش مائة وخمس سنوات ، قضى منها تسعين سنة
بكامليا متزهداً متسوحداً ، ولم يترب أي جسمه المرض او الهزال .

ولم تسقط اسنانه ولم يضعف بصره ، بينما كان نحيف الجسم رقيقه اكثر من غيره ،
والاب موسيس الكبير الذي سكن في صومعة الاب انطونيوس بعد رقاد اثنتين
وسبعين سنة معاف بزهده وتجرده . والاب مقار الكبير ، صاحب الجسد اليابس
المقدد ، والاب يوحنا تايز ، وفانخوميوس وافولو وغيرهم ، ممن صاتهم العناية
الالهية من الامراض والاوراج .

ومما لاشك فيه ان بعض النساء كانت تقاوم اجسامهم فترة من الزمن ،
ولكنها ابتليت بامراض مختلفة ، كالاب بنيامين الذي دعي ايوب الجديد ، فانه زهد
في الدنيا وقت لربه ثمانين سنة ونال قوة اجتراح المعجزات ، وشفى كثيرين من
الامراض بوضع يديه ، ولكنه ابتلي أخيراً بداء الاستسقاء وانتفخ جسمه وترهل ،
وفي بحران آلامه القاسية كان يشكر الله على المحنة والتجربة ويقول : ان هذا
الجسد لم يفدني شيئاً وهو صحيح ، ولا الآن يشقيني وهو عليل ، فمن اراد ان
يحبي نفسه في هذا العالم فليهلكها ، ومن اراد ان يهلك نفسه من اجلي يجدها .

الى هذا الهدف الاسمي كان يتطلع القديسون في وضعهم الاساس لبنيان
النفس ومعظمهم سلكوا طريق تعذيب الجسد واذلاله .

الفصل التاسع

★ البراهين الطبيعية في طبقات العارفين الاربع ★

ان مدركات العقل لا تقاس بالحواس ، وما كان ذلك ليس من الهين ان
يفهم بالبراهين المحسوسة ، وعلى هذا الاساس يجب الاستدلال على المدركات الخفية
بالمدركات الظاهرة .

البرهان : النفس في الجسد كأنها اسيرة في خيمة مغلقة ، وكما ان الخيمة
تهب عليها ريح عاصفة احياناً فتمزقها ، ويظهر كل ما فيها وما يحيط بها بوضوح
وجلاء ، وتارة يطفي عليها الزمن فتفتح مسامها ويظهر مداها ومختمها فيتسرب اليها
النور ولكن بطريقة ضئيلة ، وحياناً وان لم تمزق ولم تفتح مسامها الا ان

الساكن فيها يفتح له كوة وينظر الى الخارج ، هكذا الانبياء والرسل يهبوب الروح القدس عليهم تمزقت خيمة اجسامهم امام النفس العاقلة ، ، وازهاد بواسطة رقة اجسادهم وشفوفها تتجدد فيهم الروح المستقيمة ، والفلاسفة تفتحت امامهم كوى النفس بالاقيسة المنطقية المدركة للمواضيع ، وملافة الكنيسة بفتح كوى العقل وترويض الجسد انبلجت امامهم انوار معرفة العالم الروحي الحقيقية .

برهان آخر : ان الماء الذي يحيي الجسد هو رمز العلوم التي تحي النفس ، وكما ان الماء يهطل احيانا غزيراً ويروي الارض الظمأى الى الارواء ، واحياناً تحفر الارض بنصب شديد حتى يتفجر الماء من اعماقها ، دون ان يجد له مسيلاً ليجري على الارض ، ويرويها ، وتارة تجري عيون وينابيع صغيرة على وجه الارض وتتجمع في غدير كبير ثم تتألف نهراً يهدر ، وطوراً يسحب الماء بتعب شديد في انابيب على وجه ارض الواطئة فتروى ، وهكذا ماء المعرفة المحي للنفس يفيض على نفوس الانبياء والرسل كالطر الغزير ، بدون جهد ، فتسقي الجبال والسهول واما في نفوس النساك فتسكب المعرفة بعد اعمال الزهد الشاقة متفجرة في الاعماق ولكني اعرف اراضي كثيرة وصل الحفارون الى اعتمى اعماقها ولم يجدوا فيها ماء ، واذا وجدوا في بعضها فانه يكفي فقط لاروائها بالذات دون ان يفيض ليروي غيرها . ولذلك يعتبرون رغبة تقويم الاخرين من اعمال الشرير ويقولون : ان الشرير يمرضنا على الانتقال الى المدن من بوادينا من أجل اصلاح الآخرين .

واما عند الفلاسفة فعناصر المعرفة تتألف من الاقيسة المنطقية في مقدماتها وتائجها ، وبها يدركون المواضيع الكنسية القديسون بواسطة الانابيب المتقنة الصنع بجهد عظيم تتفجر من قلوبهم انهار ماء الحياة .

الفصل العاشر

* كيف تتغير الوفاة في النفس *

شبهه العارفين النفس بالبحر ، وكما ان البحر تصب فيه انهار كثيرة تارة وطوراً تتفجر من قعره مياه غزيرة ، هكذا النفس ايضاً ، تتألق افكارها تارة بفعل الحواس الظاهرة وطوراً بتأثير التصورات الباطنية . والحالة الاولى تضاف اليها الحالة الثانية فتنبجس من توحيد الحالتين افكار اخرى جديدة ، وهذه الافكار الجديدة اذا اشتدت وتزاحمت فلها تثير الشهوة ، والشهوة تحرك الارادة ، والارادة تولد القوة ، والقوة تدفع الاعضاء الفاعلة للقيام بالعمل المراد اجراؤه ، فاذا كان هذا العمل صالحاً فان الملائكة تواكبه وتمضيه ، وان كان طالحاً فان الابالسة تضرم اواره ، على حد قول الاب اوغريس : ان الملائكة اذا حضرت فانها تظهر لنا الرؤى الروحية وتخفي النزوات الحقيرة ، وهكذا تشب بين هذين الجيشين من الافكار - الصالحة والطالحة - حرب طاحنة ، لان العقل الناطق نصير الملائكة وعدو الابالسة ، وبالنسبة الى قوته وضعفه يعقد النصر لاحد المعسكرين .

فالحواس الظاهرة والباطنية اذن ، هي ابواب ظاهرة وباطنة الى مخبيء القلب ، وفيه تجلس النفس ملكة واهواء عائلنا الزائل تطل من تلك الابواب وفيها والنفس تشاق الى ارتشافها .

واعلم ان بالخلوة في الصومعة الصغيرة المظلمة توصل الابواب الخارجية وبذكر انقصاص والعقاب توصل الابواب الداخلية ، فلا ترى النفس غير ذاتها متألمة كالملائكة خدام ربها ، وتأيداً لذلك قال احد الفلاسفة : امدد الكوى يستضيء المكن .

الفصل الحادي عشر

الميول النفسية الصالحة والطالحة

الميل النفسي او الجسدي ، التابع من حرية الانسان واختياره الذاتي اذا استهدف التفضيلة فهو صالح ، واذا استهدف الرذيلة فانه طالح ، وما ثم ينبع من

الحرية فلا يفيد اذا كان صالحاً ولا يضر اذا كان طائفاً . لان الحاكم العدل يحكم في اعمال الارادة والضمير ، وليس في اعمال الطبيعة والاعتصاب ، مثال ذلك : تجد فتىً ابتلي بالانحراف الى اهوائه ، وقد بدأت الشرارة تتقد جذوتها في نفسه من المعاشرات المنحرفة ، والاحاديث التافهة ، وكانت في بادئ الامر فكرة ، والفكرة اثارت الهوى ، والهوى اذا اشتدت ناره وتضاعف اواره ، يخضع له الضمير ويستسلم لانجاز الخطيئة فعلا ويعتبر ذلك الانسان كل حرام حلالاً ، فيحث الى السبل المؤدية الى العمل بالذات ، فان لم يجد ، فانه يتهدى في اعمال الرذيلة الباقية ، وهكذا يمر الانسان باربغ مراحل قبل ان يمد يده الى الثمرة المحرمة ، الخجلة ، الفكر ، والهوى ، وعمل الضمير ، وتصيد الفرس ، وبما ان الفكر والهوى طبيعيان في الانسان فليسا طالحين ، واما عمل الضمير وتصيد الفرس فبما انها ينبعان من الحرية والاصرار المسبق ، ولا يتم العمل بدونها ، لذلك هما طالحان قال احد الشيوخ : ان ما كتب في اثم صور مثنى وثلاث والرابع لن ارجع عنه ، هو الاصرار على الائم بالذات ، وبواسطته يتم عمل الخطيئة فعلاً ، والرب لن يصرف غضبه عنه . قال الاب اوغريس : ان خطيئة التوحيد هي تصور ممارسة الخطيئة بالفكر .

الفصل الثاني عشر

حجرات الابواب التي منها تدخل الخطيئة

ان الابواب التي منها تدخل الخطيئة وتسود على الناس كثيرة ، ونذكر هنا بعضها ، والبقية سيأتي ذكرها في موطنها ، وهي :

الاول : الحسد ، وهو الذي حط الشيطان من رتبته الملكية ، .

الثاني ، الشراهة ، وبها سقط آدم من علياء فرادوسه . .

الثالث : الغضب ؛ وهو قهقار للطبيعة ، يعلى ذلك ابو العرفسين اوغريس

بقوله : سألتني الائمة المصطفى المصري الشيخ مقاريس لماذا نخطيء اذا غضبنا على البشر ولا نخطيء اذا غضبنا على الاباسة ؟ واذا لم احر اجواب ظلت اليه ان يشرح لي

فقال : الغضب في الحالة الاولى قهار للطبيعة ، وفي الثانية ضيوعي .

الرابع : الهوى . وهو جبار قهار لطيفة ايضاً ، وقد صرح احد الفضلاء
قال : قلتهرب تهرب لثلا نسمع او ترى الشجرة اني لن نذوقها بعد ؛ واني اعجب
كيف نعتبر ذواتنا اقوى من النبي داود ، الامر الذي لا يصح .

الخامس : حب الزينة ، وواضح ان التفضيلة لا ترتدي الثياب الفاخرة بل
جمال النفس ، فان الذي يتزين بالخلل الفاخرة انه انما يرتدي روح السجرفة ، ولذلك
يجب أن تتشع برهبة يوم الدين وخشية جهنم ، ولنكس باعمالنا وحدها .

السادس : التهمة ؛ قيل ان البطن التي تخمت لا يمكن ان تلد فكراً سليماً
وقيل ايضاً : ان التهمة من المآكل هي ام الرذائل .

السابع : محبة المال ؛ وقد دعاها الرسول بولس اصل كل الشرور .

الثامن : المكر ، ان الطمع يجعل الانسان مكارراً ، فيتودد للناس كاذباً ،

التاسع : البخل ، وهو ينصح بخزن الاموال مذكراً الانسان بالشيخوخة ،
ومندراً بالامراض المستمرة ، والمجاعات الطارئة ، ويصور له التصدق والاستعطاف
ومرارتها ، ويمحو عن خاطره التوكل على الله .

العاشر : حب الجدل والحوار وغرابة الافكار وحب الانتصار بالكلام ،
والدفسطة ، لا يمكنه التحرر من القلق والاضطراب ، ولا يمكنه البلوغ الى
هدوء الافكار واستقرارها ، ومع كونه مهذاراً ينتظر ان يدعى مفكراً وفهامة .

الحادي عشر : الداخلة باحكام الله الغامضة ، كالذين يتسألون : لماذا اعطى
الله بعض الناس قلوباً تعرفه على حد قول ارميا ، وللبعض الآخر ضعف الذاكرة
فينسونه على حد قول اشعيا ؛ ولماذا احب الله يعقوب وابغض عيسو قبل ان
يعرفا الخير والشر ؛ وما الى ذلك من الامور ، ولمثل هؤلاء قال الحكيم : لا
تطلب ما هو اسمى منك ولا تبحث فيما لا يعينك .

الثاني عشر : احتقار القريب ، كما حدث لأحد الاخوة ان احتقر أخاً
آخر سقط في تجربة فطرد من الدير ؛ اذ سقط هو ذاته بالتجربة ذاتها ، ثم
ندم ؛ وكان يعمل الليل كله باكياً في قبر ميت ، فسمع هاتفاً يقول له : لانك
احتقرت قريبك في وقت محته اصابك هذا كله .

الباب الثاني

﴿ ترويض النفس واصلاح العادات ﴾
﴿ وفيه احد عشر فصلاً ﴾

الفصل الاول

★ تفسير 'عمارة' ★

العادة خلة نفسية بها يتدفع الانسان الى عمل بسهولة دون بحث او شعور او تدقيق فيما اذا كان يجب ان يعمل كذا وكذا ، وبما ان بعض هذه الاعمال رفيع وممدوح ، وبعضه مكروه ومذموم ، فالعادات ايضاً بعضها ممدوح وبعضها مذموم وكما ان هزال الطلعة دلالة المرض ، الامر الذي اذا اشتد يؤدي الى موت الانسان الجسدي ، وهو انفصال النفس عن الجسد ، كذلك العادات السيئة فانها دلائل مرض نفسي خفي ، فاذا اشتد يؤدي الى هلاك النفس ، وهو انفصالها عن الله . وبما ان موت الجسد ينهي حياة وفتية ، وموت النفس يؤدي الى هلاك ابدى ، علينا ان نهتم بمعالجة النفس اكثر من اهتمامنا بمعالجة الجسد ، اذا كنا نحب الحياة الحقيقية .

الفصل الثاني

﴿ صحة النفس وامراضها ﴾

دلائل صحة النفس اربعة ، هي : الاعتدال في قوة التفكير ، والفضب والشهوة ، والاعتدال في مركبها جميعاً ، وبما ان كل قوة من قواها كائنة بين حالتين الزيادة والنقصان ، فتكون امراضها سبعة ، الستة الاولى انحصار بالقوى الثلاث ، والرابع انحصار بمركبها العام جميعاً .

سلامة القوة العاقلة تدعى حكمة ، وهذه تكون اذا ميز الانسان بسهولة بين الصدق والكذب ، في النطق والحديث ، وبين الحق والباطل في العقيدة والرأي ، وبين الخير والشر في المعايين النفسي والجسدي .

وسلامة انقوة الغضبية تدعى شجاعة ، او بطولة ، وهذه تكون طبقاً لاوامر العقل ، اذا كان الانسان قوياً شجاعاً لا يرهب المصائب والمصاعب ، واذا احتاج الامر يستبيل الموت ، وعلى رأي الاب اوغريس ان البطولة هي قهر جميع الاهواء المنحرفة .

وسلامة القوة الشهوية تدعى عفة ، وهذه تكون بممارسة الانسان الاعمال الطبيعية بطريقة مشروعة وسلامة المركب العام من هذه القوى ، تدعى عدلاً ، وهذه تكون اذا تساوت الفضائل في النفس وبما مر بنا نعرف ان القوى الاربع السالمة هي مصدر الفضائل ، وهي : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ومرض القوة العاقلة الناجم عن التطرف في التفكير يدعى خبثاً ، وهذا يكون باحتيال الانسان على الحصول على ما يفوق حاجاته الطبيعية الضرورية ، وضعفه يدعى شباوة ، وهذه تكون بعجز الانسان عن الحصول على اقل من حاجاته الطبيعية الضرورية ، وكلا المريضين يدعيان جاهلين .

ومرض القوة الغضبية يكون بزيادة الغضب ويدعى جسارة ، وهو ان يغضب الانسان بدون سبب ، وبغضب وشدة ، واذا طرأ نقص على هذه القوة يدعى جبناً ، وهو خوف الانسان حيث لا توجد اسباب للخوف ، والمخدر حيث لا حاجة للمخدر .

والمرض الناجم عن جموح الشهوة يدعى شبقاً ، وهو ترغ الانسان في حماة الاهواء الرديئة بجموح وافراط ، لا لقوام جسده ، بل امعاناً في اللذات المحرمة ، والمرض الناتج عن ضعف هذه القوة يدعى خموداً (او خنوثة) وهو عجز الانسان عن القيام بما تتطلبه الطبيعة من شوق ولذة .

والمرض الناتج عن مركبها العام ، هو التفكك ، ويحدث عند عدم التعادل بين فضائل النفس .

ويعتقد النساك ان سلامة القوة العاقلة ان يفهم الانسان لغة البشر والروحانيين ، وسلامة القوة الغضبية الا يخاف الانسان اعداءه الروحانيين ويصمد في المصائب . وسلامة القوة الشهوية ، ان ينظر الانسان بدون هوى الى ما يثير الالهواء الهوجاء ، ومرض كل قوة من هذه القوة يضا سلامتها .

الفصل الثالث

﴿ العادات مشيرة ﴾

ان بعض الجبناء المنفلين النحرفين الذين يهتمون بالتبذل لا بالتفكير السليم يقولون : كما ان الهيئة ، وهي المظهر الخارجي للجسد لا تتبدل سواء اذا كانت جميلة او دميمة . هكذا المادة ايضاً ، وهي المظهر الباطني للنفس لا تتبدل سواء كانت سالحة او طالحة . ويقولون ايضاً : ان اصلاح العادات يتم باستئصال شافة الغضب والشهوة من اعماق القلب ، وقد تعلمنا استئصالها بتخيرة الطويلة .

نقول : اذا كان بالامكان تبدل العادة في البهائم كالكلب والحصان واللب ، والقرود ، كيف لا تتبدل المادة في الانسان ؟ وهو ذو النفس العاقلة ؟ والغرائز الطبيعية وان كان استئصالها مستحيلاً ، الا انها قابلة للزيادة والنقصان ، بالترويض البشري ، فالقرطب مثلاً اذا زرع وروغ . وان كان لا يمكن ان يثمر تيناً . الا ان التمية المعقولة تحد من اشواكه فلا تؤدي كثيراً ، هكذا الغريزتان الطبيعيتان الغضب والشهوة ، وان كان استئصالهما مستحيلاً . الا ان الحد من عنفهما بالترويض ليس مستحيلاً .

الفصل الرابع

الاسباب التي معها يصعب تبدل العادات

اعلم ان القلب لا يتنقى بسهولة ، بل بجهد عظيم ، وجهد شاق يستعمل

انثر من النفس ، وسبب هذه الصعوبة ؛ اما عنف متطرف في الكيان البشري بالنسبة الى الذين يولدون غضوبين شهوانين طبعاً ، ويصعب جداً تطويرهم الى مسالمين اعزاء بالترويض ، اما قوة الغريزة وهي تأسل العادة في العمل ، والعادة اذا تأصلت هي طبيعة ثانية ، واما اذا استطاب الانسان عادة سيئة فلا يريد تبديلها ، وبناء على ذلك يمكن حصر البشر في أربع طبقات :

الاولى : انسان ساذج ، وهو الذي لا يميز بين العادة الطيبة والخبثة ، واذا تيسر لمثل هذا مرشد حكيم ، يتبدل في وقت قصير .
الثانية : انسان ساذج ضال ، وهو بالاضافة الى عدم تمييزه بين العادة الطيبة والخبثة ، تراه ممناً في العادة الخبيثة ، الامر الذي هو اكثر صعوبة في شفاؤه من الاول .

الثالثة : انسان ساذج ضال عنيد ، وهو الذي ليس فقط لا يميز بين العادة الطيبة والخبثة ، وهو ممن في العادة الخبيثة ، ولكنه يقاوم من يزيد اصلاحه ، على حد قول القديس غريغوريوس اللاهوتي : انه يسد اذنيه كالافعى الصماء يقاوم سماع الراقي ، ويمنع ان تقدم له علاجات الحكمة التي تشفي النفس بها ، ومثل هذا دأؤه زليل اصعب من الاول والثاني .

الرابعة : انسان ساذج ضال عنيد غضوب شهواني بطبيعته ، وهذا ، قطوع الامل من شفاؤه .

الفصل الخامس

الامور التي بها تنال العادات الطيبة

ان العوائد الطيبة تكون باعتدال قوى النفس الثلاث ، كما قلنا ، وهذا الاعتدال يكون بثلاث طرق : اما بالطبيعة او بالمعاشرة او بالترويض ، والطبيعي كما هي الحالة عند الانبياء والرسل ، وبالمعاشرة كمن يعاشر الصالحين ، ويمتنع عن معاشره الاشرار ، لان الاحاديث الخبيثة تفسد الضمائر السليمة ، وما اصح بجهد كثيرة يفقد بلحظة واحدة . اما الترويض ، هو شأن الذين يخضعون النفس برياضات روحية

متواصلة ، فينمون فيها الفضيلة ، وهم وإن قسوا مصاعب كثيرة في ابدية إلا أنهم يصلون الى الراحة في النهاية ، وكما ان في كيان الحيوانات يكون الاعتدال طبيعياً والشذوذ متأثراً عن اسباب خارجية ، هكذا يكون الصلاح اكثر ضياعاً في الانسان ويطراً عليه الشذوذ لاسباب خارجية ، وكما ان الجسد لا يخلق منذ وجوده كاملاً ، هكذا النفس تسدرج في العلم حتى تبلغ الكمال . وكما ان امراض الجسد تزول باضدادها ، هكذا العادات الخبيثة تزول باضدادها ، على حد قول ابي العارفين اوغريس : اذا تاقّت النفس الى انواع المآكل الشبيهة فليمنن بالانقطاع والجوع لكي يشعر ان مع الاكتفاء بانديز ، السعادة .

الفصل السادس

تعبير امراض النفس

كما ان كل عضو خلق لعمل خاص ، وبمرض ذلك العضو تشوش عمله ، كالعين المشوشة ، او ضعفه ، كالعين التي تكون ضعيفة البصر ، او تعطيله كلياً ، كالعين العمياء . هكذا النفس خلقت لمعرفة الله ومرضها يؤدي الى تشوش معرفتها ، فتستقد ان الله زمني ومحدود ، او الى ضعفها اذا ارتابت بالايمان ، او تعطيلها اذا عبت الخليفة دون الخالق . والدلالة على معرفة الله محبته ، ودلالة هذه المحبة حفظ وصاياه ، كما قال : اذا كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي . ان من يحب الله لا يحب غيره اكثر منه ، واذا احب فانه حقاً مريض ، ومن هذا نستدل ان الذين يحبون الله في عالمهم قلائل . واعلم ان امراض النفس هي كالحجى الخفية لا يشعر بها الانسان ، ولذلك يهمل الكثيرون من محاولة شفاء نفوسهم . وهناك من يشعر بامراض نفسه ولكنه يهمل شفاءها ، اما لانه لا يتحمل مرارة العلاج ، او لعدم استطاعة الطبيب شفاءها ، لان الاطباء هم الآباء وكلهم في عصرنا هذا مرضي .

الفصل السابع

كيفية معرفة انفسنا عيوبه

يستطيع الانسان معرفة عيوبه بأربع وسائل :

الاولى : ان يعرض نفسه لشيخ حكيم خبير بالامراض النفسية ، يمكنه معرفة مرضه وكيفية شفائه .

الثانية : ان يختار له صديقاً صدوقاً وحكياً ، فيمت كل ما يمتقه الصديق ، لان الصديق مرآة صديقه .

الثالثة : ان يعلم عيوبه من اعدائه الناقدين فيعمل على ملاحظتها لان العدو كالذبابة لا يحط إلا على القروح ، وهذا ما قيل : الحكيم يفيد حتى من اعدائه .

الرابعة : ان يعاشر الناس ويحذر من كل ميل وغريزة يهجونها ويحتقرونها .

الفصل الثامن

تمزيق الستار (عن عيون النفس)

اذا كان من يعرف لذة ما يشواق اليها ، فمن لا يشواق الى اللذة لا يعرفها ، والبتديء (الراهب) الذي لا يشواق حقيقة الى اللذة الروحية لا يعرفها ، وذلك بسبب الستار الخيم على عيني عقله . وهناك اربعة امور تكون ستارات هي : الاموال ، المجد الباطل ، الضلال ، والهوى .

ان ستار الاموال يتمزق بالزهد ، وهو الا يقتضي البتديء اكثر من ضروريته ، لان عقله سيكون عند كثره ، طبقاً لقول الرب (حيث يكون كنزك فبناك يكون قلبك)

وستار المجد الباطل يتمزق باحتقار المجد الدنيوي الفارغ ، كما عمل ذلك الشيخ الذي الح عليه ابناء المدينة ان يدخل اليهم ، ولما رأه يحملون المصابيح ويندفعون لامتقباله ، نزع ثيابه حالاً والقاهما في النهر وشرع يغسلهما وهو عار ،

لكي يعتقدوا انه مجنون ، وقال الاب لوغريس : اذا كنت تعتبر الهوان كالكرامة
والهجاء كالمديح فانك لن تموت .

وستار الضلال يتمزق بتمسك المسيحي بايمان الجمع النيقاوي ، والاعراض
عن المجادلات والخصومات الناتجة عن التحدث في (الطبائع والاقانيم) فالافضل
للساك ان يتكلموا في التقوى ومخافة الله والاعمال الصالحة من ان يتكلموا
في معرفة كنه الله .

وستار الهوى يتمزق باعمال الزهد على حد قول احد الفضلاء : لما كانت
الاهواء تحاربني كنت ارتدي المسح واذل نفسي بالصوم واستمر بالصلاة .

الفصل التاسع

التزود لسفر الروحي

يجب ان يتزود المبتدئ (الراهب) بأربعة امور هامة في سفره الروحي هي :
الخلوة ، الصمت ، الجوع ، السهر . ففي الخلوة تتلاشى كل الغزوات النقلقة ،
وبالصمت تموت عن ذاكرته كل الاحاديث الباطلة ، وبالجوع يتطهر العقل ، وبالسهر
تزول كل الاوضاع التي تحجب بصيرة النفس . فاذا نال الراهب هذه الفضائل
كأها سار في طريق ربه وتعلقت أبصاره في اللانهاية . منتظراً العون والايدي من
لدى الله ، فان استمر بذلك يستسئ لقول النبي ارميا : انا في آت الا لا تبعث
يلرب ولم اشته لذة البشر .

الفصل العاشر

الكوث في الصومعة

يجب ان يدخل المبتدئ الدير اولاً ثم يتدرج الى الانفراد ، وكما يتطهر
الذهب في النار ويتوهج ، كذلك المبتدئ الذي يستروض في الدير يتنقى عقده
ويتوهج . ففي ضوضياء الاخوة يتعم الصبر وطول الأناة ، والوداعة ،
وانتواضع ، واذا ظفر بكل ذلك فليتفرّد ، واذا انفرد ، ان استطاع
مجاهدة الافكار الصاعدة فليصمد ، والا ليعد الى الدير خشية ان يضطرب عقده .

وإذا عضدته النعمة في الصومعة الصغيرة منفرداً ، فليواصل القراءة والتأمل والمطالعة بعد ان يكمل واجباته الروحية والصلوات افرضية طبقاً لما كنا قد اوردناه في المقالة الاولى ، ولا يحتاج ان يقول سوى : يارب يارب . حتى تجري هذه الجملة على لسانه بدون شعوره . وليستمر بها حتى تزول عن لسانه ايضاً وترسخ في قلبه فقط . ثم تتلاشى عن القلب ايضاً ككلمات وجمال ويستقر معناها السامي في الذهن فقط . واذا ما رسخ هذا المعنى في النفس نهائياً ، تلهب بحب ربها وتدفع له كل كياناتها ، فلم يسبق في خاطره غيرها ، وحينئذ تنبجس امامه شقوق بابها رويداً رويداً ، وتتفتح له كوى معرفتها ، ويشرق عليه شمع الهى كالبرق اولاً ثم يمر بخاطرها خاطفاً ، واحياناً يتلكأ في عودته ، واذا اعاد يقيم ، واحياناً تطول اقامته ، واحاين تقصر فلا يعطي الله روحه بمقاييس ، بل بنال كل طبقاً لقابليته .

الفصل الحادي عشر

﴿ عَثَرَاتُ الظَّالِمِينَ ﴾

إن الشرير الظمآن الى اذلال الصالحين ياتي عثرات كثيرة ، ليس في طريق المبتدئين فحسب ، بل يحفر حفراً حتى لمن شرع يتدرج في سلم الكمال ، وغالباً يصطاده في فخاخ العجرفة والكبرياء ، وذلك ، والناسك في غمرة حالة روحية لا توصف ، فالرؤى العجيبة تغمر كل كيانه والسعادة البهجة تضي عليه ملامة من التور العجيب مستغرقاً بالاشمة الساطعة التي لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ، ولم تخطر على قلب بشر . وهو غائب عن هذا الوجود يحاول تحليلها ، وفي غمرة هذه الحالة الوحيية يفسح المجال لأبليس بالاجهاز عليه ، اذ يغريه بالدخول الى المدن والقرى معلماً ومخلصاً للنفوس وقدوة صالحة لتقويم الكثيرين ، فاذا لحظ احد اخوته متألقاً في خطابه جذاباً للنفوس في تعاليمه ؛ يتسرب الى قلبه الحسد المرير ويحاول الطعن في كرامته ، والنيل من مواهبه ، كما حدث لاهرون الاسكندري ذي العقل المتألق والخاطر المرهف ، والفضيلة الوضاعة والذي كان يأكل مرة واحدة في كل ثلاثة ايام ، ان هذا ركة الغرور فاظم عقلة وهبط الى دركة التعريض

بالطوباوي اوغريس واخذ يقول : ان الذين يسمعون تعليمه يضلون ضللاً ، لانه لا حاجة للمعلمين سوى المسيح ، فقد قال تعالى (لا تدعوا لكم معلماً على الارض) ثم وسوس له الشيطان ان يذهب الى الاسكندرية ليراه النار ويقتدوا به ، ولما ذهب، اغراه الهوى فشرع يرتاد المراقض والملاهي ثم لظمته الرذيلة وابتلي بمرراض خبيثة ، وشفي ، ثم عاد الى صوابه .

الباب الثالث

✽ السراقة وعلاجهما ✽

حجج وفيه تشمة فضول

الفصل الاول

✽ كلام الربابة في الخذر من السراقة ✽

جاء الشيخ اخيلوس مرة الى صومعة الاب اشعيا ، وراه - يأكل ، وكنف لديه في الصحفة ماء وملح ، لان حنجرته كانت يابسة ، ولم يستطع ان يأكل الخبز متحجراً ، قال الشيخ : هلموا انظروا الاب اشعيا يأكل مرقاً ، في الأسقيط ، (برة مصر) اذا كنت تريد مرقاً فاذهب الى مصر .

قال شيخ آخر : من هو قوي كالاسد ، ويسقط في الفخ من اجل بطنه ؟ هكذا نحن نسقط اذا قهرنا بطنتنا .

وروى شيخ آخر قال : ان آباءنا في البرية كانوا يقولون لا نضايقن نفوسنا كثيراً بالخبز والملح ، وهكذا كانوا شجعاناً في عمل الرب .

كان الاب فومان يقول : لو لم تهاجم شهوة البطن النفس ، لما غلب العقل على امرء في الجهاد ضد العدو .

وقال الاب ايغانيوس : لا تخضع نفسك للطعام الذي تستأذه ، وخاصة اذا كنت سليماً .

قال الاب اوغريس : لا يقلقك فكرك باعداد مائد وطاق بسبب الضيوف الغرباء ، واقتد بارملة صرفة صيدا كيف استقبلت النبي ايليا ، فاذا كان لديك خبز وماء وملح فانها كافية لمكانة الضيوف . والاجر الصالح ، وان لم يكن لديك فاستقباه بلطف وبكلمة نصح مفيد ، وستنال مكافأتك كاملة .

وقال ايضاً : ان الذين ينعمون سارحين بين المروج الروحية ويتناولون طعام الروح من العلي ، ويسيروا في النور اللامتناهي ، لا تستطيع شهوة البطن ان تسودهم وتشوش عقولهم .

وقال ايضاً : كان احدهم يقرأ كتاباً ، وكان يشاء باستمرار ، ويداعب صفحاته ، ويحصى كرايسه ، ويمد سطورره ، وقد ذهب الكسل بلبه ، فسثم الكتاب ووضعه تحت رأسه واراد ان يغفو هنيهة ، الا ان الجوع كان ينهش احشائه ، فيوقظه ليفكر بالطعام .

وقال ايضاً : المضطرب الفكر مهم بخدمة المائدة ، يجهز على الطعام بشراهة ويظن انه يكمل ناموس الله .

وقال ياوني رئيس الدير : اني اعجب كيف يمكن ان يتحرر من شهوة البطن من لا يسكن في القبر .

وقال ايضاً : اليهودي يفرح يوم السبت والراهب الكبير البطن بيومي السبت والاحد .

وقال ايضاً : ضيق بطنك واسدقك ، لان من يملأ بطنه يوسع امعاءه ، ومن يضيقها يقلص الامعاء ، واذا الامعاء تقلصت يصبح صائماً بالطبيعة .

وقال ايضاً : ان سقوط آدم ، وهلاك عيسو ، وبقوار بني اسرائيل ، وفضيحة نوح ، وانخزال لوط ، وموت اولاد علي ، كلها نتيجة سيئة للشراهة .

الفصل الثاني

حجج الاهواء الناتجة عن الشراهة

الرزيلة وليدة الشراهة ، وعجة المال وحب الرئاسة هما كذلك وليداتها كما يقولون ، لان في كثرة المال دافع اساسي للترف ، وحافز رئيسي للشراهة ، ومنها يتبع الاستغراق في الشهوات ، ومنها ايضاً يتولد الخطف والظلم والقسوة ، وهذه تولد المراآة والكذب والمعرفة ، وعنها تتولد الضغينة والبغضاء والحسد ، وواضح ان هذه الميول جميعها سيئة ومهلكة ، وبالتالي ان الشراهة امها جميعاً ، وهي اعظم خطراً من جميع الامراض ، ويجب على الانسان ان يسرع بمعالجتها ، ولا نجد في كتاب الطب الروحي دواءً لمعالجتها سوى الجوع ، ولذلك يجب ان نعدد فوائده .

الفصل الثالث

﴿ فوائد الجوع ﴾

- وجد العارفين للجوع عشر فوائد ، هي :
- الاولى : بقاء النفس ، لان من يقلل غذاءه يضيء عقله ، ويرق تفكيره ولذلك دعي مفتاح الحكمة .
 - الثانية : الشعور باللذة الروحية ، لان الامعان في اللذات المادية يعطل كل شعور باللذة الروحية .
 - الثالثة : تواضع الروح والوداعة ، وقد قيل ان اجسد اذا بطر لا يخضع الا بالجوع .
 - الرابعة : التفكير بالمساكين والنبائسين والجياع والمعدنين ، وقد سئل احد الملوك الصالحين ، وكان يصوم كثيراً ، لماذا تمنع في الجوع ولك كنوز العالم ؟ قال : اني اخشى ان انسى الجائعين .
 - الخامسة : اخماد الاهواء الشيرة للخطايا ، ولذلك يجب قهر البطن قبل ان يقهرنا .

السادسة : التخلص من ثقل النوم ، ان الذي يشبع يشرب ، ومن اكثر شربه للماء زاد فومه .

السابعة : الا ينشغل الانسان باعداد الطعام فينسى واجباته الروحية .

الثامنة : صحة الجسد على رأي الاطباء ، والذي لا يأكل حتى يجوع واذا اكل لا يشبع بنجو من امراض كثيرة..

التاسعة : قلة النفقات على رأي الاب اوغريس : لا تأكل مرتين في النهار لئلا تكثر نفقاتك وتضطرب افكارك .

العاشر : ان يوفر الانسان كمية يمكنه ان يشبع بها المحتاجين . فالمسرف في الطعام : لا يكفيه ماله ومال الآخرين .

الفصل الرابع

★ تقلبص كمية الطعام ★

يجب على المبتدئ (الراهب) ان يقلص طعامه ، بقدر المستطاع ، وهذا التقلبص يجب ان يكون تدريجياً فمن يأكل رغبين في النهار ويرغب ان يكتفي برغيف واحد ليقص في كل يوم جزءاً من ثلاثين ، وهكذا في شهر واحد يكتفي برغيف واحد ، دون ان يضعف او يتضرر .

وفي نظام الكمية اربع درجات ، الاعلى والعليا ، والوسطى والسفلى .
الاولى (الاعلى) وهي الاكثر سمواً ؛ ومقدارها لا يمكن ان يقات باقل منه كما بلغنا عن احد الكاملين انه كان يأكل في النهار ما زنة قرش واحد فقط .
الثانية (العليا) ان يروض الانسان نفسه على ان يأكل في يوم واحد (الليل والنهار) ثلث الرغيف ، او ما زنته ثمانون قرشاً .

الثالثة (الوسطى) ان يكتفي بنصف رغيف .

الرابعة (السفلى) ان يكتفي بثلاثي الرغيف ولما سمع الاب مقاريس الاسكندري عن ناسك يأكل لتراً واحداً من الخبز اي ما زنته مئة وعشرون قرشاً ، في كل يوم

كسر خبزه واثقى الكسر في جرة ضيقة الفم ، ولم يكن يأكل غير ما تخرجه يده
لواحدة مرة واحدة فقط من الجرة . وكثيرون من النساك في ايماننا لا يزنون
خبزهم ، ولكنهم لا يأكلون اذا سغبوا تماماً ، واذا تناولوا الطعام لا يشبعون .
وهناك دالتان للجوع الحقيقي . الاولى : اذا حضر الخبز يرغب غمسه في
الماء والملح . والثانية : اذا بصق على الارض لا يجتمع الذباب على بصاقه ، وهذا
دليل على ان معدته خالية من الادهان .

الفصل الخامس

﴿ نوعية الطعام ﴾

تقصد بنوعية الطعام هنا ، نوع الخبز وما يؤوم به ، ولكل منها اربع درجات
الاعلى والعالية والوسطى والسفلى .
الدرجة الاعلى من الطعام بالنسبة الى الخبز هي ان يخبز من طحين الشعير
غير المنخول . وكثيرون من الكاملين لا يقتاتون بالخبز بل بالجراد وعسل البر مثل
يوحنا المعمدان ، او بالاعشاب واصول الشجر كالقديس برصوم ورفاقه .
الدرجة العليا : ان يخبز الخبز من طحين الشعير المنخول .
الدرجة الوسطى : ان يخبز الخبز من طحين الحنطة غير المنخول .
والسفلى : ان يخبز من طحين الحنطة المنخول .
والدرجة الاعلى في الادم ، الماء والملح او الخل . والعليا : الاعشاب .
والوسطى : بعض البقول المطبوخة بدون زيت ، . والسفلى : بعض البقول
المطبوخة مع اثيرت .
اما البيض والحليب والجبن والسمن والسمنك ، فذلك للارهبان الذين يعيشون
في الديورة ، وليس للنساك المتوحدين .
قال الاب دانيال في الاب ارسانيوس : عندما كان يسمع بنضوج الاثمار
كان يطلب ان يقدم له منها ، وكان يأكل مرة واحدة في السنة من كل ثمرة ،
وذلك فقط ليشكر الله .

وسأل أحد الاخوة انما اخر قائلاً : اني اكل كثيراً من المشب ، فقال له : كل خبزاً وقليلاً من الاعشاب ، ولا تزر احداً ، . واعتقد انه قال ذلك لئلا يرى بعض الاطعمة فيشبهها في زيارته لابناء العالم .

الفصل السادس

أوقات الطعام

ولأوقات الطعام ايضاً اربع درجات ، الاعلى والعليا ، والوسطى ، والسفلى : الدرجة الاعلى ، وذلك مما لا يوجد في كل جيل ، وهي خاصة بالكاملين ، الذين امنوا في تجفيف اجسادهم ، فيأكلون مرة واحدة في كل اربعين يوماً . والعليا : درجة الكاملين الذين يأكلون مرة واحدة من الاحد الى الاحد . والمتوسطة : درجة الذين يأكلون مرة واحدة فقط في كل مسائين . والسفلى : درجة جميع النساء النظيمين الذين يأكلون مرة واحدة في اليوم الواحد (الليل والنهار) ان في دير الاب فاختوم - وكان رهبانسه يومئذ الفاً وثلاثمئة راهب - كانوا يأكلون في اوقات متفاوتة فبعضهم في الساعة الثالثة ، والبعض في السادسة (ظهراً) والبعض في التاسعة (عصرراً) وبعضهم مساء ، وبعضهم مرة واحدة في كل يوم ، والبعض مرة واحدة في كل اسبوع ، كل بحسب قابليته ومقدرته .

الفصل السابع

شرب الماء

وفي شرب الماء ايضاً يلاحظ الآباء النساك الكمية والكيفية والوقت ، اما الكمية ان يقلصوا شربهم للماء بقدر المستطاع ، قال الاب اوغريس : ان قلة الماء تساعد كثيراً على النعمة ، ويؤكد ذلك بنو اسرائيل يوم كانوا مع جدعون وعددهم ثلاثمئة رجل احتلوا مدينة مديان . وقال ايضاً : زرت مرة ابانا القديس مقاريوس

وكنت محترقاً عطشاً ، فطلبت ماء لاشرب فقال لي : يكفيك الندى ، فان كثيرين من المسافرين في السفن محرومون منه .

والكيفية ، ان يقللوا من عذوبة الماء بقدر الامكان ، كما كان يفعل الاب يوسف فقد زاره اثناء حر الهجر الاب اولوغيس وطلب ماء فذاقه ، ولم يستطع الشرب لانه كان خليطاً من ماء البحر والنهر . وكانوا يفعلون ذلك خوفاً من اراحة الجسد ويقولون : كم مرة روع الاسد من هيئجه وهييج الجسد من اراحه .

وبسبب ذلك يعرض العارفون عن تناول الخمر والمسكر ، قال الاب فلاديس : زرت يوماً احد الآباء ولما جلسنا للطعام الفيته لايتناول شيئاً من المسكر ، بل تناول البلح ثم الماء فشرب ، فقلت له باسماً : اذن انت حاقد على المسكر ايها الاب ؟ انك تناولت البلح وشربت الماء فلم لاتشرب المسكر ؟ قال : اذا اخذت باحدى قبضتيك تراباً وبالثانية ماء ورشقتها في انسان اتظنه يتألم ؟ قلت : لا ، قال : ولكن اذا مزجت الماء بالتراب وضغطتها ضغطاً قوياً وجففتها وضربت انساناً الا ترج هامته ؟ قلت بلى ، ايها الاب . قال : اذن ، لاترغب ان تكون مثل بعض ابناء الدنيا الذين يقولون لماذا لا تأكل كذا وكذا ، أفي ذلك خطيئة ؟ وهم لا يدرون ان بعض الامور وان كانت بذاتها خالية من الخطيئة ، ولكن اذا ركبت تهيج الاهواء ، وهذه تقتلنا .

والآباء يلاحظون الوقت ايضاً ، فانهم بعد صلاة النوم لا يشربون ماء مثلاً يستغرق الجسد بالنوم اذا ترطب .

الفصل الثامن

﴿ الجوع يفيد المتدئين اكثر مما يفيد الكاملين ﴾

ان الكاملين من البشر يضحون كالملائكة الروحانيين ، مجردين من الاهواء ، وبما ان الملائكة لا الشبع يضرهم ولا الجوع يضرهم ، وكلاهما عدوا

الانسان اللودان ، وعلى هذا الاساس يجب الابتعاد عنها والتمسك بالاعتدال في كليها في نهاية الجهاد الروحي . ان البدىء في مطلع جهاده انما يجاهد ضد الجسد متمرداً على الطبيعة جوعاً وعطشاً وعذاباً ، وفي منتصف طريق الجهاد يتضاءل الشعور بالام ، واذا ما بلغنا درجة الكمال ، ووصلنا الى نهاية الشوط ، فحينئذ يقضى على ارادتنا البشرية فتألق حياتنا الجديدة وتتسامى فوق الاهواء في عبادتنا العقلية كالملائكة مضطرمين بحب الله وحده . وعليه ، اذا كنت ايها البدىء لم تزل مريضاً ، فلا تعتقد انك بلغت درجة الاصحاء الكاملين ، والا لزوججت نفسك في امراض قاتلة ، واذا كانت فضتك لم تنق بعد من ادراهمها في البودقة ، فلا تكن فلساً مزيفاً ، وتطبع ذاتك في عملة الكاملين ، واذا زارك اخ غريب ، فلا تظهر له محبتك بالنهم وتتخذ كرمك بالنهم وتتخذ كرمك لاختك حجة في تغذية جسدك ، فتقبل على الثمرة متوهماً انك تخفي فضيلتك ، فانك ستصبح عبداً للاهواء .

الفصل التاسع

الاهواء التي تشور في المتوحدين

يشور في المتوحدين نوعان من الاهواء وبالكاد ينجون منها :

الاول : التظاهر الكاذب ، وهذا يحدث اذا ثارت في التوحيد شهوة الطعام اللذيذ من جهة ونزوة المجد الباطل من جهة ثانية ، فالنزوة الاولى تحرضه على حل نذره ، والثانية تزين له التبعج بفضيلته ، واذا قهرته النزوتان بان واحد ، يسمح لنفسه بان يأكل خلسة ، الامر الذي لا يأتیه صراحة ، ويبرر ذلك بقوله : اذا حلت نذري صراحة وظاهراً فساكون مسياً في شكوك للكثيرين ، وباتالي اكون شريكهم في الخطيئة ، ولا يعلم هذا الشقي انه يصبح حينئذ قبراً مكلساً وهدفاً للويل الانجيلي . ويعالج هذا الداء بحيث اذا ثارت الرغبة متأججة

كثيرة . وحدد المرتل ذلك بقوله : الرجل مع رفيقه بشفاه متلونة ، وهم يتكلمون بقلوب منقسمة ، ليبد الرب جميع الشفاه المتلونة والالسنه الناطقة بالمعظائم . وعلى من يحضر بين المتعاطين اما ان يسكت او ان يصلح ذات اليمين ، او يتدح من كان بريئاً سواء اكان حاضراً ام غائباً .

الفصل السابع عشر

المدح

تلحق المدح اربعة اضرار : الاول الكذب لامتداحه انساناً بما ليس فيه الثاني - المراءاة ، اذا بالغ في المدح الثالث - الضلال ، اذا قال في انسان ما لا يعرفه عنه حقيقة . الرابع - العقاب ، اذا فرح الاثيم بآثيه . وقد قيل ان الاثيم يبارك والرب يفض . وبناء على ذلك سأل احد الاخوة الاب فسيو : ايجدر بالانسان ان يتمدح قريبه ؟ قال : الاجدر به ان يسكت .

والممدوح يلحقه ضرران : الاول - الكبرياء التي تركبه ، والثاني - الغرور والعزوف عن نوال الفضائل ، وما اجمل ما قال رب الحق : الويل لك اذا مدحك الناس .

الفصل الثامن عشر

الكلام الساذج *

مثال ذلك اذا قال رجل ساذج جهلاً : لولا فلان لنهب اللصوص داراً في هذه الليلة ، وكان الاجدر به ان يقول : لولا الله الذي قيض لنا فلاناً لحدث كذا وكذا .

الفصل التاسع عشر

* بحث ما لا يفيد *

مثال ذلك ان يقول احدنا : لا تفيد اذا علمت ان لا تفيد . اذا

جبلها . اجتمع الاخوة مرة في انصعيد (مصر) لكي يبحثوا امر ملكي صادق
ودعوا الاب قوفروس مستوضحين ، اما هو فضرب على فمه ثلاث مرات وقال :
ويحك يا قوفروس اهلكت ما امرتك به الله واخذت تبحث ما لم يأمرك ؟ فاختفى الاخوة
حالا في صوامعهم .

وهناك عشرات لسان كثيرة ولكن اكتفينا بما ذكرنا كجزء من كجزء من كل .

الباب السادس

* الغضب والحذر والحقد *

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول

(* اقوال الآباء في الحذر من الغضب *)

اراد بعض الآباء اغاظة الاب موسى امتحانا له فاحتقروه قائلين : لماذا
يدخل هذا الزنجي بيتنا ؟ ولما سمع ، سكت . قالوا له بعدئذ : ايها الاب موسى
لم تنتظ ؟ قال : وان اشتظت ، ولكن لم اتكلم .

قال الاب اغاثون : حتى اذا اقام الرجل امواتا فانه مرذول . وسأل احد
الاخوة الاب ثيودورا : لماذا يخافك الشيطان بهذه الدرجة ؟ قال الشيخ ؟ : لاني
لا ادع الغضب يدخل مقف قلبي .

دعي الاب يوحنا مرة الى الكنيسة ، فاحتاطه الاخوة وكانوا يستفتونه
في أفكارهم . قال فيه احد الشيوخ : ان الاب يوحنا كالعاهرة التي تزين لتجذب
اليها المحبين ، فتحنح الاب يوحنا وقال ؟ صدقت ايها الاب . قال له احد محبيه :
لم تغضب في داخاك ؟ قال : اني في داخلي كما انا في خارجي . قال الاب آمون :
تعبدت اربع عشرة سنة في البرية متضرعا لله لينصرتني على الغضب . وقال الاب

اوغريس : لاتغيبوا الشمس على غضبكم لئلا يأتي الالباسة فيقلقوا نفوسكم باشباح
مخيفة رهية . وقال ايضاً : كان ملاك كنيسة تدمر يقول : ان الحبة تخمد ضرام
الغضب . وقال ايضاً : كما تحجب الغيوم أشعة الشمس كذلك الغضب يحجب ضياء
النفس . وقال يوحنا ابو الدوالي : ان شيطان الغضب يذكر النفس بما مضى وما
سيأتي من الشؤون اثرة للغضب ، ويسقيها كأس الغضب ، الا ان النفس حتى في
ذلك لاتدنس اذا لم تقذف الغضب بواسطة اللسان او تثير احداً بالكلام . وقال
ياوثي رئيس الدير : هناك ميل نفسي عنيف يحرق حنطة النفس ويفسدها بلحظة
واحدة ولذلك يجب التحفظ بتعقل . وقال ايضاً ان المعن في اللذة يمكن ان
يفسد ذاته فقط او من يحفظ سره ، اما الغضوب فانه يقلق مجتمعه كله ، فذئب
واحد يمكنه اطلاق القطيع برمته .

الفصل الثاني

★ الاسباب التي من أجلها غرس الغضب في طبيعة الانسان ★

لما كان الانسان كسائر الكائنات الحية قابلاً للفناء اعطاه الله الغضب ملاحاً
للدفاع عن كيانه عند الحاجة . واسباب فئائه اما باطنية : الاحجام عن الطعام الذي
به يدوم وجوده الى ان يأتي اجابه ، ولكن اذا منع عن الطعام عنوة فان الغضب
يدفعه الى ازالة ذلك المانع حفظاً لوجوده . واما خارجية : وهي كل من يناصبه
العداء من بني جنسه او نوعه ، وهكذا اذا عودي تضطرم نار غضبه ويحمر وجهه
فما اذا كان واثقاً من قوته ومن ضعف خصمه . فاذا كان خصمه اقوى منه يندفع
اللم من الوجه الى داخل القلب فيخضر الوجه وينقلب الغضب الى خوف
فالغضب الطبيعي في الجسد هو الرغبة في الانتصار ودفع الاذى . والغضب في
النفس يوضحه اوغريس بقوله : اذا لاح في مخيلتها ما تكرهه فاتها تبعده عن
صاحتها بالتفكير .

★ ★ ★

الفصل الثالث

أسباب الغضب ومعالجتها

أسباب الغضب هي : العجرفة ، الكبرياء ، المهارة ، المناهضة ، الجشع في الاموال . المجد الدنيوي . وتم المعالجة باستقامة التفكير والعمل المجدي السريع وذلك بأربعة أمور :

الاول : ان يفكر الانسان انه بقدر ما هو اللطيف حميد تكون الجفوة مقبلة وقد قيل ان اللطيف صخرة موضوعة فوق بحر الغضب تنكسر عليها كل الامواج الصاخبة ، وهي ثابتة لا تتزعزع وقال الرب : تطوأمني فاتي وديع ومتواضع القلب .
الثاني : ان يتأمل الانسان قائلاً : اذا كنت لا اغتفر غلطة واحدة سقط فيها اخي فكيف يغتفر لي الدين العادل كثرة اخطائي ؟ فقد قل : اغفروا يغفر لكم .

الثالث : ان يشمتر من سماجة الهيئة التي يتخذها اثناء الغضب ، فقد قيل ان الغضوب فيه جنون ارادي ، ولا يمكنه برادته اخماد عانة تأصلت فيه .
الرابع . ان يتأكد ان الشيطان وسوس الذي اغاظه ولذلك يعتبره لا يستحق اللوم ، فقد قال الاب اوغريس : اذا شتمك اخوك او سبك فلا تحمله تلك الجريرة ولكن اعتبر ان ذلك اعتراف من ابليس . فان لم تعتبر الامر كذلك فاذك تثير ضد نفسك زخماً من الافكار .

وتستقيم سلامة العمل ايضاً بتحمل التذمر الذي يحدث في مجتمع الاخوة ، فقد قيل : كما ان الحجرة الخشنة اذا صقلت بحجارة ملساء ناعمة تزول خشونتها وتصبح صقيلة براقية ، هكذا النفس المنظمة اذا روضت باعمال عنيفة تزول فظاظتها . وقيل ايضاً : من لا يتغلب عليه الغضب يبلغ ميناء الراحة والنجاة ، اي اذا تغلب على فظاظه بعض الاخوة وتحمل غلاظتهم فانه يغسل اثواب نفسه . وهدوذا بعض ابناء الدنيا اذا شتموا احداً مواجهة يعززون بذلك ويقولون : لقد شملت فلاناً . وهذا صحيح . اما الصبر فانه يغسل ادوار النفس .

ويحمد الغضب ايضاً بكلمات خاصة توجه الى مثير الغضب ، ويجب ان تكون لطيفة منعشة مزيلة للغيظ ، فاذا قال لك احد : من انت ؟ المت من العشيرة الفلانية ؟ ومتى ظهر شيء فيه صلاح في برك ؟ ؛ يمكنك اخماد غضبه بلطف وتؤدة بقولك : اجل اني من العشيرة الفلانية ، ولا خير سواء ظهر من قومي شيء فيه صلاح او لم يظهر فالصالح هو الله وحده .

الفصل الرابع

الضعف [الحقد]

الضعف او الحقد نتاج الغيظ على حد تعبير الحكماء ، فالغيظ يجعل فيلدها ، فاذا ما زرعها واصابا النمو الكافي تلدان ثماني بنات او تؤديان الى ثماني نتائج :
الاولى : ان يحسد الانسان من ضعف عليه . الثانية : ان يفضه . الثالثة : ان يفرح بمصائبه . الرابعة : ان يحتقره . الخامسة : ان يهزأ منه . السادسة : ان يثلبه . السابعة : ان يعرضه للخسائر . الثامنة : ان يحجب عنه الفوائد .

ويحذر العارفون شر هذه المساويء حذرهم من السم الزعاف ، وقد قال الاب اغاثون : اني لم اتم قط حاقداً على احد ، ولم ادع احداً ينام وهو حاقد علي . وقال الاب اوغريس : ان الحقد يحيل العقل ظلاماً ، والصلاة سبباً ، ولهذا (دع قربانك على المذبح واذهب اولاً صالح أخاك ، ثم تعال وقدم قربانك) غير قلن . وقال احد الآباء : ان من هو حاقد ويمتد نفسه تائباً يشبه من يركض وهو قائم . ويعالج الحقد بازالة سببه ، اي الغيظ ، او بما يقدم من الهدايا للحاقد على حد قول الاب اوغريس : ان الهدية تحمد الحاقد كما فعل يعقوب اذ قدم الهدايا لعميسو ، وقد خرج عليه باربعماية مقاتل . وبما اننا نحن برؤساء فيكفي ان نسد رمقنا بمائدة بسيطة .

الفصل الخامس

★ الحسد ★

يتولد الحسد من الحقد كما يتولد الحقد من الغيظ ، ولا يحسد انسان إلا على

نعمة اولاه الله ايها ، ولكن اذا رأيت - ايها الأخ - نعمة اوليت او تولى اخاك قد يحدث لك احد الامرين : اما ان تكره بقاءها او تمنى زوالها ، وهذا يعرف بالحسد واذا حدث بطريقة اخرى ، اي ان تمنى نوالها او نوال مثلها فهذا يعرف بالغيرة .
فالأول مقيت ، والثاني حميد .

وللحسد ستة اسباب : الاول : البغضاء . الثاني : الكبرياء ، حيث ان يتألم الانسان بتعالي غيره عليه . الثالث : يتمنى ان يكون الغير اقل منه شأنًا حتى ولا مساويًا له . الرابع : او يطلب لنفسه الخير الذي اصابه غيره . الخامس : المجد الباطل : اذ يرغب ان يكون وحده فريد عصره . ووحيد دهره . لذلك يحسد من يرغب التشبه به . السادس : الخلق السيء الطبيعي ، مثل الكثيرين الذين لا يحبون العلم ، واذا وجدوا غيرهم فاقبهم معرفة فانهم يحسدونه .
ويعالج الحسد ان يتأكد الانسان بان الحسد يضر فيه وحده ويقبض مضجعه واما الحسود فلا تصيبه أية مضره ، وعليه يجب ان يفرح ويشكر الله الذي اولاه نعمته .

الباب السابع

* الشهوات الباطنة *

وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

* اقوال الرباء في تفاهة الشهوات *

ذهب احد شيوخ الصعيد لزيارة رئيس الاساقفة في الاسكندرية ، ولما عاد قال للاخوة : سمعتم تقولون ان في الاسكندرية جموعاً غفيرة من الناس ، وقد ذهبت

الى هناك فلم ار وجه انسان سوى البطريرك وحده ، ولما سمعوا قلتوا جداً وقالوا : هل غيبوا في الارض ؟ قال : لا ، ولكن لم يتغلب على فكري فانظر وجهه انسان ففهم الاخوة الا ينظروا الى شهوات الدنيا الباطلة .

قيل مرة الاب ثيودورا ، ناسك البرية : ان الاخ الثلاثي عاد الى الدنيا ، قال لا تعجبوا من هذا بل اعجبوا اذا هجر احد الدنيا هجراً تاماً . وقال الاب فومان : ان كل امر لا يستأصله الانسان من نفسه يستمر متعلقاً به . وقال شيخ آخر كلما دخل جندي المعركة فانه يهتم بنفسه ، هكذا حارس المثل العليا يجب ان يتأكد ان الغنى وذوي القربى والحكمة ، كلها نقاية بدون الاعمال الصالحة . وقال الاب سوسايس : ان قول دانيال : (لم اكل خبز الشهوة) معناه الا يخضع الانسان لشهواته .

وقال الاب اوغريس : كما ان الانسان لا يمكنه رؤية وجهه في ماء عكر ، هكذا العقل لا يمكنه رؤية الرب كما في المرآة الصافية ما لم يطهر قرة نفسه من الشهوات . وقال ايضاً : كما ينفي الانسان ينبوع الماء من الاوحال المتراكمة ، ثم يستقي الماء النقي ، كذلك يجب تنقية النفس من الهموم الدنيوية ، فيجد في دخله كنزاً من المعرفة ، وقال ايضاً : ان الشهوات قيود يصعب كسرها . وقال ايضاً : دع كل هم في الدنيا ، الرئاسة والسلطان ، يكون غير مأسور لتلك الهموم ، وهكذا يمكنك تهدئة روع نفسك بسهولة . وقال شيخ آخر : ما اغني من يظن انه سيأخذ من العالم - عند موته - اكثر من قبره .

وقال مار اسحق : ان الناسك بجهد طويل يقطع صلته بالعالم وشهواته ، ويربط مصيره بالعالم الجديد وامجاده . وقال ايضاً : الاعراض عن الشهوات يكون اما خوفاً من العذاب او طمعاً بالثواب

الفصل الثاني

اشباه العالم الباطلة

١ - كالظل الهارب المسرع ، وان لم نشعر به ، هكذا العالم وان اغتر بعض الاغبياء ببقائه .

٢ - كما تحلم بلذة او الم فاذا استيقظت لا تجد شيئاً ، هكذا الناس يرقدون واذا ماتوا يستيقظون .

٣ - كالفتاة التي تصنع وتزين لاجتذاب الرجال واذا خطبت بدّرت اموال خطيبها ، هكذا حبة الدنيا تبدد فضائل النفس .

٤ - كما ان الامراض تبت شاهية الطعام هكذا الشهوات تقتل ميول المعرفة .

٥ - كما ان المآكل الشبية تؤول الى الزوال هكذا الشهوات الدنيوية عند الموت .

٦ - هناك ثلاثة ازمنة لسير الحياة العامة ، الماضي ، وهو منذ الازل الى وجود الانسان ، والحاضر ، وهو فترة حياة الانسان ، والمستقبل ، وهو منذ زوال الانسان الى الابد . ولما كان القسم الثاني كطرفة عين بالنسبة الى القسمين الاخرين فكيف يفتقر الانسان الحكيم به ؟

٧ - كان بعضهم يسرون في بيداء مقفرة ، فنضب مأوهم ، ونفذ طعامهم ، وهم لا يعلمون هل الشوط الذي قطعوه اطول ام الشوط الباقي لهم ان يقطعوه ، توقفوا واجمين ، فترأى لهم رجل كانت خصل شعره تقطر ماء ، فسروا برؤياه ، وتمنوا لو دلمهم على الينبوع ، فاشفق عليهم ، وقتل : هنال ينبوعان ، قريب اجاج ، وبعيد عذب ، اما هم فالوا الى الينبوع القريب واستعذب معظمهم اجاجته (ملوحته) ولم يرضوا عنه بديلاً ، وقليلون هم الذين اختاروا التعب والعذاب وتبعوا الدليل الى الينبوع العذب . هكذا العالمان ينبوعان احدهما قريب "مر" اجاج ، وبعيد عذب ، وقليلون هم الذين يطلبونه .

الفصل الثالث

الشهوات وافسامها

الشهوات الدنيوية امور تلتد الانسان في هذه الحياة الدنيا . والامعان بها يجول بينه وبين العمل الروحي ، وهذه الامور اما ضرورية واما مناسبة ، والضرورية اربع هي :

الغذاء والكساء والزوجة والمسكن . والمناسبة ، اما طبيعية ، كالعشيرة وذوي القربى . او مكتسبة : كالرئاسة والسلطان والغنى واليسار والجنائز وارياض والعبود

والاماء ، والحكمة (الدنيوية) ايضاً وهي جهالة عند الله وقد رذلها الله ، تعتبر من الشهوات الباطلة ، فبواسطتها تتفن الصناعات والفتون ويمكن ان تجنى من هذه الثمار الرديئة ، حتى المعادين والوعاظ الجوالين المتنقلين يعتبر تعليمهم جهالة وان كان كنيسياً لانه يستهدف خلاص نفوس السامعين بل ابتزاز اموالهم ، وكيفما كان الامر فان كل الامور التي ذكرناها اذا تطرف بها الانسان اكثر من الحاجة الضرورية فانه ينجز رغبة الشرير ، وفيها تفرق نفسه غرقاً في حماة آمنة .

الفصل الرابع

﴿ انصرف ارادة الناس في الرغبة بالشهوات ﴾

يقول البعض انه لا سعادة للانسان إلا بالاكل والشرب والتمتع انجراً مع المتحرفين الاقدمين الذين قالوا : لناكل ونشرب وغداً نموت . وقد وبخ الرسول بولس بهذا القول أهل كورنثوس ، وذكره ايضاً النبي إشعيا ، وهكذا يعيش مثل هؤلاء كما تعيش البهائم حياتهم كلها .

ويقول غيرهم ان سعادة الانسان في ان يكسب الغنى واليسار فيحتاجه الجميع وهو لا يحتاج احداً ، وهم دائبون في تكديس ذلك ليلاً ونهاراً ولا يذوقون منه الا ما يسد الرمق فقط .

ويقول آخرون : ان سعادة الانسان في ان يمدح حياً وميتاً ومثلهم الأعلى (الصيت الحسن خير من الدهن الجيد) ولذلك يفعلون الخير مراآة وزلفى . وهم لا يعلمون ان الذين يرضون الناس يخزيهم الله .

ويقول غيرهم : ان سعادة الانسان في الرئاسة على الآخرين والتسلط على رقاب الناس ، وهم يتوصلون الى ذلك اما قهراً واما بالرشاوى او الوعود .

ويقول غيرهم : من الذين ينظرون الى الامور بمنظار الخيال ان كل ذلك من الامور التافهة ، واما اجماد عالم الروح فانها وحدها الباقية ، وهذه يجب الحصول عليها والوصول اليها . ولذلك يقتلون اجسادهم تعذيباً لينالوا هذه الآمال السامية ، ومثلهم مثل انسان سمع الحكماء يقولون : ان الفلسفة هي التفكير بالموت ، وسع ايضاً افلاطون يقول في كتاب الجمهورية : لنهرب اذن يا (ثيودورا) (يعني عن نفسه) لان الشرور معشنة ،

لنهرب من هنا . سمع الرجل ذلك فالقى نفسه من السور فهات عاصياً شقيماً .
ولم يعلم هذا الغبي ان الموت الذي يقصده الفلاسفة هنا ، هو الهرب من الشهوات
والاعراض عنها . وقد اراد افلاطون بقوله : (لهرب) الرغبة عن الشهوات ،
وقد فسر الحكيم اوغريس نوع هذا الهرب تفسيراً سامياً فقال : ان انفصال
النفس عن الجسد هو عمل الله ، واما تسامي النفس عن الجسد فانه عمل طالب
الفضيلة ، ويشبه آباؤنا الهرب عن الجسد بهجر المسكن .

ويرتأي آخرون انه لايجب هجر العالم بدون تطهير النفس من اهواء
الجسد ولذلك يمارسون الزهد المنيف ويقومون باعمال تفوق الطاقة البشرية جهلاً ،
ولما لم يثمر حينئذ يقولون ليتحرر الضمير من اعمال المصيان (يقصدون به
النسك) ومن قراءة الكتب والعلاوة والترتيل والصوم والسير والخلوة والانفراد
والتهجد المستمر ، لان هذه الامور كلها تجلب القلق والتشويش للعقل ولذلك
معظم الناسك لا يبلغون درجة الكمال او التحرر من الاهواء ، فيتصورون
ذواتهم كأنهم يجب ان يعيشوا هنا كما يعيش الابرار بعد القيامة حياة جديدة ،
وهناك غيرهم يضلون ضلالاً ارادياً وكلهم يتمسكون بالظل دون الحقيقة ، هو الطريق
الذي سار فيه آباؤنا القديسون فقالوا الظفر .

الباب الثامن

محنة المال

﴿ وفيه سبعة فصول ﴾

الفصل الاول

★ اقوال الآباء في الحذر على محبة المال ★

قال راهب لاحد الشيوخ : ارجب ان اوفر فلسين ليوم الحاجة او المرض ،
قول له الشيخ : لا حاجة بك ان توفر غير قوتك الضروري ، فان حدث
وقد منك الفلسان فان لك من بهم بامرك فالق همك عليه .

حدث شيخ آخر عن بستاني كان يشتغل ، وما يوفره بعليه صدقة ، فحدثه افكاره بعد ذلك ان يوفر له بعض المال لحاجة الشيخوخة ، فوفر وجمع وملاً اثناء كبيراً ، وابتي يوماً بقرحة في رجله ، وانفق ذلك المال على الاطباء ، ولم يفيدوه بل قالوا له ان لم تقطعها فتنها تتلف جسمك كله ، وكان يئن باكياً ، فترأى له طيف من ورائه يقول : ابن الدرام ؛ قال : لقد اخطأت يا سيدي فاغفر لي ، فدنا منه وشفيت رجله .

قال الاب اوغريس : اذا سأل الانسان عن سبب خاقة الذهب ، قال فكر الملائكي يجب : انه خلق من اجل سير العالم المنظم ، والفكر الشيطاني يقول : انما خلق للتمتع بالفتى والنعيم الجسدي والمجد الفاني في هذا العالم . وقال ايضاً : اذا اخضع شيطان حبة المال قهراً للنسك ، يحتمل لابساً قناع إعالة المساكين ، فيزور السجون في المدن ، ويفتدي الاسرى ، ويلج بيوت النساء الموسرات ويشرح لمن احوال الفقراء ويحرض ذوي الاكياس المربوطة على هجر العالم . وقال ايضاً : لا تشته ان تكون غنياً ، بحجة التصديق على الفقراء فان ذلك لضلال من الشرير يجذبنا الى المجد الباطل ، ويوسوس للفكر باسباب فارفع نظرك الى السماء وانظر الى الرب تمتدح الارملة التي اكملت برها بفلسين اكثر من الاغنياء الذين القوا كثيراً في الخزانة ، فهؤلاء القوا من فضل مالهم واما هذه فالقت كل ما كانت تملك .

قال ياونثي : لا تقبض لحج البحر ولا ينضب الغضب والضيق لحب المال .

الفصل الثاني

= الفنى سبب يفبر منه بعض الناس =

ان الفنى ليس ضاراً او بدون جدوى اذا اصابه بعض الناس ، وذلك واضح من الذين لا يتجحون في نوال بعض الفضائل حيث يكون الفنى لديهم سبباً في تولد العطف والرحمة فيهم وذلك اذا عرفوا كيف يوجهونه ، واعلم ان السعادة الابدية موضوعة بين ثلاث فضائل :

الاولى : فضيلة النفس ، وهي معرفة الله والملائكة وعوالم الروح معرفة حقيقية .
الثانية : زهد الجسد ، الثالثة ، الرحمة ، وهي تكمل بالغي ، وهذا النوع من
الفضيلة وان كان سامياً إلا انه احط درجة من النوع الثاني ، وهذا احط درجة
من النوع الاول . لان المعرفة تطلب من اجل ذاتها ، والزهد من اجل المعرفة او
تنوير النفس ، واما الغنى فمن اجل حياة الجسد ، وحياة الجسد من اجل الزهد
وواضح ان ما يطلب من اجل ذاته هو افضل مما يطلب من اجل غيره ، فذلك
مخدوم وهذا خادم ، وطبقاً لهذه الحقيقة ، ان الذهب والفضة هما احط قدرأ من
جميع انواع الغنى الاخرى ، لانها لا يطلبان من اجل ذاتها بل من اجل بقية الحاجات
الضرورية لقوت الجسد والزهد والاستتارة . ومن هنا تعرف ان فضيلة النفس تكون
طبقاً للهدف او الرغبة النهائية المتصورة ، واما الوسائط ، طبقاً لقربها او بعدها عن
الهدف تكون افضليتها قريبة او بعيدة .

الفصل الثالث

﴿ فوائد الغنى ﴾

فوائد الغنى اما زمنية او أبدية ، والزمنية معروفة ، اما الابدية فهي ثلاثة انواع
فاما ان يتفق الانسان غناه على ذاته ، او على اتاس آخرين معينين ، او على أي كان .
فالنوع الاول : يريد به الانسان أودّه الحدود ، وبهذا يمكن ان ينزع
الى الزهد ، فتصبح فائدته ابدية ، والنوع الثاني : مضاعف ، فاما ان يتفق الغني
العلماني غناه في سبيل الصدقات والهبات ، واما في سبيل الولايم ، وهذا النوع اذا
لم يقصد به ربحاً زمنياً يصبح ربحه ابدياً ، كما قل المخلص : اذا اقامت وليمة او
دعوة فادعُ اليها المساكين والبائسين والعجز والعمي فتكون سعيداً ، لان ليس لديهم
ما يكافؤونك به . والنوع الثالث : هو القيام باعمالٍ نفعها عام ، كبناء الكنائس
والملاجيء والجسور ، واحداث الينابيع والانهار والغدران في المناطق انقاحلة .

الفصل الرابع

مضار الغنى

ومضار الغنى ايضاً اما زمنية واما ابدية ، والزمنية كالشاق التي يقاسمها الانسان في جمعه ، وما يحاك ضده من احاييل بعد جمعه من الحكم والمصوص والسراك ، والحسد الذي يثور ضده من اقربائه ، والابدي ثلاثة انواع :

الاول : لان الغنى يبيح الانسان على القيام باعمال لا تليق كالتبذل والمجد الباطل والشراة وغيرها .

الثاني : ان محب الغنى لا يمكنه جمعه بطريقة مشروعة إلا نادراً ، فيمضي في الاحتيال والسرقة والكذب .

الثالث : واذا لم يكن من اهل الشرفان التفكير باثمائه وحفظه يعده عن عبادة الله ، فلا يستطيع عبد ان يعبد سيدين كما قال رب الحق .

الفصل الخامس

معالجة الطمع

يعالج هذا الداء بستة ادوية ، هي :

الاول : ان يتصرف الانسان بامواله بطريقة معقولة .

الثاني : اذا تسرت له حاجة يومه لا يهتم بما يطالبه الغد ، وليعتبر في مثل الانجيل في الغني الغبي اذ قال لنفسه : يا نفس ! لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة ، فاسعدي وكلي واشربي وتنعمي . قال له الله : يا جاهل ، هذه اليلة تتزع نفسك منك وهذا الذي اعدته لمن يكون ؟ .

الثالث : ليفكر الى اية دركة حقيرة يهبط الجشع على جمع الاموال ، واية عظمة ينال اقناع القنوع .

الرابع : ليقابل بين سعادة الاثنياء الوهمية في هذا العالم وبما ناله الانبياء والرسول والزهاد الذين زهدوا في الحياة الدنيا ، من نعم دائم ، وهكذا تربط قيمة المال في عينه .

الخامس : ان يعلم اي عذاب اليم وتعاسة يقاسي المعنون في جمع المال .

السادس : ان ينظر دائماً الى الذين هم اقل درجة منه وليس بمن يفوقه .

الفصل السادس

★ السخاء والبخل والاسراف ★

يقول البعض : ان السخاء هو ان يعطي الانسان كرمًا بدون تحميل الجمل ، ويقول آخرون : ان السخاء هو ان يفرح الانسان بمن يطلب اليه ويتضاعف فرحه اذا اعطاه . وطبقاً للتفكير السليم ، ان العطاء موضوع بين حدين الاكثار والاقلال ، اما الاكثار فيدعي اسرافاً ، والاقلال بخلاً ، والاعتدال سخاء ، وهذا يكون بأن يعطي الانسان بقدر ما يجب ان يعطي ، وان كان بحاجة اليه ، وذلك لمن يستحق اولاً يستحق . وفقاً لرأي بعضهم ، انه اذا اعطى لمن لا يستحق فذلك يدعي اسرافاً لا سخاء . والحقيقة ان الاسراف هو انفاق المال بطياشة في سبيل اهواء مختلفة سواء على نفسه او على غيره ، وقلنا ان يعطي حتى ما كان بحاجة اليه ، لان من يعطي ما فاض عن حاجته فانه يحرص على ما كان لا يزيد عن حاجته ، والحريص ليس سخياً . يقال ان الاب اغاثون رأى الاب نستير لابساً ثوبين قال له : اذا طلب اليك مسكين ثوباً فأياً منها تعطي ؟ قال : احسنها ، قال وان جاءك آخر وطلب اليك ؟ قال اعطيه نصف الباقي . قال : وان جاءك ثالث ؟ قال اعطيه البقية واجاس عرياناً حتى يقيض الله لي ما اكتسي به .

✽ الفصل السابع ✽

سبب البخل ومعالجته

ان سبب البخل هو محبة المال اما لذاته كمال ، او من اجل هدف آخر لا ينال بغيره . وهذا الهدف اما ان يطلبه الانسان من اجل ذاته او من اجل ذريته . والداء الاول لا يعالج ، لان الفضة بذاتها لا تؤكل ولا تشرب ولا تابس ، ولا تصلح بذاتها لاية حاجة اخرى ، انما هي واسطة فقط ، فمن يجبها كفضة فقط ، فانه ولد اعمى من بطن امه وبالكاد الخالق نفسه يمكنه ان يخلق له عينين . واما الثاني ، فانه يعالج بنفس الادوية التي يعالج بها الجشع

سواء اذا طلب لذاته الحاجة التي تجلبها الفضة او لذريته ، فان هذا يعالج بالايان ، لان الذي يخلق الولد او الذرية يعد له قوته . ويعالج الجشع ايضاً في ما يهجي به فيشتمنر منه ضميره ويذكر الاجاد التي يسجلها الامخياء .

الباب التاسع

✧ محبة المجد الباطل ✧

— وفيه اربعة فصول —

✧ الفصل الاول ✧

★ كلام الرباء في الحذر من المجد الباطل ★

جاء احد الاخوة الى الاب اوغريس المصري وقال له : قال لي كلمة لاحيا بها ؛ قال له الشيخ : اذهب الى القبرة واشتم الموتى . فذهب وشتمهم ، وجاء واخبر الشيخ ، فسأله الشيخ ، هل قالوا لك شيئاً ؟ قال : لا ، قال له الشيخ : اذهب غداً وامتدحهم وقل لهم : ايها الرسل القديسون ؛ ايها الابرار . فذهب وامتدحهم وعاد واخبر الشيخ . قال الشيخ : هل سمعت منهم جواباً ؟ قال : لا . قال له الشيخ : كن هكذا انت ايضاً اذا اردت ان تحيا ، لا تبالي ، اذا ذمك الناس او مدحوك .

قال احد الاخوة الاب مطاويس : ماذهب الى المكان القلاني لاسكن فإذا تربدني ان اقول عنك ؟ قال له الشيخ : لا تنشر لي شيئاً للمديح كأي لا آكل ولا اشرب ، فهذه الامور تنشر شيئاً كاذباً ، وانت اعلم كل ما ترى رجال الله الاتقياء يفعلون ، فتسمد ، والناس اذارأوك قد اصبحت مساوياً للجميع فيمتبرونك اعتبارهم للجميع ، وهكذا لا تشقى .

سأل احد الاخوة شيخاً ، ماذا افعل فان رغبة المجد تقتلني ؟ قال له

الشيخ ، حسناً تفعل ، فانت خلقت السماء والارض . فندم ذلك الاخ وقاب

ذهبت امرأة مبتلاة بداء السرطان تفتش عن الاب لونها ، فوجدته يلتقط عيداناً من ساحل البحر وهي لا تعرفه . قالت : ايها الاب ، ابن يسكن عبد الله لونها ؟ قال : ماذا تريد من ذلك الصلف الدجال ؟ ان لونها لا يمكنه مساعدتك وباركها وأردف : اذهبي الرب يشفيك .

قال شيخ آخر : ان من يحترم اكثر مما يستحق ينخر كثيراً ، ومن لا يحترمه الناس فان الكرامة تهبط اليه من العلى .

قال الاب اوغريس : ان المستغرق في المجد الباطل يسوء ان يمدح غيره اكثر منه ، وقال ياونتي : ان النامك المستغرق في المجد الباطل يهتم بارضاء الناس اكثر من اهتمامه في ارضاء ربه ، فلا فائدة منه ترجى حتى اذا اذاب جسده نسكاً . وقال ايضاً : المجد الباطل يخلق من الرهبان الكسالى ابطالاً ، طالما العلمانيون في الدير ، ويميل ذوي الصوت الاجش بلابل والنوامين يقظين ، فيطلب الراهب الطامع في المجد الباطل الى رئيس الشمامسة ان يعطيه قيادة المرتلين ، وان يدعو اباً ومعلماً حتى يريح العلمانيون .

الفصل الثاني

* تحريم الطمع في المجد الباطل وسببه ومعالجته *

الطمع في المجد هو الباطل الرغبة في حيازة الكرامة ثمناً للفضيلة ، وسببه الرغبة في حيازة مطالب اخرى زمنية بواسطة ، التي وان امكن حيازتها عن طريق المال إلا ان الكرامة تنيلها بأسهل ما ينيلها المال ، ولذلك ثلاثة اسباب :

الاول : ينال المال بالكرامة اكثر مما تنال الكرامة بالمال .

الثاني : تجريد الانسان من المال اهلون من تجريده من الكرامة .

الثالث : المال ينال باتعاب ومشقات كثيرة ، وليست كذلك الكرامة ، لان

بواسطة المال والكرامة تنال بقية المتطلبات . وكم ان حيازة المال الكافي لضروريات

الحياة ليس رديئاً ، كذلك حيازة الكرامة الحقيقية توصلنا الى بعض الامور البريئة

ليس عنراً ، وان كان انتظرف فيه امرأ قتلاً . ويعالج التطرف في حيازة الكرامة

والمجد الكاذب بان يمارس الانسان ما يجعله طبيعياً وبسيطاً امام الناس ، او اقل مما هو عليه من الكرامة ، كما فعل الاب ثيودورا الفرمني اذ جاء نزيارته احد الولاة فوجده لابساً ثوباً خلقاً ، عرياناً صدره وقبعته مائلة الى الامام . ولما ذهب قال له احد الاخوة : ماذا فعلت ايها الاب ؟ فقد اُتمك هذا النبيل ليفيد منك ، ولعله عاد يائساً ، قال الشيخ : رُح لشانك ايها الاب ، ان من يريد ان يفيد او ان يياس فالامر له ، اما انا فاقابل مثل هؤلاء بهذه الطريقة ، . فمن لا يمكنه ، ان يفعل ذلك فليتعد عن سكنى البشر ، وليعش فكرة لكي يجيا .

الفصل الثالث

- درجات المدوحين -

المدوحون ست درجات ، درجتان تخصان المرائين واربع تخص الفضلاء .
الدرجة الاولى من درجتي المرائين : يتوق الانسان الى المديح بدرجة بذل خسارة فادحة في هذا السبيل اذا كان غنياً ، او باعمال نكث قاسية كاذبة اذا كان فقيراً . والدرجة الثانية : ألا يحاول الانسان اكتساب المديح ، ولكنه يفرح اذا امتدح . ومثل هذا ما لم يستأصل الهوى من قلبه قسراً ، يسهل هبوطه الى الدركة الاولى .
والدرجة الاولى من درجات الفضلاء هي : اذا سمع المديح لا يفرحن به ولا يحزن . والثانية ، ان يحزن الانسان بمديح يكال له وان كان في محله ، ولكنه يسكت ولا يجيب ، كآلاب آلونيس حيث امتدحه الشيوخ من اجل خدمته فم يجب وقال : لو اجبت لاصبحت كمن يهبجه المديح . والثالثة : ان يهرب من حيث يمدح كالناسك المصري الذي كان يسكن القسطنطينية فزاره الملك تيودوسيوس متكرراً ، ولما لم يجد شيئاً في صومته غير زنبيل صغير فيه خبز ، امتدحه كثيراً ، فعجل ذلك الناسك بالهرب الى مصر . والدرجة الرابعة : هي درجة الكاملين الذين اذا امتدحوا غضبوا على ممدحيهم فيتهرونهم ويكذبونهم ، ومنها كان يجب على من يتدح ان يفكر بنفسه قائلاً : لو عرفني هذا معرفتي لنفسي بنا امتدحني .

❖ الفصل الرابع ❖

❖ درجات المشتمين ❖

المشتمون اربع درجات ، اثنتان تخصان التافين واثنتان تخصان الفضلاء .
واولى درجتي التافين ، ان يحزن عند الشتمة ويحقد على شاتمته ، والثانية ان
يحزن فقط دون ان يحقد على الشاتم .
واولى درجات الفضلاء ان يعتبر الشتم ربحاً او شرفاً ، والهجاء مديحاً ،
والثانية ، ان يحب شاتمته ويشكره لانه اظهر له عيوبه ، وعرفه بثماليه ، وكان سبباً
في معالجة نقائصه .

الباب العاشر

❖ التظاهر او المرااة ❖

❖ وفيه ثمانية فصول ❖

❖ الفصل الاول ❖

❖ كلام الرباء مخذبراً منه المرااة ❖

كان الاب سوسايس جالساً مرة وبقربه احد الاخوة وهو لا يعلم بوجوده
لانه كان محتطاً في تأملاته باعمال الله ، فتهدد ، ولما شعر بوجود ذلك الاخ اعتذر
له قائلاً : سامحني ايها الاخ قاني لم اصبر بعد راهباً لاني تهنت بمحضورك .
قال الاب دانيال : زرت مرة الاب فومان بصحبة بعض الاخوة ، ولما
تناوانا الطعام معاً ، ذهب الاخوة ليرتاحوا قليلاً ، ومكثت لاختلي بحديث مع
الاب ، فدخلت صومته ووجدت الاب فومان جالساً على الارض بعيداً عن
حصيرته ، ولما رأني اقمته حصيرته وتناوم وظن اني لم أره . وهذه كانت عادة

الاب الشيخ ان يعمل كل شيء في الخفاء .

والاب زينون جاءه راهب من مصر الى سوريا زائراً ، واخذ المصري يظهر مساوئه امام الشيخ ، ولما سمع الاب زينون تعجب وقال : ان المصريين يخفون دائماً فضائلهم ويظهرون مساويهم ليستقيم اما السريان واليونان فيدعون فضائل ليست فيهم ، ويخفون المساوي التي فيهم .

جاء الاب اولوغيس من اقسطنطينية الى مصر لزيارة الاب يوسف املاً ان يجد فضيلة تفوق فضائله ، وفي الايام الثلاثة التي مكثها هناك لم ير الاب (يوسف) او تلميذه يصليان او يركمان ، لانها كانا يفعلان ذلك خفية ، ولما خرج ليذهب ضل طريقه صدفة وعاد فوقف امام صومعة الشيخ ، وقبل ان يقرع الباب سمعها يرتلان واصاح طويلاً ، واخيراً قرع الباب ، وحالاً توقف الاب يوسف وتلميذه عن الترتيل ، وهكذا علمه الاب يوسف هذه الحكمة ان يخفي فضائله عن الناس .

الفصل الثاني

﴿ تحريد الظاهر ﴾

الظاهر ، تضليل باخفاء البواطن السيئة واظهار الفضائل المتصنعة ، ويحد ايضاً بكونه عدم التناغم بين البواطن السيئة والظواهر الصالحة . والاب فومان قال ان المراءاة ذاتها ، فيعلم الانسان قربه فضيلة ليست فيه على حد قول الرب : يا مراة كيف تستطيع ان تقول لاختيك دعني اخرج القذى من عينك وانت لا تخرج السارية التي في عينك ؟

وقال يا وتي : ان الظاهر خلة كريهة مغلقة بالكذب والرياء ، وهي بعيدة عن التقوى ويؤيد القول الالهي ان الظاهر مراة حيث ندد الرب بالكتابة والقريسين وقال ، ان كل اعمالهم يعطونها لكي يراهم الناس .

الفصل الثالث

﴿ اقسام التظاهر ﴾

التظاهر خمسة اقسام :

الاول : التظاهر الجسدي ، شأن الذين يظهرون باجسام نحيلة وملامح كثية ووجوه قاتمة واصابع يابسة ، كأن كل ذلك حدث من طول الصوم والصلاة والتهدج والركوع ، وقد فضح الرب امثالهم بقوله : انهم يغيرون وجوههم ليظفروا للناس صياماً ، واما انت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك .

الثاني : التظاهر باللباس ، وهذا يكون إما بنوع اللباس كالمضامين الذين يظهرون بالاردية الخلقنة الخشنة فيرفعون قبعاتهم ويتمنطقون بالحبال . واما بتغيير نوع اللباس ، شأن الذين ندّد بهم الرب بقوله : يعظمون اوردانهم ويطيلون اهداب ثيابهم . وقد رأيت ناسكا في ملطية متوشحاً بالسلاسل ومنتعلاً خفاً من حديد وفي يده عكاز من حديد ولما منعه من التجول هجر المسيحية .

الثالث : التظاهر الصوتي ، شأن الذين يرخمون اصواتهم تصنعاً ، ويخفضون حديثهم ، وينصحون الآخرين وهم لا يتصححون على حد قول الرب : يربطون احمالاً ثقيلة قاسية الحمل ، ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باحدى اصابعهم .
الرابع : التظاهر بالاعمال ، شأن الذين يظهرون الوداعة ويعنون في الصمت ويلجمون شفاههم ، وفي قلوبهم يصوغون الخبائث وقد دعا الرب : (من الخارج جملاناً ومن الداخل ذئباً خائفة)

الخامس : التظاهر بالبريدن ، شأن الذين يكثرون من الاتباع والمرافقين والمدّاحين ، اجتذاباً للناس ليتبعوهم ويتبركوا بهم ويدعوهم سيدي سيدي .

الفصل الرابع

درجات المتظاهرين

المتظاهرون اربع درجات :

الاولى : درجة الذي لا يهتم بالشواهد الروحي عن طريق الفضيلة إلا اذا رآه الناس .

الثانية : درجة الذي يهتم بالثواب عن طريق الجهاد ولكن بجهاد ضعيف حتى اذا اتفرد لا يصلي ولا يسهر .

الثالثة : درجة الذي يتساوى لديه الأمران ، الثواب والعمل ، اي انه يعمل لجعلها متساويين ، ولا يهتم بتفضيل اي منهما على الآخر .

الرابعة : درجة الذي تشجعه انظار الناس الى العمل دون ان يكون هدفه بالتظاهر ، اي يجهد نفسه في العمل اذا رآه الناس وان لم يروه لا يهمله ، ومثل هذا هو قريب من الخلاص بعض القرب .

الفصل الخامس

★ اسباب التظاهر ★

للتظاهر ثلاثة اسباب في سبيلها يتقص الرجل المضلل :

اولاً : ان يتوصل الى اشباع رغائبه المنحطة كالمضالين الذين يتجولون بزي البشرين وهم يأكلون بيوت الارامل ، ولذلك ينالون عقاباً اعظم .

ثانياً : ان يمكن نفسه من حيازة مال او فر .

ثالثاً : ان ينظر اليه زملاؤه بعين الاحترام لا الاحتقار شأن الذي يصوم اذا رأى زملاءه يصومون ، ويصلي معهم اذا رأاه يصلون ، ومن كان على هذه الشاكلة هو قريب من الخلاص اذا زامل النساء طويلاً .

الفصل السادس

★ فرح الناسك باشتهار فضائله ★

ان الفرح الذي يحدث للناسك باشتهار فضائله اما طالح واما صالح ، ويكون طالحاً اذا استهدف الاهداف الثلاثة التي ذكرناها في الفصل السابق . وللصالح اربعة اسباب :

الاول : من حقه ان يفرح لان الله - الراغب في حياة البشر - كشف فضائله للخاملين لكي يقتدوا به ويحيوا .

الثاني : ان يعتبر ذلك عنواناً للكرامة التي سينالها في قيامة الصديقين ، وهذا ما يهيجه .

الثالث : ان يفرح بالخلاص الذي سيناله عارفوه المقتدون به .

الرابع : اذا رأى الذين يكرمون الاتقياء يفرح بعمق ايمانهم بالله .

وهذه الاسباب ، وان كانت صالحة ولكن وراءها يختفي الشر ، وعليه يجب على الناسك اخفاء فضائله جهد امكانه ، لئلا يجهز عليه الابالسة .

الفصل السابع

علاج الظاهر

يعالج هذا الداء بثلاثة امور :

الاول : ان يحتقر المصاب به المديح الذي يأتيه من الناس ، روي عن الأب ارسانيوس والأب ثيودورا ، انها كانا يكرهان مديح الناس كرهاً شديداً . فان الاب ارسانيوس لم يكن يرضى بمقابلة الناس ، والاب ثيودورا وان كان يرضى بذلك إلا ان مقابلته لهم كانت كالسيف البتار .

الثاني : ان يفرح اذا ابتضوه وناصبوه العداة وعيروه لكي ينال الطوبى الانجيلي (طوبى لكم اذا عيروكم الخ)

الثالث : ان يقطع امله من فوائد الناس فيلقي همه على الرب وهو يعوله ويكسوه . فاذا مارس الناسك المجاهد هذه الامور فانه يشفى سريعاً ، وليحذر من الترفى للبشر .

الفصل الثامن

اسباب اظهار الفضائل الخاصة *

اننا لا نجد سبباً واحداً من اجله يظهر الرجل الفاضل فضائله او يتحدث باعماله الصالحة ، سوى الرغبة في تشبيه الغافلين ان يقتدوا به ، وعليه يجب ان يتقيد بشرطين اثنين من يرغب في اعلان فضائله الخاصة او يتحدث عنها .

الاول : الا يظهر ذلك اعتباطاً وبطريقة مبتذلة بل حيث يتأكد ان كلامه سيؤثر تأثيراً صالحاً في سامعيه ، وسيفيدون منه ، كما قال الاب مقاريس للعارف الاب اوغريس : في مدة عشرين سنة لم اشبع خبزاً ولا ماءً ولا نوماً ، فكنت آكل بمثقال وأشرب بمكيال ، وكنت احياناً استند الى جدار فاسترق قليلاً من النوم .

الثاني : وان حقيقة طيب الارض التي يلقي فيها بذاره فليلقه ، ولكن يجب ان يفحص نفسه اولاً ويختبر خفايا قلبه ، فان شام ميلاً خادعاً يشور فيه ليحجم عن اظهار فضائله ، لانه كما قال الاب اوغريس : هناك نفر تخلف وقطع صلته باعماله الاولى ، ولكي يخفي العجز الذي طرأ عاياه من جراء اهماله ياجأ الى التبعج باعماله الاولى امام الناس .

الباب الحادي عشر

= الكبرياء =

➤ وفيه سبعة فصول ➤

الفصل الاول

★ كلام الآباء تنديداً بالكبرياء ★

قال احد الشيوخ : اذا ارتفعت الكبرياء الى السماء قلتها مستهبط الى الهاوية ، وقال شيخ آخر : اذا خطر لك خاطر الكبرياء فاقحش ضميرك هل حفظت جميع الوصايا ؟ هل احيت اعداءك ؟ هل فرحت بايجاد عدوك ؟ وهل حزنت بحزنه ؟ هل اعتبرت نفسك عبداً بطئالاً ؟ وانك اخطأ جميع الناس ؟ لذا اكلت ذلك فلا تتعجرف ، لانك تعلم ان هذا الخاطر (خاطر العجرفة) سيلاشي جميع الفضائل ويطفؤها .
وقال الاب ايفانيوس : كلما هاجمك خاطر الكبرياء وملاً قلبك صلفاً قل : ليها الشيخ انظر الى عارك . وقال الاب لوغريس : ما اعنف شيطان الكبرياء وما اقساه

فكلما هاجم احد الاخوة المجاهدين فانه يفرق صلفاً ، ويدفع به الى هوة التجديف ويجعله يعتقد انه انما يجاهد بمجرد قوته وليس بقوة الله ، ونحدث ذلك عندما لا يرى ضميره مستيقظاً .

وقال يوحنا ابو الدوالي : ان شيطان الكبرياء يتدحك من اعماق افكارك ويشير فيك العجرفة ، بكونك انقطعت عن الخلوة وصحبت ، وروضت ذاتك في الجهاد ، ونلت الظفر الاكيد ، والمعرفة النامية ، فلا تفرن بذلك ولا تطلقن كالاغبياء بل اذكر تقائصك ، وذائل نفسك واكبح جماحها ، فيبدأ روعك ويطهر قلبك . وقال ياونثي : ان الكبرياء ليس فقط تمنع الارتفاع والتسامي ، ولكنها تحط من العلياء .

الفصل الثاني

= كلام الآباء في امتداح فضيلة التواضع =

قال الاب انطونيوس : رأيت جميع فخاخ العدو منصوبة على الارض ، فتهدت وقلت : من ينقذني منها ؟ قيل لي ان التواضع ينقذك ، فالفخاخ لن تبلغ شأوه . وقال شيخ آخر : ان عظمة الانسان في تواضعه ، فكما يتنازل الانسان الى التواضع هكذا يتعالى الى العظمة . وصام احد الشيوخ سبعين اسبوعاً ، وكان يأكل مرة كل اسبوع ، وطلب الى الله تفسير جملة كتابية ولم يفتح عليه ، فترأى له ملاك الرب وقال له : ان في صومك لم تقرب الى الله ، ولكن لما تواضعت فزرت اخذك ، أرسلت لكي انقل لك ذلك وارمحك .

وقال احد الشيوخ : لا تكن متواضعاً في اقوالك فحسب ، بل في اعمالك ايضاً . قال يوحنا القلوبى : ان الباب الذي يؤدي الى الملكوت هو التواضع ، وقد دخل الآباء مدينة الله بتجشهم الهوان الكثير .

وقال الاب هوفركيوس : تشبهه بالعشار لثلاث تشجب مع الفريسي ، واختر تواضع موسى لكي تحيل قلبك الصخري الى ينبوع ماء . وقال الاب فومان : كما ان الارض لا تسقط لانها هادئة كذلك من يتواضع لن يسقط . وقال الاب اوغريس : ان الابالة لا تخشى أية فضيلة اخرى خشيها التواضع ، فان موسى اول الانبياء بها

تجدد ، فقد دعي متواضعاً ، وصرح داود بقوله : اذكر يا رب داود وكل تواضعه .
وقال مار اسحق : ان التواضع بدون فضائل اخرى يغفر كثيراً من الخطايا
اما الفضائل بدون تواضع ليست بدون فائدة فحسب ، بل تعدة لكثير من الشرور
وقال ياونثي : اذا كان بدون أية ادواء اخرى سقط الساقط من السماء بسبب الكبرياء
فيجب ان نعتقد انه بواسطة التواضع يمكن التسامي الى السماء بدون أية فضيلة اخرى .

الفصل الثالث

﴿ تحدير الكبرياء ﴾

الكبرياء خلة نفسية تدخل في ورع الانسان انه اعلى من الآخرين ، وتختلف
الكبرياء من الخيلاء ، بان الخيلاء تتولد من مباداة الانسان بفضائله دون النظر الى
الآخرين ، والكبرياء هي مقابلة الانسان بينه وبين غيره ، واعتبار ذاته ارفع من ذلك
(الغير) وهذا اما ان يكون الله تعالى بالذات ، او الانبياء والرسل الذين هم بين
الله والبشر منزلة . او البشر بالذات . وقد تحير فرعون على الله وقل : ان النهر
لي وانا خلقتة ، وحاكم صور قل : اني انا الله وقد جلست مجلس الله في قلب
البحار . ونبوخذنصر تبجح قائلاً : سأصعد فوق كواكب السماء واطمئن عرشي فوق
الغيوم وأكون مثيلاً للعلي ، وقد استعنى على الانبياء والرسل جميع مضطهدتهم من
جميع الامم . ويستعنى مضلو العقول على اقرانهم ويعتبرون فضيلتهم تقصاً في الآخرين .

الفصل الرابع

★ اسباب الكبرياء ★

للکبرياء اربعة اسباب :

الاول : الخيلاء او البهاة ، وعنها تصدر الكبرياء من انقلب اولاً ثم تظهر الى الخارج .
الثاني : الحقد ، والحقد لا بدع الحاقد ان يساوي نفسه بالغير : او يتواضع
للذي حقد عليه ، وان عرف انه ارفع شأناً منه . الثالث : الحسد ، وهو يحمل

الانسان على انكار فضيلة الفضلاء ، ولا يدعه ان يفيد منها . الرابع : التظاهر ، كما نجد الكثيرين يفتحون الكتاب ويقرأون على معلم ، فاذا غاب ، وسمعوا وطأة اقدم القادمين يلقون الكتاب جانباً ، ويتناولون في الكلام على من عليهم ويتظاهرون بمناقشته .

الفصل الخامس

مميزات الكبرياء

للكبرياء ثماني ميزات في التكبر :

الاولى : ان يجب السلام في الاسواق وان يقف الناس له احتراماً عند مروره
الثانية : لا يمشي إلا وفي معيته مرافق . الثالثة : لا يزور احداً وان عرف انه سيفيد منه . الرابعة : ان يجب رأس المتكأ في الولايم وأول المجالس في الجامع .
الخامسة : ان يشمئز من ذوي العاهات والامراض كما كان يفعل الغني مع لعازر .
السادسة : الا يقوم بأي عمل في بيته . السابعة : الا يتحمل اي شيء بل يحمل الآخرين . الثامنة : ان يجب التجميل .
قيل ان احد الاخوة دخل كنيسة الصوامع ، وكان لابساً جبة صغيرة تتدلى الى منكبيه ، ولما رآه الاب اسحق طرده قائلاً : هنا يسكن النساك ، اما انت فديوي ولا يمكنك السكنى هنا .

الفصل السادس

علاج الكبرياء

يعالج داء الكبرياء بمعرفة الانسان نفسه ، وكيف تكون هذه المعرفة يعلمنا الاب لوغريس بقوله : اذا اردت معرفة ذاتك لا تبحث عما انت فيه ، بل ابحث عما كنت فيه سابقاً ، اي مما خلقت ، والمعروف ان الانسان كان سابقاً في العدم ، ثم خلقه الله من تراب حقير ، ثم احاله الى نطفة مائثة ، ثم خلق فيه عظاماً ولحماً وشرابين ، فتكونت اعضاؤه ثم نفخ فيه نسمة الحياة ، وهكذا احاله من ذرة جامدة الى كائن حي ثم جعله ناطقاً ، ولجهله لعنت الارض بسببه ، وامر ان يأكل خبزه بالاتباب والآلام ثم يعود الى الارض التي أخذ منها ، لانه تراب والى التراب يعود . استمعوا هذا يا ذوي الالباب

واحكموا ، كيف يسوغ ان ينكبر من كان هـذا شأنه ؟ ولم يتعجرف من كانت تلك بدايته وهذه نهايته ؟ اذا فكر الانسان بمثل هذه الافكار الشافية ، اعتقد انه يشفى من داء الكبرياء .

الفصل السابع

مميزات من يشفى من داء الكبرياء

لها خمس ميزات :

الاولى : اذا اذعن للحق عند ظهور الحق في النقاش مع أحد اقرانه دون ان يشور .
الثانية : اذا جلس في مكان متواضع في الاجتماعات دون تبرم .
الثالثة : اذا لطف بالثوباء والفقراء مسروراً .
الرابعة : ان يشترى بنفسه لوازمه من السوق اذا كان علمانيا فيحمل ما اشتراه دون الشعور بالخجل .
الخامسة : ان يلبس ثياباً بسيطة بين الناس دون ان يحزن .
قيل ان الاب ارستيبوس كان يلبس افخر الثياب في حياته العادية ، فاصبح يلبس الثياب البسيطة في حياته النسكية ، ويقف وراء احد العواميد اذا حضر للصلاة في الكنيسة .

الباب الثاني عشر

الخير او التواضع

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

★ كلام الالباء في الحذر من الخيلاء ★

قيل ان في القبرة المجاورة لصومعة الاب فولاً كان يكمن ضبع ورأى الاب فولاً كومة حطب هناك ، فقال لتلميذه يوحنا : اذهب اجلبها الى هنا ، قال التلميذ : اي ماذا افعل بذلك الضبع ؟ اجاب الشيخ مبتسماً : اذا هاجمك فاربطه وات به الى

هنا . ولما أمست هاجمه الضبع ، فربطه وجاء يقوده ، اما الشيخ فراد ان يسلب منه خيلاءه فصغفه وقال : ايها الجبان ، أجليت كلباً جباناً؟ فجاه واطلقه .

كان احد الاخوة يفتخر على بقية اخوته الرهبان قائلاً : اني اسكن هنا منذ وقت طويل ولم ادخل القرية ، فكيف تدخلونها اتم دائماً ؟ واخبروا عنه الاب فومان انه قال ذلك للاخوة ، قال : لو كنت محله لذهبت الى القرية ليلا وطففت في ازقتها لئلا تفتخر افكاري باني لم ادخلها البتة .

وقال شيخ آخر : كل شيء عملته فنجحت به وافتخرت ، ائلفه ، فلا يجب على الراهب ان يفتخر باعماله ، وإن افتخر سقط .

وقال شيخ آخر : لا تفتخرن في قلبك على اخيك وتقول اني اكثر زهداً منه وافوقه كثيراً في تجشم الصعاب ، ولكن اخشع امام نعمة المسيح بروح متواضعة بعيداً عن المراءاة ، لئلا تفقد جهادك بروح متعجرفة ، فقد كتب : لا يفتخرن الذي ظن انه قام لئلا يسقط .

وقال الاب اوغريس : ان التفاخر بذري الفضيلة . وقال يوحنا ابو الدوالي : لا شفاء لمرض الخيلاء ، فبالقدر الذي يتعالى فيه تتعالى عنه معرفة الله فيبط الى غياهب الظلام .

الفصل الثاني

* تحذير الخبير *

الخيلاء هي فرح الانسان بكل متوهم ، معتقداً انه صادر عنه وليس عن غيره ، ولذلك لا يخشى زواله ، والكبرياء والعجرفة هما كالاخوين التوأمين ويوجد احدهما لا بد ان يوجد الآخر ، وبانعدام احدهما لا بد ان ينعدم الآخر على حد قول احد الآباء الافاضل : لا يستطيع من غلب الخيلاء ان يحظى بالكبرياء ، ولا من اصيب بالكبرياء ان ينجو من الخيلاء . والحقيقة ان الخيلاء بالنسبة الى الكبرياء هي كاخطة بالنسبة الى الخبز ، وكاخطل بالنسبة الى الرجل .

فمن الخيلاء تتولد الكبرياء ، ومن الكبرياء ينتج التعالي على الخالق واخلوق ، كما قلنا : ان الخيلاء لا تتحو مساويء الانسان بل تنسيه ايادها ، وان ذكرها فانه يعتبرها صغيرة ، ويعتبر اعماله الصغيرة كبيرة وجليلة

الفصل الثالث

﴿ بنايع الخيلاء ﴾

الخيلاء كما قلنا تتولد من كل ما يتوهم الانسان حيازته ، وكل مثل هذا سبعة انواع :

اولاً : العجب بالمعرفة كما يفعل بعض المتعلمين الجباء ، الذين ينظرون الى الاميين نظرم الى البهائم ، وهم يريدونهم ان يأكلوا التبن عوض الخبز . ولا يعلم هؤلاء الاغبياء ان لهم وياً مضاعفاً لانهم يعلمون ولا يعملون ، والذي لا يعرف يضرب قليلاً .

الثاني : العجب بالفضائل : عجب ذلك الغربي الذي راح يصلي : اللهم اني اشكرك ، فلست مثل بقية الناس الخطئة الفجار الاثمة ولا مثل هذا العشار ، اصوم يومين في الاسبوع وأعشر كل اموالي . قال احد الفضلاء : اذا سمعت انساناً يقول ان جميع البشر قد فسدوا ، فاعلم انه اولهم قد فسدت طريقه ، اما الابرار فلا يقولون هكذا ، بل كما قال يونان ابن متى عندما ثارت الامواج على الذين في السفينة : لقد اضطرب البحر بسببي ، فخذوني والقوني في البحر فيهداً البحر عليكم .
الثالث : العجب بالعشيرة والاسلاف : كمن اذا غضب من احد يقول : الست فلاناً ابن فلان ؟ الست من العشيرة الفلانية ؟ وانت الست ابن الحقير فلان ؟ ومن جنس حقير ؟

الرابع : العجب بالجمال ، على الاغلب يستولي العجب بالجمل على الصبيان والشبان ، والفتيات الصغيرات ، الذين يتنازرون بجمل وبياء الظلمة .

الخامس : العجب بالغنى ، وهو يوجد في بعض حديثي النعمة الذين يفاخرون امام احد الاقران فيقول احدهم مثلاً : ايها البائس المعدم لو شئت لاشتريت من

هو ارفع منك شأنًا فيخدمني .

السادس : العجب بالقوة البدنية والبطولة .

السابع : العجب بكثرة الخدم والحشم والخول والاتباع .

الثامن : العجب بالدين ، اذا يحدث كثيراً ما يتجادل شخصان يتميان الى

ديانتين مختلفتين ، فيفخر كل منهما بان ديانتة هي الحق وديانة خصمه كل الباطل .

الفصل الرابع

★ معالجة الخيلاء ★

تكون معالجة كل مرض بضده ، وقطع اسبابه ، وسبب العجب او الخيلاء انما هو الجهل ، ليس إلا ، فمعالجته اذن تكون في المعرفة الحققة وهي ضد الجهل وتم في ان يعرف الانسان ان الله وحده هو الذي يؤثر في شيء فيه ويديه وبقوته توجد ونميا وتحرك ، كما قال القديس بولس وأيد ذلك القديس باسيليوس بقوله : ان منه ويديه ومن اجله كل حركة وسكنة ، وحياة كل عقل ونفس وكيان ، وفي هذه المعرفة ذلتها يثبت الانسان ويبلغ الكمال المنشود سواء المعرفة أو البر ، او الجنس او الجمال او الغنى او القوة او الخدم والحشم او العقيدة الحققة ، فكل ذلك ليس من الانسان بل من الله ، وعليه لا يفخرن احد ، وان افتخر فليفتخر بالرب . واذا عوج المصاب بداء الخيلاء بهذه العلاجات فليتغذ بأغذية الروح التي يقدمها الآباء الشيوخ لمرضاهم ، اي بأن يفكر الانسان باستمرار في مساوئه وتوقع الموت بشباب بسيطة ويختار له المقام المتواضع ، ويبادر الى الاعمال المفيدة بتواضع ولا يؤم الاجتماعات الصاخبة ، وليتق غير معروف لدى الكثيرين ، فيبقى فكره في حرز حريز من النامين والمفتاين والحساد ولا يهمه امر احد غير خلاص نفسه .

واعلم ان هذه العلاجات مفيدة لمعالجة الكبرياء والمجد الباطل ايضاً .

المقالة الرابعة

✽ تجميع النفس بأنواع الفضائل ✽

✽ وفيه مائة عشر باباً ✽

الباب الاول

✽ العلم ✽

✽ وفيه ثمانية فصول ✽

الفصل الاول

✽ آي الكتاب في فضيلة المعرفة ✽

(١) الحكمة افضل من اللآلئ ولا يشبهها الدياج النقي ولا تعوض عنها الحجارة

الكرمية والزمرد ايوب ٢٨ : ١٢ - ٢١

(٢) فرأيت ان الحكمة تفضل الحماقة كما ان النور يفضل الظلمة الجامعة ٢ : ١٣

(٣) لا تكن احمق لثلاث موت قبل ساعتك الجامعة ٧ : ١٨

(٤) حكيم الشعب ينال كرامة واسمه ثابت في حياة الابد ابن سيراخ ٣٩ : ١٢ و ١٣

(٥) أبك على الميت لانه فقد النور وأبك على الاحمق لانه فقد العقل ابن سيراخ ٢٢ : ١٠

(٦) اتم تبشون في الكتب لانكم تحسبون ان لكم فيها الحياة يوحنا ٥ : ٢٩

(٧) كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلاً رب البيت يخرج من كتفه

جداً وعتقاً مت ١٣ : ٥٢

(٨) الفضيلة سمو في الكرامة لا في المراتب (الثاولوغوس)

- (٩) ان الكيان العاقل كله وجد لتعلم معرفة الحق (الاب او غريس)
(١٠) ان قوة النفس العاقلة هي اكثر كرامة من جميع قواها لانها تشارك حكمة الله .
(الاب او غريس) .

الفصل الثاني

تقسيم العلوم

العلم اما كني واما دنيوي ، والكني ميثاق العناصر ، فلما ان يكون اسماً
واما بناء واما مثبتاً للدعائم .

والاساس : العهدان (القديم والجديد) والبناء الذي يثبته على هذين الاساسين ،
اما ان يكون خاصاً بالمتخمين ، او عاماً لجميع المدعوين .

وانخاص ، هو تعليم المعلمين النساك المتدينين الذين يعدون تطهير وعاء القلب وتنقية
مرآة النفس .

والعام : تعليم ملافة الكنيسة اثقات .

والعز المثبت للدعائم الاساس هو تفاسير الكتب المقدسة وشرحها ونصوصها .
والعز الدنيوي ، هو ايضاً ميثاق العناصر ، فلما ان يكون صالحاً واما فاسداً
او بعضه صالح وبعضه فسد .

العنصر الاول : العز الصالح : اما ضروري واما كلي ،

وانضروري كالمطبخ ، الذي بدونه لا تكون الحياة الحاضرة سليمة . والمحاسبة ،
التي بدونها لا تسير دفعة التجارة والبيع والشراء والوصية والارث وما اليها . والمكمل
كاللغة والنحو الامور التي تعطي العبارة فصاحة وجمالاً .

والعنصر الثاني : العز الفاسد ، وهو الذي يؤدي الى خسارة روحية او جسدية ،
والعز الذي يؤدي الى الخسارة الروحية هو كعلم التنجيم الذي يجعل الخلوقات عرض
الخلاق اسباباً مباشرة للخير والشر في العالم ، وواضح ان علماً مثل هذا يسلب الانسان
خشية الله والتقوى . وما يؤدي الى الخسارة الجسدية ، كالغسل والسحر الذين يحدثان
المضرة الكثيرة بانحراق الشيطانية .

والعصر الثالث من العلم الدنيوي الذي بعضه صالح وبعضه فاسدهو علم الفلسفة ،
وهي اربعة علوم : المنطق والطبيعي والرياضي واللاهوت .
والمنطق هو الجمع بين القضايا والمقابلة او الموازنة بين الفكرة السليمة والخطئة ،
والرياضي ، يتناول الهندسة والحساب والخامسة والموسيقى ، وواضح ان تعد هذه العلوم
قد يحرف الفكر ولا يصلحه . والعلم الطبيعي ، الخاص بالحكمة الخارجية واصنافها اربعة .
الاول - ازلية . العالم الثاني - عدم امكان انشقاق الفضاء وتزقه . الثالث - عدم
امكانية وجود ما انعدم . الرابع - الخالق المعبود ، وتخضع ارادته لطبيعته وليس
طبيعته لارادته ، اي اخير يفرض منه طبيعياً كما يفرض النور من الشمس ، والشمس
لا يمكنها إلا ان تنير .

ان هذه الامور معرضة للفساد اذا لم تدبرها الحكمة بتعقل وهدوء ، والباقية
صالحة ومفيدة ، ولكن لما كانت حنطة هذه العلوم مزوجة بالزوان قد لا يسلم البسطاء
منها اذا استقصوا غوامضها ، فمن لا يعرف السباحة لا يمكنه النزول عميقاً الى النهر هائج .

الفصل الثالث

﴿ كيفية تدريج المتدئين في العلوم ﴾

وانت ايها الاخ المتديء اذا اردت ان تكون من المقدين مقدي الرب ، فان
بتصاعدك ولا تمد رجلك الى الدرجة العليا وانت لازلت ترحف على الارض ، بل
ابداً اولاً بالزامير وافهم معانيها وانتقل بعدها الى اسفار العهدين القديم والجديد وتفاسيرها ،
وخذ ذلك عن معلمين ثقات ، واكتف من اللغة والنحو بما يصون قرأتك من الاخطاء .
وبما ان هذه الحياة قصيرة والعلوم واسعة فلا تصرف ايمتك كلها في دراستها ، بل
امعن في دراسة العلم السامي الذي يدعى المعرفة ، واذا ما تعلمتها فاكبح جماح جسديك
بريضة تلططه ، ثم اهتم باقتلاع جذور الشر من نفسك وغرس جذور الخير
فيها لكي تجملها ، وتتلخص في اربعة اهداف ، هي اركان المعرفة ، وتعلمها من
المقالات الاربع الواردة في هذا الكتاب ، فاذا قمت بذلك تحي نفسك وتنشئها من
هوية الهلاك وترفعها الى اوج السماء وتنجح في اعمالك ويهبط الوحي عليك بفراوة ،

وترى في مرآة ، خفايا الله ظاهرة منذ انشاء العالم على حد قول الاب اوغريس : ان المعرفة تجذب النفس العاقلة الى العلى وتسرحها في مراتع الروحانيين وترهبها الربح الملقى بالبهجات ، فلنجن المعرفة اذن فهي توصلنا الى لوج العلاء .

الفصل الرابع

﴿ آي الكتاب في فضيلة التعلم ﴾

يرشد القديس بولس تلميذه تيموثاوس بقوله : واظب على القراءة الى حين قدومي وعلى الوعظ والتعليم ١ تي ٤ : ١٣ ويقول له ايضاً : وانك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدمة القادرة ان تصيرك حكيماً ٢ تي ٣ : ١٥ - وعلم المؤمنين ايضاً بقوله : حيث انكم لما كان الواجب عليكم لتلامي ان توفوا معادين ، احتجتم ان يعلمكم احد اركان بداعة اقوال الله عبرانيين ٥ : ١٢ .

وقال الرسول يعقوب : وان كان احدكم تنقصه حكمة فليسال الله الذي يوثي الجميع بسخاء خالص بغير امتنان فيعطى مع ١ : ٥ .

وقال مار افرام : لتكن الكتب مائدتك فتشبع من اطايها ولتكن هي فراشك فتنام هاتناً .

وقال مار اسحق : لا يوجد شيء بعد افعال الشر من النفس ويحمد ما يثور من النزوات الباطلة في القلب كالاغراق في محبة العلم والغوص وراء تعاليم الكتب .

وقال ايضاً : لا تطلب مشورة من الذي ليس هدفه هدفك في الفضيلة وان كان متعلماً ، فالبسيط الخبير بالامور اصدق من المتعلم الذي يخوض بحوثاً هو عديم الخبرة فيها .

الفصل الخامس

﴿ الشروط التي يجب ان يتقيد بها طالب العلم ﴾

هناك ثمانية شروط يجب ان يتقيد بها طالب العلم هي :

الاول : ان يطهر نفسه مسبقاً لان الحكمة لا تسكن نفساً مزقتها الشرور .

الثاني : ان يقطع صلته من المشاغل الدنيوية والتفكير بالاهل والاقارب ،

لانه على حد قول مار اسحق : كما تحرر الفكر من المشاغل كلها تنقى ، وكلما تنقى كلما شغف بحب العلم ، وكلما شغف تسامى عن الميول الدنيوية المرفهة وتعلم ان يرى الله كما هو لا كما يراه الآخرون ، وان لم يصعب نعمة الوحي فلا يعرف ذلك .

الثالث : الا يتعجرف ولا يتعالى على معلمه او يبحث عن نقائصه : ويطيع الاب او غريس القائل : اذا ارشدك احد الى الفضائل فلا تكن حاكماً على اعماله بل كن مدركاً لتعاليمه واقوله ، ففي نفوسنا عادة سيئة ان نفكر باعمال مرشديننا لكي يأسوا من فوائدهم ارشادهم .

الرابع : ما زال المتعلم مبتدئاً لا يميلن الى المباحكة والنقاش العقيم ، بل ليتعلم اولاً بدقة ما يجب ان يتعلمه ، لان محسب النقاش الفارغ والاعتراض السقيم لا يتحرر من اضطراب الفكر وتشوشه ، ولا يتوصل الى هدوء الفكر وتقائه .

الخامس : يجب على الطالب ان يضطلع بجميع العلوم ويعرف اهدافها ، ثم يتضلع بما هو ضروري وواضح وما كانت فوائده دثمة فذلك هو الضروري ، اي العلم الذي يجهل النفس نظرياً وعملياً .

السادس بما ان الحياة قصيرة لا تكفي لتلقي جميع العلوم ، لذا يجب على المتعلم المبتدئ ان يهتم اولاً بخلاص نفسه ، ثم يختار من كل علم ما هو النافع له ، ويتعمق في العلم الدقيق ، علم تطهير الضمير الذي غايته رؤية الله .

السابع : ان يعرف الطالب ان علماً يفضل علماً ، اما بقوة حججه ، او بقرارة فوائده ، مثال ذلك . اذا قيست المحاسبة بالطب فان حجج المحاسبة اكثر قوة الا ان فوائده الطب اعظم ، ولذلك فضل الطب بفوائده وفضل المحاسبة بحججها ، وبما ان الحجة تورد للفائدة ، وكل فائدة علمية فائقة هي اكثر منفعة ، اي العلم الذي يحبي النفس .

الثامن يجب ان يكون هدف طالب العلم المبتدئ اولاً تجميل نفسه بالفضيلة ، وآخرها التعلق بالله وملائكته ونفوس الكاملين الطاهرة .

★ الفصل السادس ★

﴿ كَلَامُ الْآبَاءِ فِي أَنْ الْعِلْمَ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ بِالْعِلْمِ ﴾
قال الأب فومات : علم قلبك ان يحفظ ما يقوله لسانك . وقال ايضاً الاب سيريون : اذا أردت ان تفيد تلميذك اسحق فعله بالعمل لا بالقول لان العمل يرسخ فيه فيتعلم .
وقال شيخ آخر : الانسان إذا علم ولم يعمل يشبه جرنأ قدراً مايتأ جاء مطهر ، فيطهر الآخريين ولا يمكنه تطهير ذاته .
وقال الاب اوغريس : ان الذين يتعلمون عنك ، يدعونك دائماً (معلمي تقدم الى الاعلى) فالاجدر بك اذا ارتفعت بعلمك ان تتواضع لسامعك . وقال ايضاً : ان علمك تعززه اعمالك ، فالاعمال افضل من الكلام .

الفصل السابع

★ الشروط التي يجب ان يتقيد بها المعلم ★

للانسان في علمه كالانسان في غناه اربع مراحل ، يتاجر اولاً ثم يدخر ، ثم يكفي حاجاته ثم حاجات قريبه ، ويعظم قدره في الرحلة الأخيرة ويدعي كرمياً ، وهكذا في العدا فان الرحلة الأخيرة هي الافضل والاسمى ، ولذلك يشبه الانسان الشمس الساطعة تضيء للآخرين ، وكما ان اطالب العام ثمانية شروط ، كذلك للمعلم ايضاً ، هي :

الاول : ان يكون مثقفاً ، ويعتبر تلاميذه كاولاده ، لان الاب الروحي هو سبب الحياة الباقية والاب الطبيعي علة الحياة الفانية ، فتعلم اذاً ، اعظم فضلاً .

الثاني : ألا يطلب اجرة ولا يلتمس مكافأة دنيوية على حد قول الاب اوغريس : انظر الى نفسك واحذر ان تعمل في سبيل فائدة مادية أكثر من عملك في سبيل التعليم نفسه ، فتفصل من الوهط الالهي كما فصل الذي كان يبيع الحمام في الهيكل .

الثالث : ان يسعف تلاميذه دائماً بإرشادات بناءة ويثبت في قلوبهم كون العلوم

لما تطلب لتسمية فضائل النفس ونيس لكي يدعى أستاذاً ومعلماً ، فلاغراس اني تسقى ماءً اجاباً تجف عاجلاً ولا يمكنها ان تأتي ما لم تشرب ماء السماء النقي .

الرابع : ان ينصح تلميذه بهدوء وان اساء لا يوبخه بعنف مواجهه وصراحة بل بالإشارة ، اي يلقي تبة الاساءة الى شخص مجهول ، او يتكلم مع نفسه كيف كان صيماً غريباً ، او يهاجم الاساءة ذاتها ببساطة فيقول : ما احقر الكذب ، وما ابشع الشتم ، اذا كان التلميذ قد كذب او شتم ، فان التوبيخ الغاضب قد يمزق قانون الوقار او يحمل الموبخ على التمرد .

الخامس : اذا علم احد العلوم لا يحتقرن بقية العلوم ، كمن يعلم قراءة الكتب المقدسة ويحتقر الموسيقى الكنسية ، فيقول مثلاً : لا يمكن ان يرضي الانسان الله باللحن .

السادس : ان يبرن كل تلميذه بحاجة اليه وينيده ، على حد قول الاب اوغريس : لا يجب ان نلقي عذب الكلام للغارقين في الالهواء ، بل نعلمهم ان يثوروا على اعدائهم (اهوائهم) فالغارقون في الالهواء الباحثون في الامور التافهة يشبهون المرضى الذين يريدون ان يأكلوا طعام الاصحاء . وقال ايضاً : اطلب الى الشيوخ ان يكظموا غيظهم ، والى الشبان ان يتغلبوا على اهوائهم ، فالشيوخ تحاربهم اهواء النفس ، والشبان تهاجمهم اهواء الجسد .

السابع : اذا اراد ترويض التلميذ بسؤال ما لا يقول له : ان وراء هذا الكلام فكراً أكثر عمقاً ودقة ولا يمكنك الآن التوصل الى ذلك . وان اضطر ان يتصل عن الجواب في بعض الامور الغامضة فلا يابهن ان يقول : لا اعلم . لان كلمة (لا اعلم) لا يعتبرها الفلاسفة عدم المعرفة بل نصف المعرفة ، فقد قال الاب اوغريس : يجب احياناً ان نقول (لا نعرف) لاجل السامعين الذين لا قبل لهم ان يفهموا ، وحينئذ يمكننا القول : اننا نزل بشراً ولا نعد عالم الحقائق الروحية الثامن : ان يظهر في شخصه براهين تعليمه وان كانت اعماله وبلاغى اقواله

كالمصطفى والظل ، هكذا المعلم والتلميذ ، اذ كيف يستقيم الظل ، والعصا ملتوية ؟

الفصل الثامن

مميزات المعلم الصالح *

كل من يعرف ويعلم كيف يرضي الانسان الله يدعى بحق معلماً صالحاً ، في فن تطهير الضمير ، وما دام هو ذاته لا يتقي الله بأعماله لا يدعى صالحاً ، وللمعلم الصالح ثمان ميزات :

الاولى : الا يطلب بواسطة العالم مجداً دنيوياً ، على حد تعبير الاب اوغريسي : اذا رغب احد ان يرشد البسطاء من علم يكسبه ، فليحذر ان يميل الى المجد البشري ، فيكون علمه وبالاً عليه ، فذا شعر بنفسه ان انكبرياء تهاجه ليدن من (يثرون) ويتأمل نصائحه لاني موسى .

الثانية : الا يستغرق في التعميم والهوى ، فيفرض في البذخ أكلاً وشرباً وكسوة وبيوتاً واثاثاً ، وليستعمل الضروري منها فقط ، وبقدر الامكان يميل الى الاقلال منها .
الثالثة : الا يفرض في زيارة الحكام والزعماء ، وان أكثر من زيارتهم فليحذر من معاشرتهم لأن معظمهم ظالمون على حد تعبير الاب فومان : لا تعرف الى حاكم لئلا تتخلق بخلقه ، بالاصغاء الى كلامه .

الرابعة : الا يتسرع في اجواب إذا سئل ، بل إذا كان متأكداً من المعرفة فليجب بهدوء ، والا يقول : لا أعرف ، لانه على حد تعبير الأب اوغريسي تكفيه معرفة بعض الامور ، فاذا افقت منه معرفة موضوع ما ، فلا يئأس من ذلك ، لان الملائك فقط لا تفلت منه احدي المعارف الروحية .

الخامسة : ان يتبع غوامض تطهير الضمير أكثر من تبعه ظواهر المعارف الكتابية وتفسيرها ، لان هذا العلم ينال بالريضة الروحية وليس بالقراءة ، ان العارفين علمتهم الخبرة الطويلة على حد تعبير القديس باسيليوس : ان المعرفة التي نالها من البشر تتوسع بالتدريج والدرس المتواصل واما المعرفة التي نالها من النعمة الالهية فالبر بصونها والتقوى تعززها ، والاولى يمكن ان ينالها الذين هم في قبضة الاهواء ، واما الثانية فلا ينالها إلا المتسامون عن الاهواء ، فانهم في لحظات الصلاة يصرون أشعة نور عقولهم تسطع متألفة فيهم .

السادسة : ان يكون كل هدفه تثبيت الايمان في نفوس الطلاب ، لأن اعمال
الناموس وحدها لا تكفي لشفاء النفس شفاءً تاماً ، ما لم يرسخ فيها الايمان الحق .
السابعة : ان يتصور غمرات النار المظلمة في أعماق الارض ، والهبوط الى الهوة
السحيقة ، ولذلك ليخشع متهيئاً ، وليأس متألماً ، ولتبتك عيناه دماً ، وليكن خداه
مصعرين شحوباً ، متصوراً الدينونة الرهيبة ، الخالية من رحمة الله ، كما فعل الآباء
الذين اجتمعوا حول الاب اوغريس وقت انتقاله إذ شرع الشيخ يقول لهم : لنبك
يا اخوتي قبل ان نذهب الى حيث تحرق اجسادنا دموع ما قينا ، فبكى الجميع وسقطوا
على وجوههم وقالوا : يا ابانا صل من اجلنا .

الثامنة : ان يميز ما يضر قبل تمييزه ما يفيد ، فيعلم لا ماذا يفعل بل ماذا لا
يفعل ، لان المرض ان لم يذل فلن تأتي العافية .

الباب الثاني

النصح والتوبيخ

وفيه خمسة فصول

الفصل الاول

★ لا حق للنسك ان يوضحوا بل للمدبرين ★

ان صلاح الآخرين هو عمل الرؤساء والمدبرين المرسلين من الله للتبشير ، الانبياء
والرسل والامساقفة والكهنة والشمامسة ، وهذا ثابت من كونهم اذا اهملوا التوبيخ
بداعي الخوف او الحياء فانهم ينالون عقاباً من الله ، ويكفي لذلك برهاناً عدم توبيخ
اشعيا لعوزيا ، فاحتجبت عنه النبوة . اما النسك فيجب ان يهتموا بنفوسهم فقط ،
وقد علمنا الانجيل المقدس بقوله : (إذا أخطأ اليك اخوك فوضحه بينك وبينه ، او

يؤيده ان معرفة الله بديهية وضرورية مثل سائر المعارف البديهية الضرورية والامور المجهولة لدينا تكون كذلك. اما لغموضها او لسطوع اشراقها، يتضاءل العقل عن الاحاطة بها ، كما يحدث للعين اذا نظرت الشمس ، وهذا السبب الاخير قد يزيفنا عن معرفة الله على حد تعبير القديس ديونيسيوس الاريوباغي حيث قال : ان السحابة الالهية هي النور الذي لا يداني ، وفيها يوجد الله ، ففي الوقت الذي هو موجود هو غير منظور ، بسبب سطوعه الاسمي ، وهذا دليل على ان عقلنا بالنسبة الى النور الازلي هو كنسبة الوطواط الى نور الشمس الطبيعي ، وفي الوقت ذاته ، اذا قال الانسان عقلاً روحياً فانه يستطيع النظر الى النور الازلي ، وعليه فسطوع الله المتوهج ، تبهر عيون النفس اذا ما تطلعت اليه ، على حد قول الشاعر : اذك ساطع يا إلهي ، ومشرق اعظم من الشمس في الظهيرة ، فانها لا تخفى إلا على الاعمي الذي لا يبصر ، ففي اشراقك يتألق كل فكر ويخضع ، والعين التي لا تستضيء بضيائك لا تعرف النور . وقال ايضاً في المعنى ذاته : اذا كان النور يكشف عن جميع المرئيات ، ويمجوا عنها سجوف الظلام ، فهل يمكن للعالم العالقة بهذه المادة ان تبصر لماذا حجب النور عنها ؟

الفصل التاسع

﴿ انواع شوق النفس الى الله ﴾

ان الشوق يتبع المعرفة بداهة ، فكل من يعرف الله ويحبه يشاق اليه ضرورة وكما ان المحين الطبيعيين يشاق احدهم الى رؤية الآخر ، واذا رآه يكون ذلك عن احدي الطريقتين ، اي اما ان يكون بعيداً عنه ، وقد احتفظ في مخيلته بظيف من جماله ، او هو قريب اليه ، ولكن لا يمكنه ان يرى سوى وجهه فقط ، دون التغلغل الى عواطفه القلبية الخفية التي لاتتم الا بالوصاك الكامل ، وعليه يتوق الى الوصال الكامل ليتمتع بسبر غور تلك العواطف الخفية . كذلك تنطبق هاتان الحالتان على العارفين بالنسبة لشوقهم الى معرفة ربهم ، فاما ان يبصروا جماله الروحي بالاحلام والرؤى ، وفي هذه الحال كأنهم يبصرونه على وراء ضباب شفاف فيتوقوا الى رؤيا

ورأى الاب مقاريس رجلاً يرتكب كبيرة ، فلم يوبخه ، وقال : اذا كانت
الله الذي خلقه يطيل عليه انا فمنا حتى اوبخه ؟

وقال يوحنا ابو الدوالي : اذا كان من يخطيء زميلنا ولا بد من نصحه فليرشده
بدون توبيخ ، فان سمع منا فذلك امر جميل وإلا ، نهرب منه لئلا يبعدنا عن الله .
وقال مار اسحق : احذر ان تبلي بدهاء إصلاح الآخرين وانت لست رئيساً او
مديراً ، بل احد الرؤوسين ، فخير لك ان تعرض للخطيئة من ان تذكر زلة احد
في وجهه ، او تشير بذلك امام احد ، حتى وان سئلت عن شخص ضعفه معرفة
اكيدة ، قل : اني لم اشعر بهذا ، فلم تكن لي فسحة بسبب ضعفاتي ان احفظ
ضعفات الآخرين .

وقال ايضاً : ان من لا يفهم من كلمة واحدة فلا تكرر عليه الاصحاح ، فخير
لك ان تكون طويل الناة من ان تنصب نفسك مصلحاً . واذا كان تلميذك او اجيرك
فانصحه مرة واحدة فان لم ينتصح ابعده عنك ، وان كان صديقك فابتعد عنه ، وخاصة
اذا كان يلومه كثيرون من الصالحاء ، وكان يعجز بنقيصته ولم يصلحها .

الفصل الثالث

★ عناصر التوبيخ ★

يتألف التوبيخ من اربعة عناصر :

الاول : الموبخ . الثاني : الموبخ . الثالث المادة التي عليها يكون التوبيخ .

الرابع : نوع التوبيخ .

الاول : الموبخ او الموبخ - يجب ان يكون رئيساً باراً مؤمناً ، والرئيس اما
رئيس كهنة او كاهن ، او شماس ، ذلك لان التوبيخ امر ، والأمر يقع من الاكبر
الى الاصغر . وقيل (مؤمناً) لان التوبيخ تأييد الايمان ، وكيف يؤيد الايمان من
ليس مؤمناً ؟ وقيل (باراً) لان من كان ذا نقيصة يلام عليها كيف يمكنه
الآخرين ؟ فيقال له ايها الطيب اشرف نفسك . وهكذا لا يقبل كلامه .

الثاني : التوبيخ - او التؤنب - يجب ان يكون انساناً ذا شعور وان كان طفلاً او مضطرباً ، لان الطفل والمعنوه ايضاً يوبخان .

الثالث : - المادة التي عليها يكون التوبيخ - المعصية - وهي كل عمل يظهر في الحاضر مخالفاً للشريعة . وقيل مخالفاً للشريعة ، لان السرياني مثلاً اذا حل صومه مساء الجمعة واليوماني صباح السبت ، يعرف كل منها انسه لم يخطيء لانه هكذا تسلم من مهلي كنيسته وآبائها ، ولذلك لا ينبغي ان يوبخ احدهما الآخر ، وقيل (معصية ظاهرة) لان الخفية لا يعرفها الا الله فاحص القلوب . وقيل (في الحاضر) لان الذي يحاول ان يخطيء يمكن ان يتدم على ذلك قبل القيام بالفعل ؛ ويحجم عن اتيانه ، ولذلك لا يجب ان يوبخ او يؤنب بسبب ان يرشد فقط .

الرابع : نوع التوبيخ ، وهو سبع مراحل :

الاولى : يكون التوبيخ بعد معرفة المعصية معرفة حقيقية ، فقد قال الاب فرومان : انه مكتوب ان قل ما رأت عيناك ، واما انا فاقول لكم : ان لم تلمسوا بايديكم لا توبخوا ؛ لان احد الاخوة اظهر له الشيطان ان احد اخوانه يرتكب خطيئة ، وظن الامر حقيقياً ، فتقدم وضربه برجله وقال : كفى كفى الى متى ؟ وحالاً ظهر له ان الذي رفعه لم يكن الا كيساً للحنطة .

الثانية : الا يدقق في الخطيئة التي ترتكب خفية ، الا اذا كان مرتكبها يتظاهر بها متبجحاً ، وحينئذ يوبخه ، واما الذين لا يفرحون بالخطيئة بل يخجلون من اتيانها فيجب ان يستر فعلهم جهد الامكان ، كما كان يفعل الاب اوغريس ، فقد كان يخفي ويستر النقائص التي يشاهدها ، كأنه لم يشاهدها ، التي يسميها وكأنه لم يسمها وكان يقول : اذا سترنا نقائص اخينا ، فان الله يستر نقائصنا ، واذا فضحنا نقائص اخينا فان الله يفضح نقائصنا .

الثالثة : ان يسلك طريق التعليم مع البسطاء الذين يزلون ، لان كثيرين يزلون لانهم لا يعرفون ، واذا عرفوا سباجة الخطيئة فعندئذ يحجمون عنها ، ومثل

هؤلاء يجب ان ينصحوا بتقوى وتواضع ومحبة على حد تعبير الرسول : اذا رأيتم احداً يخطيء فاصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا بروح التقوى .

الرابعة : يجب ان يسلك طريق الترهيب والتخويف من الدينونة الرهيبة مع الذين يعرفون الخطيئة ويفعلونها ، ويذكروهم بالنار التي لا تطفأ ، والدرد الذي لا يموت وجهنم الرهيبة التي تنتظر الخطاة لكي تحرقهم بدون رحمة .

الخامسة : ان يسلك طريق التهديد مع الذين لم يفد معهم النصح ، وان لم يرجعوا عن طريق الشر يردلون عن الايمان ويكونون غرباء عن حقوق المؤمنين .

السادسة : ان يسلك طريق التهديد الصارم والثائب الشديد والمنع من شركة المؤمنين مع الذين لم يؤثر فيهم التهديد العادي . فالرسول يأمرنا بقوله : ان كان احد لا يطيع قولنا بالرسالة فاعزلوه ولا تخالطوه ، حتى ينجل . واذا ظهر ان الموبخ سيبلغ به الامر الى اليأس يجب ان يكون التوبيخ ممزوجاً بالحبية كما امر الرسول نفسه اهل كورنثوس بشأن الرجل الذي اخطأ في مدينتهم قال : عاملوه بحجة اكيده لئلا يتضي بحزن شديد .

السابعة : ان يلجأ رئيس الكهنة او الكاهن الى الحكام المدنيين ليعاقبوا من لم يرتد عن اثمه حتى بعد ابعاده وردله فيجدوا من جماع شره بالعقوبات القانونية ، اما هو فلا يمارس العقاب وما اليه ، فقد اوصاه الرسول الا تكون يده مسرعة للضرب ، وقال ايضاً احسد الفضلاء : وخب ، عظ ، ارشد ، لا تضرب اذا استوجب الضرب ، وخاصة بواسطة الآخرين ، فلا تفعل كما فعل فنحاس الذي لم يستطع كظم غيظه تجاه الخطيئة فقد قتل بيديه فان الامور المتيقة قد زالت . اعترض - اذا كان ضرب المسيء ممنوعاً فكيف استعمل الرب ذلك في الهيكل ؟

الجواب - ان لرب ضرب الثيران والحملان بمقرعة وليس الباعة المقلاء ، وذلك ثابت من قوله لباعة الحمام : ارفعوا هذا من هنا ولا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة ، صحيح ان الحمام لا يضرب بالمقارع ولكن بقية الحيوانات تضرب بها ، اما البشر فقد سلك معهم طريقة النصح والتوبيخ .

الفصل الرابع

حجج الاعمال التي يجب ان يُمنع فاعلوها من فعلها

تتجصر هذه الاعمال في خمسة انواع يُقدم البشر على فعلها ويجب ان يمنعوا عن ذلك ، وهي :

الاول انواع الخطايا التي ترتكب في الكنيسة - وتشمل انشاد المداريش المجهولة والاناشيد الصعبة ، وتنوع الاغانى المنحرفة التي يقوم بها بعض التبجحين لاطالة الصلوات وتنجيل بعض زملائهم الضعفاء . والاحاديث الدنيوية التي قد تدور اثناء الصلاة والعبادة والقداس ، والمباهاة الفارغة التي يتظاهر بها بعض خدام المذبح بالحلل المذهبة والمقصبه الفاخرة التي قدمها المؤمنون اكراماً لبيت الله ، والتماثيل التي تنحت للقديسين على طريقة الاصنام التي يعبدها الوثنيون ، وتعليم الوعاظ الذين يمزجون المواضيع الكنسية باقاصيص هزلية ويخلطون العبارات الدينية بالامثال الدنيوية الرخيصة ، فينالون المديح الفارغ من الامين البسطاء او ينظمون اسواقاً في الكنيسة يوم الاعياد الخافلة فيملأونها بالاضايب ويتقدم اليها الكبار والصغار ، بشراحة ، وليس ذلك فقط بل يضمون موائد للصيرفة في الكنيسة الامر الذي شجبه الرب فيجعلون بيت الله مغارة للصوص .

الثاني : الخطايا التي ترتكب في المتجر - الكذب في اسعار السلع واخفاء عيوب البضاعة والنش في المكييل والموازين ، فيشتررون بكيال او ميزان كبير ويبيعون بالصغير وبيع آلات الطرب على انواعها وعرض التماثيل الفاحشة باحدثها المغرية وثيابها المثيرة .

الثالث : الخطايا المرتكبة في الشوارع - اقامة المقامر على السبل ورفع العواميد لربط البهائم ، واطلاق انكلاب الكلبة على قارعات الطرق ، وتحميل الاحمال الثقيلة للبهائم تفوق طاقتها ، واتقاء كناسات حوائت الجزارين على ابواب الجيران او الطرق المسوكة فيحيلونها الى مزابل .

الرابع : الخطايا المرتكبة في اخمامات العامة - اضهر الاجسام العارية وعرضها نانظرين واتقاء الاقدار فيها لايداء الآخرين .

الخامس : الخطايا المرتكبة في الولايم - الادمان على اثمرة وانسكر الشديد والعريضة ، وعقد حلقات الرقص الفاحش وانسراة في الطعام وغيره .

الفصل الخامس

صحح السلوك والسلاطين

من انواع التوبيخ الشار اليها آتفاً بحق للرئيس الديني الكبير ان يستعمل نوعين للحكام والسلاطين ، وهما : التعليم والارشاد ، فيخيفهم من الدينونة وعقاب الله الصارم ، ويمكن احياناً اذا احتاج ان يلجأ الى العبارات الغنيمة فيقول للحاكم مثلاً : ايها الظالم ، العاتي ، التفتك ، يا من لا تذكر اليوم الأخير . ولكن ليلاحظ فيما اذا كان لم يؤد ذلك الى زيادة الضم بقطيعه ، فيحتمل عاقبة ذلك وحده ، دون ابناء رعيته او زملائه في الخدمة كما كان يقول القديس اثناسيوس للاكليروس - عندما غضب عليه الملك قسطنطين وارسل شرطاً لتقبض عليه - كان يقول : يجب ان اقضي ذلك وحدي دون ان يس باذي أحدكم ، وهكذا يجب ان يخوض غمار التضحية وحده حتى الدم . كما وبع نثن النبي داود الملك في قضية امرأة اورشليم ، والتي ايليا اخاب والملكة ازابيل على قتل ثبوت اليزريعي واعتصاب كرمه فاستمها كلت اكثر عنفاً وقوة من ذلك ، وتوبيخ يوحنا المعمدان للملك هيرودس بشأن هيرودس امرأة أخيه ، حيث قل له : لا يسوع ان تكون لك امرأة لانها قاتلة ومن اجلك سممت زوجها . والقديس يوحنا الذهبي الثم كان يهاجم الملكة اودكسيا بعنف وشدة وكان يقول لها اذا هددته : ان هيروديا تتعامل وترقص من جديد طالبة رأس يوحنا على طبق ايضاً . وامثال ذلك كثيرة كان يقوم بها الابرار الاولون في عصورهم مع ملوكهم ، واما الان فقد سحت السنة الرؤساء بحجة المال والمجد الباطل ، فانقلب المعلمون الى عبي اللسان ليست لهم قوة يتكلمون بها امام الملوك لكبح جماح مظالمهم واحد من غنوائهم توبيخاً وتأنياً على حد قول القديس افرايم : ان المعتصب رفع رأسه وانقلاب تمادي في غيبه . وهذه هي رغبة الثقات ان يتم الرعدة .

الباب الثالث

= الإيمان =

وفيها تسعة فصول

الفصل الأول

★ آي الكتاب في فضيلة الإيمان ★

- ١ - من آمن بي فلا يدان يوحنا ٣ : ١٨
- ٢ - لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية يوحنا ٣ : ١٥
- ٣ - ان من يسمع كلامي ويؤمن بمن أرسلني له الحياة الابدية ولا يصير الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة يوحنا ٥ : ٢٤
- ٤ - اذا لم تؤمنوا اني انا هو تموتون في خطاياكم يوحنا ٨ : ٢٤
- ٥ - ومع ذلك لعلمنا بان الانسان لا يبرر باعمال الناموس بل انما بالايمان يسوع المسيح غل ٢ : ١٦

الفصل الثاني

تحديد الايمان

حدد القديس بولس الايمان بقوله : اما الايمان فهو الثقة بما يرجى كأنه معن فحلاً ، واجتلاء امور لا ترى . عبرانيين ١١ : ١ . وهذا التحديد عام ينطبق على الايمان بما كان ، وهذا يؤيده ايمان كل انسان ، من أية ديانة ، اذ يؤمن بامور لا ترى ويتمسك به كأنه واقع بالفعل . والاب اوغريس لما اراد ان يدل على كون المسيحية تلتها من المخلص المسيح قال : ان المسيحية هي تعليم المسيح حيننا ، المؤلف من عمل الفضيلة ومعرفة الطبيعة والايمان الحقيقي الواجب نحو الله ، اما انا فاقول : ان الايمان هو التسليم لتعاليم الانجيل ، التسليم الذي يكمل باعتراف اللسان وحفظ الوصايا .

وقيل باعتراف اللسان ، لان رب الحق قال : من اعترف بي امام الناس اعترف به امام ابي الذي في السموات وامام الملائكة . وقيل ايضا بحفظ الوصايا ، على حد تعبير القديس يعقوب : الايمان بدون اعمال ميت . وقال الاب اوغريس : ان لم تحفظ وصايا الرب فلا تعتبر نفسك مؤمناً . وقال ايضا : ان الاعمال الصالحة وليدة حفظ الوصايا ، فالاعمال الصالحة هي خشية الله وحفظ الوصايا هو الايمان .

الفصل الثالث

★ الايمان ثلاثية انواع ★

بما ان جميع المسيحيين يؤمنون ايمان الآباء الثلاثة والثمانية عشر (آباء مجمع نيقية سنة ٣٢٥) فالعارفون الحريصون على خلاص نفوسهم اياه يعتقدون ، وما زاد على ذلك من الخلافت والاهواء المنحرفة يهملون ، ولاهداف الايمان هذه ثلاثة اركان :
الاول : الايمان بالله ، الثاني : الايمان بتجسد الكلمة . الثالث : الايمان بالحياة الجديدة .
الركن الاول : ان يؤمن الانسان بان الله موحد الذات مثلث الاقانيم ، الآب الضابط الكل خالق السماء والارض ، وما يرى وما لا يرى ، والابن الوحيد المولود وغير المخلوق والمساوي للآب بالجواهر الذي به كان كل شيء . والروح القدس الرب المحي الكل المنبثق من الآب ومع الآب والابن يسجد له ويمجد .
الركن الثاني : ان يؤمن ان الابن ولد من الآب قبل كل الدهور ، من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وصار انساناً وصلب من اجلنا في ايام يولطس البنطي وتآلم ومات ودفن وقام بعد ثلاثة ايام كما اراد ، وصعد الى السماء وجلس من جانب الله الآب الأيمن .
الركن الثالث : ان الابن كلمة الآب سيأتي في نهاية الازمان مجدداً على سحب السماء بين الجسد للتخذ من طبعنا ، وجميع ملائكته القديسين معه ، ويجلس على عرش مجده ، ويرسل ملائكته مع البوق العظيم ليرفع جميع من في القبور صوته ويقوم الأشرار الى العذاب الابدي والابرار الى النعيم والحياة الخالدة .

الفصل الرابع

❦ كيف ثبت هذا الإيمان في القلب ❦

ثبت الإيمان في القلب بواسطة التربية منذ الطفولة ، لاهجاً في هذه الشريعة التي يعتقها جميع أبناء العمودية اليوم ؛ ثم ينتقل الى القراءة بدءاً من الزمير ثم الانجيل المقدس ، ثم اعمال الرسل القديسين فرسانك القديس يواس ، متأملاً في التعاليم الالهية السكينة فيها ، ثم يدرس بعض كتب الآباء وقصص القديسين ، ويمرّن نفسه على الالفاظ الروحية المزودة في خدمة القديس الالهسي ، وهكذا يغرّس في نفسه شجرة الايمان فتمتلئ منها ساحة قلبه ، وتظلل اعضاءه ظلها الوارفة واوراقها المليئة بسرار الله ، فتسامي الافكار السليمة المنبثقة عنها ، وترسل اشعتها الى بحر العالم ، وافنانها الى جميع الانهار ؛ وهي الامم والشعوب ؛ قبل اجد الفضلاء في الايمان : لست أعني بالايمان الاساس العام للبشر ، بل القنوة الجبارة التي تنعش القلب وتضيء الضمير بألق من الضياء وفي شهادة الضمير التي تضرم في النفس حبة الله ويكون ذلك اذا ما غرست كرامة الايمان بيد الرب وسقتها الامطار والانداء من السماء ؛ فان لم تحرسها العناية ، يطررها ابليس بوابل من سهامه فتأرجح بين اريب والشكوك وتصبح عرضة للصوم والتفكير والتدقيق والبحث والتحقيق ؛ فلا تجد راحة بالبراهين العقلية والشهادات الكتابية .

الفصل الخامس

❦ الدفاع الجدلي عن الإيمان ❦

اننا نجد رأيين متضادين في الدفاع عن الايمان ، منهم من منع منعاً باتاً الجدل في امور الايمان ، وهم النساك والآباء والرهبان المتوحدون ، ويقولون : يجب ان نبحث انواع الفضائل وخشية الله وليس في امور علمية مولدة للجدل المقيم ، فقد قيل عن الاب فومان أن زاره فاسك فاضل من مكان بعيد ولما سأله في الروحيات والهاويات التفت الى الوراء وقال : اني من الارض ، وانكلم

في الامور الارضية ، وعندما سأله عن اهواء النفس فرح الشيخ وقال : الآن حسناً فعلت فافتح فمك فاملأه بالاظايب .

والبعض منهم مارسوا ذلك ولكن نادراً ، وهم اللافنة الاثبات واساطين البيعة القديمة ، وهم يرون ، ان الجدل وان آثار بعض الخصومات الا انه بمثابة طبيب حاذق فانه يستعمل احياناً ادوية قاسية ضارة في سبيل الفائدة الكاملة فيها ، وذلك عند الضرورة ، وهكذا نحن يجب ان نمارس الحوار اذا ما دعت الضرورة على حد تبيير القديس الثاولوغوس : لا تطيب للمؤمنين المباحكات الكلامية واذاها ، ولكن يكفي ان نمارسها ولو مرة واحدة عند الضرورة ، مثل الادوية بالنسبة الى الامراض لكي يعلم الخصوم انهم ايسوا حكام في كل شيء وليس دائماً يعلبون ، وخاصة فيما يخص تعاليم الانجيل . ويقولون ايضاً : كيف يعاب الجدل وقد مارسه الرب بنفسه ؟ فقد سأله اليهود ، هل يحصل له ان يشفي يوم السبت ؟ لكي يشجروه ، وقد ابكمهم ، تجدد اسمه ، بقول جامع مانع (ان الانسان افضل من الشاة) التي اذا سقطت في الحفرة يجب ان تنشل ، وعليه يجب ان يشفي الانسان المذب في السبوت ، اذا وضع العذاب بمثابة الحفرة والشفاء بمثابة الانتشال ، وهكذا ايضاً ابكمهم عندما سألوهم بأي سلطان تفعل هذا ؟ بسؤال عسير فقال : (معمودية يوحنا من السماء كانت ام من الناس ؟) وبذلك كالهم صاعاً بصاع ، ثم هاجمهم بسؤاله الشهير ، (ان المسيح هو ابن داود ، فاذا كان انساناً بسيطاً - كما يعتقد كتبكم - كيف دعاه داود ربه ؟ وكذلك بواس مهندس البيعة حاور كثيراً في ائتنا الفلاسفة الايقوريين والرواقين واليهود الناطقين باليونانية .

الفصل السادس

★ لا يجب ان نتوقف عند المعنى الحرفي لكل آية كتابية ★

ان حكمة الله تنطق احياناً بالالغاز وتظهر رغبتها بالامثال والحجى ،

الحالة السادسة : حالة تستحيل فيها نبضات القلب الى اثراقات تغمر العقل بأشعة ملائكية مؤلفة من نور و نار . ، فيتوجد لاحتاق بالأجواء الروحانية ، ويلتهب فيه الشوق للاحتاق بزمر اللبيب .

الحالة السابعة : حالة الشعور الشفاف ، حيث يسمع العقل انتقام المسبحين الروحانيين بصوات رقيقة ، لا يمكن تجسيدها في كلمات او الفاظ ، ولا يمكن وجودها إلا في تلك الانتقام الروحانية المنعشة ، حيث منها تتألف التسبحة الجديدة في العالم الجديد وبها يصلي الروح من اجل القديسين ، على حد تعبير الرسول بولس .

الحالة الثامنة : حالة الشعور بالثبته بالله ، حيث يتوقف العقل خشعاً وقد تجلى له الحق المطلق الاسمي علانية فيستضيء بنوره ويتخذ صورته ، مثل السحابة الشفافة التي تتخذ نور الشمس وبهاؤها اذا ما قابلتها هكذا العقل اذا تغفل في النور الالهي يتخذ صورته ، وان كان لم يزل مرتبطاً بالجسد الكثيف .

الحالة التاسعة : حالة الالتهاب : حيث يستحيل الانسان الى كائن من لبيب ، من اخمص قدميه حتى قمة رأسه ، يلهب الجسد كما يلهب الحديد بالنار ، قال القديس فلاديوس في الاب ارمانوس . انه كان واقفاً يصلي يوماً في الصومعة ، فرآه احد الاخوة من الكوة وقد استحال كله الى نار .

الحالة العاشرة : حالة الوحدة ، ويعرفها العارفون بالحالة التي لا يمكن التعبير عنها ، الحالة التي ليس فيها اذن او ثلاثة ، بل واحد احيد ، متجلٍ وبين جنحه الكائن الجديد الشفاف . ولكن غداء واحد .

الحالة الحادية عشرة : حالة انهججة : وفيها دموع لا يسبر غورها ، بل يشعر العارف انه مبهج فقط ولكن نادياً ؛ لا يعد .

الحالة الثانية عشرة : حالة الانفجار في الكلام ، والتنبؤ وكشف الخفايا التي كتب عنها في رأس الكتاب وخطفت في سفر معرفة الله ، فتجلى للعقل هناك فيقرأها .

ان يلقي بصوره مبطنة لأن السامعين لا يستحقون سماعه ، كما قال الرب (لاجل ذلك اكلمهم بأمثال لانهم ينظرون ولا يبصرون ، ويسمعون ولا يفهمون ولا يعون)

الفصل السابع

★ الآيات التي يجب ان نسلّم بها كما هي والآيات المفسّرة ★

يؤخذ من الفصل السابق ان بعض الآيات ان لم تفسر لا يمكن ان تقرر ، وعليه ان الاولين لهم ثلاثة آراء في ذلك :

الاول : ان بعض اليهود وغيرهم لا يفهمون بعض الآيات الكتابية إلا بطريقة مادية حتى انهم يحسبون احياناً ان الله جسم مركب ، وهو خالق الكائنات المركبة وغير المركبة ، لانهم يجدون في كتب الانبياء ان لله عيوناً وآذاناً ويدين وقدمين .

الثاني : ان بعض المفسرين الكنسيين يفسرون نصوص الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً وروحياً فقط ، مثل تفاسيرهم في قرعون ومركباته وخرقها ، وعماليق والاردن وارض اليعباد . والاب اوغريس شجبهم بقوله : لا تفسر تفسيراً روحياً جميع الآيات التي ليست امثالاً او حجي ، إلا بما يزيد في فائدة الآية ، فاذا تكلمت مثلاً في سفينة يونان تضطر ان تأخذ كل كبيرة وصغيرة في السفينة بمعنى روحي ، فانك في ذلك ليس فقط لا تعود بفائدة لسامعك بل سيضحكون منك .

الثالث : ومن شأن الملافة الثقات الذين يفسرون جميع الآيات والمواضع تفسيراً حرفياً ، او جميعها يفسرونها تفسيراً روحياً ، بل يزنون جميع الآيات عيزان العقل ويفسرون الآية التي لا معنى حرفي لها تفسيراً روحياً ، كأصبع الله وعينه واذنيه ورجليه وغيرها ، الامور التي اطلقت على الله كتعبير رمزي وبعض المفسرين يفسرون حتى الفردوس والعذاب تفسيراً روحياً ، كما فسر القديس غريغوريوس اللاهوتي شجرة المعرفة ، واعلن ان الشجرة كانت خيالية فقط ، وفسر غريغوريوس النوسي النار بقوله : اذا سمعت عن النار فافهم معنى غير هذا المعنى ، ان تلك لا تنطفيء ، اما هذه فانها لاسباب كثيرة تنطفيء ، وهكذا قال في اللود الذي لا يموت : ان قول الكتاب : لا يموت ، يوضح انه شيء روحي .

الفصل الثامن

﴿ فرائد ابريمان ﴾

بما ان الفوائد التي تجني من الايمان الحق كثيرة ومتشعبة ، نذكر فقط اربع منها وهي الاساسية والهامة :

الاولى : شكر الله تعالى ، لان الانسان اذا آمن ان الله سبب كل الكائنات

وبدون معرفته لا تسقط شعرة واحدة من الرأس ، يعرف ان البشر انما هم وسطاء في تأدية الخير او الشر الى بعضهم البعض ، فيشكر الله شكراً مستمراً على الخير والشر الذي رجا بصدقه ، فيمتد ان الخير يمنح له نعمة والشر يصدقه عدلاً وتأديماً وهكذا لا يتدمر في المصائب على حد قول النبي داود : اذنبني الرب وللموت لم يسلمني .

الثانية : التوكل على الرب : لان الذي يؤمن ان الرب يعرف حاجته ويمنحه

ايها ، لا يرتبك فيما يأكل غذاءً او فيما يشرب او فيما يلبس ، بل يتوكل على الله كما تفعل الطيور التي لا تزرع ولا تحصد ، ولا تخزن في الاهراء . وزنايق الحقل التي لا تتعب ولا تعزل والله يوشحها ، هكذا يمنحه كل خير لانه افضل من جميعها كثيراً .

الثالثة : الجهاد في سبيل الخير - والحذر من الشر ، لان من يؤمن ان كلاً

يجازي بحسب اعماله خيراً كانت ام شراً ، لا يتقاعس عن اكتساب الخير والشر والصلاح والابتعاد عن الشر والاطلاح ، مثل من يعرف ان الخبز سبب للشبع فيحرص على الحصول منه قليلاً او كثيراً ، وان السم مميت ، فيحذر من قليله او كثيره .

الرابعة : مطابقة بواطن الانسان لظواهره - لان الانسان اذا آمن ان كل

خفاياه ظاهرة لعين الله اليقظي ، يصون ثروته الروحية كما يفعل الحكيم بصيانة ثروته من اللصوص الكامنة في طريق الملكوت ، واذا ما دخل مدينة الملك العظيم فانه يكافئه مكافأة ظاهرة على فضائله الخفية .

الفصل التاسع

★ عظم الايمان وضالته ★

يؤيد العقل والنقل ان الايمان يزيد وينقص ، اما العقل فيعرف الايمان خلة نفسية ، وكل خلة تخضع للزيادة والنقصان ، فالايان اذاً هذا شأنه . والايان ايضاً يقاس بحفظ وصايا الله والاعمال الصالحة . والاعمال ايضاً تزيد وتنقص ، فالايان اذاً يزيد وينقص .

اما النقل (الكتاب) فانه يؤيد ذلك على حد قول الرب : (يا امرأة عظيم ايمانك) و (لم شككت يا قليل الايمان ؟) وقوله (اذا كان فيكم ايمان مثل حبة الخردل) الامور التي تؤيد ما نحن بصدده ، وعليه ، فان النعم تعظم وتتضاءل بالنسبة الى عظم ايماننا وضعفه .

الباب الرابع

☆ التوبة ☆

﴿ وفيه اثنا عشر فصلاً ﴾

الفصل الاول

﴿ كلام الآباء في فضيلة التوبة ﴾

سأل جندي احد الابهاء القديسين : هل يقبل الله توبة الخطاة ؟ قال : وهل اذا تمزقت خوذتك تطرحها حالاً ؟ قال : لا ، بل اخطبها فاعود واستعملها . قال الشيخ : اذا كنت انت تشفق على حاجتك افلا يشفق الله على خليقته ؟ وقال شيخ آخر : ان الناسك الذي يخطيء هو كالبيت الذي يتهدم ، فان اهتم بتجديد بنائه يمكنه ان يأخذ للبناء مادة كثيرة مما تهدم ، اي الانس والحجارة والملاط وما الى ذلك ، اي ليستعد الناسك من اعماله النسكية الاولى في الترويض النفسي وخدمة والاعمال اليدوية وليس هكذا اذا بشر البناء من جديد .

سأل احد الاخوة الاب موسيس : ماذا اعمل ايها الاب فقد سقطت ؟
قال الشيخ : قم ، قال : قمت ثم سقطت . قال : قم ايضاً ، قال : حتى متى ؟
قال الشيخ : حتى النهاية ، اما بالفئاتل واما بالسقوط فقي ايها ينتهي الانسان
فيه تم الجولة .

قال الاب فومان : اني افرح برجل اخطأ وأذنب ثم تاب ، اكثر من
الرجل الذي لم يخطئ ولم يتب ، فالاول له ضمير متواضع ، اما الثاني فقي ضميره
يعتبر ذاته صديقاً .

كان الاب ثيودورا يقول : الانسان اثائب غير مقيد بالناموس . وقال الاب
ايليا : ماذا تستطيع ان تعمل الخطيئة والتوبة موجودة ؟ وماذا يفيد الحب حيث
توجد المجرة .

وقال مار اسحق : ان التوبة الخالية من ندامة قلبية لا تختلف عن توبة
ازاييل ، فقي اللحظة التي فيها ، يخضع القلب ويتنفس ويدمع ، ويقول لله مـم
الني داود من اعماق ضميره : اني اخطأت ، ان الرب يسمع ويتحو الجريرة فلا
يموت ، فتفيض النفس سلاماً وابتهاجاً وعزاء .

وقال ياوني : رأيت بعض التائبين وكأنهم فقدوا رشدهم وشردوا عقولهم
ألماً وحررة وأسفاً . يائسين من الحصول على المغفرة ، ورأيت آخرين جالسين بكل
هدوء وتسل ، مطرقين الى الارض راحوا يهزّون رؤوسهم ويثنون من اعماقهم
كالسباع الزائرة ، وآخري يقرعون صدورهم فتسيل منها الدماء وهم يطلبون الى
مرشديهم ان يكبلوا ايديهم ويغللوا اعناقهم ويقيدوا ارجلهم بقيود من حديد ، والـ
يتلمع القبر وليس كالتبور .

الفصل الثاني

= تحدير التوبة =

التوبة عاطفة عاقلة تهدف الى تبديل الشر بالخير ، وهذه العاطفة ثلاثة

عناصر تبرزها الى الوجود هي : المعرفة ، والارادة ، والعمل .

فالمعرفة هي ادراك بشاعة الخطيئة التي تفصل الانسان عن الله ، وهذه المعرفة تفجر في الانسان ارادة تعمل لتبديل الشر بالخير ، وطبقاً لعمق هذه المعرفة يكون العنصر الاساسي للتوبة . ادراك الخطيئة ، لان منها تنبثق الارادة العاقلة في التغيير المشار اليه . فتكون التوبة عندئذ كاملة وأصيلة ، اذا انطبقت مع الازمان الثلاثة اي بندامة صادقة على حوباء سلفت ، وحذر شديد من رغبة طرأت ، واستعداد كاف لصد جرائر ازمعت ، وقد قال مار اسحق : التوبة هي دعاء حار يرفع الى الله في صلاة مليئة بالندم طلباً لمغفرة ما سلف ، ورجاء مسخين حذراً مما قد يأتي من الموبقات ، وكأني بهذا الفاضل قد تناسى الامور الحاضرة .

وقال ياوآني : التوبة هي تطهير الضمير والصمود مع الله في الحياة الجديدة ، وهذا ايضاً يتناسى ما سلف من الآثام ، فان كثيرين يحددون التوبة انها فداية عن الخطايا السالفة فقط ، وواضح ان توبة كهذه ناقصة غير كاملة .

الفصل الثالث

التوبة مقبولة دائماً

العقل والوحي الالهي يثبتان ان التوبة كلما قدمت مقبل ولا ترفض ، اما العقل ؛ فيؤيد ان الجريرة تحجب عين النفس كالغمامة الدكناء فلا تدعها تنظر الى شمس البر المضيئة او تهتدي بانوارها ، وواضح ان بازاحة ما يسبب القلام يعود النور الى الظهور .

والوحي الالهي يقول : اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا افرعوا يفتح لكم ، وقال ايضاً : لم آت لادعو الصديقين بل الخطاة للتوبة ، ولا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى . وقال ايضاً : هكذا يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب . وقال اشعيا ليرك الخاطيء طريقه ، والرجل الاثيم مسيله ، ويعود اليه فارحاً . وقال ايضاً : انست بذاتي يقول رب الارباب ، لا اشاء بموت الخاطيء بل يرجع اليه ليحيا ، وقال يوناث : فرأى الله اعمال اهل نينوى انهم تابوا عن طرقهم الشريرة ، فرد عنهم غضبه . الى ما هنالك من الآيات .

الفصل الرابع

﴿ اقسام الخطايا التي تنوب عنها ﴾

اوضحنا في المقالة الثالثة ان الكيانات القريبة التي تتصل بكيان الانسان ، اما ان تكون ملائكية او شيطانية او بهمية او وحشية . والكيان الملائكي اذا اتصل بالانسان ، لن لم تعطف عليه عناية الله فانه يولد في النفس الكبرياء والغرور والمجد الباطل والعجرفة ، ومن الكيان الشيطاني تولد البغضاء والغش والخداع والاعتياب . ومن الكيان البهيمي ، الطمع والجشع ، والشراهة ، ومن الكيان الوحشي ، الغضب والحقد والاعتصاب والقتل وما الى ذلك .

وبعبارة اخرى : كل من يخطيء ، اما ان يخطيء ضد الله او ضد القريب او ضد نفسه ، والاول هو الاخذ والضلال ، والثاني التجني والاعتصاب ، والثالث ، الشراهة والجشع .

وبعبارة اخرى : كل خطيئة اما كبيرة او صغيرة ، فالكياثر هي التي قل فيها الرسول بولس : ان فاعليها لا يرثون ملكوت الله ، كالجحود والقتل والارتكاب ضد الطبيعة والعبر والرديلة ، والسلب والقهر والسكر وشهادة الزور والقسم الكاذب . والمصفاثر هي : التي كتب عنها الرسول نفسه الى اهل كورنثوس : اخشى ان آتي اليكم فاجدكم لا كما اريد ان تكون بينكم خصومات وحسد ومفاضات ومنازعات واعتياب وثائم وانتفاخت واضطرابات ٢ كو ١٢ : ٢٠ .

الفصل الخامس

﴿ الاسباب التي تضخم الخطايا ﴾

ان الخطيئة الصغيرة تضخم باحد الاسباب السبعة الآتية : الاول - ان يسقط فيها الانسان مرات متوالية . الثاني - ان يعتبر الانسان الخطيئة صغيرة . فقد قيل : ان البار يرى الخطيئة الصغيرة كبيرة . الثالث - ان يخطيء الانسان مستمداً . فيقول في

نفسه : ان الله تواب غفار الذنوب . الرابع - ان يقول في قلبه : ماذا يهب الله من خطيئتي ؟ فيعاقبني ! الخامس - ان يفرح ويتبجح بالخطيئة كأنها صادرة عن غيره . السادس - ان يفعل الخطيئة جهاراً مفاخرأ بها . السابع - ان يكون من صنف المرشدين ، فمثل هذا تكون خطيئته الصغيرة كبيرة ، لانه يجر وراءه المقتدين به الى الخطيئة .

الفصل السادس

﴿ المخادع التي بصبر البرها الخطاة ﴾

كما ان المنازل المدة للأبرار في بيت الآب كثيرة كذلك المخادع المدة للخطاة متنوعة ، وقد حصرها العارفون بستة مخادع :
الاول - وهو احط جميعها ، مخدع الجاحدين الذين لنهوا حياتهم بأعمال أئيمة قال امرهم الى اليأس الاكيد والمهلك الابدني . الثاني - مخدع الجاحدين الذين يظهرون الاعمال الصالحة . الثالث - مخدع الجاحدين الذين لا يتظاهرون باعمال صالحة او طالحة . الرابع - مخدع المؤمنين فاعلي الشرور المتمردين العصاة . الخامس - مخدع المؤمنين المجردين من الاعمال الصالحة والطالحة بأن واحد ، الذين صورتهم كلمة الفادي بالعداري الجاهلات اللواتي اخذن مصايحهن ولم يأخذن معهن زيتاً . وبما انهم مجردون عن الاعمال الصالحة فانهم مؤمنون كاذبون . السادس - مخدع القاصرين عقلاً وسناً : وهم الذين لم يبلغوا معرفة الخير والشر ، فهؤلاء لم يأتوا صلاحاً فيثابروا ولا طلاحاً فيعاقبوا .

ويقول بعضهم : ان الذين ذلوا نعمة العهد لن يجرموا من الصلاح ، وطبقاً لرأي القديس غريغوريوس التوسي ان اصحاب المخدعين الثاني والثالث يخلصون في المعمودية الاسف في العالم الروحاني ، وقل ايضاً : ان الذين اغتسلوا بحميم المعمودية من اقدار الخطيئة لا يحتاجون الى هذا النوع من التطهير الثاني ، والذين لم ينالوها فانهم حتماً بحاجة اليها .

والقديس الثاولوسوس يبسط قضية التطهير بعورة مدقة ويقول : يجب ان يعتمدوا

بالاسى هناك ، ومثله يرتأى تلميذه العظيم اوغريس ويقول : ان العذاب هو الكآبة
بواسطة الاسى المؤم حيث تطهر ادران النفس في الدينونة .

الفصل السابع

اصناف التائبين

هناك اربعة اصناف للتائبين :

- (١) : التائبون عن طرقهم الشريرة السارون في طرق الصلاح حتى النهاية .
 - (٢) : التائبون المتحفظون من الكبار ، الذين لم ينجوا من الصفائر الطارئة
جبالاً وسهواً .
 - (٣) : التائبون الحذرون من الكبار والصفائر جيد الامكان ، والذين اذا هاجتهم
شهوة رعناء سقطوا ، وفي حالة سقوطهم يستمرون باعمال الزهد والتسك آملين ان
تسعفهم عناية الله فيثوبوا الى رشدهم .
 - (٤) : التائبون الذين يرتدون الى الاعمال الخسيسة المريضة بعد خلعهم الانسان
العتيق واتشاحهم بالانسان الجديد المبدع من الله ، فيهبون ويسقطون في الشهوات
ويستسلمون للأهواء الطائشة ، فيطول سقوطهم والى رشدهم لا يثوبون ، الا ، ومن
الحياة يقبضون ، وقد قيل فيهم : ان القلوب الهاربة من مصر ارتدت اليها من جديد
قبل ان ترى اورشليم الارض الطاهرة .
- والمخلاصة ان الصنف الاول هو الاعلى والاسمى ، والرابع هو الاحط ،
والثاني للأول والثالث للأخير .

الفصل الثامن

★ ماذا يجب ان يفعل التائب العاشر ★

ان من تاب الى رشده بعد الخطيئة ثم عاد اليها ، يجب ان يثوب من جديد
ويجهد نفسه ان ينسل الحوبة بالتوبة ايضاً ، ويكون الاغتسال في ثلاثة امور : القلب
واللسان ، وبقية الحواس .

اما في القلب فسبيله الاغراق في الندم العميق والامعان في التهجيد الصحيح ، طلباً للمغفرة من الله ، واللسان ، سبيله الاعتراف بالخطيئة ، لان من يخفي خطيئته لن يتوب ؛ ومن يعترف بخطاياہ ينجو على حد قول الحكيم سليمان . وفي بقية الحواس ؛ مفكراً بالصوم والتقوى . وقد قال احد العارفين : ان الثائب تغفر خطاياہ بثانية اعمال : اربعة منها نفسية واربعسة جسدية . فالنفسية ، بان يكره الخطيئة كرهاً تاماً ويتوب ، ويرهب الدينونة المزممة ويشق بان الله سيغفر له . والجسدية ، ان يصلي صلاة مقرونة بشعور قلبي ويقول : سبعين مرة : اخطأت يارب ارحمني ، ثم يتصدق ثم يصوم .

الفصل التاسع

= الاسباب التي بزل بها المؤمنون =

هناك اربعة اسباب تجعل ذلك المؤمنين هيناً هي :

الاول : وان آمن الانسان بوجود عذاب للخطاة ، ولكن بما ان هذا العذاب خفي عن العيون ، والمتع الدنيوية ظاهرة للعيان ، فالنفس تستسلم للحالة الحاضرة .

الثاني : قرب المتعة بالشهوات وبعد ضررها عن الخيلة ، ومن البديهي الا تهمل المتعة القريبة في سبيل خسران بعيد .

الثالث : كون الكثيرين على المؤمنين يتواكلون على امر التوبة فيخطئون ، ولانهم لا يذكرون ساعة الموت فلا يتوبون .

الرابع كون الانسان معتمداً على رحمة الله يسقط في زلات كبيرة الامر الذي يكون سبباً مشجعاً للمؤمنين على استسهال الخطايا ، اما غير المؤمنين فهناك سبب واحد يجعلهم يخطئون وهو عدم ايمانهم بالدينونة والعقاب المحتوم .

الفصل العاشر

★ المعربات الحجرية المناهجين ★

يجب ان نعلم ان شفاء التائبين لا يكون إلا بملاجات ضد الخطيئة ، ومن لا يعرف اسباب المرض لا يعرف ايضاً العلاج الشافي لذلك المرض وهناك امران يسيان الخطيئة . الجهل واليأس ، اما الجهل فعلاجه المعرفة ، واما اليأس فعلاجه الصبر والثبات . ومن هنا يتضح انه لولا القوة التي تعادل بين عدوية المعرفة ومرارة الصبر لما وجد دواء لتائبين . وبما ان الخطيئة بالنسبة الى النفس هي كالمرض بالنسبة الى الجسد فيجب على التائب ان يحيط علماً بأربع مصارف هامة :

الاولى : كما ان لصحة الجسد ومرضه اسباباً فعالة كذلك لصحة النفس وعلاجها اسباب فعالة معينة اهمها حفظ الوصايا . واسباب مرض النفس مخالفة تلك الوصايا .
الثانية : كما ان المريض يحتاج الى طبيب فطاسي معالج يكون خبيراً باستمرار مرضه وعليه ان يشفيه ، هكذا الخاطيء يجب ان يكون له مرشد حكيم يمكنه مد يد المساعدة له ، فيتشاه من الهلاك على حد قول ياونثي : كلنا نحن الذين من مصر نرغب رغبة صادقة في الحرب من عبودية فرعون ، فكلنا اذاً ، بحاجة الى (موسى) وسيطاً عند الله ، فيضل الذين ينسون نفوسهم ويعتقدون انهم غير محتاجين الى مرشد .
الثالثة : كما ان المريض يجب عليه استعمل العلاج الذي يصفه له الطبيب والخذر من كل ما يحذره منه ، هكذا الخاطيء يجب ان يتقيد بنصائح المرشد واوامره .
الرابعة : وكما انه خير للمجروح ان يضمده جرحه قبل التسمم هكذا الخاطيء من الضروري ان يهب الى التوبة قبل استفحال الخطيئة ، لان الجرح ما دام جديداً وحرراً يكون شفاؤه اقل صعوبة ، اما الجروح القديمة المقيحة فانها تحتاج الى جهود شاقة وقطع وكسي .

الفصل الحادي عشر

الأمور التي بها يصلح المرشد التائب

هناك اربعة امور يمكن للمرشد ان يصلح بها التائب هي :

(١) - ان يذكره بالاعذبة المدة للخزاة بطريقة روحية صرفة ، ويعلم له انه كما يلتقط الزؤان ويحرق بالنار هكذا سيكون في نهاية العالم ، يرسل الله ملائكته ويلتقطون جميع المخالفين للشريعة ويلقونهم في اتون النار ، وهناك يكون البكاء وصرير الاسنان ، اما الصديقون فيضيئون كالشموس في ملكوت ابيهم .

(٢) : ان يشرح له العقاب الذي سيلحق بالائمة مثلما عوقب آدم بالطرد من الفردوس ، وشاول الذي لم يكن مستقيماً امام الله ازيل الملك عنه وعن جميع نسله واعطي لمملكه آخرين ، الذين كانت نهاية معظمهم الهلاك بسبب خرقهم الشرائع .

(٣) : ان يشجعه بالأبياس من رحمة الله ، ويشرح له الفرح الذي يحدث في السماء بخاطيء واحد يتوب ، ويدي له مثل لثة خروف وبقية الامثال المشابهة له ، ويضرب له مثلاً قضية داود النبي الذي قتل اورشليم واخذ امراته ، ولما بكى بكاءً مرأً واقترش المسح والرماد ولم يأكل ولم يشرب ، قيل له بقم النبي فاثان ان الله غفر له جريرته ، فلن يموت . وقضية الله وانكاره ، ثم توبته وبكائه الحار وقبول الرب له ، ثم إيمانه على مفاتيح ملكوت الله .

(٤) : ان يفرض قانوناً مناسباً على الخاطيء المقبل الى التوبة ، فاذا كان غنياً يفرض عليه التصدق واطلاق العبيد والاماء ، وان كان صحيح البدن يفرض عليه الصوم والصلاة وبهد ان ينفذ كل ذلك يقم الكاهن احتفالاً روحياً ويصلي الى الله من اجله .

الفصل الثاني عشر

الاديات الكتابية في فضيلة الاعتراف

(١) كان يخرج اليه اهل اورشليم وكل اليهودية وجميع بقعة الاردن فيعتمدون منه في الاردن معترفين بخطاياهم . متى ٣ : ٦ .

(٢) وكان كثيرون من الذين آمنوا باتون معترفين ومخبرين بخطاياهم .

(٣) اعترفوا بعضكم لبعض بزلاتكم وصلوا ببعضكم لاجل بعض لكي تبراوا يع ٥ : ١٦ .

(٤) وان اعترفنا بخطايانا فهو أمين عادل فيغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم ١ يوحنا ٩ : ١٠ .

(٥) وكل الاهتمام الذي نحن بحاجة اليه هو ان نعلن مرضنا لكي نشفي ، غير اننا نبالغ بالهروب من الشفاء ، ونحن ابطلنا ضد نفوسنا ، وحكماء ضد شفائنا او مستخدمين لعبودية الخطيئة ، وقد اخفينا عالمنا وامراضنا في قرارة نفوسنا ، كأني بنا نريد الاختفاء عن نظر الله ويوم الدين ، هذا اذا امكنا الاختفاء عن عيون الناس . (غريغوريوس اللاهوتي)

(٦) ولا تحب لنفسك ولا تمنجل ان تعترف بزلاتك وتتوب ، فامتنع عن اتيان السيئات بالاعتراف بخطاياك (ابن سيراح)

الباب الخامس

✽ الصبر (الثبات) ✽

✽ وفيه مائة فصول ✽

الفصل الاول

= أقوال الآباء في فضيلة الصبر =

قال احد الشيوخ : انا لا نتجح باعمالنا لاننا لا نعرف قوتنا وليس لنا صبر وثبات في العمل الذي ندؤه ، فنسئلب بلوغ اوج الفضيلة بدون جهاد .

وقال احد الآباء : ان مطلع الثمار الزهور ، ومطلع الاعمال الصبر . ان ثواب لعمل في الجهاد ، هو اضعاف اضعاف ثواب القضايل في الراحة ، فالعمل المضني

في غياب الصومسمة لقضاء على الافكار الثم-حريرة ، خير من ذبيحة
طاهرة خارجها مع افكار هادئة .

يقال عن الأب يوحنا الصغير اثبي تلميذ الاب آمون او الاب بجواي : انه
خدم معلمه اثني عشرة سنة في مرضه ، ولم يقل له المريض مرة واحدة احسنت ،
بل كان ينفر منه ويعنفه ، ولما شارف الشيخ من الموت قبض على يده وقال : احسنت
يا بني ، بخ بخ ، وقدمه للشيخ وقال : ان هذا ملاك لا انسان .

قال الاخوة مرة للاب انطونيوس : اخبرنا ايها الاب كيف نعيش ، قال لهم : انه
مكتوب (من ضربك على خدك اليمين فحول له الآخر) قالوا : لا يمكننا ان
نفعل ذلك ، قال : ان لم تحولوا الآخر فاصبروا على الاول ، قالوا : ولا هذا
يمكننا عمله ، قال : اذا لا تتذمروا بانكم صبرتم ، قالوا : ولا هذا ايضاً يمكننا ،
قال الشيخ لتلميذه : اعدد لهؤلاء الاخوة شيئاً من الطعام فاتهم مرضى .
كانت الام سارة تسكن مغارة مشرفة على نهر مدة ست سنوات ولم تتبه مرة
واحدة لوجوده .

قال الاب فومان : ان يوسف الصديق بيع للعبودية في مصر وهو ابن سبع عشرة
سنة ، واجتاز التجربة منتصراً ، فمجده الله . وايوب البار لم ينخر حتى النهاية مستعيناً
بالله ، ولم يستطع اعداؤه زحزحته عن رجائه .

وقال الاب ارسانيوس : اذا وضعت الابنة الهشة في اساس محاذٍ للنهر لن تثبت
ساعة واحدة فاذا احترقت اصبحت حجرة صلبة ، هكذا الانسان ذو الفكرة الجسدية
ان لم يحترق ملتباً بكلمة الله ينوب عاجلاً .

الفصل الثاني

★ تحرير الصبر ★

الصبر هو الاغراق في الجهاد ، وهو موضوع بين نظر سابق وعمل لاحق
فالنظر هو الاول لأنه يعطي الانسان مجال التفكير والمعرفة

الحقيقة بان النعيم الدنيوي المادي يؤدي الى عذاب النفس الابدي .
والعمل هو الاخير لان الاعراض العقلية عن التمتع المادية ، وهو الاحجام عن
اي نشاط مضمّن يتبعه ، وهذا هو الصبر . ومن البدهي ان هذا العذاب لا
يطلب لذاته ، بل لانه سبب النعيم المرتجى ، وهناك عذاب قريب وآخر بعيد .
وامام كل عذاب نعيم ، وهو ايضاً قريب او بعيد ؛ وبما ان العذاب القريب هو
سبب النعيم البعيد ، والنعيم القريب هو سبب العذاب البعيد ، فمن العدل ان
يختار العارفون الذين لهم ذهن المسيح العذاب القريب الآتي ، في سبيل النعيم الخالد
هناك . ويضحون بالنعيم الزائل هنا تخلصاً من العذاب الاليم هناك ، وكلا
العذاب ، والنعيم البعيدين . وهما خفيان مجهولان هنا ، فتنها يظهران ويتجليان بعد
القيامة ، الاولى ، هذه القيامة الصغرى التي هي الموت ، حيث به تقوم النفس
من قبر هذه الحياة ، والثانية ، القيامة الكبرى ، وبها يقوم التراب جسداً مجداً ،
ففي هذه الاولى بصورة جزئية مهمة ، وفي الثانية بطريقة واضحة صريحة ، وبما
ان القيامة ولادة جديدة ، تكون القيامة الصغرى بالنسبة الى القيامة الكبرى هي
كنسبة ولادة الانسان الصغرى الى الولادة الكبرى ، اما الولادة الصغرى فتنها
الولادة من صلب الاب الى رحم الام المظم ، وهو صورة لهذا العالم الخسالك ،
والولادة الكبرى هي التي يخرج الانسان فيها من الرحم - العالم المظم الضيق -
الى عالم واسم مشرق ، وهو صورة خروجه الى عالم الروح الذي فيه يستنشق
النعيم المنعش النقي .

الفصل الثالث

تنوع اسماء الصبر

تنوع اسماء الصبر بالنسبة الى تنوع الامور التي منها وفيها ومن اجلها يكون
انصبر ، فاذا كان الصبر تحملاً للآلام الجسدية كالامراض يدني تحملاً ، وما كان
صبراً على الاضطهاد والاعذبة بدء شجاعة ، وما كان صبراً على التجارب

الشیطانية يدعى ثباتاً ، وما كان اعتكافاً في الصومعة يدعى آفة ، وما كان اخفاء
وستراً للأسرار يدعى وداعة ، وما كان ضد الغضب والغيظ يدعى حماً ، وما كان
تحملاً للعار والازدراء يدعى تواضعاً ، وما كان ضد الشراعة يدعى زهداً ، وما
كان ضد الأهواء المنحرفة يدعى عفة ، وما كان تحملاً للعوز يدعى شماً ، وينطبق
على تجشم كل هذه الأمور اسم (الصبر) ومن التصبر على إحدى هذه الآفات حتى النهاية
تنطبق عليه الآية الكريمة (من يصبر الى المنتهى يخلص)

الفصل الرابع

طبقات الصبر

هناك ثلاث طبقات للصبر ، العاليا والوسطى والسفلى . فالعليا هي طبقة الذين
يصمدون في ميدان الجهاد ولا يهنون حتى التهمة الاخيرة ، اشبه ايوب الصديق
ويوسف البار وكل الشهداء البواسل والآباء الكاملين . والوسطى طبقة الذين يتغلبون
على الأهواء تارة وطوراً يخذلون ، او يتغلبون على بعضها ويندحرون امام الأهواء
انباقية وهكذا يستمرون ظفراً وانخدالاً حتى النهاية . والسفلى : طبقة الذين ينتصرون
على الأهواء فترة من الزمن ثم يهرون مخذولين فتلاحقهم حتى تحققهم .
والصبر اما ان يكون ضد ادواء الجسد واما ضد فوازع النفس ، وكل منها اما
ان تكون عنيفة او ضعيفة ، وبديهي ان من يصبر على المحنة اكثر يضاعف له
الجازي العادل الثواب .

الفصل الخامس

★ عناصر الأمور التي يجب الصبر عليها ★

من ابدي ان الانسان مركب من نفس وجسد ، فالجسد يشتهي ما هو خاضع
لنفس ، والنفس تشتهي ما كان ضد الجسد ، على حد تعبير القول الالهي . وعليه
كل امر يواجه الانسان في حياته الدنيا ، يكون اما موافقاً للجسد واما موافقاً
للنفس ، والعنصر الثاني اما ان يكون ارادياً واما قسرياً ، او بعضه ارادي وبعضه

قري ، ومن هنا تصبح عناصر هذه الامور اربعة طبقاً لما شرحناه ، واليك بيان ذلك :
(١) : ما كان مطابقاً لرغبة الجسد ، كالاغواء الجسدية ، وهي التي يجب الصبر عليها ، وتأييد هذا العنصر يكون عمل الاب لرسانيوس الذي كان اباً للملوك ، في العالم ، ومربياً لالوف من التمنطقين بمناطق الذهب ، والمتقلدين قلائد الياقوت ، والتوشحين بانخز والبرفير ، فاعرض عن كل ذلك وازدراه أملاً بالحياة الباقية متحملاً كل تلك التضحية متزويماً في البرية .

(٢) ما كان مطابقاً لرغبة النفس ، كاعمال النسك الارادية ، وايضاح هذه الامور يكون في عمل القديس بولس الذي كان يذلل جسده ويستعبده ، والآباء القديسون الذين لم يشبعوا لا خبزاً ولا ماءً ولا نوماً ، ووقفوا كالاطواد الراسخة ضد الاغواء : ولم ينقطعوا عن ذكر الله .

(٣) ما كان مطابقاً لرغبة النفس بطريقة قاهرة ، الامور التي تنجم عن تخلي العناية الالهية كما حدث للصديق ايوب الذي أسلم بيد الشيطان ليجربه هو واولاده وامواله ، وقد امر ان يحتفظ بنفسه ، وبناء على صبره جاءت ايامه الاخيرة اسعد جداً من ايامه الاولى .

(٤) : طبقاً لرغبة النفس ، كالمسار الذي يصبر عليه الانسان بآرادته ، بينما كان بإمكانه ان يصبر او ألا يصبر ، واحياناً رغم آرادته ، لان الانسان قد يتجنى عليه قيراً وعدواناً ، وقد ظهر ذلك في كثيرين من الابرار ، وقد شكى احد الاخوة الى الاب سوسايس قائلاً : تجنني علي زميلي ، وارغب في الانتقام لنفسي فطلب اليه الاب بالحاح ان يصفح فأبى ، قال له الاب : اذاً فلنصل ، اطاع فبأمر الاب بالصلاة قائلاً : (اللهم اننا لا حاجة بنا إليك ان تعني بنا فانا قادرون ان نتقم لنفوسنا) ولما سمع الأخ ذلك ، قدم ، والقي امره على الله .

الثالث : كل شيء اما يطلب من اجل ذاته ، كالأكل والشرب والسكن ، او من اجل ذاته ومن اجل غيره ؛ كالأكل والشرب الفائضين عن الحاجة . او يطلب من اجل غيره فقط ، كالدرهم والدنانير التي تطلب من اجل المعيشة . والاول ، مطلب عدل ، واما الثاني والثالث فاذا كانا حلالين فانها عدلان .

الرابع : كل مطلب اما ان يكون مفيداً او جميلاً ، او لذياً . والمفيد اما ان يفيد في الحاضر او في المستقبل . والجميل ، ما كانت جميع خواصه جميلة ومحبوبة حباً طاهراً . واللذيد ، اما عقلي ، وهو الاهم ، وهذا خص بالانسان فقط ، او مادي ، وبشترك به الانسان مع بعض البهائم ، كحب الظافر ، والتزعم الامور التي توجد لدى الاسد والنمر . او مادي صرف وبشترك به الانسان مع البهائم جميعها ، كشهوة الطعام والجماع ، وهذه الاخيرة طبقاً للتعلق الانساني بها . فانها تفوق جميع اللذات لدى البشر ، والتي قبلها متوسطة . والاولى ، طبقاً لعناصرها فانها ضعيفة جداً .

الخامس : كل خير اما ان يطلب لذاته كخير ، او لغاية اخرى ، والاول هو الخير الحقيقي ، والسعادة الاساسية لانها متعة لا تزول وابتهاج لا يحول وغنى لا ينضب ومجد لا يافى ، والخير الثاني ، اذا طلب في سبيل الاول هو لربعة انواع :

النوع الاول : الخير النفسي ؛ وهو اربعة انواع ، نوعان نظريتان ، كالمعرفة والايمان ، ونوعان عمليتان ، كاتحاد الشهوة واطفاء الغضب . والنوع الثاني : الخير الجسدي ، وهو كذلك اربعة انواع ، الصحة والقوة والجمال والشجاعة . والثلاثة الاولى يحتاجها الزهد ، والجمال الظاهر يعتبر من النعم لانه يدل على جمال النفس الباطن . والنوع الثالث : نعم الحاجات الجسدية وهي اربع ايضاً : الغنى والشرف والاقارب والمساعدين ، وهذه تعتبر نعماً لانها تساعد على الصدقات واسعاف الفقراء . النوع الرابع : النعم التي ينتج بها الانسان وهي اربع ايضاً : العقل والبركة والايدي والرصيد ، وهذه الامور حصرها داود في كلمات يسيرة

حيث قال : هو خالقهم وعاضدهم ، الرب ذكرني وباركني ، الصغار مع الكبار ،
فليزدهم الرب ، اي ايزدكم تذكراً وبركة وعضداً .

الفصل الرابع

نعم الله وانتخب

اعتبر ايها الاخ ، ان نعم الله عليك لاتنضب ، اذا رأيتها ست عشرة نعمة
وهي : نعم كلية ، لان في كل منها تنضوي نعم كبيرة لا ينتهي تسلسلها ، مثلاً :
صحة الجسد ، وهي احدى النعم المشار اليها ، فاذا اردنا احصاء النعم المنضوية
تحتها ربما لا نستطيع ، فقط نتطرق الى احد اسباب الصحة وهو الغذاء ؛ ومن
البدهي انها عمل يصدر عن دافع ، وهذا الدافع يكون بواسطة الجسم الآلي ،
ويكمل بالقوة والارادة وادراك ما يغذي واعداده وكميته وما يناسب على
الحصول عليه ، واتقانه واكتماله . ولنحصر ايضاً اسباب الادراك ثم الارادة ثم
القوة ثم الكمية ثم الحصول ثم الاتقان ثم الكمال ، وهذه سبع نعم الهية منتطرق
اليها في فصول خاصة .

الفصل الخامس

النعم الكامنة في اسباب الادراك

ان الله - تعالت نعمته - خلق الانسان بطريقة لا يمكنه البقاء بدون
غذاء شأن كل كائن حي ، وخلق فيه قوة الشعور ، وقوة اخرى تتحرك لنواله .
والاول - الحس - خمس قوى او حواس . الاولى حاسة اللمس ، وفيها قوتان ،
الاولى معرفة الموضوع المحرق مثلاً ، والثانية قوة الحرب او الابتعاد ، وبما ان هذه
الحاسة تشعر بالمواضع الملوثة القريبة فقط ، خلق الله حاسة الشم لمعرفة المواضع
البعيدة ، وبما ان هذه الحاسة تدرك الرائحة فقط الا انها لا تعرف الناحية التي
تصدر عنها خلق الله لهذا الكائن حاسة البصر لتعيين الجهات وادراكها ، وبما ان

البصر لا يمتد الى المواضع المحجوبة وراء الستار ، خلق الله له حاسة السمع ليذكر ما كان خفياً وراء الستار . وكل هذه الحواس لم تكن بذات فائدة لو لا حاسة الذوق ، التي بها يدرك الانسان الغذاء الصالح ويميزه من غير الصالح .

ولو توقفت الامور عند هذه الحواس فقط لاشبه الانسان البرائم ، غير ان الله جماله وميزه بالعقل الذي بواسطته قد يرفض الطعام اللذيذ الضار ويختار الطعام المر النافع ، وهذه اعظم نعم الله على الانسان اعطاها له للدراك والعرفة . ولا نعتقد ان الأمر توقف عند هذا الحد ، فان الحواس الظاهرة ليست إلا بعض اجيزة مدركة ، والبصر بعض هذه الحواس الظاهرة ، فالعين التي تبصر وتميز ليست إحدى هذه الاجيزة ، وهي مركبة من سبع طبقات ، وثلاثة مجالات رطبة وتلك الطبقات يشبه بعضها نسيج الضكبوت ، وبعضها يشبه القماش ، والمجالات الرطبة ، تشبه احداها نياض البيضه ، والاخرى الزجاجه الشفافة ، والاخرى الجليد ، وكل منها شكل خاص ، ولون خاص ، ومكان خاص ، فاذا تلف احد هذه الاجيزة ولو جزئياً ، فان مهرة الاطباء عاجزون عن اعادته الى حالته الطبيعية ، تهيئك عن الاوعية الدموية والاوردة والشرايين والمفاصل والعضلات المختلفة الكائنة في تكوين العين ، وعلى ذلك يجب ان تقيس عجائب الله في بقية الحواس .

الفصل السادس

﴿ النعم الكائنة في تكوين الارادة ﴾

لو خلق للانسان حاسة البصر التي بها يدرك الغذاء من بعيد فقط دون شاعية تحفزه الى تناوله لما افاده البصر شيئاً ، ولكن خلقت له حاسة اخرى (الارادة) تيل بها الى نوال ما يفيد ، وقد تسلطت عليه هذه الحاسة بصورة ضيعة دون روية ، وخلقت فيه حاسة الاكتفاء بها يتوقف عن الطعام اذا شبع ، ولو لا ذلك لاستمر في التهام الطعام حتى التخمه فتنرض قلوبه ، كما يحدث لكثيرين

من الذين لا يلجمون تلك الحاسة ، وبما ان الميل الى الطعام يبقى على الانسان كشخص مفرد فقط ، خلقت فيه ميول الجماع للانسال وحفظ النوع البشري ، وهذه الميول ايضاً لم تكن ناجحة لولا خلقت في هذا الكائن القوة الغضبية ، وبها يدفع كل اذى قد يلحقه من اصداده ، وبما ان هاتين القوتين - الشهوة والغضب - تفيدان فقط ضد الاذى الحاضر القريب ، خلقت للانسان ارادة اخرى تخضع للعقل العارف نتيجة العمل البعيدة والنهائية التي سيؤول اليها في المستقبل . هذه النعم كلها فاضت عليه من خالقه الصالح .

الفصل السابع

النعم الطامنة في قوى الحركة وابهرزتها

بما ان ادراك الطعام والميل اليه لا يفيدان بشيء ما لم يكن هناك جهاز للانسان يتناوله به ، خلق الله للانسان اليدين لكي يتناول بها الطعام ، وبهاتين اليدين ينجز اعمالاً عجيبة اخرى ، لا يمكن حصرها ، ثم خلق الله المعدة وبها يهضم الطعام ، وعمل له حنجرة كانبوب او سبيل يأتيها الطعام عن طريق الفم ، وتظم في فيه طواحن واسناناً ، بعضها للقطع ، كالامنان التي تشبه السكاكين ، وبعضها للكسر كالانياب ، وبعضها للمضغ كالطواحن الداخلية ، وروض الفك الاسفل لكي يتحرك بسرعة وسهولة ، وجعل الفك الاعلى ثابتاً لكبره واتصاله بالاجهزة الرئيسية المتعلقة به وجعل اللسان متحركاً في الوسط ليحول الطعام من جانب الى آخر ، وفجر تحته ينبوعاً يسيل رضاباً رطباً به يمكن ان يعجن الطعام . وجعل باباً الى اسفل يؤدي الى المعدة بطريقة لا يفلت منها الطعام حتى يحول الى سائل ، واضرم فيها حرارة صادرة عن الاجهزة المحيطة بها كالكبد الكائن الى الجهة اليسرى ، والشحم من الجهة الامامية . وعندما يهضم يفتح له باب فيسيل (الكيموس) في الامعاء . وهناك يصفى ، فيندفع الى الكبد باقية ، والفضلة تطرح الى الخارج ، وفي الكبد يستحيل الى دم ، ويبقى الدم بواسطة المرارة ، فأسوده يجتمع في

الطحال ، واحمره في المرارة ، والرطوبة المائية التي فيه تجذب الى الكليتين ، ومنها الى الحوض . وابت الله من الكبد اوردة كثيرة تتفرع من الرأس الى القدمين ، وتغذي الجسم كله . ومن دم القلب يتصاعد بخار هوائي لطيف يدعى ريحاً ، وينتشر في كافة انحاء الجسد بواسطة الشرايين ليحيا . وقد شبه الاطباء الحكماء القلب بالمصباح ، والريح بالشعاع ، والدم بالفتيلة ، والغذاء بالزيت ، والحياة بالنور . وهذه نقطة في بحر النعم الكائنة في اجهزة التغذية .

الفصل الثامن

﴿ النعم الطامنة في اوطعنا ﴾

كل طعام اما ان يكون من جنس العقاقير او الفاكهة او الغذاء ، ولتناول هنا جنس الغذاء المتكون من جميع انواع النباتات فنقول :
اذا وجد الانسان حبة الحنطة يحتاج الى اكلها لانه اذا اكلها فقد انتهت ، ولا تكفي لحاجته ولا لبعضها ، ولكن خلق الله في الحبة قوة تتغذى بالماء والتراب والهواء الدافئ ، وهذه اربعة قوى عنصرية ، بواسطتها تنمو حبة الحنطة وتتكاثر اذا زرعت ، فانظر الى ما يحتاجه كل منها للقيام بعمله ، فالأول بحاجة الى الينايس والانهار والميون والامطار والانداء ، وهذه بحاجة الى وسائط اخرى توصلها الى الحبة لكي تسقى بالمقدار والوقت المناسبين . والهواء بحاجة الى سكة تفتح الارض ليلجها ، والحرارة لا يمكن ان تتخلل الماء والتراب لكونها باردين ، فخلق الله الشمس تدفئ الارض باشمها ، وخلق القمر وجعل فيه قوة الرطوبة خوفاً من ان تحترق الحبة (النبتة) بقوة الحرارة الصادرة عن الشمس ، وهكذا وضع الله في كل كوكب فائدة ما لا نعرفها ، وهذه الكواكب احتاجت ان تكون كالكرات فكانت ، وهذه الكرات احتاجت الى حركة والحركة بحاجة الى قوة محركة فكانت .

الفصل التاسع

* نعم الوسائط الناقله للطعامه *

بما ان انواع الاطعمة لا توجد دائماً وفي كل مكان بل في بعض المناطق ، وفي بعض الفصول ، وهي بحاجة الى ان تنقل على اكتاف الناس لا يصلها من مكان الى آخر ، وهذا لا يمكن طبعاً ، لذلك خلق الله الحيوانات وانخفضها الانسان ليركبها ويحملها حاجياته ، وهيئاً سفناً تطوف على سطح البحار ، وبهذه الوسائط تنقل جميع الحاجيات فتصل مأمونة من اطراف المعمورة الى اطرافها . (يكتفي انسان تلك العصور بهذه الوسائط للنقل ، ولكن اذا جاءوا اليوم ؟)

الفصل العاشر

* نعم اعداد الوطعمه *

من البدي ان ما تنتجه الارض ، ما لم يعد اعداداً كاملاً لا يصلح للغذاء ، فلنأخذ مثلاً هذا الرغيف ، فهو بحاجة الى ان يصير صالحاً للغذاء ان تحرث الارض وتسقي ويحصد ويدرس ويطحن ويعجن وينخبز ، فأمل في هذه المراحل التي اوردها والتي لم نوردتها ، وبعد الاشخاص والآلات وصناعاتها ، وانظر الى كل ما يحتاجه كل صانع لانجاز عمله ، اقول ان الرغيف الذي تأكله لا يصل اليك إلا بعد ان يشترك في اعداده الف عامل ماهر ، وهؤلاء الذين ان لم يفتقر احدهم الى الآخر ، لما اتفقت ارادتهم لانجاز العمل ، وهؤلاء العمل يحتاجون الى مرشدين ، والمرشدون الى معلمين ، وهؤلاء الى الانبياء والرسول ، وهؤلاء الى ملائكة ، والملائكة الى ربهم .

الفصل الحادي عشر

= نعم انجاز عمل الاطعمة =

باحقيقة ان انجاز عمل الاطعمة ليس اعدادها فحسب ، بل ان تكون هناك قوة لاستخلاصها ، (اخذ خلاصتها) في الجسم التغذي ، كاللحم والعظام وما اليها

فمن الضروري ان يكون في كل عضو قوة تجذب الغذاء ، واخرى تهضمه ، واخرى تحيله واخرى تدفع الفضلات الى الخارج ، وقوة اخرى توزعه في الجسم واخرى تصور منه اشكالا متنوعة ، وهذه كلها وما ذكر في الفصول السابقة هي نعم من الله على الانسان في تغذيته فقط ، وهي بالنسبة الى بقية النعم ، نعم الله ، كشمرة واحدة بالنسبة الى شعور الرأس ولا توجد في كل عضو نعم لا تثنى فحسب ، بل في كل نسمة ، اذ يحتاج الانسان الى الوف مثلها في الساعة الواحدة ، وهناك نعمتان اخريان عظيمنتان ، الزفير الذي يزفر فيه الهواء من القلب ، والشيق الذي بواسطته يدخل الهواء النقي الى القلب ، ولولم يتخلص الانسان من الاول ويتنفس من الثاني لانطفأت حياته حالاً ، فانظر ايها الانسان اللبيب الى كل ما انعم الله به عليك من نعم توجب عليك ان تشكره عليها في كل لحظة .

الفصل الثاني عشر

★ الاسباب التي تمنع الشكر ★

هناك سبب واحد فقط يمنع الشكر ، هو جهل النعمة ، واعتبارها كأنها ليست نعمة فيتوقف الشكر من اجلها وفي سبيلها ، فانا نرى كثيرين لا يؤدون الشكر لله على هذا النعم الذي يستشقونه مثلاً ، وبه يتمنون ، ولو انقطع عنهم لحظة واحدة ، لقصي على حياتهم عذاباً واختناقاً وان صدف فنجأ احدهم ، يعرف حينئذ قيمة هذه النعمة ، فيشكر الله من اجلها ، وما اغنى الانسان الذي لا يشكر الله بعد زوال النعمة وعودتها .

هناك بعض الناس يشكرون الله على بعض النعم فقط ، وينسون معظمها . وقيل ان ممدماً تقدم الى احد الابرار وشكا اليه فقره وضيئه ، قال له البار : ارضى ان تكون مقعداً وتنال الف دينار ؟ قال لا ، قال : اعمى ؟ وتأخذ اربعة الاف دينار ؟ قال : لا . وهكذا عدد اعضاءه عضواً عضواً ، مضاعفاً اثنى ، وفي كل منها كان جوابه ، لا . قال له : كيف اذن لا تنجول من منحك كل هذه النعم فتندمر ، وهي اثنى من عشرة الاف دينار ؟

ومعالجة الجهل المانع للشكر يكون بطريقتين ، الاولى : التأمل فيما يمكن معرفته من نعم الله العظيمة اللامتناهية . والثانية : ان ينظر الانسان الى الدين هم اقل منه شأنًا ، فيقابل بينه وبينهم ، ويتأمل بالبائسين المعدمين ، كما كان يفعل احد الصالحاء ، اذ كان يزور المستشفيات يومياً ويرى المرضى يتألمون من امراضهم ، وكان يخرج من هناك الى ساحة يعذب فيها المجرمون ، وكان يشكر الله الذي انقذه من كل هذه المحن ، ويعود الى عمله .

الفصل الثالث عشر

الاسباب التي تجمع بين الشكر والصبر

الشكر يؤدي في سبيل نعمة مفرحة ، والصبر يكون على محنة مؤلمة ، ولذلك يصير ان يجتمعا في صيد واحد ، الا بطريقة خاصة لتضادهما . وذلك في خمس حالات :

(١) : اذا عرف الانسان انه يمكن ان يتبلى بمحنة اعظم من هذه المحنة ، فواجبه عندئذ الصبر ؛ وشكر الله لانه انقذه من اعظم من ذلك .

(٢) : اذا عرف كل تجربة جسدية هي اهنون من التجربة النفسية ، فواجبه الشكر والصبر على المحنة الجسدية ، كما حدث لاحد الآباء اذ دخل عليه اللصوص ليلاً ، فقال للاخوة الذين معه ، اتركوهم يعملوا عملهم ونحن نعمل عملنا ، فقدم لهم بعض الاخوة مفضلاً ليفلوا ارجلهم ، وآخرون قالوا لهم : عجلوا قبل ان يأتي بقية الاخوة .

(٣) : اذا عرف الانسان ان كل عذاب هنا زائل وعذاب الآخرة باق ، فيصبر ان يفني الفلوس الاخير ويشكر الله ان ينجو هناك .

(٤) : اذا عرف الانسان انه لا بد ان يأتي الشكوك فاذا جاءت يصبر عليها . ويشكر الله لانه اراحه منها .

(٥) : اذا عرف الانسان ان الثواب هو اضعاف العذاب هنا ، فيصبر

مسروراً ويشكر الله. لانه سيمنحه اثواب الكامل كالريض الذي وان تأم تحت
مبضع الطيب الا انه سيفرح بالشفاء .

الباب السابع

الرباء

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

اقوال داود النبي في فضيلة الصبر

- (١) بالرب اعتصمت فكيف تقولون لنفسي اهربوا الى جبالكم كالصقور مز ١٠ : ١
- (٢) انت الذي اخرجتني من البطن وانت متكلي من ثديي امي ، السيك
القيت من الحشا مز ٢١ : ١٠
- (٣) هذا هو جيل طالبيه ملتمس وجهك يا اله يعقوب مز ٢٣ : ٦
- (٤) احكم لي يارب فاني سلكت في سلامتي وعلى الرب توكلت فلا
ازل مز ٢٦ : ١
- (٥) بك اعتصمت يارب فلا اخزي الى الابد بعدك نجني مز ٣٠ : ١
- (٦) ما اكثر اوجاع النفاق ، اما التوكل على الرب فارحة تكفسه
مز ٣١ : ١٠
- (٧) توكلت على الرب واصنع الخير ، اسكن الارض وارح الامانة ، تلذ
بالرب فيعطيك سؤال قلبك مز ٣٦ ، ٣
- (٨) والآن ما الذي ارجوه لينا السيدة انما انت امي مز ٣٨ : ٨
- (٩) اليك يارب ارفع نفسي ، الهى عليك توكلت فلا اخزي مز ٢٤ : ١
- (١٠) انتظرت الرب انتظاراً قالت الي واستمع استغاثتي وانتشلتني من

جب الهلاك ، ومن طين الحماة ، واقام على الصخرة قدمي ، ثبت خطواتي

مز ٣٩ : ٢ و ٣

(١١) عند الله خلاصي ومجدي وفي الله صخرة عزي ومعتصمي ، توكلوا عليه

كل حين ايها الشعب مز ٦١ : ٨

(١٢) الذين يتكلمون على الرب عم جبل صهيون غير المتزعزع الثابت الى الابد

مز ١٢٤ : ١

(١٣) قد باد عني كل ملجأ ليس من يسأل عن نفسي ، صرخت اليك يا رب

قلت انت معصمي انت حظي في ارض الاحياء مز ١٤١ : ٥ و ٦

(اعتمدنا في تسجيل هذه الآيات على الترجمة اليسوعية)

الفصل الثاني

= تحرير الرجاء =

الرجاء هو اشتياق النفس الى نوال ما يحبه ، بعد اعداد بعض الوسائط التي ينال معها المحبوب . وهذا هو الرجاء الحقيقي الذي لا يخيب ، لان من يرتجى امراً ولا يعد له الظروف اللازمة ، فرجاؤه ليس رجاء ، مثل الجلاء . وهكذا من يأتي ضد ما هو بحاجة الى اتيانه ، ويطمع ان ينال ما يتفنيه فان رجاءه يخيب مع الخائبين . وبما ان نعمة الله جل شأنها ، هي وحدها تستحق ان ترتجى ، فما اعظم حكمة الانسان الذي يرتجئها وبعد العدة الكافية توصلاً الى نوالها . حتى وان لم تكن تلك الوسائل كافية كلها ، فيكون حينئذ امه قوياً ورجاؤه راسخاً .

الفصل الثالث

* اسباب الرجاء *

هناك اربعة اسباب للرجاء في نوال نعمة الله ، وهي :

(١) : الاكتفاء بالحاجة الضرورية في المادة التي بها يكون بقاء الجسد .

(٢) : مطابقة الاعمال الجسدية للشرائع . (٣) : تنقية النفس من الالهواء المنحرفة .

(٤) : التحلي بالفضائل التي تجعل النفس .

وكيفية اعداد هذه الاسباب الاربعة قد شرحناه في كتاب الايثيقون هذا استناداً الى آيات الله البينات ، وتعاليم الآباء القديسين بصورة كافية .

الفصل الرابع

★ الملهيات التي نعزز الرجاء ★

يعزز الرجاء بعلاجين اصليين ، (١) : ان يتأمل الانسان بانواع هذه النعم التي نلناها كنقطة من بحر ، وشرحناها في الباب السابق ، وليحكم الانسان عدلاً ، وايقل في نفسه : اذا كان الله قد اعد لجسدنا القاني كل هذه النعم العظيمة كيف مجرد هذه النفس - التي تفضل الجسد اضعافاً - من نعمه ؟ (٢) : ان يتأمل بأقوال الله التي تنفي اليأس وتقوي الرجاء ، كقوله تعالى : اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم ، فكل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له .

وليتأمل ايضاً بالأسرار والحجى والامثال التي نطق بها ربنا في هذا المضمار كقوله : من منكم ، اذا طلب اليه ابنه خبزاً يعطيه حجراً ، او سمكة فيعطيه حية ، اذا كنتم واتم الأشرار تحسنون ان تعطوا اولادكم العطايا الصالحة فكم بالاحرى ابوكم السموي يعطي الخير للذين يطلبونه ؟ .



الباب الثامن

﴿ التقوى (خشية الله) ﴾

﴿ وفيه خمسة فصول ﴾

الفصل الاول

— اقوال الارباء في التقوى (خشية الله) —

كان احد الارباء يقول : لا يجب ان يفكر الانسان الا بخشية الله فقط .
وسأل احد الاخوة شيخاً ، كيف ان نفسي متمرده ولا تريد ان تخشى الله ؟
فقال له الشيخ : ان النفس يا بني ، ترعب في التقوى وخشية الله لكنها لم تبلغ
تلك الدرجة ، فان التقوى وخشية الله هي الكمال بعينه .

وقال الاب فورمان في الاب قامبو : انه كان ينقل عن الاب انطونوس
متحدثاً انه كان يتقي الله بدرجة جعلت روح الله ساكناً فيه . وقال الاب ايضاً :
ان خشية الله تعلم الانسان جميع الفضائل . وقال الاب يعقوب : مثل السراج
الذي ينير في الظلام كذلك خشية الله ، اذا انسكبت في قلب الانسان تنيره
وتعلمه جميع الفضائل وصايا الله .

سأل احد الاخوة شيخاً ، قال : ماذا افعل فليس في نفسي شعور ؟ ولا
اخشى الله ؟ قال الشيخ : فتش عن انسان لا يخشى الله وعاشره ، فتعلم منه
كيف تتقي الله وتخشاه .

الفصل الثاني

﴿ تحدير الخوف ﴾

الخوف كآفة قلبية تنجم عن معرفة العذاب المزمع ، وتكون عملية ونظرية
شعورية . فالنظرية هي معرفة العثرات والمعاصي التي تسبب العذاب . وهذه

المعرفة تولد في النفس شعوراً بالاسى بداهةً وبفعل هذا الخوف تظهر مفاعيل خاصة تؤيده وتشير الى عمقه ، ففي الجسد ، الهزال واصفرار الوجه ، وقئف الشعر، وارتعاد الفرائص ، وفي بعض الاحوان يرافق كل ذلك الصراخ والغثيان ، واما في النفس ، فيتولد كره للخطيئة واستئصال شأفة الاهواء من اعماق القلب ، وهذا الخوف اذا اشتد ، يجعل الانسان حذراً حتى من الامور البريئة ، ومن العدل ان يدعي هذا باراً .

الفصل الثالث

درجات التقوى

للتقوى ثلاث درجات ، صفري وكبرى ووسطى :

فدرجة التقوى الصفري ، درجة الذين اذا سمعوا بعض التهديد المحتوم على الاشرار ، يرهبون ويكتئبون ، وحالما يزول عن سمعهم ذلك تخف ايضاً خشية الله من قلوبهم فيمودون الى حالتهم الاولى .

ودرجة التقوى الكبرى ، درجة الذين تنطرف فيهم الرهبة من العدالة الى درجة اليأس الاكيد ، من رحمة الله ويقولون : اذا انتقمت الرحمة فيم الاعمال؟ وهكذا يحجمون عن العمل .

والدرجة الوسطى ، درجة الذين تتساوى لديهم المخاوف عنفاً وهوادة ، فيهرب ذلك الانسان العدالة ولكنه لا ييأس من رحمة الله ، والابرار يرجحون جانب العنف (الاغراق في الخوف) ويميلون اليه اكثر من ميلهم الى جانب الهوادة . على حد قول اليفاز التيجاني : قف شعري ، وهزت الرهبة كياني .

الفصل الرابع

انقسام عادة الخوف

ان الضيق الذي ينشأ عن سبل المعرفة ومنه يتكون الخوف ، اما جسدي

في هذا العالم ، كالخريق والغريق وما إليها ، وإما نفسي في العالم الآتي كجهنم التي نارها لا تنطفئ ، واللود الذي لا يموت .

والقسم الاول من هذا الخوف يرفضه العارفون ، ويعتبرونه جيناً ، ويهجونه ويحتقرونه بشجاعة ويقولون : ان عبد الرب لا يخشى إلا الرب ، ومن لا يخاف الله فانه يخاف ظله مرات كثيرة ، وقد سأل احد الاخوة الاب ثيودورا القرمي : اذا حل الخوف ألا تخاف ؟ قال : اذا انطبقت السماء على الارض فان ثيودورا لا يخاف وقال الاب اوغريس : لم تأخذ روح الخوف ولذلك اذا سمعنا بالاضطراب قلن نضطرب ، لانه لم يكن سلطان علينا حتى للاخنازير . وسأل اخ أحد الشيوخ قال : لماذا اخاف اذا سرت في الصحراء وحدي ؟ قال : لانك لم تزل جياً .

والقسم الثاني من الخوف ، هو الذي يتدحه العارفون ويرفعون شأنه ، وقيل ان ثلاثة شيوخ زاروا الاب سوسايس اساعيم بأنه رجل بار عظيم ، فقال له الاول : ايها الاب كيف يمكنك النجاة من بحر النار ؟ وسأله الثاني ، كيف يمكنك ان اخلص من صرير الاسنان ؟ وقال له الثالث : ماذا افعل ايها الاب ان اذكر الظلمة الخارجية يقلقني ؟ وبعد وقت قصير قال لهم : طوبى لكم ايها الاخوة فاني قد غرت منكم فاذا كان فكركم محصوراً بهذه الامور فلا يمكن ان تخطئوا ، فاذا افعل انا الجامد القلب ؟ ان قساوة قلبي لا تسمح لي بأن اشعر ان هناك عذاباً ينتظر الناس ، وعليه اني اخطيء دائماً ، فلما سمع الشيوخ ذلك ، قدموا امامه التوبة وقالوا : كما سمعنا هكذا رأينا .

الفصل الخامس

﴿ الوسايط التي بها نبت فتية الله (النفوس) ﴾

ان السعادة التي تنالها النفس البشرية آخر المطاف ، هي ملكوت الله ، وهذا الملكوت يكتسب بالحجة ، والحجة تنمو بالمعرفة ، والمعرفة بالتفكير ، والتفكير يكمل بالاعراض عن الدنيا ، ويعرض عن الدنيا باستئصال شهواتها بحفظ الشرائع والوصايا

وهذه تحفظ خشية الله (التقوى) وخشية الله تتولد خوفاً من خمسة أمور : إما العقاب الآتي في هذه الدنيا ، وإما من الاملاك في هذا العالم ، وإما من عذاب جهنم ، وإما من النعيم في الفردوس ، او من عدم استحقاق الانسان رؤية الله ، وهذه هي الملكوت بالذات .

والخوف من الصنفين الاول والثاني ، ويحدث للذين لم يزالوا يحتاجون الابن كالاطفال ، ويثبتان بسماع اخبار البركات واللغات في الكتب .

والخوف من الصنفين الثالث والرابع ، يحدث للذين بلغوا درجة اكثر كمالاً ، ويرسخان في القلب بذكر الوعد والوعيد الانجيليين ، اي بالتأمل بمجيء ابن الله وجلوسه على عرش مجده ، واجتماع الامم امامه ، وتمييز الصالحين من الطالحين كالحملان والجداء ، ودعوة ابناء اليمين (يا مباركي ابي) وتمتعهم بالملكوت المعد لهم ، وامانة الجداء ابناء الشمال وطردهم الى النار المعدة لابليس وجنوده . وتصور ملائكة الغضب ، والهوة اللامتناهية واللهب التي تحت الارض ومزالسق المغاور الضيقة .

ان العارف لا يخاف من جميع هذه المخاوف ، ويضطررم شوقاً الا يحرم من رؤية الله ، واذا ما سمع ذلك الوعد القائل (حيث اكون انا تكونون اتم ايضاً) يخشع دائماً خوف ان يحرم من ذلك ، وحرصه فقط ان يكون اهلاً لذلك النعيم ، وهكذا يتوجه الى الله بالصلاة قائلاً : انني اطلبك يا ابا الذي في السموات ، ولست اطلب ما لديك ، ولا شيء من براياك ، انك ينبوع الحياة ، فاسكب في نورك ، واضرم في نارك ، اسعدني بحبالك ، ارفني اشمتك ، ادخلني الى حبالك ، وضممني الى خدرتك ، اضناني حبك فلينعشني سعدك .



الباب التاسع

﴿ الفقرة « ارفغباري » ﴾

﴿ وفيه خمسة فصول ﴾

الفصل الاول

★ اقوال النبي داود في فضيلة الفقر « ارفغباري » ★

- ١ - ويكون الرب ملجأً للملحوف في آونة الضيق مز ٩ : ١٠
- ٢ - فان المسكين لا ينسى على الدوام ورجاء البائس لا ينقطع الى الابد مز ٩ : ١٩
- ٣ - قد سمعت يارب بنية البائس فاهب قلوبهم واصغِ باذنك مز ٩ : ١٧
- ٤ - فانه لم يزد ولم يسترذل بؤس البائس ولا حجب عنه وجهه واذا استغاث به استجاب مز ٢١ : ٢٥
- ٥ - ويهدي البائسين الى العدل ويعلم البائسين طريقه مز ٢٤ : ٩
- ٦ - بالرب تفتخر نفسي ، يسمع البائسون فيفرحون مز ٣٣ : ٣
- ٧ - ان هذا المسكين دعا الرب فسمع ، ومن مضايقه خلصه مز ٣٣ : ٧
- ٨ - اما الودعاء فيرثون الارض ويتلذذون بكثرة السلام مز ٣٦ : ١١
- ٩ - قد استل المناقون السيوف ووطئوا قسيهم ليصرعوا البائس والمسكين ويذبحوا المستقيمي الطريق ، سيوفهم تجوز في قلوبهم وقسيهم تنكسر ، ان يسير الصديق خير من وفر مناقين كثيرين مز ٣٦ : ١٤ - ١٦ .
- ١٠ - والصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد مز ٣٦ : ٢٩
- ١١ - وانا بائس ومسكين السيد يهتم بي ، انت نصرتي ومخلصي يا الهي

- ١٢ - ويرى البائسون فيفرحون وتحميا نفوسكم يا طالبي الله ، لان
الرب يسمع المساكين ولا يرذل اسراء من ٦٨ : ٣٣ و ٣٤
- ١٣ - اللهم اجعل احكامك للملك وعداك لابن الملك ، فيحك لشعبك
بالعدل ولبائسك بالانصاف من ٩١ : ١ - ٣
- ١٤ - لا يرجعن الملهوف في خزري ، وليسبح لاسمك البائس والمسكين
من ٧٣ : ٢١
- ١٥ - احكموا للكبير واليتيم وانصفوا البائس والفقير ، نجوا الكبير
والمسكين وانقذوا من يد المنفقين من ٨١ : ٥ و ٤
- ١٦ - امل يا رب اذنك واستجب لي فاني بائس ومسكين احفظ نفسي
فاني صفي من ٨٥ : ٢٩١
- ١٧ - هذه هي راحتي الى الابد ههنا اسكن لاني احببتها ابارك طعامها
بركة ، اشبع مملكتها خبزاً من ١٣١ : ١٤ و ١٥
- ١٨ - قد علمت ان الرب يجري الحكم لبائس والقضاء للمساكين من ١٣٩ : ١٣
- ١٩ - الرب يحب الصديقين الرب يحفظ الغرباء وينعم اليتيم من ١٤٥ : ٨ و ٩
- ٢٠ - الرب ينعم الودعاء ويسقط المناقين الى الارض من ١٤٦ : ٦
(اعتمدنا في تسجيل هذه الآيات على الترجمة اليسوعية)

الفصل الثاني

تحديد الفقر واصناف الفقراء

- الفقر هو التجرد عن المادة التي تكمل حاجة الانسان ، ويقول بعضهم :
ان الذي لديه اربعون او خمسون درهماً فانه يقف بين درجتي الفقراء والاشقياء ،
وبالتجرد عن المادة يكون الفقراء ستة اصناف :
- (١ -) الفقير الذي يتساوى لديه الغني والفقير ، فلا اذا كان معدماً
يضطرب ، ولا اذا اضحى غنياً يحجم عن عمله .

(٢) : الفقير الذي يتسامى عن المادة وإن تهيأت لديه بقرارة ، أمثال ذلك الشيخ الذي طلب إليه الاسقف ان يأخذ (مادية) ان لم يكن لحاجته فلحاجة المحتاجين ، قال الشيخ : ان في ذلك عاراً مضاعفاً ، اولاً : ان آخذ صدقة ولست محتاجاً ، ثانياً : ان ادفعها بعجرفة وهي غريبة عني .

(٣) : الفقير الذي لا يرغب في المال حتى عند الاملاق ، ولا يخترنه بكثرة بل يعطي كما يأخذ ، وليس هذا النوع مذموماً ، بدليل ان الاب زيتون لم يكن يتناول في بادئ امره شيئاً ، وكان يلاحظ الذين يقدمون اليه ذلك يرجعون حزنين والذين يطلبون اليه يعودون خائبين ، لان ليس لديه ما يأخذون ، فصرع يأخذ من الذي يقدم له ويعطي للذين يطلبون اليه ، وبذلك ابهج الطرفين .

(٤) : الفقير الذي وإن رغب في نوال ما يفيض عن الزهد ، إلا الرغبة في الاموال تستولي عليه ، فيندفع لتحصيلها ، وهذا هو الضعف الذي ينضوي تحته الافاضل من النسك في عصرنا .

(٥) : الفقير الذي لا يحجم عن جمع المال كرهاً به ، بل لانه لا يستطيع اولاً يعرف ، كيف يجمعه ، وتحت هذا الصنف ينضوي النسك البسطاء في عصرنا .

(٦) : الفقير الذي لا يمكنه اعداد ما هو ضروري لحياته العادية ، كالمأكل والملبس ، وهذا الصنف ليس تمدوحاً ، بدليل ان الآباء في الصعيد (مصر) كانوا يعدون خبزاً لعدة ايام وسئل احدهم : لماذا تخالفون وصية الانجيل القائلة (لا تهتموا بما للغد) ؟ قال انا نعد قوتنا لعدة ايام لثلاثتهم بذلك كل يوم .

الفصل الثالث

* معارضة الفقر والفنى امرهما امر واحد *

انا نجد رأيين اثنين في هذه المصارفة ، (١) : رأي العارفين الذين يفضلون الاملاق مع الصبر على الغزارة مع الرحمة ، (٢) : رأي الابرار العلمانيين الذين يعتقدون بالعكس ، ويعتبرون الغزارة مع الرحمة افضل من الاملاق مع الصبر ، ويجب ان نعلم ان الفنى لا يرفض لذاته كفى ، بل لانه يشغل عن ممارسة الاعمال

الروحية، وكذلك الفقر لا يرفض لذاته كفقير، بل لأنه يهيء فرصة للأعمال الروحية فكم من غني لا يمنه شغفه عن العمل، وهو موغل في الرحمة، وكم من فقير يقلقه فقره ولكنه لا يتوقف عن السعي، ولكن إذا وجد شخصان غني وفقير يعتبران الغني مثل الماء الجاري، فلا يقلق حارسه، ولا يأس معده، فيكونان متساويين في عدم التوقف عن العمل، ولكن هيهات وجود مثل هذا الغني، انه لأمر عسير، ولذلك يعتمد الفقير أكثر من الغني عن المحنة، كيف لا وهوذا كلمة الله تؤيد صعوبة دخول ذوي اليسار إلى السماء أكثر من دخول الجمل في ثقب الإبرة، وتمنع الطوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماء، ولذلك قال الأب أوغريسي: احذر لئلا تسقط مشغوقاً بحب المال بسبب عطفك على الفقراء، كأنك تريد أن تصدق، أن شأنك ارفع من شأن المتصدقين، فالتصدق نظام ينشأ منذ الضفر، وأما الزهد فانه طريق الكمال: وقل أيضاً: إن صدقات المتصدقين دموع اجفانهم وانين لرقمهم.

الفصل الرابع

الشروط التي يجب ان براعبرها الفقير

يجب على الفقير البار ان يراعي عشرة شروط:

(١): ان يقاسي فقره بدون تدمير، ولا ينجل بذلك، ويلقى كل عمه على الرب على حسد قول الأب أوغريسي: لناق همنا على الرب فذلك يكفي حاجتنا فيمكننا ان نخلع المجد الباطل، وإذا ظن احد ان الفقير يزدرى فليظن الى القديس بواس فقيراً ملقاً ينتظر اكليل البر.

(٢): ان يترفع فيقبل جهد امكانه ما يقدم له هدية لا صدقة.

(٣): الا يكون مماذقاً مداحياً للاثنياء بل يحترق شغافه ولا يدنو منه ان امكن.

(٤): الا يتوقف عن عمل الفضيلة بدافع الفقر فينقلب زهده سبباً للطمع.

(٥): الا يخبزن قوتاً غزيراً لئلا يظن طويلاً، فاذا كان واجبه في العام فليعد

ما يكفيه ليوم واحد، وان كان يسكن ديراً قريباً من المناطق الآهلة فليعد ما

يكفيه لمدة اربعين يوماً ، وان كان من سكنة البرية فليعد ما يكفيه لسنة كاملة ، كما يفعل النساك المصريون الذين يخرجون الى الحصاد فيعدون قوتهم سنة فسنة .

(٦) الا يطلب ، اذا تهيأت له الحاجة بدون طلب ، والا فليطلب ، وان فاض عن حاجته فليعط للمحتاجين على حد قول الاب اوغريس : اذا كنت بحاجة الى غذاء او كساء ، فلا تجعل ان تقبل ذلك ممن يقدمها لك ، فذلك مما فاض لديهم ، فان فاض لديك فاعط ايضاً للمحتاج ، فقد علم الرسول بولس اهل كورنثوس بقوله : ليكن ما بفيض لديكم لسد عوز المحتاجين ، لكي يكون ما يفيض عنهم لسد عوزكم ايضاً ، لثم المساواة كما هو مكتوب : من اخذ كثيراً لم يزد شيئاً ومن اخذ قليلاً لم ينقص .

(٧) ان يفحص ما يقدم له فان كان من مال الظلم فليرفضه .

(٨) ان ينظر الى هدف الواهب وليميز هل هو يعطي سخاء او تساخياً طمعاً في المديح والشهرة ؟ وحينئذ يرفض تلك الهبة .

(٩) لينظر هل يوجد غيره اكثر حاجة منه ؟ فلا يأخذ حينئذ ، بل يشير الى الواهب ان يعطي لذلك المحتاج ، واذا كان بعيداً فليأخذ الهدية او العطية ويرسلها اليه .

(١٠) ليتأمل ذاته ؛ فاذا وجد في نفسه نقصاً خفياً لو عرفه فيه الواهب لما اعطاه ، فليظهر له ذلك النقص ، او يرفض قبول تلك العطية .

الفصل الثالث

❦ الاسباب التي تميز الطلب او تمنعه ❦

يجب ان تعلم ان الطلب بذاته غير شرعي وغير جائز ، ولولا الضرورة القصوى لما اجيز ، وعدم شرعيته يعرف من ثلاثة امور :

(١) لان طلب الفقير يعقبه غالباً التذمر على الله تعالى الذي يفقر ويعني .

(٢) لان الفقير الذي يطلب يعتمد غالباً على الناس وبذلك لا

يعتمد على الله .

(٣) لان الطالب غالباً يزعج ويقلق الذين يطلب اليهم .
اما الضرورة التي تلجئ الى الطلب وتبرره ، فتكون اذا تضايق الفقير
جوعاً ويخشى الموت الاكيد ، او عرياً وهو في فصل الشتاء القاسي ، هذا اذا
لم يستطع العمل بسبب ضعف او مرض او الانشغال بالعمل او العمل الروحي ،
فحينئذ يبرر طلبه .

وحاجة الفقراء الضرورية تنحصر في ثلاثة امور : المأكل والملبس
والمسكن ، وضرورة الأكل تكون ليوم واحد او لاربعة ايام ، او لسنة
كاملة ، وضرورة الملبس تتألف من رداء وقميص وقبعة للناك ، ويضاف اليها
غطاء الرأس للعلماني . وضرورة المسكن يعتبر البيت واثاثه ، ويجب على الفقراء
الطلب البسيط من كل شيء فمن الخبز مثلاً ليكتفٍ بنخب الشعير ، او الدخن ،
ومن الملبس ، من الكتان او الصوف ، ومن المسكن في كوخ متواضع من
الطين ومن الاثاث الحديدية والخشبية والخزفية منها ، وقطعة واحدة فقط من
كل نسوع

الباب العاشر

الزهد

وفيه ثمانية فصول

الفصل الاول

★ اقوال الرباء في فضيلة الزهد ★

قيل ان الابوين قانوم ويوحنا كانا يسكنان الدير سوية وكانا زاهدين ولم
يكن لهما الا خشية الله . الابوان تيودورا وادور كانا لابين جلود الحملان ،
وقال احدهما لرفيقه يوماً : اذا زارنا الله الآن فإذا نفعل ؟

قال الاب سرافيون : ان أحد الاساقفة زار احد الرهبان فوجد

شباكة كدست عليه الكتب ، وطلب اليه الراهب ان يقول كلمة لحياته الروحية ، قال الاسقف : ماذا اقول وشباكك - كدست فيه اموال الايتام والارامل ؟ وقال الاب تيودورا الفرعي للاب مقاريس : لدي ثلاثة كتب جلية افيد منها انا والاخوة ايضا ، قال له الشيخ : انها حقاً لمن جليل الاعمال إلا ان اترهد اجل منها .

قال راهب لاحد الشيوخ : كيف يجب ان احيا ؟ فترع الشيخ قبته وربط حقويه ، ورفع يديه وقال : هكذا يجب ان يكون النساك مجردين عن المادة الدنيوية ومجاهدين جهاداً عقلياً كالابطال .

قال الاب انطونيوس : ان من يرغب في الدنيا ، ولم يزل محتفظاً بالاموال يشبه رجلاً حمل على جسمه قطعاً من اللحم في احدى الصحارى ، قهاجه الكلاب وذوات الجناح مُستبيحة جسده . وكان احد الرهبان يملك انجيلا فقط ، فباعه واعطى ثمنه قوتاً لبعض الجياع ، وقال : ان الانجيل نفسه امرني ان ابيع كل ما لدي واعطيه للمساكين ، وعليه فقد بعته لاكون خاضعاً لاوامره .

وقال الاب اوغريس : ان الامور المحسوسة هي صورة الامور المعقولة ، وكما تعيق الثياب المصارع في الحومة ، كذلك تعيق الافكار الدنيوية العقل ، لان العقل يحوم حول كنزه كما قال الرب : (حيث كنوزكم هناك قلوبكم) وقال : من اعد نفسه للزهادة ، فقد اراح ضميره ، ومن كان مرتبكاً بالاموال فالقلق نصيبه : وقال يوثني رئيس الدير : ان الزاهد هو سيد العالم وابعائه يسود جميع الناس لانه لا يُطلع انساناً على حاجته ، فان قدّم له شيء فكأنه يناله من يد الرب . وقال ايضا من تذوق عذوبة المتع الروحية يحترق المتع الدنيوية بسهولة ، ومن لم يذقها فهو يتبع بالاموال ، والناسك الجاهل يخسر الجولتين لانه يتجرد من الاموال ويحرم من النعيم في الآخرة .

الفصل الثاني

تحديد الزهد وعناصره

الزهد هو الاعراض عن امر مرغوب نزوعاً الى ما هو افضل منه ،
وعناصره ثلاثة انواع : نظري وعملي وشعوري .

فالنظري هو معرفة اكيدة بتفاهة امر زائل والاعراض عنه ، وهو امر
باقٍ والنزوع اليه ومن هذه المعرفة يتولد شعور باحتقار الامور الزائلة حباً بالنعم
الباقية ، وهذه الافعال العملية تسبب الاعراض والنزوع المثار اليها وبما ان
الصالح جل جلاله ، هو الاصلح والافضل ، وقد نزح اليه واعرض عن سواه ،
فذلك هو الزاهد الصادق .

يختلف الزهد عن الفقر بكون الزهد تجرد عن الشيء بترفع اختياري ، والفقر قد
يكون بعد التجرد ، بترفع او لا يكون ، ولكن هذا التجرد يمكن ان يكون
غير اختياري ، بدليل قول احد الآباء لمن سماه زاهداً : لماذا تدعوني زاهداً
فانا فقير .

والاب ارسانيوس كان يحث زاهداً وقد كان مدة اربعين سنة مرياً ومرشداً
للملك تيودوسيوس وولديه بعده هونوريوس واركاذيوس ، فاحب الله ، وزهد في
كل تلك العظمة معرضاً عن مباحج الدنيا .

الفصل الثالث

درجات الزهاد

للزهاد ثلاث درجات سفلى ووسطى وعليا . فالسفلى ، درجة الزهاد الذين
يزهدون في مباحج الدنيا ومسراتها خوفاً من العذاب ، وحنساً من ان يحتاجوا الى
(لعازر) مسكين يمل طرف اصبغه بالماء ويبرد غليلهم ، وهم يتقبلون في اللبيب ،
كما يتمتع الغني الغني بلبس الخنز والارجوان وباطياب الحياة وغناها .
والوسطى ، درجة الزهاد الذين يعرضون عن التمتع الحاضرة ظمناً في النعم

المزمنة واما المليا فهي درجة الزهد الكاملين العارفين الذين يطلبون الصالح وحده ،
ذعما سواء يعرضون ، وآيتهم الذهبية هي اقوال المرتل (اليك صبا قلبي ووجهي
يطلب وجهك) (وان نفسي ظمأى الى الاله الحي) وغيرها .

وقد شرح الفاضل باوثني هذه الدرجات الثلاث في كتابه الجليل بقوله :
ان جميع الذين اعرضوا عن العالم باختيارهم ، انما قاموا بذلك اما خوفاً من فيوض
الخطايا ، واما طمعاً في الملكوت الزمنة ، او جباً بالله وحده ، وفيما عدا هذه
الاسباب الثلاثة فالاعراض جهل .

والنوع الاول من الزهد يعتبره المارفون باطلاً ، حيث لا توجد خطيئة
ولا خوف من العذاب ، وكذلك النوع الثاني ، وعندهم ، ان من يعرض عن
مباهج الدنيا طمعاً في نعم الآخرة انما هو رحي حمار ، تراه خيلاً موقوراً ، اما من
يعرض عن متع الحياة جباً بالله يكتسب في باديء امره حرارة روحية تشبه النار
فتحرق ما بقي لديه من ادران المادة ثم تتأجج رويداً رويداً حتى تصبح
لهيباً عالياً .

الفصل الرابع

الزهد في الطعام

لانواع الطعام طول وعرض فيجب على المتزهد ان يقلصها ويكتفي ، ولكي
يجعل الطول قصراً لديه ثلاث درجات : الاولى : ان يعد الطعام ليوم واحد ،
والوسطى : طعام اربعين يوماً ، والسفلى مؤونة سنة كاملة .

وتقليص العرض ايضاً يكون بثلاث درجات : في الكمية والكيفية والزمن ،
فالنسبة الى الكمية للدرجة المليا ، بان يعد نصف من : والوسطى مثلاً واحداً ،
والسفلى مثلاً ونصف من ، وبالنسبة الى الكيفية ، فللدرجة المليا : اعداد خبز الدخن
والمح والبقل والخل ، والوسطى خبز الشعير ، والزيت ، والسفلى : اعداد خبز
الخططة والسك والجبن والبيض والحليب والزبد .

وبالنسبة الى الزمن : فصاحب الدرجة العليا يطوي ثلاثة ايام صائماً قانتاً ،
وصاحب الدرجة الوسطى يطوي يومين ، وصاحب الدرجة السفلى يأكل مرة
واحدة في اليوم .

وهذه هي درجات الزهاد عامة وهم غير الذين اشرقا اليهم في المقالة الثالثة ،
المتروطين الجدد في اعمال الزهد .

الفصل الخامس

* الزهد في اللبس *

وللبس ايضاً كمية وكيفية ، فالدرجة العليا بالنسبة الى الكمية ، درجة
الكاملين الذين يرتدون ما يغطي الجسم الى الركبة فقط ، وهم يتمنقون بمنطقة من
جلد ، والدرجة الوسطى ، درجة الذين يرتدون رداءً ويتدثرون بغطاء ، ويتخذون
منطقة ونعلا ، والسفلى : درجة الذين يضيفون الى ذلك حبة وقميصاً .

اما الدرجة العليا بالنسبة الى الكيفية فانها ثياب من شعر المعزى ، والوسطى
ثياب من الصوف ، والسفلى ثياب من الكتان .

ان الاب اسحق قسيس الصوامع كان يقول نقلاً عن الاب فمبو : ان
الثوب الذي يمكن للزاهد لرتدائه ، هو ما طرح ثلاثة ايام خارج الصومعة فلم
يأخذه احد ، وكان يقول ايضاً : ان الاب فمبو وبقية الآباء كانوا يلبسون الثياب
الخلقة المرقعة ، واتم الان ترتدون الثياب الثمينة ؟ فذهبوا من هنا فقد دمرتم
هذه الديار . والاب لرسانيوس الذي كان يرتدي افخر الثياب في حياته الدنيوية
اخذ يلبس ابسطها في حياته النسكية في الامقيط . (صحراء مصر)

الفصل السادس

* الزهد في المسكن *

وللمسكن ايضاً ثلاث درجات العليا والوسطى والسفلى . فالعليا : درجة
المتزهدي الذي لا يبني مسكناً خاصاً معيناً ، بل يسكن حيث وجد ، ان كان هيكلاً

او كوخاً ، واذا طرد من مثل هذه الاماكن بل ليعتر بذلك ، لانه تشبه بسيدته الذي قال : (للتعاب اوجرة ولطيور السماء اوكار ، واما ابن الانسان فليس له ابن يستد رأسه) والوسطى : درجة الناسك الذي يسكن صومعة من لبن او حجارة مساحتها اثنا عشر شبراً (طولاً وعرضاً وارتفاعاً) لان بيتاً اوسع من ذلك هو بيت غني لا بيت ناسك .

الفصل السابع

الزهد في الوراثة

وكذلك للآث ثلاث درجات ، عليا ووسطى وسفلى . فالعليا : درجة الاب معتبس فقد قيل عنه انه اذا كان خارج صومعته وجال في خاطره الانتقال الى ربح جديد لم يكن يعود الى صومعته ليأخذ منها شيئاً ، اذ لم يكن في صومعة غير ابرة واحدة ، كان يثقب بها سنف النخل الذي كان يجد له ، فقد كان يشتغل كل يوم بقدر حاجته فقط ، ويروي ان ناسكاً آخر كان يملك مشطاً وكوزاً للماء ، ورأى يوماً رجلاً يمشط لحيته باصابعه فطرح المشط ايضاً .

وبما ان ابناء زماننا يصب عليهم بلوغ هذه الدرجة فدرجتهم العليا هي : ان يملكوا ما كان ضرورياً من اثاث فخارية وان كانت بعضها مكسورة . والدرجة الوسطى : درجة الذين يملكون اواني غير مكسورة ، ويقدر الامكان يستعمل اثناء واحدات حاجات كثيرة . والدرجة السفلى : درجة الناسك الذين يستعملون لكل حاجة آنية خاصة تناسبها .

الفصل الثامن

الزهد في المال

لا درجات للزهد في المال طبقاً لرأي العارفين ، لان الزهد الحقيقي هو عدم وجود مال للزاهد . وفقاً لتعاليم الانجيل (اذا اردت ان تكون كاملاً فبيع كل ما لديك واعطيه للساكين ، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني)

قيل ان راهباً سأل احد الشيوخ قائلاً : اتحيز ان ادخر لي درهمين لوقت الحاجة ، عند هزال الجسد ؟ قال : نعم ، ولاحظ الراهب ان الشيخ بدا كثيراً ، فعاد اليه ثانية وقال : الا بحق الرب صرّح لي بشأن الدرهمين فقد قلت افكاري فيها ، قال الشيخ : لا حاجة بك ان تدخرهما ، فلو فقدنا صدفة فهل تعتقد ان الله سيهتم بامرّك ؟ فلتلق عليه همنا وهو يهتم بنا دائماً .

ويرتأي البعض ايضاً ، اذا كان الانسان لا يمكنه ان يعمل عملاً بدوياً ، واضطر ان يزاول التجارة يجوز له ان يملك مؤونة تكفيه سنة واحدة ، ولا يسقط بذلك من درجة الزهد .

الباب الحادي عشر

التوكل

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

★ اقوال ارباء في فضيلة التوكل على الله ★

كان احد النساك لا يعمل عملاً بدوياً مطلقاً ، وكان يصلي بدون انقطاع ، وكان يعود الى صومته مساءً فيجد خبزاً في كفه ولما زمن له بعض النساك العمل ، عاد في ذلك المساء كعادته الى صومته فلم يجد شيئاً من الخبز ، فنام على الطوى ، وظهر له الرب قائلاً : اذا كنت معتمداً عليّ موتك ، والآن وقد بشرت تشتغل فاطلب قوتك من عمل يديك .

والاب افوس يوم كان ناسكاً كان يقات من نعمة الله ، ولما رسم اسقنيا انقطع عنه ذلك فانطرح امام الرب مصلياً وقال : يا رب اسبب الاسقنية احتجبت عني النعمة ؟ فقيل له : لا ، بل يوم كنت في البادية لم يكن هناك من يقيتك فكان الله يهتم بامرّك ، والآن انت في العالم والناس سيهتمون بك .

سال احد الاباء الاب سوسايس وقال : اذا سكنت القفر وهاجمني اللصوص ليقتلوني هل اقتل منهم من يمكنني قتله ؟ قال الشيخ : لا، سلم نفسك لله وانتظر، وليعتبر الانسان كل محنة تصيبه انما هي عقاب الخطيئة ، وكل نعمة تأتيه انما هي عطف الربي .

قال الاب سيرينوس : اني قضيت حياتي كلها في العمل حصداً ونسبجاً وخياطة وفي هذه الاعمال كلها لو لم يقني الله لما شبت . وقال الاب اوغريسس ان اهتمام الجسد يوقف الاعتماد على الله . وقال مار اسحق : لا يمكن للانسان عمل شيء بقوته الخاصة ، فمن البدهي ، عند كل حكيم ، ان معونة الله والارادة القوية تقدران على تذييل كل عتبه . فذلك فقط ممكن . وقال ايضاً : ان التامك الذي يمارس اعمال التوبة ويستغرق بالزهد والفضائل على انواعها ويتكل على بره وليس على النعمة ، لا يختلف بشيء عن يجمع حجارة لغيره .

الفصل الثاني

تحرير التوكل وعناصره

التوكل تسليم الانسان قيادة اموره لتدبير الخالق ، سواء في نوال نعمة او في دفع نقمة ، وللتوكل — شأن جميع الفضائل التي تجمل النفس — ثلاثة عناصر ، نظري وعملي وشعوري .

فانظري ، هو معرفة الانسان ان لا نصير في هذه الطيعة غير الله الذي يهيمه امر البشر ، لان منه وفيه كل شيء ؛ ومن دونه لم يكن وان يكون شيء ، وبما انسه عادل فانه يدبر كل شيء ، ولكونه قهاراً قادراً على كل شيء ، فهو يشفق على كل انسان . فيه نمجا وتتحرك وتوجد ، ويحيي ويميت ، ويجرح ويضمد ، وليس من يتمرد على حكمه ومن هذه المعرفة ، يتولد التوكل على الله بقرب معوقاته وزوال المضار ، هذا الفعل العملي يولد في النفس الشعور بالراحة والاطمئنان والتجاة من القلق في امور الجسد .

الفصل الثالث

درجات التوكل

للتوكل ثلاث درجات: سفلى ووسطى وعليا ، فالسفل ان يتوكل الانسان على ربه توكل صبي على وصيه بسد جميع حاجاته . والوسطى : ان يتوكل الانسان على الله توكل الرضيع على امه ، وهو لا يعرف مواها ولا يطلب حاجة من غيرها . والدرجة العليا : ان يعتبر الانسان ذاته بهيمة امام ربه ، يذهب به حيث يشاء .

وحدد النبي داود الدرجة الثانية بقوله : لانك انت ملجأني من الرحم ، ورجائي ثديي امي ، عليك طرحت من الرحم ، منذ احشأ امي انت الهي ، فلا تعرض عني .

وحدد الدرجة الثالثة بقوله : كنت جاهلا ولم اعرف ، وكنت كالبهيمة امامك ، فدبرني بعطفك وحنانك .

والدرجة الاولى اقل قيمة من الثانية ، والثانية من الثالثة بدليل ان الطفل يحاول الاعتماد على نفسه يوماً بعد يوم ، متطلماً الى اليوم الذي فيه يتحرر من سلطة وصيه ، وليس هكذا الرضيع الذي لا يعرف الاعتماد على نفسه قط ، ولكن بعد حين ، يدرك عدم حاجته على مرضعه ، وذلك بعكس البهيمة التي تعتمد على صاحبها الى نهاية حياتها .

وبما ان التوكل البشري اما ان يكون طلباً للفائدة او حفظاً للنعمة ، او حذراً من اذى متوقع ، او دفعا لضرر حاضر ، لذلك سندرس كلا من هذه الانواع الاربعة من التوكل بفصل خاص .

الفصل الرابع

التوكل طلباً للفائدة

التوكل الحقيقي على ثلاث درجات ، طلباً واستعداداً للنعمة ، علما ووسطى

وسفلى :

فالعليا هي درجة الكاملين العارفين، الذين يتوصلون الى اسمى ذروات الكمال، فهجرون الوسط البشري الى البراري المقفرة بدون زاد، والوسطى: درجة الكاملين العارفين الذين يطوفون بين الغرباء ويتفردون في الكنائس وغيرها، ويقفون بما يقدم لهم بدون طلب، واذا لم يصيوا شيئاً لا يتدمرون. والسفلى: درجة الذين اذا احتاجوا تاجروا، وان اخفقوا في التجارة عمدوا الى الاعمال اليدوية، واذا فشلوا لجأوا الى الطلب، وما يصيونه من التجارة او العمل او الطلب يعتبرونه كأنه من يد الرب الذي يتوكلون عليه.

والدرجة العليا، ليست هينة، بحيث يبلغها كل انسان، ولما منع الرب رساله من اخذ زوادة في الطريق لم يتمتع من ذلك عند سفرهم في القفار، بل اذا جالوا في مدن اسرائيل وقراه، بدليل قوله لهم: - بعد ان نهاهم من حمل الذهب والفضة وما الى ذلك فاردف: وآية مدينة او قرية دخلتموها وفتشوا عنى كان مستحقاً وهناك اقيموا حتى تخرجوا. ولما سار في القفر مع تلاميذه وجد معهم خمس خبزات وسمكين، وكان مرة اخرى في الجبل الى جانب بحر الجليل، وكان لديهم خبزات وشيء قليل من السمك، واذا كان احد الابرار يمكنه الاقيسات بالاعشاب او اصول الشجر او الجراد، ويمكنه الانقطاع اسبوعاً كاملاً، حيث يأمل ان يقابل انساناً في كل اسبوع، فهذا يمكنه السير في القفر بدون زوادة، والا يصبح توكله عثرة له اذا اضطربت افكاره، ولا يتورع ان يجدف على المقيت الاسمى.

والرهبان الذين يسكنون الديورة، اذا دفعت لهم حصه معينة سنوياً من ريع اراضيها او حقولها فهم مجردون من التوكل (على الله) وهكذا الذين يرسلون من يجمع لهم قوتاً وكسوة. فالتوكلون الحقيقيون على الرب هم الذين يتزوون في صوامعهم ويقفون بما يصيهم بدون الطلب.

الفصل الخامس

التوكل حفظاً للنعمة العرة

درجات التوكل حفظاً للنعمة الحاضرة العدة ثلاث : عليا ووسطى وسفلى .
فالعليا : هي درجة العارفين الذين يتناولون ما يكفيهم مؤونة يوم واحد ، وما يفيض
عنهم يعطونه للمحتاجين ، اذا كانوا بقربهم ، او يحفظونه لهم الى حين حضورهم ،
والوسطى : هي درجة المتوسطين سليمي الرجاء والتوكل على الله بصورة مطلقة . فهم
يحفظون مؤونة اربعين يوماً ، والسفلى : درجة المجردين من الرجاء فيدخرون قوت
سنة كاملة .

الفصل السادس

★ التوكل حذراً منه الخطر المتوقع ★

كل خطر متوقع اما ان يكون ممكناً اما حتمياً ، والتوقع كتوقع الامراض
التي قد يتلي بها الانسان نتيجة لاسباب مختلفة مما يفوق الطبيعة كالجوع والسهر
والجهد والحركة الدائبة وما الى ذلك ، والتي يمكن الا تسبب دائماً اي خطراً ،
واما الحتمي : فهو الخطر الذي يسببه السقوط في هوة سحيقة او سطح عال ،
والتعرض لسيف بتار في الحرب او السقوط في آتون نار ، الامور التي لا يمكن ان
ينجو الانسان منها غالباً . ولا يعرف انقديسون الحذر من الخطر الممكن ، بل
يعتمدون على حفظ العناية الالهية ، وهم يمارسون هذه الاعمال آلياً ، وهم يعتقدون
ان الحذر من مثل هذه الامور ينقدهم درجة التوكل الصادق ، بعكس الاخطار
الحتمية التي يجب الحذر منها بدليل تحذير الرب بني اسرائيل بواسطة موسى بقوله :
اذا فتح رجل جباً او حفر بئراً فليغطيه . وقال ايضا : اذا شيدت بيتاً جديداً ارفع
جدراناً لسطحه اثلاً يسقط منه انسان فيهرق دم في بيتك .

وإذا اعترض معترض ان كثيرين من الابرار توكلوا على ربهم نجسوا من
الاخطار الحتمية كما نجس دانيال من الاسود ، وولاد حنانيا من النار السبعة

الاضعاف ، وقول الرب : ان الذين يؤمنون يسكون الحيات والعقارب ولا تؤذيهم
وان شربوا ممتاً ممتاً فلا يضرهم . تقول : ان كل ذلك صحيح ، ولكن تلك النعمة
خاصة وليس كل انسان يستحقها وعليه لا يجب على الضعفاء التذرع بها .

الفصل السابع

عن حمل السهم برل على التوكل

اذا سأل سائل ، كيف يتوكل على ربه من يحمل سلاحاً ، في الطريق ؟ او
يفلق بابه بالأخلاق القوية والاسناد ؟ تقول : اذا كان ذلك الانسان مؤمناً فليس
مجرداً من التوكل على الله ايضاً ، اقول الايمان هنا اذا تأكد الانسان ان عزمه
وسلحه وقوة ابوابه باضلة بدون معونة الله ، والاخلاق والاسناد ليست الا وسائل
آلية فقط ، بواسطتها يظهر عمل الخالق جل شأنه ، على حد قول النبي داود : لسنا
على قسنا متوكلين ولا على سلاحنا ليخلصنا انت خلصتنا من اعدائنا ، الملك لا
ينجو بكثرة جيشه ، ولا الجبار بشدة بأسه ، كاذب هو خلاص الفرس وبشدة
قوته لا ينقذ فارسه ، وان لم بين الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون ، وان لم
يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر حراسها ، وما الى ذلك من الآيات البينات ، الامور
التي كان الابرار يستخدمونها حذرين منتظرين معونة الله .

الفصل الثامن

شروط التوكل (على الله)

لما كان واحداً الانسان التوكل على الرب بمختلف انواع التوكل واشكاله فاننا
نتناول نوعاً واحداً للبرهان وتقول : هناك ستة شروط يجب ان يتقيد بها من يتوكل
على الله بحفظ بيته فيما اذا غادره :

- (١) : ان يفلق الباب دون ان يكتر الحذر والحيلة بطريقة تفوق المؤلف .
- (٢) : الا يترك في بيته ما يغري لثلا يكون سبباً في اجتذاب اللصوص لابتزازه

ومن فعل ذلك انما يحمل اللص على السرقة ، فهو شريكه في الجريمة . الثالث :
اذا لم يستطع ابعاد نفائسه من البيت ، فليودعها الى عناية الله وليقل في نفسه ،
اذا سرقت نفائسي هذه فربما تنجو بقية اموالي . الرابع : اذا سرقت امواله لا يحزن
اذا امكن ، وليقل في نفسه ، لو كانت هذه الاموال تخيري لسا سلبت مني ،
هناك امر الهي يشجع على هذا الفرح وهو قول الرب : اذا ملبك رداءك فترك
له القميص ايضاً . الخامس : الا يلعن السارق ، بل ليصل من اجله ، طبقاً لما نطقت
به حكمة الله (صلوا من اجل الذين يلمونكم) ومثل احد الابرار ، اماذا
لا تلعن من ملبك رداءك ؟ قل : لا اريد ان اكون رفيقاً للشيطان الذي يرغب
في اسقاطه (اللص) في فسخ الهلاك ، وان عملت انا ما يرغب فقد صرت شريكه .
السادس : ان يتألم لان اللص اغاظ الله في عمله كما قل احد الصديقين : ان
حزني على السارق يحول دون حزني على اموالي المسروقة .

الفصل التاسع

دفع الخطر الحاضر

كل سبب يدفع الخطر الحاضر اما حتمي ، كالماء بالنسبة الى الظمأ . اما ممكن ،
كالملاجات بالنسبة الى الامراض ، واهمال الاسباب الحتمية لا يدخل في حساب التوكل
كما يفعل من يمتن في الزهد اكثر من طاقته ، معرضاً ذاته لخطر الموت الاكيد
وهذا العمل ليس ممدوحاً ، على حد قول الاب قومان ، للاب اسحق : اننا لم
تعلم ان نكون قتلة للاهواء ، . واذا كان استعمال الامور الممكنة (دفعاً للخطر)
بلاضافة الى الصلاة والايان ، فذلك لا ينقص امر التوكل على الله بدليل ان الرسل
النديسين كانوا يمسخون بالزيت المرضى فيشفوهم ، كما ذكر في اعمال الرسل ،
وقال ايضاً الرسول يعقوب : اذا كان احد منكم في ضيق فليصل ، وان كان فرحاً فليرتل ،
وان كان مريضاً فليدع قسوس الكنيسة ليصلوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب ،
وصلاة الايمان تشفي المريض ، وان كان قد فعل خطيئة تغفر له .

الفصل العاشر

﴿ الاسباب التي من اجلها يهمل الابرار المعالجة (الطبية) ﴾

ان معالجة الامراض واستئصال شأقتها بالعقاقير والادوية لا تقدر بالتوكل على الله والرجاء به ، وإلا ، كيف اقدم آباء قديسون معروفون وملافة ثقاة اثبات على المعالجة الطبية بالعقاقير ؟ فقد ورد عن القديس غريغوريوس الثاولوغوس (اللاهوتي) متحدثاً اخاه الاسقف قيساريوس بكونه برع في علوم الطب ومهر في معرفة اسرار المواد الطبية واسباب الامراض بطريقة فائقة جداً ، حتى اصبح مقداماً ورئيساً للبيئة الطبية في زمانه ، هذه امور واقعية ومعروفة ، غير اننا نجد كثيرين من المؤمنين يهملون معالجة الامراض بالادوية والعقاقير ، ليس لان المعالجة الطبية تقدر في عقيدة الرجاء والتوكل على الله ، بل لاسباب اخرى نذكر منها ستة اسباب هي :

(١) : كون الطب والمعالجة لا ينقذان من الموت لانه لا يموت انسان إلا بإرادة الله ، ولا يأخذ الله نفساً إلا لغاية لا تخطر على بال بشر ، كما برهنت تعزية الحكيمه القوقعية لداود النبي في قتل حنون الذي قتله ابنه ايشالوم ، وربما تحمد المعالجة الطبية من عنف الآلام الجسدية الناتجة عن الامراض ، إلا ان الذين لا يكثرثون براحة الجسد ولا يحاولون الحد من آلامه لا يلجأون الى المعالجة الطبية .

(٢) : كون معالجة امراض النفس بالتوبة تحول دون قيام بعض الابرار من الاهتمام بمعالجة الجسد معالجة ضيقة ، ولذلك نجد احد الابرار سأله تلميذه وهو مريض مسمم يشكو ؟ قال : من آلام خطايي ، قال التلميذ ، ماذا يطيب لك ؟ قال : غفران خطايي .

(٣) : كون قائدة الادوية غالباً وقتية او وهمية ، لذلك لا يعتمد عليها الابرار .

(٤) : كون البار يرجو اجراً صالحاً وزيادة بر بتحملة آلام مرض ضوئيل الامد . ولذلك لا يرغب زواله ، وهو يعتقد ان ضيقاً وقتياً وألماً طفيفاً في هذا العام يجب مجداً عظيماً لا متناهياً خالداً .

(٥) : عقيدة البعض ، بان المعاصي والذنوب يمكن محوها بتحمل آلام جسدية وقتية في هذا العالم ، وعلى هذا الاساس يُظن ان القديس بولس - الذي كان يوماً المضطهد لكنيسة الله - كان يفرح ويفخر بامراضه الويلة .

(٦) : اذا عرف الرجل البار سوء افعاله في حالة الصحة يفرح في حالة المرض ولا يرغب ان يشفى ، لانه متأكد ان في حالة المرض يقهر اهواءه ، الامر الذي ليس متأكداً منه في حالة الصحة ، ويعلم مهندس البيعة (القديس بولس) عنف قوة الجسد بقوله : اني ارى ناموساً جديداً في اعضائي يحارب ناموس ضميري ، ولذلك افعل الشر الذي لا ارجب فيه ، لا الخير الذي اتوق اليه . وعليه اقول : لو حاول الانسان فعل الشر في مرضه لما امكنه ذلك .

الباب الثاني عشر

الحجة الاغوية

وفي سبعة عشر فصلاً

الفصل الاول

★ اقوال الاباء في الحجة الاغوية ★

انتقل يوماً الاب مطوايس مع اخيه يوساب من منطقة الى منطقة جديدة ، والتزم اسقف تلك المنطقة الشيخ مطوايس فرسمه قيساً ، ولما كانوا على مائدة الطعام قال الاسقف : سامحي ، يا ابت ، اني اعرف عدم رغبتك في هذا الامر ، ولكنني قمت بهذا العمل لآبارك منك . قال الشيخ ، بوداعة وتواضع : اني متأم لهذا لانه سيجبرني على ترك اخي يوساب . قال الاسقف : اذا كنت تعرف انه مستحق ارسمه ايضاً . قال الشيخ : لمت اعلم فيما اذا كان يستحق ام لا ، اني اعرف شيئاً واحداً فقط ، وهو انه افضل مني . فرسمه ايضاً ، وعاش الاخوان سوية طيبة مدة حياتهم .

قال الاب نيكيتا في اخوين آخرين : انهما اتفقا على ان يفعل كل منها ما يرضي الآخر ، فحسدهما الشيطان ووقف امام الباب ، وتراعى لاحدهما بشكل حماسة وتراعى للثاني بشكل يمامة ، فتجادلا في ما يبصران ، وتناقشا وتخاصما ، ثم افرقا ، وبعد ثلاثة ايام ، عرفا ان ذلك كان تجربة من الشيطان ، فعادا واتفقا وعاشا بقية حياتهما معاً .

زار احد الاخوة راهباً ، ولما ودعه قال : سامحني ايها الاب فقد عطلت عليك قانونك ، قال الشيخ قانوني هو ان اربحك ، واوفر لك الهدوء .

قال الاب باسيليوس : بما اننا امرنا ان نحب قريبنا مثل نفوسنا ، فلنحاول ان نعرف هل ان الله يسمفنا على ذلك ؟ من ذا لا يعلم ان الانسان ليس مارداً او متوحشاً ، ولا يمكنه ان يعيش لذاته ، ولكنه اجتماعي يألف ابناء نوعه ، فلا يوجد غريزة راسخة في كياننا البشري رسوخ غريزة المشاركة لابناء مجدتنا . بالفضائل او غيرها ، ونحن بحاجة ان نحب بعضنا بعضاً . فان بذار المحبة هذه ، منحنا اياه ربنا وسيطلب منا ثمارة ، وقد جعل رابطاً قوياً للمحبة بعضنا لبعض مع محبته ، (بهذا يعلم العالم انكم تلاميذي اذا احب بعضكم بعضاً)

قال الاب اوغريس : لا يمكن ان نحب جميع الاخوة بدرجة واحدة ، ولكن يمكننا ان تقابل الجميع بقلوب متحررة من البغضاء والحقد واقول : حتى ان الرب كان يحب اصغر تلاميذه اكثر من الباقين .

الفصل الثاني

* اقسام المحبة واسبابها *

كل محبة اما ان تكون طبيعية ، كمحبة الاء والابناء والاخوة والاقارب ، او شرعية كمحبة الرجل لزوجته ، او قسرية كمحبة السادة والمبيد ، او عرضية ، كمحبة الجيران والمراقين في الطريق وابناء الصنف الواحد ، او ارادية ، كمحبة الاصدقاء ؛ وهنا ندرس النوع الخامس من المحبة ، تقول : ان من يحب ، اما يجب

من اجل ذاته كشخص معين وليس لسبب آخر ، ويحدث هذا الحب لمتعة روحية يشعر بها المحب في رؤية محبوبه ، وسبب هذا الشعور ، ليس جمالاً باطنياً او ظاهراً بل تجانس خفي سري يشترك فيه شخصان ، لعلاقة روحية مشتركة بدليل ان كثيرين يحبون شخصاً ، حتى الموت دون وجود جمال ظاهر او باطن جذاب كرجاحة العقل واستقامة الرأي ودمائة الاخلاق الى ما هنالك من الصفات الفاضلة .

روي ان الاب جالينوس ابا الطب ، مدحه شخص جن لشربه بعض العقاقير التي تثير المرة السوداء وتسبب الجنون ، قال ابو الطب : لو لم يجد في بعض ما فيه من الميول لما احبني . وقال احد الشعراء : ان نفساً تكره نفساً اخرى بدون ذنب ائته ، وتحب نفساً اخرى بدون صنيع جتته ، ان العقل السليم يؤيد هذا الرأي وان تخفي عن معظم الناس .

(٢) : يجب بعض الناس في سبيل فائدة مادية ، وهذه الفائدة اذا كانت بقصد اسعاف الانسان في عمل روحي وليس في سبيل متعة زمنية او اية غاية مبتدلة تكون حبة ممدوحة حقاً ، وصادقة ، وإلا تكون كاذبة سببها الهوى .

(٣) : المحبوب الذي يجب في سبيل فائدة نفسية ، كالمعلم الذي يحبه تلميذه ، لانه يرشده ويرشده الى معارف نظرية وعملية .

الفصل الثالث

الخواص التي يجب ان يتعلق فيها منه يجب

هناك خمس خواص تفرض حبة الاخوة ، وكل أخ لا توجد فيه هذه الخواص الخمس مجتمعة لا يستحق الحبة ، وهي :

(١) : ان يكون عاقلاً مهذباً ، لان الحكماء يفضلون العدو العاقل على الصديق الجاهل .

(٢) : ان يكون عفاً شريفاً لان المعاشرة السيئة تفسد الضائر السليمة على

حد تعبير الرسول .

(٣) : الا يكون ضالاً متفلسفاً على حد قول الرسول : ابتعد عن الرجل

الضال ، بعد نصحه مرة او مرتين ، واعلم ان من كان كذلك هو ملتوا اقلك عدو لنفسه .

(٤) : الا يكون طماعاً ، مغرماً بجميع الغنى الزائل ، لأن صديق الاغنياء يجتهد ان يصبح نظيرهم ، ولذلك سيصبح باب الملكوت اضيق من ثقب الابرّة امامه لأن الطبعين سيتأزجان وتتحد اخلال اتحاداً تاماً .

(٥) : ان يكون لطيفاً غير عنيف ، يروي ان أخواً جاء الى البرية (الاسقيط) وكان مشتاقاً جداً ان يرى الاب ارسانيوس حتى انه لم يذق شيئاً قبل ان اخذه احد الاخوة اليه ، لان صومته كانت بعيدة ، ولما دخل سلم عليه فصليا وجلسا صامتين ، وقال الراهب الذي صحبه : الآن اعود صلياً من اجلي . ولما رأى الأخ الغريب انه لم ينل حظوة لدى الشيخ ، خرج هو ايضاً منع ذلك الأخ ، وطلب اليه ان يأخذه الى الاب موسى الذي كان سابقاً من عصابة لصوص ، ولما وصلا اليه ، استقبلها الشيخ بابتسام ، وبعد ان لاطفها صرفها . فسأل الراهب ذلك الغريب ، أيا منها احببت ، ارسانيوس ام المصري ؟ قال : اني احببت المصري الذي صرف ساعة كاملة في ملاطفتي .

الفصل الرابع

❦ واجبات اوصدقاء بعضهم نحو بعض ❦

يجب على الاصدقاء اشراك اصدقائهم بما لديهم من خير ، ولهذه المشاركة اربع درجات ، سفلى ووسطى وعليا ، وممتازة .

فالسفلى ، هي ان يعتبر الصديق صديقه كأحد اتباعه ، فيعطيه ما يفيض عن حاجته . والوسطى ، ان يعتبر الصديق صديقه كمنفسه ، كما فعل الاب سوسايس ، لما وجد فضلات الجمل انتقط منها بعض حبات الشعير فأكل الواحدة ، وحفظ الثانية ولما جاء اخوه قال له : اهذه لي الخبة ان أكلت وحدثك فلم تدعني ؟ قال له : لم اغدر بك يا أخي ، فقد حفظت حصتك في يدي . وكان الرسل القديسون في

باديء امرهم يعتبرون كل شيء لهم مشتركاً بينهم ، وكانوا حينئذٍ في الدرجة الوسطى من المحبة .

والعليا ، هي ان يقدم الصديق فائدة صديقه على فائدته الخاصة ، كما فعل الأخ الذي سمع احد اخوته يقول له ، ماذا افعل فقد قرب الموسم وليس لدي قبضات لزنائيلي ؟ ذهب حالاً فحل قبضات زنائيله وقدمها لاخيه ، وقال : ان هذه هي زائدة عندي ، خذها وضعها لزنائيلك . وهكذا ترك عمه وشجع عمل أخيه .

والدرجة الممتازة ، هي ان يلقي الصديق نفسه في محنة من اجل صديقه ، كما فعل الفادي الالهي حيث قال : ما من حب اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه لاجل اصدقائه .

الفصل الخامس

❦ واهيات الرصفاء في المساعدة ❦

ليس واجب الصديق ان يساعد صديقه بانك فحسب ، بل في كل ما تدعو الحاجة اليه ، والقيام بهذا الواجب ثلاث درجات سفلى ووسطى وعليا .

فالدرجة السفلى هي ان يبي الصديق طلب صديقه بعد الطلب الملح ، كما مثل الرب فيقوم ويعطيه ، ان لم يكن من اجل الصداقة فمن اجل اللجاجة .

والوسطى ، ان يلي الصديق طلب صديقه بعد الطلب ، ولكن ذلك الطلب ليس ملحاً او ملزماً .

والعليا ، ان يسد حاجته مسروراً ومفتبطاً قبل الطلب .

الفصل السادس

— واهيات الرصفاء في كثر اسرار اصدقائهم —

ان واجب الكثر المؤيد للصداقة هو احجام الانسان عن ذكر مساويء صديقه وتفتائه ، وان يتظاهر بعدم معرفتها ، ولا يقاضه اذا تكلم ، واذا صادفه في الطريق

لا يسأله الى اين هو ذاهب لئلا يحمله على الكذب تحفظاً ، ولا يفضح اسراره ؛ ولا يحقر اصدقاءه . ، ولا يهجو اقاربه ، ولا يبلغه ما يفترى الناس عليه ، لانه قيل : ان من ينقل اليك الشتائم فانه يشتمك ، وليبلغه فقط ثناء اصدقائه ، لان اخفاء الثناء نتيجة للحسد ، ولا يدقق في نقائصه لان العلماء يسمون مثل هذا ذبابة يطلب قروحاً مجثماً له ، واذا وجد فيه تقيصة ما قليم ان كل انسان ناقص .

الفصل السابع

واجبات الصديق في الكلام

الواجبات في الكلام هي ، ان يطلب الصديق دائماً خبر خير عن صديقه ، فيسأله عنه ، ويذوره عند المرض ، ويشاركه في آلامه ، ويفرح لافراحه ، ويتحدث بكل ما يعرف ويشعر من فضائله ، ويمتدح شمائله ويطنرها ، او اذا كان بعيداً عن حكمته واطباعه واخلاقه ، وكتبته وتدييجه الرسائل الامور التي تعزز الصداقة وتؤيدها ، ويذكره بكل خير ويقاوم مقاوميه ويدافع عنه ، لانه اذا سمع مذمة صديقه وسكت فانه بذلك يهدم الصداقة ويدمرها ، وخلاصة القول ، اذا كان الصديق بعيداً عنه ليمتبره واقماً وراء الباب يتسمع ما يقال فيه ، واذا اثر صديقه فخالف الشريعة فلينصحه بحجة ولا يسمعه كلاماً لاذعاً ، ويؤنجه سرّاً ، وليجعل من قلبه لصديقه متاراً .

الفصل الثامن

واجبات الاصدقاء في المساحة *

تعلمنا الحكمة الالهية قائلة : اذا غفرت للناس زلاتهم قابوكم السموي يفر زلاتكم . وروى الاب فومان عن الاب ايسيدور - تيسيس الصوامع - انه كلما كان يخاطب الاخوة في الصوامع وفي الكنيسة كان فقط يردد هذه الجملة : يا اخوتي ، انه مكتوب : سامع اخاك لكي تستحق انت ايضاً المساحة . ويقول بعض المفسرين

ان الرب لما سأله بطرس : اذا اخطأ اليّ اخي الى كم مرة اغفر له ، هل الى سبع مرات ؟ قال له يسوع : لا اقول لك سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات (قالوا : ان الرب قال ذلك لكي تجد عذراً لاخيك اذا اخطأ اليك اربعمئة وتسعين نوعاً من الخطأ فتعتبره معذوراً .

الفصل التاسع

★ واجبات الاصدقاء في الصلوة ★

كل صديق مدين لصديقه بالصلوة ، وقيل ان ابراهيم تفيذ الاب سوسايس جربه الشيطان مرة فلما رآه الشيخ قد سقط ، بسط يديه الى السماء وصلى قائلاً : يا رب لن اتركك حتى تشفيه ، فشفى حالاً .

والصلوة لا تفيذ الصديق وهو حي فقط ، بل بعد موته ايضاً ، لان النفوس الطاهرة تشعر بهجة روحية اثناء الصلاة ، وان كانت غير ظاهرة تشعر ذاتها مشتاقة الى الخلاص كما يشعر الفريق اذا ذهب اصدقاؤه الى اذناذه .

الفصل العاشر

✽ واجبات الصديق في صرف المحبة ✽

الصداقة الصادقة هي التي لا تتغير حتى النسمة الاخيرة ، وحتى بعد الموت ، يجب على الصديق الا يتكبر على اخوة صديقه او اقاربه ، او اصدقائه او تلاميذه ، واذا ايسر هو لا يجب ان يحتقره ، واذا ارتفعت به المنزلة لا يجب ان يزدريه ، قال الحكيم : اذا رفس او ايسر اخوك ، فاذا خصك بنصف المحبة الاولى فاعتبرها كثيرة . وقال احد الشعراء : الصديق الصدوق الذي بلغ السرايا كيف ينسى من صادقه في الضراء ؟

الفصل الحادي عشر

واهبات الصديق في عمل الودعاء

من الاسس السليمة التي يقوم عليها صرح الصداقة بثبات ، هي الا يحتمل الصديق صديقه اي عبء ، ولا يريد ان يتذلل له ، او يقضي حاجاته بل ليكن هدفه الاساسي الصداقة ذاتها . قال احد الابهاء : واجب الاصدقاء هو اذا تناول احدكم الطعام طول الزمان الا يقول له صديقه صم ، واذا نام الليل كله الا يقول له ، انهض ، واذا صلى الليل كله الا يقول له نم .

الفصل الثاني عشر

★ الفرق بين المحبة والصدقة ★

ان الصداقة اعمق من المحبة بدليل ان المعرفة العابرة اذا صدفت بين شخصين تعارفا ثم تلاطفا فتحول الى رقة ، والرقة اذا طالت تتحول الى محبة ، والمحبة اذا قويت او اصرها تتحول الى صداقة ثانية راسخة ، على حد قول الشيخ يوحنا ابي الدوالي : المحبة تؤدي الى الصداقة كالصبي الصغير الذي يترعع فيصبح رجلا كاملا ، ان سمعان بن يونا سأل الرب يوما : اتجني ؟ وبعد ان صرح انه يجب رفعه الى منزله وسلمه قطيعه ، فانت ترى كيف صار الذي احب صديقا ، وقال ايضا : الذي كان يسوع يحبه ولم يقل الذي كان يوده . وقال في مريم ومرةا واعازر : ان يسوع كان يودهم .

الفصل الثالث عشر

واهبات المؤمني بعضهم نحو بعض

كل مؤمن يصادف مؤمنا رفيقه واجبه ان يبادله التحية ، قبل اية كلمة ، ويذهب معه اذا دعاه واذا استشاره فليعط الشورة الصالحة ، ولا يفين اكثر من ثلاثة ايام عن عيني المؤمن رفيقه ، وليحسن اليه جهده ، ولا يدخل اليه دون موافقته . وان يبر له بجميع وعوده . وينظر اليه نظرة اكبر واجلال اكثر من

نفسه ، وايخف تقائمه ويصالحه مع خصومه ، وليشفع به لدى من تقبل شفاعته فيه ، ويعزيه في كربيه ويختار له الاصدقاء من المهديين ذوي الاخلاق السليمة ، وليزر صديقه اثناء مرضه ، وبعد ان يطمئن عنه يصلي من اجله ، ثم يدعه ويخرج دون ان يطيل الجلوس ، فاذا رقد ذلك الصديق يشيعه الى مشواه الاخير ويزور بيته في اوقات معينة .

الفصل الرابع عشر

* واجبات الحجرة *

يجب على كل جار ان يحيي جاره ، ولا يطيل معه الكلام ويشاركة في احزانه ويصفح عنه وعن اهل بيته (فيما اذا بدا منهم ما يزعجه) ولا يفضح تقائصهم فيما اذا وجدت ، ولا يألو جهداً في حراسة منزله عند غيابه ، ولا يتلصص لسامع حديثه وحديث اهل بيته ، ولا يراقبه من شقوق الباب . وهذه الواجبات وما اليها تكثر او تقل طبقاً لمنزلة الجار ، لان الواجبات نحو الجار المؤمن او ذي صلة الرحم يجب ان تكون ضعف الواجبات نحو الجار المؤمن الذي لا يمت اليه بصلة القرى والواجبات نحو هذا يجب ان تكون ضعف الواجبات نحو الجار الغريب او غير المؤمن .

الفصل الخامس عشر

= واجبات القرابة =

من المعروف ان الانجيل المقدس يؤكد اكرام الاب والام ، الامر الذي يتقبله الله اكثر من الذبائح والقرابين والمحروقات الكاملة والمشور ، وقد وبتخ الرب - تجدد اسمه - الكتبة والفريسيين المرائين بقوله : ان الله امر باكرام الاب والام ، ومن يقول شراً في الاب او الام يموت موتاً ، وانتم تقولون : كل من يقول في الاب والام هو قربان مني تقبله ، ولا تكرمون الاب والام فابطلتم كلمة الله من اجل تقليدكم . ولا ينبغي ان نكرم الاب والام فقط بل جميع ابناء قومتنا ، وارسول بولس يؤيد ذلك بقوله : ان من لا يهتم بامر اقرابه ، وخاصة اهل بيت الايمان ، فانه يجهد الايمان ، وهو شر من غير المؤمنين .

الفصل السادس عشر

﴿ حقوق العبيد والامراء ﴾

يجب على السادة ان يشركوا عبيدهم بطعامهم وكسائهم ، والا يفرضوا اعمالاً تفوق طاقتهم . وليكن امر فرعون السيد العاتي نصب عيونهم ومعه المصريين القساة ، الذين نالوا العقاب الصارم جزاء الظلم والاشغال الشاقة التي فرضوها على بني اسرائيل ، ففرقوا في البحر الاحمر . ولا يحتقروهم ولا يزدروهم بل يخضعوا للحق الالهي القائل : انظروا لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار اقول لكم ان ملائكتهم في السماء ينظرون وجه ابي الذي في السماء ، وخاصة اذا كان العبد مؤمناً ، اي انساناً جديداً يتجدد بحسب تجدد خالقه الذي لا فرق لديه بين الذكر والانثى في سبيل خلاص النفس ، لا يوجد يهودي او وثني ، ولا ختانة ولا غيرة ، لا يوناني ولا بربري ، لا عبد ولا حر ، بل المسيح الكل في الكل ، في اكمال الايمان والمحبة . واذا غضبوا عليهم لا يفضيوا الغضب المطلق ، بل يتأنون عليهم كما يتأني الرب على السادة انفسهم .

الفصل السابع عشر

★ الصفات الحميدة التي يجب ان ينصف بها المؤمنون ★

كل من يهمه ان يحبه الناس ، يجب ان يجعل نفسه بصفات الابرار والصالحين ، ولا يترك عمل الخير طمعاً في ارضاء الاشرار ، الذين اذا تواضع الانسان احتقروه ، وان كان ايأ قاروموه ، وان كان هادئاً وديعماً ابتلعوه ، واذا سار البشر رموه بالزندقة ، لان الخير بذاته نعمة لا يقدره الاشرار ، فاذا رغبت اليها الاخ ، ان تكون اخا ادب محبواً ، تمسك بما علمه القديس افرام الملقان : (مشية رزينة ، صوت هاديء ، حديث عذب ، تعليم سليم ، مظهر عف . نظرات طاهرة ، ابتسامه وادعة ، هندام بسيط ، سيرة متواضعة ، محبة كاملة ، قراءة الكتب ، ترتيب الزامير ، فهم وعرفان ، محبة الغرباء ، نقاء الافكار ، تحمل الجوع لاهداف مقدسة ، تناول

الطعام ببساطة تشبهاً بربك الذي فرك السنبُل ، تحمل المشاق ، الجهاد الحسن بصبر
وسرور ، والصلاة من أجل هداية الخصوم) واني اضم صوتي الى صوت الملقان القائل :
لتكن جلستك هادئة ، وكلامك مهذباً ، انصت الى حديث الحكمة ، ولا تبهرك كلمة
لم تسمعها ، ولا تستعد كلاماً سمعته ، ولا تنطق باحاديث هزاية ، ولا تقل الى التبرح
كالنساء ، ولا تلق نظرات طويلة على جسمك او ثيابك ، ولا تشبك اصابعك ، ولا
تلهُ بشعر لحيتك (اذا كنت ملتجياً) وبتنظيف اسنانك ، وحتى اذا كنت جائعاً لا
تكثر من الثأوب ، ولا تبصق بطريقة يشماز منها ، لا تحرك يديك عند الكلام ،
واذا غضبت لا تتكلم حتى تهدأ سورة غضبك ، ولا تحب اموالك اكثر من محبتك
لنفسك ، وفي المجالس اختر موضعاً مناسباً ، ولا تخط فوق ما يتناسب مع منزلتك ،
ولا تعاشر السلطان ، وان عاشرتة فلا تقب احداً بحضرته ، واكتم امراره ، واذا
تكلم اصمت وانصت ، وان لم يأمرك لا تنطق ، وخلاصة القول : احذر الملك وتمقل
لثلاث تشقك نظراته كالسيف .

الباب الثالث عشر

★ ذكر الله والتأمل بمخلوقاته المعينة ★

وفيها تسعة فصول

الفصل الاول

★ اقوال الارباء في فضيلة ذكر الله تعالى ★

قال الاب فومان : اخضد شوكة هواك بذكر الله تجد راحة . وقال احد
الشيوخ : اذا تمثلت ، كيف يجب ان يجلس الناسك ؟ فقال : يجب ان يجلس وحيداً
ليكون فكره مع الله .

وقال شيخ آخر : ان التأمل بالله حي معه ، فقد قال (تعالى) اني اسكن فيهم
واسير معهم ، ويكونون لي شعباً واكون لهم الها .

وقال الاب اوغريس : اذا خطرت للانسان فكرة ، كيف خلقه الله واوجده فليعتلى عزاء ، وليصمت خاشعاً ، وليسبح بحمد الله ، متبياً قائلاً : اللهم ، الحمد لنعماك ، فقد اوجدتني من العدم ، واعطيتني وجوداً خالداً ، ومنحتني حياة وشعوراً وعقلاً وحرية وسيادة . وقال ايضاً : ان ذروة الكمال هي الا يتقطع اتصال افكارك بالله ، وان اتقطع فاربطه . وقال ايضاً : كما تغلب الحياة الموت والنور الظلام ، هكذا يغلب ذكر الله الضلال .

وقال يوحنا ابو الدوالي ؟ : ان ذكر الله يستأصل الاهواء من قرارة القلب ، اكثر من جميع الفضائل ، ولا يوجد اعظم منه قوة ، غير ان الراحة الناتجة عنه يقصر اللسان عن وصفها . وقال ايضاً : ان الخشوع بذكر الله يفوق جميع الفضائل فكلها تنو اليه (الفضائل) .

وقال مار اسحق : من تذوقت نفسه عدوية العزاء بالله يشغف فكره بحبه ، ويرف قلبه بذكره ابدأ ، ويشهر كأنه في ملكوت السماء .

الفصل الثاني

« ينثر ذكر الله في النفس بتأمل مخلوقاته »

ان كل ما كان وما سيكون انما هو بشير لحكمة الله ، على حد قول القديس اوغريس : ليس فقط السماء بل كل ذرة في هذا الكون تتحدث بتجدد الله ، ومن هنا كل ما توغل الانسان تأملاً بأعمال الباري العجيبة كلما اشتد في ذكره وتسامى في ضميره ، واضطربت نفسه بلبيب حبه ، فالتأمل بجميع الكائنات المخلوقة يظهر للعقل القوة الالهية تحيط بكل شيء ، متغلغلة في كل دقائق البرايا ، مائتاً جميع الآفاق ، متسامياً فوق السموات ، مطالاً على جميع البحار والغرر وما فيها ، فيتسامى العقل من نور الى نور ، اكثر سطوعاً وتوهجاً ، وفي لآلئ النور الالهي ، يرى العقل كل نفس شعاً فيها ذيك الائق ، يرى الثلاثكة بروحانيتهم كما ترى هذي انيون هاتيك الجسوم . ان النور الطبيعي يكشف الكائنات الحسية ، واذا النفس خبرت هذه الكائنات وتروضت فان الروح يظهر حب ذاته ساكناً فيها كل سر عجيب ، محتجباً ايها

للتغلغل في سحابة عظمتها انخارقة ، فتشرق بأشراق لألائه الباهر ، وتلتعج بألق نوره
الوضاء وتستير آفاق سمائها بسطوعه المتألق ، وتتألق قراوتها بشماعة الهفاف .
الى هذا التسامي يجتذب التأمل في مخلوقات الله ، وهذه هي الثمر اليانعة التي
تقطف من الهديد بأعماله العجيبة ، وبما ان اعماله كثيرة ومدهشة ، فان معجزاته
تفوق الحصر ، فلنأخذ في فكرنا جزءاً من الكل ، كنقطة من بحر ، ولحظة من
دهر ، مما ابدع الله في الايام الستة ، واننا نفرس شجرة عجيبة قضبانها ،
مدهشة اغصانها للذين يعقلون .

الفصل الثالث

﴿ مدركات اليوم الاول ﴾

في اليوم الاول خلقت سماء السموات والنور والنار ، والعناصر الثلاثة الباقية
وهذه السماء التي تتجلى للعين . كاتخيمة انها لرحبة واسعة ، حتى ان هذه الارض
بجبالها ووهادها ، واقليمها ومدنها ، بحارها وجزرها ، ليست إلا ذرة صغيرة
بالنسبة اليها ، ويمكننا ان نجد العجب العجيب في النور الذي ليس إلا قبساً من
الشمس ، فقد وجد قل وجودها .

تأمل الماء ، تره في باصرتك مستويًا ، بين بالحقيقة هو كروي ، ويمكنك
التأكد من كرويته بديل وجودك في سفينة ، ترى ذرى الجبال قبل سفوحها .

تأمل الهواء ، فلكونه شفافاً يظن كأنه غير موجود ، ولو انقطع خضة واحدة
عن الكائنات المتنفسه ، لمات ، وتأمل الكائنات العجيبة المتكونة فيه ، البخار
الذي يتلبد في البرد ، فيصبح غيومًا ، والغيوم ، اذا دفتها الرياح تهطل امطاراً
واحياً تلقي الثلج مثل الصوف النقي ، ويستحيل جليداً مثل الرقائق . ومن ذراته
الصغيرة اللطيفة تتكون انبازك ، وإذا البخار برد ، في الهواء ، يثير الرياح العاصفة
بهوطة الرهيف ، فتهب الرياح . وأشعة الشمس اذا انسكبت على ذرات الهواء
التيانية ضياء او تجمهاً ، يحدث قوس قزح ، والانبخرة التصاعدة اذا فنتت الغيوم

التي تحصرها ثم تصادمت رياحها تقاصف الرعد ، ومن جزءه ذلك اذا تطاحت الرياح تلامعت البروق ، ومثل الرعد في الهواء مثل الابخرة اللاهبة تزلزل الارض ، فاذا انفجرت تحدث جلجلة هائلة مرعبة ، قد تكون احيانا كخوار الثيران ، والمياه المحتبة في اغوار الارض تتفجر سائلا اسود ممزوجا بالرماد ، فسبح بحمد الله فقط بخلفة النار التي تحرق كل مركب وتذيبه ، غير انها تخمد امام ميوعة الماء وضيقه ، فتنتفي.

الفصل الرابع

معرفة اليوم الثاني

خلق في هذا اليوم جلد النيران الشفاف ، وفصل بين المياه العليا والسفلى ، وقد تمرت معرفة كهذه على جميع العقول ، تعددت الاراء في ذلك فقد اعتقده العلماء عنصراً خامساً ، وحدده القديس باسيليوس بكونه كياناً ثابتاً لا تدركه العتول او الحواس ، ويسميه غريغوريوس النوسي حداً فاصلاً بين الكائنات الجسمية الروحية ، ويرتأي مار افرام ، انه مكون من ماء جامد شفاف متجبن ، ويعتقده يعقوب الرهاوي ، تارة حزاماً فارغاً ، وطوراً ماء تلبد بقدره الخالق ، وقال النبي اشعيا : الذي كون السماء كالمدخان ، . ومار ياونيس ينهى عن البحث فيه يقول : لا يبحث احد ما هو الجلد او الرقيق ، وهذا هو الافضل ، فليودع الامر الى معرفة الله وليتبر فقط محدثاً بمجد الله ، مخبراً باعمال يديه .

يرتأي القديسان اثنا-سيوس وغريغوريوس النوسي ، ان (الماء الذي فوق السماء) هم للملائكة ، الا ان القديس باسيليوس يقول : ان الماء ذرفه ماء فقط ، ولا نصفه في صف الكائنات الماقلة لكونه يسبح بحمد الله عند النبي داود ، فقد ذكر ان (السماء تخبر بمجد الله) وهي غير عاقلة ، واما انا فاعتقد اذا كان ذلك ماء فانه شبيء مادي ، وليس روحياً ، وبشبه زلال البيضة الذي يحيط بمحاحها ، وهكذا هذا الماء الذي تحت السماء وخلق في اليوم الاول ، وما فوق الرقيق ، خلق في اليوم الثاني ، اما لماذا خلقت هذه المياه محصورة من كل جانب فخالفها فقط يعرف ذلك .

الفصل الثالث

مدفقات اليوم الثالث

في هذا اليوم اذ تجمعت المياه الى منطقة واحدة ، دعي ذلك بحراً ، ويحيط بالارض مثل الخزام ، وتسربت منه بحار جزئية الى بعض المناطق ، على وجه الارض وما اعجب حكمة الخالق التي جعلت هذه المياه مالحة ، ولو لم تكن كذلك لأصبحت وافسدت الهواء ، واهلكت من يستنشقه ، ويبدأ البحر الكبير من المغرب حيث الجزر السعيدة ويمتد الى جبال الفضة التي ينبع منها النيل ، ويستمر امتداده الى الجنوب الغربي ، فيدور وراء بلاد الكوشيين ، وسبا ، الى الجنوب ، وعند امتداده الى الجنوب الشرقي ، يحيط بالهند ثم بالصين ، ثم يمتد الى جنوبي غربي بلاد جوج وماجوج ، ثم يمتد الى الشال فيحاذي بلاد السكوتين (الروس) والى الشال الغربي يحاذي ارض الفرنجة والاسبان ، ويمتد لكي ينتهي حيث ابتداء ، عند الجزر السعيدة حيث توجد هناك ترعة تقابل انصاب هرقل .

اما البحر المسمى بحر ادرياتوس (الادرياتيك) فانه يدخل البر مثل اللسان ويمتد الى حيث يجعل سوريا من جهته الشرقية ، وفي جهته الاخرين يزنطيا وروما وفي جنوبي افريقيا ، وفي هذا اللسان عشرين جزر شهيرة ، خمس منها كبيرة واصغرها قبرص ، وخمس صغيرة ، وهناك مثنان واثنان وخمسون جزيرة اخرى ، وهي وان كانت غير معروفة إلا أنها خالية من السكان .

وهناك بحار اخرى غير ما ذكرنا ، كبحر البنطس ، وهورقانيا في الغرب ، وبحر سوف في الجنوب ، وبحر عيلام حيث تلتقي المياه الاوربية ، وهذه عند مدها تسير فيها السفن ، وعند جزرها تعود السفن الى مواقعها .

ونشاهد في الانهار ايضاً اموراً عجيبة ، فهناك نهر باطوس في اسبانيا الداخلية يصب مياهه في البحر ست ساعات فقط في اليوم الواحد ، وفي الساعات الست الاخرى يجف ماؤه ، وفيها ايضاً يوجد نهر تفيض مياهه وتجف ست سنوات

متوالية ، وفي السنة السابعة ، تفيض فيه مياه غزيرة ، وفي اسبانيا ايضاً نهر تجف مياهه ستة ايام وفي اليوم السابع تجري ، وفيها ايضاً نهر يجري فيه رمل جاف بعنف وغزارة ، لا يمكن عبوره بالسفينة ولا بالقدم ، ويتوقف عن الجريان في يوم السبت حتى غروب الشمس .

وبما ان المياه انحدرت عن وجه الارض في اليوم الثالث ، انبتت الارض خضرة وعشبا وشجراً مثراً وغير مثمر ، وعنها تكلم بايجاز ، ففيها ايضاً امسور عجيبة من مدهشات بارها .

تأمل بما تبتته الارض ، فقد جعل الخالق بعضها خميرة كالعنب ، والرمان ، والتوت ، ومنها مرة كالافستين ، ومنها عسلية كالتين والتمر ، ومنها دهنية كالجوز والزيتون والسنوبر (الارز) ومنها حادة كالخردل والصمغ ، وبعضها محفوظ في اشراق كالخض ، وبعضها في قشرة حلوية كالحنطة ، وبعضها لحمية كالتمر ، وبعضها في اغلفة كالبلوط ، وبعضها في قشور صلبة كالجوز واللوز ، وبعض النباتات وحيدة القشرة كالتين وبعضها متعددها كالبصل .

والاشجار ايضاً كالكائنات الحيوانية ذكور واناث ، ففي قلب اثني التمر او لم ينثر فيه زهر الذكر لسقطت اثماره وهي عجباء ، وهكذا التين . وانتقال اللقاح بين ذكور الاشجار واناثها يكون غالباً بواسطة الرياح ، اذ تنقل الريح القوة من الذكر الى الاثني .

اما العجائب المدهشة والاضاع الغريبة التي وضعها الله في كيان النبات فمن يمكنه الاحاطة بها ، وما اكتشفه الاطباء بالتجربة او توصل اليه بعض الناس بالتصور والخيال ثم بالخبرة ، فشيء زهيد جداً ، ومعظم هذا الشيء المعروف أخفاه عارفوه ، وعلموه لاولادهم وبعض التلاميذ الذين يناولون الحظوى في عيونهم ، ولم يسجلوه في سجلاتهم ، ولذلك ماتت هذه المعرفة بموت اصحابها .

الفصل السادس

ملاحظات اليوم الرابع

في هذا اليوم خلقت الشمس لسلطان النهار والقمر لسلطان الليل وبقية الكواكب وبإشارة من الخالق الحكيم ، جمعت فيوض النور التي خلقت في اليوم الاول الى قرص واحد ، حيث حصرت في اليوم الرابع ، وقد قيّد الباري الكواكب التي في الفضاء بمحركين متضادتين ، الاولى من الغرب الى الشرق ، وعنها تنتج فصول السنة الاربعة ، الربيع والصيف والخريف والشتاء ، والثانية ، من الشرق الى الغرب وعنها ينتج الليل والنهار ، وللكواكب السيارة السبعة ، سبعة افلاك ، وكلها ثابتة مرتبطة بفلك واحد ، هو الفلك التاسع ، فلك سماء السموات الخالي من الكواكب وقد خلقت الافلاك تسعة على عدد الطغيات اللائكية التسع .

وميز الخالق الحكيم الكواكب السبعة بمركبة خاصة ، وقيّد الثابتة منها لتسير باتجاه واحد ، وتكون سرعتها بالنسبة الى قريبتها او بعدها عن الارض ، فالقمر الذي هو اقربها هو أسرعها ، والمشتري وهو ابعدا هو ابطؤها ، ويؤكد علماء الفلك ، ان اصغر الكواكب الثابتة اكبر كثيراً من الارض ، والقمر لقربه ، وان يرى كبيراً ، هو اصغر من الارض بكثير ، فالارض ، هي تسعة وثلاثون مرة اكبر من القمر ، والشمس اكبر من الارض بمئة وستة وستين ضعفاً .

والقمر يستمد نوره من الشمس ، وليس مضيئاً بطبيعته ، وذلك واضح من كونه مقابلاً اذا غدا للشمس يظهر قسمه المقابل للارض مضيئاً ، واذا مر مجتمعاً مع الشمس يفقد النور الجزء المقابل للارض ، والدليل الآخر على كون القمر ليس مضيئاً بطبيعته كسوف الشمس اذا مر القمر بين الارض والشمس ، والارض ايضاً باعتبارها مظلمة تخسف القمر اذا توسطت بينه وبين الشمس ، فتحجب عنه نورها ، والكدمات التي على وجه القمر إما هي صورة انعكاس الجبال والبحار التي على سطحه ، او هي سحب ثابتة على وجهه .

ولا شك ان هذه الثيرات العجيبة خلقت في السماء لتجملها ، غير ان الشمس والقمر مع هذه الغاية لها غاية اخرى هي تكوين الازمنة وتجديدها ، واحداث تعاقب الايام والشهور والسنين . وقد خلقت ايضاً كعلامات على حد قول الله بقم النبي موسى ، الامر الذي يؤيده الكثيرون براهين كثيرة ، فقد كتب المطران يعقوب الرهاوي : ان في سنة اربع وألف يونانية (٦٩٣ م) بعد دخول العرب بلاد الروم بعشرة ايام ، كانت النيازك والحجم النارية تتصارع وتتصادم وتتطلق بصورة متواصلة في الفضاء العالي ، متجهة من الجنوب الى الشمال بصورة مستقيمة ، وكتب غيره ادوراً اخرى كثيرة تشبه هذه .

الفصل السابع

مرفقات اليوم الخامس

في هذا اليوم خلقت الحيوانات البحرية والجوية ، اي الاسماك والطيور ، ومع الاسماك خلقت الافاعي ، والسرّاطين ، والهوام وذوات الاصداف والاسفنجيات وما الى ذلك ، والسلاحف والضفادع وما يعد نظيرها ، ومع الطيور خلقت الزناير والجراد والخنافس والذباب والوطاويط ، وهذه ايضاً تفوق الاحصاء .

وخلق الله الاسماك والطيور التي تمت بعضها الى بعض بصلات كثيرة ، كوجود الاجنحة ، وانعدام الاتداء والغدد ونتاج البيض ، وحركة العضلات .

ان السمك عديم الرقبة وهو ايضاً عديم الصوت ، ويستنشق الهواء من فمه في الماء ، ويخرجه من اذنيه ، وجميع انواع الاسماك لها اسنان حادة مقوّسة ، وليس لها لسان ولا خصي ، ولها اعضاء التماسل . وفيها نوع يدعى (هنكهايس) ليس ذكراً ولا أنثى ، ولا يتناسل ابداً ، (وربما يتكاثر بطريقة نمو الحلقات وتكاثرها للابقاء على النوع) وهناك انواع من الاسماك تأكل بعضها بعضاً ، وبعضه يتغذى بما في قعر الماء والبعض الاخر يأكل العشب البحري وغيره ، والسمك اذا شاخ يكون اكبر من غيره ، فقد وجدت سمكة في عهد الشيخ (الرئيس ابن سيناء) زنتها خمس عشرة وزنة ، وعرض ذنبها ذراعان وشبر واحد ، وعلى حد قول ارسطو

ان النوع المسمى (هلفينيس) وهو الدلفين يحب اطفال البشر ، وقد وجد احداها يحمل جثة انسان لثلا تأكله السمك ، والضفدع هو الحيوان المائي الوحيد الذي له لسان ، والاسفنج والاقاليقي هما حيوانان ولكنها يلتصقان بالصخور دائماً كالاشجار ويتغذيان بالحيوانات الساقطة على تلك الصخور .

والوطواط ، وهو طائر ، الا ان له اربع قوائم كالبهائم ، وتجل اثناءه في البطن وترضع صغارها من وراثها ، وله اسنان . والضفادع ، تلد صغارها كالامعاء الناعمة وهي ذرات صغيرة سوداء ، والذباب حتمه في المقدمة ، والترنور في مؤخرته والترنوير تحدث الاصوات باجسامها والبعوض بافواهها والجراد يحدث صوتاً اذا تصادمت رجلاه . والنحل كله اناث ما عدا ملوكها التي تكون الواحدة منها بحجم نحلتين ، وفي كل خلية ملوك كثر ، ويموت النحل اذا كان بدون ملك ، وهذه لا تتج العسل ، والنحل يقتل الاشرار من ملوكه ، والشمع يجمع من الازهار والمادة اللزجة من صمغ الاشجار ، واما العسل فمن الهواء والندى ، والنحل يتص الازهار التي في اكمامها ، ولا تضر اياً من الاعمار ، والنحلة تجثم على بيضها الابيض ، وتنفق شبه دود ثم ينمو فيصبح نحلاً ، والنحل تظيف جداً ، واذا لم يستطع الخروج الى الخارج ، فانه يلقي بفضلاته في قرص واحد معين .

والطيور المشقوقة الجناح ، اما اليفة تأكل العشب كالحمام والمصافير وغيرها واما جارحة تأكل اللحم كالنسور والمقبان ، او بين بين ، كالزايغ والغراب الابلق ومنها تقاد بسهولة كالكوالي ، وبعضها شيقة كالمصفور والحجل والديك ، وبعضها عفة كالغربان ، وبعضها حية كالاوز ، وبعضها صلفة متعجرفة كالطاووس ، وقيل في طائر الهفيمبرون *Gal. Ephémé* انه في يوم واحد يولد ويموت ، وباحتكاك جناحيه تفتح النار فيحترق ، ومن رماده تولد صغاره ، وطائر الفسطيقوس *Pailacus* عريض اللسان ولذلك يقاد اصوات البشر . واناث الحمام لا تتزاوج بذكور اخرى اذا تزلت ، والحجل يضع بيضه قسمن ، قسم يحتضنه الذكر والقسم الآخر تحتضنه الانثى ، وكل منها يخنو على صغاره ويميلها . والليل رقيق الرجلين معقوفها يفرد وخاصة في نهاية حياته ، واللقاق تيل والديها ، واذا

شاخ النسر يصبح منقاره معقوفاً فيموت جوعاً ، واذا انتصرت الدريكة تصيح عالياً معلنة انتصارها ، قال القديس باسيليوس في الاوز : انها يقظة دائماً حتى طردت بصواتها المفزعة غزاة تسالوا من الاغوار لكروما واحتلالها . والسرمر طائر يقضي على الجراد ولا يشبع بطبيعته ، ويمتد الفرون ان بهيموث المذكور في سفر ايوب هو الجراد .

الفصل الثامن

مذقات اليوم السادس

في هذا اليوم خلقت الحشرات والبهائم والوحوش والانسان ، والحشرات او الدبيب اما ذوات قائمتين وتلد من البطن كالنخلد والفار وابن عرس ، او ذوات اربع قوائم كالقمل والبرغوث ، او ذوات ثنائي قوائم كالعنكبوت ، او كثير القوائم كالعقارب وام اربعة واربعين والجندب ، او عديم القوائم كالحيات والديدان ، والعقرب اذا ولد تأكله صفاره ، والعصاية تلتصق من فمها فتجبل وتلد من اذنيها ، والنمل يقتات من رائحة الجيوب ، ويلقي بيوضه في ما يجمعه مؤونة في باطن الارض ، ثم تنقف صفاره ، والحيات شرهة جداً ، في الطعام وشرب الخمر ، ويمكنها الا تأكل وقتاً طويلاً ، وانشى الافاعي ليس لها فرج وتلقح من فمها وتقطع عضو الذكر فيموت ، وعند الولادة تأكل صفارها بطنها وتخرج ، اما هي فيموت ، ولذلك لقب يوحنا المعمدان اليهود بالحيات اولاد الافاعي ، لانهم قاتلو آباؤهم . وعضاية السمندر دويبة تدخل النار فلا تحترق . والعنكبوت بواسطة الاسلاك الناعمة التي يفرزها من بطنه ويرسلها نسيجاً في الهواء يصطاد الذباب لقوته ، وانشى الجراد تلقي بيوضها في قلب الارض الصلبة فيتكون في الارض شراتق وفي داخلها تتكون الحشرة .

ومن الحيوانات ، الاسد شجاع ونبيل ، والذئب معاد ، والثعلب مكار ، والكلب صديق ، والاييل وديع . والحيوانات الكثيرة القوائم كثيرة الاثداء ، وعند الكلب واقطة اللسان للتذوق فقط ، ونيس للصوت ، والذبة تلد صفارها بحجم الفئران ، واذن الثعلب تلد صفارها كقطع من اللحم ، والضأن اكثر جبلاً وغباوة من جميع

الحيوانات ، فانها تخرج حيث لا يجب ان تخرج ، وتخرج سواء في المطر او الثلج ، والابل اكثر ذكاء من جميع الحيوانات ، واذا خلع قرنيه يكون حذراً لانه يصبح اعزل من السلاح ، والاسد هادئ الا اذا جاع انه يصبح شرساً ويخاف النار ، والفيل لا يجامع انثاه اذا حبلت منه ، ولا الحمل يجامع امه

واناث جميع الحيوانات ضعيفة ، ما عدا اللب والتمرة ، والامراة اكثر حناناً من الرجل ، ولكنها حسودة تشكو حظها ، وكذابة تحب الشتائم ، وهين اغراؤها ، ومع انها كلية تسهر اكثر من الرجل ، وتشتغل بيديها ، وتفتح بفذاء قليل ، وتشعر بالحبل في تمام الاربين يوماً ، واذا حاضت في هذه الفترة يكون جنينها ذكراً اذا ائت شياً من دمها في ماء بارد فلا يتحلل ويظهر الجنين الذكر وهو بحجم غلة كامل اعضاء التناسل والامينين ، واما الانثى فبعد الحبل بثلاثة اشهر تظهر اعضاؤها .

والعظام خلقت للقوة ، والاعصاب لا يصلح الحس والحركة ، من السخ الى سائر الاعضاء ، وفي الاوردة المتفرعة من الكبد يجري الدم الى الشرايين التي تصدر من القلب قوة الحياة . والاطافر وجدت لتقوية رؤوس الاصابع ، وبواسطة الشعر ينظف الجسم من الابخرة المتصاعدة منه ، وسكنى النساء الدائمة في البيوت ضارة كثيراً ومؤدية الى الزكام لكون فكها خاليتين من الشعر .

والرأس وهو برج لجميع الاعضاء ، وضعت في اعلى الجسم من اجل الامينين ، لان الرقيب يجب ان يكون في القصة ، والجمجمة تصون المخ الهش كاخوذة . وفي نهاية ثقبى الالف خلق عظم غضروفي لكي تسرب الروائح من مسامه الى المخ وهو مركز الشعور وبواسطتها ايضاً تطرح الانضاح المخاطية . وخلق ثقب الالف حلزونياً لكي يسخن فيه الهواء قليلاً فلا يصل الى الطلبة الرقيقة الغضروفية فيتلفها ، وفوقها غشاء يابس كالجلد على الدف . والاسنان الظاهرة اصلب من العظام الخفية ، ورؤوس القوادم حادة كالمسكاكين لتمهيد القطع ، والانياب قوية للكسر ، والطواحن عريضة لغاية المضغ ، والفك الاسفل يتحرك بدون الفك الاعلى ، صيانة

لبقية اعضاء الراس من الحركة واعضاء الاستنشاق والقلب والرئتان مصونة وراء الاضلاع التي تمثل السور ، وتمتد عضلات الرئة اللدنة يدخل الهواء النقي الى القلب ، وتقلصها يندفع الهواء المحترق .

وفي القصبة الهوائية الهابطة الى غشاء الرئة فتحة تسد بفشاء يقابل المبلع (الحلق) حذراً من هبوط الاغذية الى الرئة اثناء الطعام ، وفم القصبة مغطى بغطاء خوف ان يسقط فيه شيء من الطعام او الشراب ايضاً ، لانه اذا حدث ذلك يتسبب الاختناق او السعال العنيف .

اما الجهاز الهضمي ، فيبدأ من الحلق ، ومنه يذهب الطعام والشراب الى المعدة لهضمه ، والامعاء العليا خلقت ملتفة لئلا تقذف الغذاء بصورة فورية قبل ان يسكب عليه عصارته ، وفي الكبد عصارتان ، احدهما المرة الحمراء ، والثانية المرة السوداء والاولى تدفع الى المرارة ، والثانية الى الطحال ، فينجو الجسم من مضارهما ، والرطوبة تجتذبها الكليتان ومنها تهبط الى المثانة ، ومنها الى الخارج ، وفي هذه المنطقة ايضاً توجد الاعضاء التي تبقى على النوع ، سواء في الذكور او الاناث ، وفي ايضاً عجيبة التكوين ، إلا ان الحياء يمنع من تشريحها وان كانت حكمة الخالق لا ينجل منها .

وبما ان الاقسام العليا من الانسان اخف وزناً ، وهذه الاقسام في البهائم اثقل فخلق الانسان معتدل القامة ، ولكونه عاقلاً جعلت يدها صالحة لمختلف الاعمال ، وليس عاقلاً لكونه ذا يدين كما يظن بعض العلماء ، فالتجار مثلاً يجب ان يكون له فاس ، وليس كل من له فاس نجاراً .

الفصل التاسع

= يتألق العقل في التفكير السليم =

اذا تأمل الانسان في هذه الامور وما يشاهدها ، فانه يتألق باستمرار الترويض والتمرين الفكريين ويصبح تفكيره تقياً فيرى حالاً في صفحته العاقلة عناية الله كامنة متغلطة فيها ، ويشمر باشراف اشعة لا تنجو طبقاً للدرجة ترويضه وهذيذه في العمل

الروحي ، ويتوق الى التخلص من الانتقال المادية توصلاً الى العالم الروحي ، ومنه يتسامى الى النور الازلي ، الفائق كل عقل وكل تصور ، وبوحي للمعرفة الروحية يشاهد مشاهدة روحية فيوض الاشعة الساطعة ، تشرق عليه هذه الاشعة من الاب مصدر كل ضياء ، واذا تمزقت سجب الظلام المسدلة على قلبه ترتسم على صفحته روعة الابدان الخيرة .

اما القلب الجامد ، فيرتبط بالدنيا فقط ، ولا يستطيع التسلمي الى باربيها ، فيمكث في ظلام دامس ، مرتبكاً في حزون اعرض الله عنها ، وذلك ما يسميه اباؤنا بتشرد الافكار .

الباب الرابع عشر

نقاء الوجدان

وفيه اربعة فصول

الفصل الاول

★ اقوال الارباء في الوجدان ★

قال احد الارباء لشيخ تقي فاضل : ماذا اعلم يا ابتي ، قلت جسمي في صومعتي ، اما عقلي فانه مشرد الى كل جهة ؟ ولذلك تعلقني افكاري كثيراً ، كأنها قوحي الي ان لا فائدة من اعتكاف جسمي في الصومعة ، قال الشيخ : اعلم يا بني ، ان هذه تجربة الشيطان فاذهب اصبر في صومعتك وحينئذ يجتمع فكرك .

قال شيخ آخر : اعرف نفسك فلا تسقط ابداءً ، ولفسح المجال للنفس لكي تعمل في الصلاة الدائمة وحب الله ، قبل ان يأتي غيره فيعطها افكاراً قذرة شريرة . وقال احد الارباء لشيخ : لماذا يتوقف عقلي عن التفكير الروحي اذا خرجت للعمل ؟ قال الشيخ : لانك لا تكمل ما قد كتب (ابارك الرب في كل حين

وفي كل حين تسايحه في فمي) فاذا كنت في الداخل او في الخارج فلا تتوقف عن التسبيح بحمد ربك ، ليس فقط في العمل بل وفي الكلام والتفكير سبح بحمد الله ، فان الله ليس محصوراً في مكان ، ولكنه موجود يسط وجوده وسلطانه في كل مكان .

كان الاب فومان قبل مغادرته الصومعة الى محل العبادة يجلس فيفحص ضميره ويستعرض افكاره ، ثم يخرج ، وكان يقول : لنا بحاجة الى شيء حاجتنا الى قلب يقظ حي . واجاب احد الاخوة حين قال له ان افكاري تعلقني : انك لا تستطيع ان تبسط يديك فتقبض الريح ، ومثلها لا يمكنك ان توقف افكارك عن الحركة ، فواجبك هو ان توقف تيارها . وقال ايضاً تقرأ عن الاب يوحنا الفرمي : ان ابليس عدونا لا يفرح بشيء فرحه بمن لا يكشف افكاره لمرشده . وقال ايضاً : ان الماء ما زال على النار يغلي ، فلا يقربه الدياب ، والقلب ما زال مضطرباً بالروح فالافكار الشريرة لا تقربه .

وقال شيخ آخر : لم اخطئ خطوة واخذت الى الامام ما لم افقه كيف اضع رجلي وسأل الاب آمون مرة الاب فومان في الافكار الشريرة والشهوات الباطلة الفائرة في الانسان ، قال الاب فومان : ايمتدح الفأس بدون يد تقطع فيه ؟ فانت لا ترخ لها الجبل على الغارب تنقطع .

وسأل الاب سوسايس الاب فومان في الافكار الشريرة ايضاً ، قال الشيخ : كما ان صندوقاً مملوءاً بالثياب ، اذا تركت الثياب زمناً طويلاً فيه ولا تحرك ، يأكلها العث فتلف ، هكذا الافكار ما لم تحركها باهواء الجسد تتلاشى وتزول . وقال ايضاً الاب فومان لاب يوسف : مثلما يحبس رجل حياً وعقرباً في جرة ويكلس فوهتها يموتان ، هكذا الافكار الشريرة تتلاشى بالصبر .

ورأى احد الاخوة الاب ارسانيوس يسأل شيخاً مصرياً بشأن الافكار ، فقال له : كيف تسأل هذا الرجل الساذج وانت الضليع بآداب اليونان والرومان ؟ قال الاب ارسانيوس : اني ضليع بآداب اليونان والرومان ، ولكني لا اعرف بعد الالف والباء التي يتقنها هذا الساذج .

سأل اخدم الأب سوسايس : أم تبلغ ايها الاب الى الآن درجة الاب انطونيوس : ؟
قال الشيخ : لو كان لي ولو فكرة واحدة من فكر الاب انطونيوس ، لاصبحت
برمتي ناراً . قال احد الشيوخ : كل خاطر يخطر لك قل له : امنا انت ام من
اعدائنا ؟ وسيترف لك بكل شيء .

وقال الاب اوغريس : كما (يتعلب) الكلب لاختطاف قطعة خبز من صبي كذلك
الخاطر الشرير ، حكمة مصدرها القلب . وقال الاب اسحق : وان كان فكرك
تقياً بطبيعته ولا يحتاج الى نقاء جديد ، تكفيك مداخل الحواس لاقلاقه
وتشويشه بما تستمده من كثيرين .

الفصل الثاني

* تحرير نقاء الوفاة *

نقاء الافكار حالة روحية صرفة كل ميل نفسي او جسدي توجهه الانسان الى
الله ، وعليه ، كل خاطر لا يهدف الى التوصل الى الله هو خاطر مقلق للافكار
ولا يمكنه التآلف مع النقاء ، حتى ان النقي الفكر اذا فكر في نقاء الفكر
ذاته لا يكون تقياً فكره ، وكما ان المجد والمديح والتباهي والتفاخر والغنى والرئاسة
وما الى ذلك ، امور مقلقة للافكار ، كذلك التفكير بتوال النعم الخالصة ايضاً يعتبر
من جملة الامور المقلقة ، ولذلك قال احد الفضلاء : كل خلجة او مسكنة في
الانسان يجب ان تكون لله فقط ، دون انتظار ثواب عابر او خالد ، على حد قول
مار اسحق : ان المبارك الازلي يفتح الباب امامنا الا تكون لنا غاية الاية ، وهكذا
نعرض عن كل شيء وفيه نمحص فكرة ، فلا يكون اي كائن يحجب رؤية ربنا عن انظارنا .

الفصل الثالث

= اجناس الافكار الشريرة =

يحصر الآباء الافكار الشريرة في ثمانية اجناس هي :

الاول : الشراعة - وهذا يصور امام النفس الامراض الوييلة الناتجة عن الزهد

وانعدم طيب او علاج ، ويذكر بالاخوة الذين ابتلوا بهذه الامراض
الثاني : العبارة - يسوق الفكر الى الشرود في آفاق فترة كثيرة ، وخاصة
النسك ، حتى ان الشقي الذي لا يمكنه التوصل الى هذه الغاية يلجأ الى عادة وبيلة سرية .
الثالث : حب المال - يصور امام الفكر ، الاتعاب الناجمة عن العمل اليدوي ،
ومرائر اليأس والاستجداء .

الرابع : الهم - يذكر الناسك بالاهل والبيت والاقارب ، ومتع الحياة العائلية ،
فلن لم يستطع العودة الى الحالة الدنيوية الاولى يفرق النفس بالهموم .

الخامس : الكسل - ويدعى ايضاً شيطان الظهيرة ، لان عمله يبدأ من الساعة
الرابعة - قبيل الظهر - ويمتد الى الثامنة ، مهاجماً الناسك ، فيضطره اخيراً الى ترك
الصومعة والخروج ، والنظر الى الشمس ، فيشعر ان الساعة التاسعة لم تزل بعيدة
جداً ، ويشير فيه كرهاً شديداً ضد العمل او الصومعة ، ويرهن له ان ارضاء
الله ليس محصوراً في مكان معين ، بل هو ممكن في كل مكان .

السادس : الغضب - وهذا يثيره ضد من اضر به ويصير امام النفس ذلك
الانسان المؤذي فيرغي ويزبد ويقلق الليل كله ، ويضرب الجسم بالهزال ، واذا طالت
مدته اقلب الى حقد .

السابع : المجد الباطل - وهذا يسترق الكاملين على حين غرة ، ويحملهم على
تصور جهادهم النكبي وعبادتهم الطويلة ، ويزيد لهم اصطياد المجد من الناس ،
فينصرون لهم الشياطين تولول من هيبتهم ، والمرضى يحيطون بهم طالين الشفاء ، والجاهير
ترحمهم رغبة في لسة واحدة من ثيابهم ، ويصور له على باب صومعته كثيرين من
طالبي الشفاء ، وقد يقاد البعض بالسلاسل اليه اذا رفضوا الذهاب .

الثامن : الكبرياء - وهذا يزمن للنفس انكار قوة الله ومعونته ، وتعتقد انما
توصلت الى درجة الكمال بمجدها وزهداها ، فيتعالى على الاخوة تعالىه على الجهال ،
ويحسبهم قاصرين عن بلوغ مبلغه .

الفصل الرابع

★ كيف تسرو السرور الوضوء بشكل الفضائل ★

كل فضيلة يمارسها الانسان يستطيع استراقها منه بطريقة خبيثة فيظهر له
الرديلة فضيلة كاملة ، واذا ظن ذو الفضيلة انه يجده يمكنه الانتقال من جهة
الجاء الى جهة اخراف ، يكون الشيطان قد رماه في اضداد الفضائل ، وهكذا لا
يضل الشيطان بدهائه البسطاء فحسب بل الفضلاء ايضاً والاذكياء ، مثل ذلك :
اذا كان الانسان يصلي في جماعة الاخوة وابناء الشعب يزين له الشيطان التفكير
بالآية القائلة (صل بخشوع لكي يعظمك فاطروك) واذا اعرض عن هذه الفكرة
يظهر له كأن جميع الواقفين في الصلاة انما اليه شاخصة عيونهم ويشعر كأنهم
جميعاً يقلدونه وعليه يقول له الفكر الشيطاني : كن قدوة صالحة لهم جميعاً ، فيقتدوا
بك ، في الصلاة . واذا اعرض عن هذه الفكرة يثير اليه ان يصلي وحده في
الصومعة ، وليتروض على تذليل عنقه وترخيم صوته والاكثر من التهجيد والركوع
الى الارض ، والامعان في قرع صدره بكلتي يديه ، لكي اذا رسخت فيه هذه
العادة يطبق ذلك في العبادة العامة ، واذا اعرض ايضاً عن هذه الفكرة يتوعد
(المحرب) كأن يقول له : انظر امام من انت واقف في وقت العبادة هذا ، ومن
تناجى في الصلاة ، فيحمله على البكاء والجمعير ، امام الجمهور وهو يصلي او يقدر .
ويجب ان تعلم ان شر هذه الخواطر الاربعة ، الاول والثاني والثالث بالنسبة
الى التناك والرؤساء ، والرابع اذا لم يحاول الصلاة السرية في الخدع فانه شر من
الثلاثة الماضية ، سواء للتناك او للرؤساء ، وعليه ، فان كثيرين من الاتقياء لا
يمكنهم الظهور في العبادة مع الجمهور فيخطف عقولهم خشوعاً بالله ، ويتوقفون عن
كل حركة مستفرقين بلذة روحية .

ورب سائل يقول : اوجد مكافأة لبر اذا لم يقدم بفكر تقى ؟ يقول البعض ،

نعم ، ويقول غيرهم : لا . ويعتقد غيرهم ان هناك عقاباً لمن يقوم بذلك ، ولكن

الصحيح هو : اذا كانت الغاية السيئة مساوية للغاية الصالحة تفوق بقيتها الشريرة

فهنالك ثواب ولا شك ، لان الرب قال : ان تقديم كأس ماء بارد باسم تلميذ لاحد هؤلاء الصغار لا يضيع اجره .

الباب الخامس عشر

- بحمد الله -

+ وفيه خمسة عشر فصلاً +

الفصل الاول

اقوال ارباء في محبة الله

ذهب الاب آمون النطروني الى الاب انطونيوس وقال له : ارى ان لي فضيلة اكثر منك ، فكيف عطرت شهرتك بين الناس اكثر مني ؟ قال الاب : لاني احب الرب اكثر منك .

وقال القديس باسيليوس : ان الحب نحو قاعلي الخير يفوق الحب الطبيعي ، وهذا ليس خاصاً بالبشر فحسب ، بل ان البهائم ايضاً تمارسه ، فقد كتب (انثور يعرف قانيه والحمار معلم صاحبه) واذا كنا نعيد نقومنا في عرفان الجميل نحو المحسنين الينا بطريقة عفوية فأني وصف بليغ يمكنه اعلان الجميل السموي الذي لله علينا ؟ فان افضال الله كثيرة علينا ولا تحصى ، وهي عظيمة القدر جداً ، حتى ان احدها فقط يفوق كل عرفان الجميل الذي يمكننا تقديمه لله ، فشرق الشمس وبرزوغ القمر وعضوبة النسيم وتماقب الفصول ومياه السحب وما تبتته الارض او يقدمه البحر ، الامور التي انما خلقت لانعاش حياتنا ، فلن نستطيع السكوت عن هذه النعم ، وان قصدنا ذلك فلا يمكننا اعلان عظمة هذه النعم مما بالنفا في ذلك ، والله تعالى صالح بحيث لا ينتظر اجراً او شكوراً ، فيكتفي عن كل هذه النعم بأن نحمده .

وقال الاب اوغريس : اذا تكامل انسان بحجة الله تكاملاً تاماً ، يظهر كأنه

مثل ، فانه مخطوف بحب الله وكأنه لا يرى العالم بما فيه ، لان فكره مستقر في السماء ، فطوبى لمن منح هذه النعمة . وقال ايضاً : اذا كان في الانسان نعمة او نبوة او اجتراح المعجزات ، ولم يبلغ درجة الحب الكامل لله ، فان نفس لحظة يجيز عليه الشيطان لانه لم يزل طفلاً معرضاً للخطر .

وقال يوحنا ابو الدوالي : ان الذين اشرف فيهم حبك ببساطة لا يفهم ، واعرضوا عن كل حب ، واطرحوا هموم الاهل والاقارب ، وجعلوا نفوسهم غريبة عن العالم ، وراحوا يهيمون وراء حبك عراة عن كل شيء ، وصرفوا انظارهم عن كل شيء ، ولم يلتفتوا الى ما كانوا يرغبون نواله في الحياة ، انهم لا يزالون جهالاً لانهم لا يعرفون ماذا يريدون ، فهم يريدون ما لله ولم يشعروا ان الله قد اعطاهم ذاته كلها .

وقال مار اسحق : ان النفس المحيية لله ، بالله وحده راحتها ، فقطع عنك اضلال الدنيا ليتمكنك ربط قلبك بالله ، ان الطفل ، بعد فطامه ، يقدمون له الغذاء ، والانسان النازع الى الله ليفطم نفسه اولاً عن الدنيا ، فطام الطفل من ثديي أمه .

الفصل الثاني

تهدير المحبة واقسامها واسبابها

المحبة نزوع النفس الى احد المدركات ، لان من لا يدرك كنه امر ولا يعقل صفاته لا يتزع الى اللحاق به ، او الحصول عليه ، والموضوع الذي يحب ، اما ان يدرك بواسطة الباصرة كالجمال الظاهر ، او بحاسة الشم كالعطور ، او بحاسة السمع كالانغام العذبة ، او بحاسة الذوق كالمآكل الشبية ، او الشروبات المنعشة او بحاسة اللمس ككس الاجسام الناعمة ، او بالقوة العاقلة كشعورنا بلذة الفكرة في المعارف السامية التي تتضح لنا ، فالليل الى اللغة العقلية طبيعي بدليل رغبة كل انسان بسماع الامور الجديدة ، والوقوف على معرفة اعمال الآخرين ، والمعرفة تحدد خمسة اسباب للمحبة ، هي :

الاول : محبة الوجود والنزوع الى البقاء ، لان كل كائن ، يجهد في الابقاء على كيانه . وعليه فان الانسان يحب ذاته اكثر من محبته لاي شيء آخر ، ويهتم في حفظ ذاته صحيحاً معافى ، غزير الاموال ، لان فيها بقاء كيانه ، ويحب ايضاً ولده ، لانه نسله الثابت في ارضه ، وغصنه الخارج من جذعه .

الثاني : محبة الخير المعين ، على حد قول القائل : ان النفوس محبوة على حب الحسين اليها ، وعليه نضفي حلة رائمة الجمال بارادتنا وقوتنا الطيبة الباطنة لمحسنين الينا .

الثالث : الجمال الظاهر : وهذا ينزع لذاته كجمال لا لشيء آخر بدليل بهجة النفس لجرد رؤية الاشجار الجميلة والازهار العيقة الرائحة ، وخسبر المياه الصافية ، وهكذا يتبع الانسان وتتمش حواسه دون فوال شيء من طعام او شراب .

الرابع : الجمال الباطن ، ان هذا النوع من الجمال لا يدرك بالميون بدليل ان الصوت ايضاً يقال عنه انه جميل ، ومن البدعي ان لا شيء للنظر من هذا الجمال ، فالجمال والحالة هذه كمال موضوعي واقعي ، فان تمت فيه جميع شروط الكمال ، فيكون حيثئذ اشد بهاء ، ويعرف بهذه الصفة ، واذا نسب اليه موضوع من المواضع ، فيجب ان يكون له . ونزوعاً الى هذا النوع من الجمال يحسب العلوم والفتون والفضائل ، وبالنسبة اليه نحب الانبياء والرسل والملافنة والفلاسفة الثقات الاثبات ، مع ان كمالهم لا يمكننا رؤيته ولم نعاشرهم قط .

الخامس : التناغم الخفي والتشابه السري اللذان يخلقان بين البشر ، كما شرحنا في مطلع كلامنا في محبة الاخوة .

الفصل الثالث

★ كل سبب مما اسباب المحبة هذه بموجب محبة الله ★

ان اسباب المحبة الخمسة التي شرحناها في الفصل السابق ، اذا امعنا النظر فيها نجدها

موجهة الى الله تعالى بل لا نجد اياً منها مناسباً لغيره ، ومن هنا يجب ان يشجب

رأى الذين لا يعرفون كيف يحبون الله ، ولا يفقهون اسمه فيما اذا ظهر ذلك ،
واليك بيان ذلك :

السبب الاول : محبة الوجود الدائم والتزوع الى البقاء يوجب محبة الله بدليل
ان كل انسان انما يطمع في بقاء وجوده فيفهم منبته ، ويعرف موجداه ، ويتأكد ان
يوجد لحظة واحدة ، فاذا كانت اذن محبة الله ذاته ملازمة له فيجب ان تكون محبة
موجد هذه الذات اكثر ملازمة له .

السبب الثاني : محبة الخير ، وهذه توجب على كل عاقل ضرورة محبة الله لانه
وحده ينجحه كل خير طبيعي ، وما عداه انما هو واسطة يؤدي الى الغاية ، من الخير
الجزئي انى الخير الكلي . مثال ذلك : التصدق وقاعل الخير انما يفعل ذلك لشواب
آني او أبدي . الامطاء السخي انما يحسن الى الآخرين لينال هو ثمرة احسانه ، ومن
البدعي ان من يحسن ومن يحسن اليه انما هو بالحقيقة الله ، فلا يرتأين اللبيب اذن
ان يحبه وحده من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قوته .

السبب الثالث : الجمال الظاهر : وان كان هذا النوع من الجمال خاصاً بالكائنات
المجسمة ، الا ان القديسين واتيقاء القلب الذين لم يتحرروا بعد من اغلال الجسد ،
اذا تجلى لهم واظهر لهم جماله بطريقة تفوق كل جمال ، فانهم يبصرونه متشجراً
بشباب نقيه كالثلج ، وشمره كالصوف النقي ومتربماً على عرش من لبيب ، في عجلات
مشرقة ، مرتفعة فوق مركبة ذات الوجوه الاربعة ، والوف الوف من القوات الناطقة
وربوات ربوات من الملائكة خاشعين بين يديه ، وهم يسبحون بحمده . وان كان
ذلك ضئيلاً بالنسبة الى العظمة الازلية ومع ذلك هم يرددون ثلاثاً وبضاعفون
التسبيح وهكذا ، فان من اسعده الحظ بمجازة نظرة خاطفة من هذا المجد الازلي ،
وان رأى ذلك من احد شقوق الباب ، فانه يقطع كل سبب يربطه الى هذه الدنيا ،
بما فيها من اهل وعشير ، ويعرض عن كل حب آخر ويتخذ اجنحة خفاقة يطير
فيها للحاق بالجميل الازلي العجيب ، ويصير اسباب الحياة الاخرى تافهة حقيرة لان
رؤية ربه ملأت جوائحه وملكت عليه مجاميع قلبه .

السبب الرابع : الجمال الباطن ، الامر الذي يشعر به الانبياء والرسول وبقية الكاملين ،
واننا نجد ثلاثة اسباب تجتنبهم الى النزوع نحو هذا الجمال وهي :

(١) تعمقهم في معرفة الاسرار الالهية (٢) حيازتهم قابلية لهداية الجاهير الى
الصراط المستقيم (٣) استغراقهم في الفضائل واعراضهم عن الرذائل ، وتأكدهم
ان معرفة المخلوقات خيالة عند الله ، وحكمتها غياوة ، وقوتها ضعف بالنسبة الى قوته
وكل برهم انما هو خرقة بالية بالنسبة الى قداسته ، على حد تعبير النبي اشعيا ، فكيف
لا يحبه اللبيب حياً يفوق كل ما في هذا الكون ؟ فاذا كان هذا شأن ذوي الجمال
فكيف يميل اللبيب الى غير ذوي الجمال .

السبب الخامس : التناغم الخفي ، والتشابه السري ، الامر الذي يوجد خاصة
بين الله والبشر ، على حد التعبير الالهي ، حيث يظن ان الانسان مخلوق على صورة
الله . فاذا كان كل نوع من الكائنات الحية والجمادة متناغماً مع بني نوعه ، فما
اغبي الانسان ان يظهر اقل تناغماً وانطافاً من الكائنات الجمادة وغير العاقلة الى
حب ربه ، وقد شرفه بصورته ؟ . . .

الفصل الرابع

= لذة معرفة الله تفوق كل لذة =

من البديهي ان اللذة تتولد من ادراك الموضوع اللذيذ ، ومن الواضح ايضاً ،
ان في الحياة قوى مدركة كثيرة ، وعليه تكون اللذة بالنسبة الى مدى القوة المدركة
التي يحوزها المدرك ، وقد رفع الله تعالى قدر الانسان البائس من حمأة البهيمية الى
فروة الكائنات الروحية اذ ميزه بالنفس العاقلة وجعله مشابهاً ملائكة السماء لشعوره
بلذة المعرفة السامية ، وبما ان المعرفة تتسلمى بالنسبة الى سمو الامور المدركة وعظمتها
وجلالها وطبقاً لسمو تلك للمعرفة تزيد او تنقص اللذة . وكل من يعرف انه في
جميع الكائنات لا يوجد اعظم جمالاً وسمواً وكمالاً ، من رب الكائنات وبارئها ،
لا يمكنه ان ينكر ان معرفة عظمة الخالق هي اسمى جميع المعارف ، واللذة الناجمة

عن هذه المعرفة تفوق كل لذة وسمو في الحياة ، حد تعبير الاب اوغريس : اذا كان في المذوقات لا يوجد احلى من العسل والشهد ، فان حلاوة معرفة الله تفوقها جميعاً ، بدليل عدم وجود شيء في الارض يمنح النفس لذة كاذبة معرفة الله . وقال فاضل آخر : لا يوجد من اجتذب عقله بجمال الله ويمكن لكائن آخر في هذا العالم يعود فيجذبه ، ولا يوجد من وصل عقله بالله ، ويمكن ان يصله بكائن زائل . ولا يوجد انسان وجد الله وعرفه ولم ينس العالم بما فيه ، وقال حكيم آخر : اذا انسكب العقل في بحر معرفة الله لن يتعكر إذا بلغ ميناء الحياة ، واذا خلع رداء عبيد الهوى ينل صك الحرية الذي لا يتمزق . وقال ايضاً : منذ هتفت شفتاي باسمك الكريم شرع النشيد العذب يخلب الاب اسيرك ، ان اميادي - في هذا العالم - اصبحوا عبيدي ، لانك صرت لي سيداً ، منذ عرفوا ذلك وتلوا هارلين الى غير رجعة .

الفصل الخامس

ان معرفة الله بمر فراق الحياة الحاضرة نسمو وتعاظم

المدرجات نوعان : معقولة ومحسوسة ، وكما ان المدرجات المحسوسة قسمن ، الاول : وهو البعيد ، الذي يحس به بطريقة مجازية خيالية ، والثاني : وهو القريب ، وهذا يكون محسوساً لدى السمع والبصر وما اليها بطريقة واقعية ، كذلك المدرجات للمعقولة قسمن ، الاول : وهو البعيد ويدرك في هذا العالم بطريقة مبهمه ، والثاني : وهو القريب ، ويدرك في عالم الروح بصورة حقيقية ، وكما ان الاجفان اذا اطبقت تحجب المرئيات عن البصر ، كذلك النفس ما زالت مغلفة بالجسد فلها تعجز عن رؤية العقولات ، على حد قول الله لموسى : لا يمكنك ان ترى وجهي ، لانه لا يراني حي ويعيش . اي بعد ان تتخلص من الجسد ، فحينئذ تراني ، وهذا ما يشرحه الرسول بولس بقوله : انما نرى الآن في مرآة في لغز ، وحينئذ وجهاً لوجه ، واني الآن اعرف بعض الشيء ، ولكن حينئذ اعرف كل شيء . وقال القديس غريغوريوس اللاهوتي : انني اتفق مع الفلاسفة في رأيهم ، بان النفس الصالحة المحبة لله ، تتجسد في حال انطلاقها من اغلال الجسد التي تقيدتها ، وتخرج من هذه الدنيا ، وتمتلئ حلاً

شعوراً واحساساً ، بانخير الباقي لها ، لان الظلام الخيم عليها تلاشى وزال ، حقا ،
اني لا اعرف ماذا يجب ان يقال ، انها ستستغرق في لثة عجيبة وتتهج .

الفصل السادس

✽ الاسباب التي نضرم محبة الله ونفورها ✽

يجب ان نعلم انه لا يخلو قلب واحد مؤمن من ضوع محبة الله ، فاذا كانت
كثيرون من المؤمنين زاهدين في ائتطلع الى شجرة محبة الله ، وجميل ازهارها وينع
اثارها ، فان هناك مبيين عند الحكماء بها غرس المحبة بتعالى كالنخلة في قلوب الصالحين
وتكاثف قضبانه واغصانه مثل ارز لبنان ، وهما :

(١) : ان يطوي الانسان كسحا عن كل شيء في الدنيا ، ويعرض عن كل هوى
ويتسامى الى الرغبة في الواحد الأحد ، نامياً بالرجاء والايمان ، ممعناً في الزهادة
والنسك وهكذا اذا ما طهر ضميره واستضاء له يصبح من جملة الاقبياء القلوب الذين
يعاينون الله ، ومن هذه الرؤية تلهب نار المحبة .

(٢) : ان يتسامى الانسان ويستغرق في معرفة الله ليستضيء بها ويتودج ،
بعد تطهير القلب من الاهواء الرديئة ، لان معرفة الله في النفس النقية تشبه الزرع
الجيد الذي يلقى في ارض صالحة ، فمن زرع المعرفة هذا تثبت المحبة وتنمو .

ويمكن اكتساب معرفة الله بطريقتين ، فلما ان يعرف الخالق اولاً ثم تعرف
مخلوقاته ، عن طريقه ، او ان تعرف مخلوقاته اولاً ثم يتسامى العقل الى معرفته عن طريقها .
والطريقة الاولى ، وان كانت ضيقة شائكة ، وبالكد يمكن سلوكها للابطال

العارفين ، إلا انها الطريقة المثلى ، والوسيلة الفضلى ، وشرحها احد العارفين
بقوله : اني بالهي عرفت إلهي ، ولولا إلهي لما عرفت إلهي . وقال عارف آخر : اني

اعرف الله قبل معرفتي العالم ، فمعرفة التي فطرت الكائنات اشرفت في ضميري ،
ومسقت معرفتي بجميع الكائنات . وقال ايضاً : اني عرفت المسيح قبل ان اعرف

ذاتي ، فقد عرفته قبل ان اعرف كل معرفة فاضت علي من روحه . وقد أشار
النبي داود الى حقيقة ذلك بقوله : معك ينبوع الحياة وبنورك نرى نوراً .

والطريقة الثانية ، وهي اكثر سهولة ، ويستطيع سلوكها كل من اراد ، وان كان ختراً او ضعيفاً ، وقد حددها المرتل بقوله : السمع تخبر بمجد الله .

الفصل السابع

درجات محبة الله

اتضح سابقاً ان معرفة الله سبب محبته ، وبالنسبة الى زيادة هذه المعرفة وتقصانها تزيد او تنقص هذه المحبة ، وبما ان بعض الناس اتهموا الى آراء مضادة للحق ، بتأثير الصفات الالهية الواردة في الاسفار الالهية . وبعضهم آمنوا استناداً الى تلك الصفات عينها ، وشروحها المستمدة عن تعاليم الملافة بطريقة تقليدية بسيطة دون تفهم كامل ، والبعض الآخر وهم القلة ، استطاعوا توفيق ذروة المعرفة ، استناداً على موهبة خيرة هبطت عليهم من فوق من ابي الانوار ، بصورة كاملة ، وعلى هذا الاساس نجد ثلاث درجات لمحبي الله .

الاولى ، وهي السفلى ، درجة الضالين الذين تمسكوا بالضلال تمسكهم بالحق ، وهم ابناء الشال . والثانية ، وهي الوسطى ، درجة المؤمنين البطاء ، وهؤلاء وان كانوا مؤمنين ، بني اليمين ، الا ان محبتهم عديدة الروية طبقاً لمعرفتهم الضحلة ، وليس لها اصل راسخ ، في القلب ، ولذلك هي تحت خطر الذبول . اما الثالثة ، وهي العليا ، فاتها درجة العارفين الذين هم اسمى من بني اليمين ، وهم الذين عرفوا الله كما هو ، فلا يؤثر عليهم روح الضلال ، فهم اسمى من قبول المعرفة بطريقة تقليدية ضحلة ، وعليه لا يفصلهم عن محبة ربهم لا قر ولا سيف .

الفصل الثامن

* سبب عدم معرفة المخوفات خالقها *

ان الله تعالى هو اعظم الكائنات وضوحاً واشراقاً ، بدليل انه لا توجد دقيقة من دقائق الكائنات الا وفيها برهان على وجود خالقها ، والى ذلك اشار المرثم داود بقوله : ليس قول ولا كلام ولا يسمع به صوتهم مز ١٨ : ٤ وهذا ما

يؤيده ان معرفة الله بديهية وضرورية مثل سائر المعارف البديهية الضرورية والامور المجهولة لدينا تكون كذلك. اما لغموضها او لسطوع اشراقها يتضاءل العقل عن الاحاطة بها ، كما يحدث للعين اذا نظرت الشمس ، وهذا السبب الاخير قد يزيفنا عن معرفة الله على حد تعبير القديس ديونيسيوس الاريوباغي حيث قال : ان السحابة الالهية هي النور الذي لا يداني ، وفيها يوجد الله ، ففي الوقت الذي هو موجود هو غير منظور ، بسبب سطوعه الاسمي ، وهذا دليل على ان عقلنا بالنسبة الى النور الازلي هو كنسبة الوطواط الى نور الشمس الطبيعي ، وفي الوقت ذاته ، اذا قال الانسان عقلاً روحياً فانه يستطيع النظر الى النور الازلي ، وعليه فسطوع الله المتوهج ، تهر عيون النفس اذا ما تطلعت اليه ، على حد قول الشاعر : اذك ساطع يا إلهي ، ومشرق اعظم من الشمس في الظهيرة ، فانها لا تخفى إلا على الاعمي الذي لا يبصر ، ففي اشراقك يتألق كل فكر ويخضع ، والعين التي لا تستضيء بضيائك لا تعرف النور . وقال ايضاً في المعنى ذاته : اذا كان النور يكشف عن جميع المرئيات ، ويجلو عنها سجوف الظلام ، فهل يمكن للعين العالقة بهذه المادة ان تبصر لماذا حجب النور عنها ؟

الفصل التاسع

﴿ انواع شوق النفس الى الله ﴾

ان الشوق يتبع المعرفة بداهة ، فكل من يعرف الله ويحبه يشاق اليه ضرورة وكما ان المحين الطبيعيين يشاق احدهم الى رؤية الآخر ، واذا رآه يكون ذلك عن احدي الطريقتين ، اي اما ان يكون بعيداً عنه ، وقد احتفظ في مخيلته بطيف من جماله ، او هو قريب اليه ، ولكن لا يمكنه ان يرى سوى وجهه فقط ، دون التغلغل الى عواطفه القلبية الخفية التي لاتتم إلا بالوصاك الكامل ، وعليه يتوق الى الوصال الكامل ليتمتع بسبر غور تلك العواطف الخفية . كذلك تنطبق هاتان الحالتان على العارفين بالنسبة لشوقهم الى معرفة ربهم ، فاما ان يبصروا جماله الروحي بالاحلام والرؤى ، وفي هذه الحال كأنهم يبصرونه على وراء ضباب شفاف فيتوقوا الى رؤيا

اكثر وضوحاً وبسطوعاً ما يشبه الرؤية العيانية الواضحة ، ويهتفون مع الرقن داود القائل : ظمأت نفسي الى الله ، الى الاله الحي ، متى آتني وارى وجهك ؛ من ٤١ : ٣ . والثانية ، تنطبق عليهم ايضاً ، لان انواع الكمالات الالهية ، لا تحد ولا تقاس ولا يخفى ان ما يمكن الاحاطة به من تلك الكمالات هو اقل من القليل بالنسبة اليها جميعاً ، وعليه ، فانه يتوق دائماً الى ان ينال ما لم يمكنه نواله ، وهكذا تتوهج من الكاملين روح مستقيمة وتتجدد تجدداً مستمراً ، ويجب ان نعلم ان الحالة الاولى من الشوق تنتهي وتتلاشى في عالم الروح لان العارف هناك يتصل بمن احب اتصالاً كاملاً . واما الحالة الثانية ، فلا يمكن التفكير بانتهائها لان جمال الله الرمدي التالف لا يحد ولا ينتهي ، وتصبح نهاية كل رغبة بداية لرغبة روحية جديدة وفي اعقاب كل رغبة من الشوق يعقب شوق جديد ، ولذلك يسمي العارفون هذا النوع من الشوق تعاقباً بينا يدعو البشير نهاية .

الفصل العاشر

* ميزات محبي الله *

هناك عشر ميزات يتميز بها العارف محب الله ، هي :

الاولى : ان يشتاق الى رؤية ربه ، وبما ان الرؤية الحقيقية تكون بعد مغادرة هذه الحياة ، فعليه ان يشبه بالرسول بؤاس الذي كان مشتاقاً للرجل ليكون مع المسيح .

الثانية : الا يعمل بلوادته بل بلوادة ربه ، لان رب الحق قال : اذا كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي .

الثالثة : ان يعرض عن العند كله ، ويعتق الواحد الاحد ، طبقاً لما وجدنا في كتاب عبري ، بعد ان ساد يوسف مصر ، آمنت بالله امرأة سيده التي راودته واهتمته ، ولما مات زوجها ، رغب يوسف بالزواج منها ، فامتنعت ، ولما سألها القريون اليها ، اذن ابن حبك السابق ؟ قالت : اشرمت بحبه قبل ان اعرف الهه ، وانا عرفت الاله الان فقد رسخ في حبه ، وامت بحاجة بعد الآن الى حب العبد .

الرابعة : ان تذكر شفتاه اسم ربه باستمرار ، لان من يحب يكتر من ذكر محبوبه ولا ينقطع عن الاشادة به ، كما كان يفعل داود ، وهو الذي احب نموس ربه فلهج به النهار كله .

الخامسة : ان يتهج ويتعزى بالانفراد في الصومعة الصغيرة ، معرضاً عن كل ما في الدنيا ، متأملاً خشعاً ، فدورة الفضيلة - على حد تعبير مار اسحق - هي التأمل العميق والهديد العقلي الرصين بالله .

السادسة : الا بأسف على متم الدنيا التي فاتته ، بل بأسف على كل ساعة قضاها باطلاً .

السابعة : ان يشعر بعدوبة الحياة النكسية وان كانت هذه الحياة ممضة وعسيرة ، مثل الاخ الذي حدثت عنه الشيخ الفاضل يوحنا ابو الدوالي ، انه في فترة الفورة الاولى من حياته النكسية ، وكانت النعمة قد الهبت قلبه بحجة الله ، كما ان يقف الليل كله عارياً في فصل الشتاء ، متعرضاً للثلج والمطر والصقيع ، ففي السنة الاولى كاد الدم يجمد في عروقه ، وتقلashi الحياة في جسمه ، الا انه قاوم واستمر ، حتى لم يشعر بشدة البرد وان وارى جسده عارياً في الثلج ، لان حرارة متوقدة كانت تنبث فيه .

الثامنة : ان يكون مثقلاً ، على الابرار شديداً رهيباً على الاشرار ، كما كان ربه باراً يحب البر وبالبر يرى وجهه ، وكرهت نفسه الشر والاشرار .

التاسعة : ان يصلي بدون انقطاع ، لثلاث فتر المحبة ، وتتضاءل مواهبه ، على حد قول احد العارفين : ان من كانت ليلته السابقة خيراً من الحاضرة ، هو تميم ، ومن تساوت ايامه هو فاشسل ، ومن كانت ليلته الحاضرة خيراً من البارحة ، فانه الغانم .

العاشرة : الا يظهر محبته جهد امكانه ، وان كانت دلائل المحبة لا تنفخى . قيل ان اثنين من الاخوة مرضا مرضاً شديداً في الصحراء ولما سأل الاخوة احدهما كيف ترى ذاتك ؟ قال : ان من يشعر بتأديبه (تأديب الله) لا يحبه ومثل الثاني

لا يحبه من لا يتمتع بتأديبه . ولما سمع مرشدتها كلامها قال : اما انا فاقول :
لا يحبه من يفضح حبه ، ومنذئذ اخذ الاخوة يخفون فضائلهم .

الفصل الحادي عشر

★ التعزية بالله والداره عنده ★

ان البهجة العذبة التي يشعر بها العارفون بفيض الوحي الالهي واستمرار
الرؤى الروحية ، تدعى التعزية بالله ، وهذه التعزية اذا رسخت في محب الله السعيد ،
لا يسعد الا في الخلوة الهادئة ، ولا يمكنه سماع حفيف ورقة واحدة ، والخلوة التي
هذا شأنها ، يسميها الملائنة خلوة مؤهلة ، لان فيها تتحد النفس اتحاداً كاملاً بالله ،
فتصبح معرفة مجده ورؤياه السامية منظورة بدون عين ، وواضحة معروفة بطريقة
تفوق المعرفة ، ومن قال تلك النعمة فقد اغمض عينه عن كل جمال في الدنيا ،
واعرض عن الاصغاء الى كل نعمة بشرية ، ولجم حواسه عن التطلع الى اي هوى
من الاهواء ، حذراً من الشر خوف ان يقتحمه ، معاقباً الخير لئلا يفوته ، ولا
يتوقف او ينقطع عن التأمل بالله .

ومن هذه التعزية تتولد الدالة ، وهذه وان كانت خطيرة ، لان روح الجسارة
تمازجها ، وقد شهاها الحكماء ربح السموم ، الا لها اذا راققت من رسخسوا في
اعماق التعزية بالله ، فليست خطيرة ، وتكمل هذه الدالة اذا ما ارسل الله روح
ابنه الى قلوب الكاملين ، فهتف (يا ابا الآب) على حد قول الرسول بولس : واذا
حلت روح الاب واستقرت في الكاملين تناجي الاب كأن ابنه يناجيه ، فيتلاشى
هناك الضعف البشري ، وتتوقف الصلاة والعبادة ، وتغيب الاشياء الحاضرة
والمستقبلية ، ويعرف ابن الله الاب بعقلية الهية ، فيناجي الله بهذه الدالة كما يخاطب
الابن اياه ، ويستحيل الى كائن سام ، في روحانية مطلقة وكأنه سامع للصوات
وليس كالحاليين ، لان اياه الغني اطلق يده في كل غناه ، فاصبح وكأنه اياه ، فينسى
ذاته وينسى كل شيء ، ويهتف عالياً هتافاً لا شعورياً ، (ايها الآب ابي) وما الى

ذلك من العبارات الدالة . الا انه محذور عليه تسجيل ذلك كتابة ، او تجسيده على الاوراق ، وقد يلجأ بعض العارفين الى عبارات متطرفة بدافع الدالة ، كما كانت الصديق ايوب يحاج ربه كما يحاج الرجل صديقه بقوله : أبحرُ انا ام لجة لتجعل حولي حراساً ؟ انك تدوس ورقة يابسة متناثرة ، وتضطهد قشة متصوحة ، ان قلت سريري يفرج غمي ، ومضجعي يخفف شكواي ، روعتي بأحلام وبرؤي ذعرتني ، ليته يوجد حكم بيننا ، فيلس باليد حججنا اي ٧ : ١٢ . الى ما هنالك من عبارات ، متطرفة في الدالة ، والبعض ينجون من المحنة بمثل هذه العبارات ، فان النعمة الالهية لا تتحمل عبارات الدالة كهذه من جميع الناس ، على السواء ، تأمل شاول فقد نزع عنه الملك والتبوة ورذل ، لانه اشفق على اجاج ملك عماليق فلم يقتله ، واسف على جمال الثيران والحملان ولم يدها ، وداود النبي الذي تمزغ في حماة كريمة وسفك دم اوريا الحثي البريء غفر الله جريرته بمجرد صراخه اليه ، (قد اخطأت امامك يا رب) واكد له بواسطة النبي ناثان انك لن تموت .

الفصل الثاني عشر

﴿ الضيفات التي بغايتها العارفون بها بالله ﴾

يعتبر الفلاسفة ذكر الموت حكمة ، ويتفق معهم بذلك العارفون الروحانيون بقولهم : ان الفضيلة هي ترداد ذكر الموت حياً بالله وتعبير آخر ، ان الفضيلة هي ان يقاسي الانسان الضيق حياً بالله ، وقد ابدوا هذه الفكرة بأسباب ودقة فقالوا : ان التوشح بالغيرة لا يشعر بكونه جسماً وهو في طريق الفضيلة ممالك ، بل يظهر كأنه غير ذي جسم تجاه جميع الصعاب ، ويهون عليه التجرد حتى من حياته ، فلا يخيب ، وهكذا اذا تذوقت نفسه عدوية الغراء بالله يختطف عقله اليه ، ويستغرق قلبه بذكره المستمر ، ويشعر كأنه في ملكوت السماء لا في هذا العالم ، فتتقظ في قلبه آية الرسول بواس حيث قال : من ذا يفصلني عن محبة المسيح ، اشدة ام اضطهاد ام سيف ، ام عري ، ويتبع خطوات بولس بقوله : اني واثق ، ان لا موت ولا حياة ولا الامور الحاضرة برهبتها ، ولا المستقبلية بتجددها ، ولا خليقة اخرى

تقدر ان تفصلي عن حبة ربي .

ويقاسي العارفون الضيقات لسيين ، اما انهم لشدة شغفهم بحب ربهم لا يشعرون بها ، مثل الاب بنيامين الذي شفي الكثيرين من ذوي العاهات والامستقاء ، واعمل عاهته واستسقاءه ، وسأله احدهم في ذلك فقال : يا أخي ، ان ضربة الحبيب لا تؤلم . او انهم يخضعون لارادة محبوبهم ، اذا اراد امتحانهم كما حدث لايوب الصديق الذي قاسى الآلام البرحة القاسية بدون تدمر ، وقيل ان احد المؤمنين جلد الف مرة سبعين مرة ابان اضطهاد مكسيمينوس ، ولم يئن ولم يك ، فقيل له لم لم تعترض ؟ قال : كنت ارى المسيح ربي الذي جلدت من اجله واقفاً ينظر الي ، فنجلت منه ولم ابك . وشجاعة هذا المؤمن الشجاع وان كانت عظيمة الا انها اقل من شجاعة القديس اسطيفانوس رئيس الشمامسة واول الشهداء ، فليس فقط لم يتدمر ، بل صلى من اجل راحيه وهو موجود بانفاسه الاخيرة ، الامر الذي كان سبباً لنواله الاكليل .

الفصل الثالث عشر

= درجات العارفين في حبة الله =

هناك ثلاث درجات للعارفين في تنمية محبتهم لله ، الاولى والوسطى ، والثالثة ، وهي الغاية الاخيرة للكمال . ذلك ما يعلمه النساك القديسون بالاختبار فعملونا اياه ، وهو : ان لكل من هذه الدرجات اثلاث فعلا خاصاً ، وانتا تشرح كلا منها بايجاز في سطورنا القادمة استناداً الى تعاليمهم ، واليك ذلك :

الدرجة الاولى : اذا اضرمت النعمة في قلب البتديء ، بايديء ذي بدء قبساً من حبة الله ، فجرت في ذلك القلب بنايع التواضع والوداعة ، فيخال ذاته تراباً ورماداً فينرف الدموع على ما فرط منه من المعاصي ، يحزن عميق ، ويتألق ابتهاجاً لان النعمة ، عطفت عليه كالأمر الرقوم ، ويستعذب الترنيم والترتيل والتجهد للتواصل ، وتطول تلك العذوبة مثيرة في خاطره ذكر القديسين محرّضة اياه على الاقتداء بهم او او تعلمه حب العمل في سبيل راحة اخوانه ، وتزين له العطف على البؤساء وخدمة المرضى ، والاخلاد الى المسكينة ، واخذاد الاهواء الفائرة في قلبه وبعضهم ، بالنسبة

الى جهاده ، تأتيه النعمة بكل ذلك كاملاً ، والبعض بعضها . ولكن تحجب النعمة احياناً ليتلى بانجارب فيعيد الكرة في حومة الجهاد ، فتثور فيه ضيقات صاخبة واهواء مجنونة ، حتى اذا تخطاها عادت اليه النعمة ، بعطف اعمن غوراً ، واسمى تألقاً من ذي قبل ، لان احتجابها كان اختباراً لا تخلياً ، وفي هذه الفترة الدقيقة يحتاج المبتدئ الى مرشد حكيم ، لان الكثيرين يندحرون امام هول التجربة وينسون ما كانوا عليه .

الدرجة الوسطى : بعد الاعمال الابتدائية تغير النعمة مفاعيلها في النفس فتتقيها وتقدسها ، وتجعلها جذيرة برؤية الروحانيين ونوال الوحي ، فتشرق في العقل اولا معرفة البرايا فتوقف العقل عن الشرود ، ويرتبط بالخالق المعبود ، ويلبج (العارف) في الكائن الاسمي ، نهراً وليلاً ، حتى يصبح وهو يقظ كأنه نائم ، واذا نام كأنه يقظ واذا استمرت فيه حالة الاختطاف هذه بعض الوقت يتجلى له ربه ولكن كالبرق الخاطف ، ومثل نجم تحجبه السحب سريعاً ، وخاصة في وقت الصلاة وهذه الحالة العجيبة تقطع الصلاة مرات كثيرة وهو لا يعي ، فتعذب روحه بين الخلجات الثائرة المتأججة ، وتلهب حجة ربه في قلبه ، كالنار في الاتون مبعبة اضعاف ، فتضطرم نفسه وتلاشى قواه ويسقط على الارض مغشياً عليه ، ثم ينهض ، ويستمد لرؤيا جديدة فلا تنقطع عنه بل تظهر له مبدداً اطول فاطول يوماً بعد يوم ، ويتألق العقل في رؤيا الخفايا الالهية ، ويتسامى رويداً رويداً ، الى معرفة اسرار الالوهة ، وتتضاعف لديه الرؤى الفائقة ، والعاطفة المشبوبة التي تتخذ حالة جديدة فيكتمل الحب .

درجة الكمال : هنا يبدأ الدخول في السحب ، والتسامي في معارج الروح والعروج الى مخادع اللهب المتألق ، وما كان يظهر للعين كالبرق الخاطف يصبح نديماً وجليلاً ، ويستغرق العقل في تأملاته آمناً مطمئناً ، ان سكان هاتيك الربوع يسرحون في الانوار الوضاعة للنبقة من جمال الملك ، الانوار التي يخشاها الظلام ، هناك يظهر للنفس البارة جمال كيانها ، فتبصر ذاتها كما هي وتجد هناك صورة باربها ، وتنتقل من مشهد روحي عجيب الى مشهد روحي جديد هذه آفاق البرايا كلها غارقة في النور الازلي الذي يغلف البرايا ويتبطنها ، وتتسامى النفس فوق العليين ، فتظهر املاك السماء

امام باصرة العقل ، كما تظهر المراثيات امام الامين ، والعقل وهو في غمرات انواره ،
يبصر الاملاك كما هم بطبيعتهم ، فتألف النفس امجادهم واجنادهم ، وجمالهم الروحي
وكرمهم ، فتشعر انها اصيحت منهم ، وبرهة خاطفة واذا بها في سحابة التور ، امام
العرش الازلي ، وبرهة ضيقة اخرى والحقيا الالهي بطع ، فتخضع النفس وتذوب في
تلك الغمرات اللاهيات الساطعات ، وهنا ينتهي المطاف ، وبطسول زمن التجلي
والاختطاف ، هنا الحقيقة الروحية الساطعة ، فلا ظلال ولا اطياف ، والنفس غارقة
في اللذة العارمة ، تحاول العودة ، ولو لم يرخ لها ربها العنان لاصححت عن خاطرها
ذكريات الجسد ربيها ، واذا ما الهبت اعضاءه بلظاها ومعيها ، وشاركنه العذوبة
الكبرى التي ملكت عليها نواصي خابجتها . كل ذلك والعقل الطموح لم يزل يهوى
اختطافاً جديداً وعروجاً جديداً ، انه يتطلع انلاً الاعلى ، الى مخادع النور ، والى
مطامع الفجر الجديد ، واذا ما شرع بالنسامي والارتفاع يكاد الجسد - رغم
ثقله - يرافقه في هذه الرحلة الجديدة الى تلك العوالم الروحية الجديدة ، ولكنه
يتخلص منه بمجد جهيد ويأخذ في النسامي من مجد الى مجد ، وروح الرب تجذبه
فينسى ، لا الامور الحاضرة وحدها ، بل ينسى كيانه العاقل ، فيجد ذاته وهو في
مطافه الساطع وكأنه شبيه بالله ، ولا يحجم ان يقول : - والدالة الكبرى تحفه زه
- انا في الاب والاب في ، وانا والاب واحد . الى ما هنالك من الوحية التي
لا ينطق بها ، الا في تلك السكرة الروحية العميقة ، وربما يجرؤ العظيم (اريشوس)
والذين نظيره الى تفسير ذلك ، وعنهم يقول الروح : (واهالي ولبي بيتي) محذراً
اياهم ان يصمتوا الصمت العميق ولا ينطقوا بما لا ينطق به ، ان (اريشوس) لم
يسمح لتلاميذه التعبير عن ذلك ، الا بالكلمة الحية . وهذه الحالة يسميها الفلاسفة
التشبه بالله بقدر المستطاع .

الفصل الرابع عشر

حالات التأملية

إذا بلغ الكاملون درجة الكمال فإن النعمة تفتقد باثنتي عشرة عجيبة ، اعتباراً منذ ولوجهم فناء الازل ، حتى اختفائهم في سحائب النور ، والحظوى برؤيا الحبيب في خدره الازلي ، وهي :

الحالة الاولى : حالة معمودية العقل ، فني اللحظة التي يتم فيها الاختطاف ، يعتمد العقل في القلب ، ويتوقف الفكر عن التفكير خاشعاً ، انه لا يتم حتى بالتسبيح بل يخيم الصمت العميق على قوى النفس والجسد ، فيتغذى الجسد بما يحوزه العقل من نعمة ، وفي هذه المعمودية اعتمد موسى الكليم ، وفي هذه الحالة يصبح الكامل مرهف الحس رقيق الشعور لا تؤله فقط رؤية انسان بل يقلقه حتى حفيف الطائر .

الحالة الثانية : حالة تسامي الفهم العميق لعاني الروح . فالعقل بعد تألقه يعرف ذاته ، ويعقل سمو منزلته وعظمة منبته ، فيستمر خاشعاً ، فلا يحيد هنا ، او هناك ، ولكن اذا ماداعبه الشرود ، لجأ الى القراءة والترتيل ، والتجهد اما المصلوب ، فينتصر بعد لحظات ، فيعود الى التألق والسطوع وهو في مخدع القلب العميق .

الحالة الثالثة : حالة الاغراق في القراءة وترتيل الزامير ، وهذا الاغراق يتسامى الى درجة الغليان في القلب ، فيستمر العقل مرتلاً حتى اثناء الطعام .

الحالة الرابعة : حالة تفجر الدموع ، بطريقة عفوية بحيث لا سلطان للارادة في تلك الدموع ، لان نار المحبة اذا ما اضرمت النفس ، في صميمها ، فتفجر الدموع من الآقي تلقائياً .

الحالة الخامسة : حالة المعرفة ، حيث تتصور النفس رهبة الدينونة وعطف العناية الالهية ، ومن ينبوع هذه المعرفة يتفجر في النفس عطف على الانسانية فتكثر اللثناء هدايتها ، لانها تجد جميع البشر متساوين معها ، في هذه الحالة ، لا يوجد بار ولا اثم ، لا عبد ولا حر ، لا ختانة ولا غربة ، لا ذكر ولا اثنى ، بل ترى المسيح كثيراً وفي كل انسان .

الفصل الخامس عشر

★ جمع الكلمات المنفرقة في المحبة ★

سئل احد الاخوة العارفين ، ما هي المحبة ؟ قال : المحبة نار الهية تاتهب في المختارين تحرق وتذيب كل هوى منحرف في قلوبهم .

وقال غيره : المحبة هي النزول عند رغبة المحبوب . وقال غيره : المحبة قوة تنبثق من الطبيعة ، فتخضع الارادة ولا يستطيع العقل ادراكها ، ولا اللسان تفسيرها .

وقال آخر : بكى حتى عمي ، ووقف حتى اعتكف ، وصام حتى ضام ، وصلى حتى عل ، وفي كل ذلك لم يجبن ، ولم يثن ، بل كان يقول : لقد اقسمت بذاتك ، يا رب الارباب ، لو كان بيني وبينك نهر من نار لاقتحمته اقتحامى الماء . وقال آخر : ان محبتي لربي جعلتني غريباً عن الانسانية وما يهملها . وقال آخر : من سلافة الحب شربت شرابي من النهر ، وقد ذهبت ان النهر لم يفيض ، ولم اسكر ، ارقى الشوق اليك الليل كله حتى الصباح ، ولو خشت لما خشت إلا بك . وقال غيره : اذا ثارت محبة الله في القلب ، استحال برمه تاراً لاهية ، واتهب متوجداً بهجة عارمة ، الى رؤيا الخفانيا . كان احد الاخوة يقول : اذا ما اشرقت علي المحبة الابوية فاخطفت عقلي ، قبل ان يرتقي حائراً متهيأ ، يسبح في بحر من نور ، فيتمدد ، ويتسامى ، بوحيه ، ويتصاعد خاشعاً ، ويشعل بكؤوس مترعة من العظمة مبهجاً ، ويضرم جأ وهياماً ، وفي صفحته يبصر الملائكة يشرقون وينشدون ، فينضم اليهم منشداً مسبحاً ، ثم يجمع قواه ، فيتوارى في غيابات الانوار المتألقة ، ويخضع لرؤية ذوي الجمال ، وبصعق بحب ذي الجلال ، ويستحيل كل شيء لديه الى عدم حتى ذاته ، وفي هذا المأزق التسامي عن المعرفة والحركة ، يخضع العقل برهة تارة ، وطوراً ساعة كاملة او النهار كله ، طبقاً لارادة الروح الكلي ، وبعد اجلاء هذه اللحظات الرهية ، يستمر مصدوقاً لا حراك فيه زهاء اسبوع كامل ، ثم يغيب العقل ايضاً ، ثم يشرق ، ويظهر اولاً كالكوكب اللدري ساطع الاشعة ، رائع الجمال ، مشرقاً متألقاً ، ثم يستحيل الى عمود من

فور ، ثم يرتفع العقل وينيب من جديد متوارياً في السحاب ، حيث تهبط عليه منحة الوحي والالهام ، والنبوة والشفاء .

وقال غيره : يتسم الفجر مشرفاً ، ويسطع النور وهاجاً ، وينطق الحبيب باسماء ، ويتجلى العلي الخفي ساطعاً ، ويظهر ذاته متألقاً .

وقال غيره : ان لهيب الحب لا يدع من اضرمه ان يكمل فروضه ، لان في اللحظة التي يقف فيها للصلاة ، يأخذ القلب منه بالالتهاب ، حتى يشتعل ويشعل الجسم معه ، فلا يقوى على الوقوف ، فيسقط على وجهه كاليت ، ويلتوي عوده ، ويخبو رشده ، وفي حالته النارية هذه يشعر كأنه قبس من نار حية هو وما يحيط به ، من عنف القوة التي تغلغت في كيانه ، ويؤيد صحة ذلك الرب ذاته . اني سمعت احد الاخوة مرات كثيرة يقول : اذا ثملت بحب المسيح ، لا يقوى على ضبط نفسه والنار الالهية تضطرم في كيانه ، كان يصرخ عالياً ويقول : ما اشد لهيب حبك يا ربي وإلهي ، فقد ذاب كياني حباً بك يا سيدي ، اني لا اقوى على المقاومة ، يا لجمالك الذي لا يوصف ، فادخلني ايها الملك الى حجابك ، لا تبهج بجوارك ، الى ما هنالك من الاقوال .

وقيل ايضاً : ان المحبة تصفي الوجود على الجسم وحواسه ، وترفع العقل فيتمتع بنور الجميل الازلي ، عاقته الرحمة مشرقة ، وسمت به الى مكان ما ، الى عالم لا ينطق به ، الى اللأ الاعلى ، واذا ما بلغ الناسك السحابة الالهية واتهى الى ميناء الامان ، يرى مجد الرب وجهاً لوجه ، وبتلألاً ، ويستحيل الى كائن يشبه ربه ، وهناك تفيض منه الرحمة على الكون كما يفعل ربه ، فتمحضه الكائنات الحب العميق ، وتألفه الوحوش المضارية ، وتأنس به البهائم والطيور ، والهوام ، لانها تتشق منه عبر باربيها ، وتثيبه الكائنات الجامدة ، وحتى الابلسة الماردون يصدعون لأمره ، بدافع الرحمة التي تسودهم . فما اعجب الحب الذي يحضه له ملائكة السماء فينشدون له الانشودة القائلة : ليهج قلب طالبي الرب .

وقيل ايضاً : تأمل النار التي اتحدت بالحديد ، فلا تميز هناك صفات الحديد ، اذ يستحيل الى النار باتحاده بها ، فلا ترى هناك شكلين بل شكلاً واحداً ، ولكن

الخواص الطبيعية لكل منها محفوظة ، على هذا الشكل يرى بنو الله ذواتهم شبه ربهم فيتألمون جميعاً ، نعمة وفضلاً من ربهم ، وكلما نمت كيانهم بالنعمة فأنهم لا يشعرون كما لا يشعر الإنسان بنموه الطبيعي ، انهم يجدون فقط مجدم يتضاعف ، وكلما تضاعف المجد فيهم كلما تألفت المحبة ونمت .

وقيل ايضاً ان من يكتب اسرار الروح ، اذ الروح لم يلد عليه فعذوبة الروح بعيدة عن انقاسه ، فيظهر لسامعيه بغيضاً ، ولقراء كلماته مقيتاً . اما من يتعلم اسرار الروح من الروح نفسه ، ويسجل محاملي عليه الروح ، فانقاس الروح تتضوع في عباراته ، ويأتي بالآيات البينات ، فيجد فيها سامعوها قوة الروح نفسه ، فتفيض قلوبهم بهجة وسروراً ، وحياة ، وتحمد اهواؤهم ، وهذا هو (قلم الكاتب الماهر) يخط به سفره المقدس .

الباب السادس عشر

التفكير بالموت

= وفيه ستة فصول =

الفصل الاول

﴿ افوان الرباء في التفكير بالموت ﴾

عندما كان رئيس الاساقفة تيوفيلس يغادر هذا العالم قال : طوبى لك يا تيوفيل لانك فكرت في هذه الساعة .

والاب قومان سمع برقاد الاب ارسانيوس فقال : طوبى لك يا ارسانيا لانك بكيت على نفسك في هذا العالم ، فمن لا يسكي هنا سيكي هناك الى الابد .

كانت الام سارة (الناسكة) تقول : عندما اضع رجلي على السلم لاصعد ، اتصور موتي قبل ان اتوقاه .

قال احد الشيوخ : اني اتوقع موتي صباحاً ومساءً وفي كل يوم . وقال آخر : عندما انزل المغزل ، قبل ان ارفعه اتصور موتي نصب عيني . وقال غيره : عندما اخيط زنبلاً فقي كل ابرة اضربها ، اتصور موتي قبل ان اعيدها .

وكان الاب مقاريس يقول : ان ثلاثة امور هي اساسية ، ويجب على الانسان ان يضعها نصب عينه ، الاول : ان يفكر في موته دائماً ، والثاني : ان يموت عن كل انسان . والثالث : ان يكون تفكيره محصوراً بالرب ، فان لم يضع الانسان موته نصب عينه ، دائماً ، لا يمكنه ان يموت عن العالم ، وان لم يموت عن العالم لا يمكنه الاستمرار مع الله .

قال الاب اوغريس : اجلس في كوخك ، واجمع فكرك ، واذكر يوم موتك تصور في فكرك رهبة الدينان ، والوقوف امام العرش الرهيب ، واي خزي يكون للخطاة امام المسيح والملائكة والبشر ، تأمل الأعدبة القاسية ، النار التي لا تنطفىء ، والدود الذي لا يموت ، ولجج الهاوية وقشعريرة الموت ، والظلمة الخارجية ، واذكر ايضاً النعم المحفوظ للصدّيقين ، والدانة لدى الله ، ومسيحه ، وملائكته ، نعم الملكوت النعم الالهية ، البهجات والراحة ، فلتكن متأملاً في هذين القيصين ، لكي يمكنك ان تقاسي انخوة برادة ثابتة .

وقال ياونسي رئيس الدير : لا يمكن ان يعرف الانسان حتمية الموت ويمكنه ان يخطيء ، والوثنيون ايضاً قتلوا ما يشبه هذا : ان التأمل في الموت فلسفة .

الفصل الثاني

٥ - الاسباب التي تحول دون تصور الموت وعملها

هناك سببان يحملان الانسان على نسيان الموت وعدم تفكيره في امر زواله وهما :

(١) : الاغراق في محبة العالم لان من يحب امراً ما ، فدن البدي ان يكره ما هو ضده ، وعليه فمن يحب الحياة الزمنية فإنه يكره زوالها ، وهذا الكره يحمل الانسان على الا يفكر بالموت ، وهو الانتقال من هذه الحياة الزائلة ،

فيستمر متعلقاً بآمال فارغة مشوهة حياة طويلة .
 (٢) عدم المعرفة ، لان من لا يعرف ان الانسان يشبه عتياً يذبل ، وزهراً
 يفتح ثم يذوي ويتساقط ، فيمد له مؤونة نعيم زائل ولمدة طويلة كان مسيحياً الى
 الابد ، على حد قول الرب في النبي الذي ملأ اهراء غلات وكان يفكر فيها ويقول
 ماذا اعمل فليس لدي موضع كاف لاكثر فيه غلاتي ، سأعمل هكذا ، اهدم اهراي
 وابني اوسع منها ، واخزن فيها غلاتي وخيراتي ، واقول لنفسي : يا نفس ، لك خيرات
 كثيرة مكنوزة لسنتين كثيرة ، فكلي واشربي وتنعمي ، قال له الله : ايها النبي ،
 في هذه الليلة تؤخذ نفسك منك ، وهذا الذي اعدته لمن يكون ؟

يشفي هذان الداءان ، بان يفكر الانسان في العالم ان الصحة تؤول الى
 مرض ، والقوة الى ضعف ، والحيرت الى هزال ، وربعان الشبان الى يؤس الشيخوخة ،
 وجمال الفتوة الى بشاعة الهرم ، واخيلام الى زوال . والنعيم الى عذاب ، والكبرياء
 والمعجرفة الى سقوط مفاجيء ، وهكذا تنجد في القاب حبة العالم وشهواته ، ولولا
 النباوة لما ضلت النفس .

الفصل الثالث

مرارة كأس الموت ومعالجتها

ان الطبيعة ذاتها تؤكد مرارة الموت ، ورهبة الساعة ، لان كل عضو يقطع
 انما هو رحيل الروح عنه بسبب مرض قد يصيبه ، ولا يرتابن احد ، ان انتقال
 الروح عن سائر الاعضاء بالموت ، يرافقه الم كافي ، اضعاف اضعاف الالم الذي يصيب
 كل عضو اذا ما قطع بفردم بالسيف مثلاً . وقد اظهر عظم تلك الالام وقسوتها
 ابن الله وكلمته ، اذا اتخذ جسداً مائتاً لبحينا . وعندما كان يتها ان يموت موتاً
 ارادياً ، من اجلنا نحن الخطاة ، وهو لم يخطيء ، قال : نفسي حزينة حستى الموت .
 وتالم وحزن ، وصلى حتى كان عرقه يتصب على الارض كعبيط من الدم ، فاذا
 كان ذلك الجسد للقدس المتحد بكلمة الله ، هذه حاله ، فكيف لا ترع رهبة منه
 هذه الاجساد الضعيفة الهزيلة ؟ وقد حدثنا الفاضل ياوني رئيس اللير عن احد

الاخوة ، انه روع من فكرة الموت ، حتى استولى عليه دوار شديد فسقط مغنى عليه ، وحملة الاخوة ، وكان الاب ايليا يقول : اني اخشى ثلاثة امور اذا اوشكت نفسي عن هذا العالم ، وعندما اقابل المسيح وعندما يصدر الحكم علي . ولما كانت كأس الموت مرة وقاسية بهذا القدار ، فليذكر الانسان اخوته واصدقائه الذين سبقوه ، وليتصور كيف كانوا وكيف اصبحوا ، وهو احدهم وشيهم ومجانسهم ، فتخف مرارة الموت قليلاً ويقدم على تجربتها بشجاعة .

الفصل الرابع

﴿ كيفية انتقال النفس البارة والنفس الفاطنة ﴾

ان القديس فلاديس بروي في الجزء الثالث من كتاب قردوس الرهبان ، عن احد الشيوخ قوله : اعرف اخاً كان يصلي يوماً طالباً الى الله ان يرى نفس بار ونفس خاطيء تنتقلان من الجسد ، ولم يرد الله ان يؤلمه ويحرمه رغبته هذه ، فارسل اليه وحشاً ثله من ثيابه وسجبه حتى بلغ به ديراً من الاديار بجوار احدى المدن ، ولما دخل الدير وجد فيه رجلاً اشهر بكونه فاسكاً فاضلاً ، وكان مبتلى بمرض وييل ، فاوشك على الرحيل ، ولاحظ الاخ شموماً وقتاديل وغيرهما مدة لهذا المرض ، وكان سكان المدينة ينوحون عليه ، ويقولون : ان الله بدعائه كان ينجنا الخبز وللماء ، وبه اتقنا مرات كثيرة ، فان مات سموت كلنا ، ولما دنت اللحظة الاخيرة ، كان الاخ ينظر قيرى ، واذا بحارس الجحيم ، وافي ، وفي يده كهشة فاربية ذات ثلاثة اسنان ، وادخلها في قلبه ، فغذبه وقتاً طويلاً ، ثم قبض روحه ، وبعد ذلك ، دخل الاخ المدينة ، فرأى رجلاً غريباً مطروحاً في الشارع مريضاً ، وليس من معنى بامرء ، فاقام لديه يوماً كاملاً ، وفي لحظة موته رأى الاخ الملاكين جبرائيل وميخائيل وقدما وجلسا يقربه ، وكانا يطلبان الى نفسه ليأخذاهما ، وهي كانت متشبثة بجسدها ، ولما اراد جبرائيل ان يأخذها عنوة ، قال له ميخائيل : ليس لدينا امر ان نقبضها عنوة ، فصرخ جبرائيل بصوت عظيم وقال : ماذا تريد ان تفعل بهذه النفس

المتشبهة بجسدها ؛ فأثاد صوت يقول : سأرسل داود وقيثاره معه ، ومعه جميع المرتلين ، ولما هبطوا ، فأحاطوها ، وكانوا يرسلون انعاماً وخيمة ، فقزت النفس فخرجت ، وكانت متهجة بين يدي ميخائيل ، وارتفعت مسرورة .

الفصل الخامس

﴿ الترمذى بنحوه على الخطي ، لحظة موته ﴾

يقال ان رجلاً غنياً ، اذ اشرف على الموت قال لاولاده : قدموا لي اموالي لكي اراها ، ولما قدموا اليه غنى ضخماً ، خيلاً وبقراً وغنماً ، وغيرها ، وتأملها وانفجر باكياً ، وبينما هو يبكي ، تراهى له ملاك الموت يقول : ماذا يفيد بكائك الآن ؛ فوالذي ارسلني ، لن اخرج حتى آخذ نفسك . قال الغني : امهلي حتى اوزع اموالي على المحتاجين ، قال ملاك الموت : كان ينبغي لك ان تفعل ذلك متصدقاً قبل حضورى ، ولكن الآن لست مأذوناً ان اريث .

وروى القديس فلاديس ما يشبه ذلك في احد الشيوخ : وذكر انه ذهب مرة الى احدى المدن ، لبيع نتاج عماله ، وصدقة جلس على باب احد الاثنياء ، وكان في النزاع الاخير ، فظفر واذا بخيل سوداء وفرسان سود يتطونها ، وكانوا رهبي المنظر ، وبأيديهم عصي من نار ، ولما بلغوا باب الدار ، تركوا خيلهم خارجاً ، ودخلوا الدار جميعاً ، فلما رآهم المريض ، صرخ فرعاً وقال : رب انجي ، قالوا له : الآن وقد اوشكت الشمس على الغيب جئت تذكرك الله ؛ لم لم تطلبه لما كان نهاراً ، فليس لنا الآن شيء من الأمل او الرجاء ، فأخذوا روحه ومضوا .

الفصل السادس

﴿ الرؤى التي تجلت لبعض ارباب لحظات الاستغفال ﴾

قال الاب فرميك : سأل الاب موسى الاب زكريا - والاب زكريا مشرف على الرحيل - ماذا ترى ؛ قال ذلك الفاضل (الاب زكريا) انصمتن ايها الاب ،

قال : نعم يا بني ، أصمت ، وفي لحظة موته ، - وكان الأب ابسيدورا جالساً ينظر الى السماء - قال : افرح وابتهج ، يا بني زكريا ، فقد انفتحت ابواب السماء .

يقال ان الأب يوسف عندما أشرف على الموت ، والشيوخ جلوس بحضرتة ، نظر الى الكوة ، فرأى الشيطان جالساً ، فنادى تلميذه وقال : عليّ بعضاً ، ايظن هذا ، اني شحت ولا يمكيني ان اقومه ؟ وحطاً سمع الشيطان القى نفسه كالكلب من الكوة ، وراه الشيخ هارباً .

يقال ان الأب سوسايس مرض ، وكان الشيوخ جلوساً لديه ، فسموه يتكلم فسألوه ، ماذا ترى ايها الأب ؟ قال : لقد جاء من يأخذني ، ولقد طلبت اليه التريث لكي اتوب ، قال له احد الشيوخ : ماذا فيك من القوة للتوبة ؟ قال : اذا عجزت عن عمل اي شيء ، اتهد قليلاً على نفسي ، وهذا يكفيني .

كان الأب سيلونا جالساً والاخوة معه ، فخشع امام الله وسقط على وجهه ، وبعد برهة نهض باكياً ، فطلب اليه الاخوة قائلين : ما بك ايها الأب ؟ فسكت . فالحوا عليه بالطلب ، فقال : خطفت الآن الى الدينونة امام الله ، ورأيت كثيرين من زملائنا ينفجرون الى العذاب ، وكثيرين من ابناء الدنيا يرتفعون الى النعيم ، وكان الشيخ حزيباً ، ولم يرد الخروج من صومعته ، وتغطى وجهه بقبعته وقال : لم اراني طرماً في رؤية هذا النور اترائل ، اذ لا يجد فيها الانسان اية قائدة ؟ .

ملاحظة ، للذكرى والتاريخ :

بدأنا بترجمة هذا الكتاب الجليل الى العربية في الساعة التاسعة من مساء يوم الاثنين ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٦٥ في دمشق ، وانتهينا من الترجمة في الساعة الثانية عشرة تماماً من ليلة العاشر من كانون الاول - ليلة عيد مار بنام الشهيد - سنة ١٩٦٥ في بغداد ، وانتهت طباعته في مطبعة الشباب بالقامشي في ٨ نيسان سنة ١٩٦٧ . وته الشكر في البداية والنهاية . غورغور يوس (

- مخبرات الكتاب -

الموضوع

| صفحة | الموضوع |
|------|--|
| ٣ | مقدمة العرب بالسريانية |
| ٥ | المقدمة - بقاء العرب |
| ٩٦ | مقدمة المؤلف |
| | المقالة الأولى |
| ٩٧ | ترويض الجسد وتنظيم حركات تمرينه |
| | تسعة أبواب |
| ٩٧ | الباب الأول : الصلاة - تسعة فصول |
| ٩٧ | الفصل (١) : اقوال الآباء في فضيلة الصلاة |
| ٩٨ | الفصل (٢) : جمع العقل ابن الصلاة |
| ٩٩ | الفصل (٣) : شرود الأفكار وشفاؤه |
| ١٠٠ | الفصل (٤) : الاعمال التي بها تكمل الصلاة |
| ١٠٢ | الفصل (٥) : الفرح الذي يطرأ على الكاملين في الصلاة |
| ١٠٣ | الفصل (٦) : كيفية الصلاة |
| ١٠٤ | الفصل (٧) : ليست الصلاة الطاهرة بكلمات مصقولة |
| ١٠٥ | الفصل (٨) : اوقات الصلاة |
| ١٠٦ | الفصل (٩) : الاحتفال بالقداس ليس من واجبات النساك |
| ١٠٧ | الباب الثاني : اعمال النساك - عشرة فصول |
| ١٠٧ | الفصل (١) : كلام الآباء في فضيلة الاعمال |
| ١٠٨ | الفصل (٢) : تنوع الاعمال |
| ١٠٩ | الفصل (٣) : الطلبة |
| ١١١ | الفصل (٤) : قوانين الطلبة |
| ١١٢ | الفصل (٥) : ذكر الله |
| ١١٣ | الفصل (٦) : القراءة |

| ص | الموضوع |
|-----|---|
| ١١٤ | الفصل (٧) : الثأمل |
| ١١٥ | الفصل (٨) : تقسيم اوقات الصلاة |
| ١١٧ | الفصل (٩) : الركوع |
| ١١٨ | الفصل (١٠) : الاوقات تختلف باختلاف المهام |
| ١٢٠ | الباب الثالث : السهر والنوم - خمسة فصول |
| ١٢٠ | الفصل (١) : اقوال الآباء في السهر |
| ١٢١ | الفصل (٢) : الاسباب المساعدة على السهر |
| ١٢٢ | الفصل (٣) : طبقات الساهرين |
| ١٢٣ | الفصل (٤) : قوانين النوم |
| ١٢٥ | الفصل (٥) : ما يحدث في الاحلام |
| ١٢٦ | الباب الرابع : في المزامير - سبعة فصول |
| ١٢٦ | الفصل (١) : كيفية الترتيل |
| ١٢٧ | الفصل (٢) : عدد المزامير المرتلة |
| ١٢٩ | الفصل (٣) : وجوب الترتيل بخشوع وبكاء |
| ١٢٩ | الفصل (٤) : اسباب البكاء |
| ١٣٠ | الفصل (٥) : الاحساس الذي يثور في الكاملين لدى الترتيل |
| ١٣١ | الفصل (٦) : تفهيم المزامير ذو اثر وفائدة |
| ١٣٢ | الفصل (٧) : لكل شأن وميل نفسي مزموور خاص |
| ١٣٤ | الباب الخامس : الالحان - تسعة فصول |
| ١٣٤ | الفصل (١) : رأي النساك الذين لا يجذون الالحان |
| ١٣٥ | الفصل (٢) : الرأي الصياني الذي يتنادي بمرافقة آلات الطرب والرقص للترتيل |
| ١٣٦ | الفصل (٣) : رأي من يحيز بعض الالحان ويتع بعضها وهو الاصوب |
| ١٣٨ | الفصل (٤) : من وضع الالحان الروحية في الكنيسة : السريانية ومتى ؟ |
| ١٣٩ | الفصل (٦) : اللذة المتولدة من اللحن وسببها |
| ١٤٠ | الفصل (٧) : اسباب النعمة الطبيعية |

الفصل (٨) : درجات الفهم لعاني مادة الترقيل

١٤٣

الفصل (٩) : تأثير الاطخاف في النفس

١٤٤

الباب السادس : الصوم - سبعة فصول

١٤٦

الفصل (١) : تأثير الصوم وفوائده

١٤٦

الفصل (٢) : انواع الصوم الاساسية

١٤٧

الفصل (٣) : درجات الصوم وقوانينه

١٤٨

الفصل (٤) : قوانين الصوم الخاص

١٤٩

الفصل (٥) : قنوت الصوم الأخص

١٥٠

الفصل (٦) : عدد الاصوام وایامها

١٥١

الفصل (٧) : الامور المنوعة أثناء الصوم

١٥٣

الباب السابع : العزلة - خمسة فصول

١٥٥

الفصل (١) : آراء الآباء في فضيلة العزلة

١٥٥

الفصل (٢) : آراء الفضلاء في العزلة

١٥٦

الفصل (٣) : فوائد العزلة

١٥٧

الفصل (٤) : فوائد العزلة

١٦٠

الفصل (٥) : اعمال العزلة وقوانينها

١٦٢

الباب الثامن : العزبة - خمسة فصول

١٦٣

الفصل (١) : آراء الفضلاء في العزبة

١٦٣

الفصل (٢) : تحديد العزبة

١٦٤

الفصل (٣) : اقسام العزبة واسماها

١٦٥

الفصل (٤) : النظم المادية للمسافرين في الطريق

١٦٦

الفصل (٥) : النظم الروحية للمسافرين

١٦٧

الباب التاسع : زيارة اورشليم - خمسة فصول

١٧٠

الفصل (١) : الآراء حول زيارة الاماكن المقدسة

١٧٠

الفصل (٢) : الآراء في السكنى في اورشليم

١٧١

| ص | الموضوع |
|-----|--|
| ١٧٢ | الفصل (٣) : الشروط التي يجب ان يتقيد بها المسافر الى اورشليم |
| ١٧٣ | الفصل (٤) : الشروط التي يجب التقيد بها في اورشليم |
| ١٧٤ | الفصل (٥) : التأمل في الاماكن المقدسة |

المقالة الثانية

ترتيب اعمال الحياة الجدية

سنة ابواب

الباب الاول : الطعام والشراب - احد عشر فصلاً

| | |
|-----|---|
| ١٧٥ | الفصل (١) : شروط الطعام |
| ١٧٧ | الفصل (٢) : الشروط التي يجب ان تراعى اثناء الطعام |
| ١٧٨ | الفصل (٣) : الشروط التي يجب ان تراعى بعد الطعام |
| ١٧٩ | الفصل (٤) : شروط الطعام الجماعي في الديورة |
| ١٨١ | الفصل (٥) : تقديم الطعام للضيف |
| ١٨٢ | الفصل (٦) : عناصر الدعوى الى وليمة وشروطها |
| ١٨٢ | الفصل (٧) : شروط تلبية الدعوى |
| ١٨٣ | الفصل (٨) : الحضور |
| ١٨٤ | الفصل (٩) : تقديم الطعام |
| ١٨٥ | الفصل (١٠) : الخروج من الوليمة |
| ١٨٦ | الفصل (١١) : شروط مجالس الشراب |
| ١٨٧ | الباب الثاني : الزواج الشرعي - تسعة فصول |

| | |
|-----|---|
| ١٨٧ | الفصل (١) : البتولية والزواج وايها افضل |
| ١٨٨ | الفصل (٢) : قيمة الزواج الشرعي |
| ١٩٠ | الفصل (٣) : فوائد الزواج |
| ١٩١ | الفصل (٤) : رضات الزواج |
| ١٩٢ | الفصل (٥) : الصفات المطلوبة في الخطيبة |
| ١٩٤ | الفصل (٦) : واجبات الرجل نحو زوجته |

الفصل (٧) : وأجبات الزوجة نحو زوجها

١٩٥

الباب الثالث : نظافة الجسد - عشرة فصول - لم يُعرَّب ولم يُنشر

١٩٧

الباب الرابع : التربية والتعليم - أربعة فصول

١٩٧

الفصل (١) : تربية الاطفال

١٩٩

الفصل (٢) : تصرفات الثبات والشيوخ

٢٠٠

الفصل (٣) : كيفية تصرف الثبات في خدمة الملوك

٢٠١

الفصل (٤) : حالات تصرف رجال البر مع الملوك الطفساء

٢٠٢

الباب الخامس : الاعمال اليدوية - ستة فصول

٢٠٢

الفصل (١) : اقوال الآباء في فضيلة الاعمال اليدوية

٢٠٣

الفصل (٢) : تعطيل الاعمال اليدوية

٢٠٥

الفصل (٣) : انواع الاعمال اليدوية

٢٠٧

الفصل (٤) : الخطايا الناتجة عن البيع والشراء

٢٠٨

الفصل (٥) : إمداء العروف في التجارة

٢٠٩

الفصل (٦) : حقيقة العدالة في التجارة

٢١١

الباب السادس : الصدقات - أربعة فصول

٢١١

الفصل (١) : انواع الزكاة واجناسها

٢١٣

الفصل (٢) : اصحاب الحق في تناول الصدقة

٢١٤

الفصل (٣) : ما يترتب من الشروط على مقدمي الزكاة

٢١٥

الفصل (٤) : الشروط التي يجب ان يتقيد بها متناول الزكاة

المقالة الثالثة

تنقية النفس من الاهواء الشريرة - اثنا عشر باباً

٢١٦

الباب الاول : النفس . قواها . خصائصها . ميولها . اثنا عشر فصلاً

٢١٦

الفصل (١) : تفسير اسماء النفس

٢١٨

الفصل (٢) : القوى الخادمة للنفس

٢١٩

الفصل (٣) : اقوال الآباء في قوى النفس الثلاثة

- الفصل (٤) : خصائص النفس العاقلة ٢٢٠
- الفصل (٥) : الحالات المختلفة الطارئة على النفس البشرية ٢٢٠
- الفصل (٦) : النفس الناطقة بالنسبة الى العقولات ٢٢١
- الفصل (٧) : طبقات العارفين ٢٢٢
- الفصل (٨) : ضد الذين يعطلون اعمال الزهد بسبب خطر الامراض ٢٢٣
- الفصل (٩) : البراهين الطبيعية في طبقات العارفين الاربع ٢٢٤
- الفصل (١٠) : كيف تتفجر الافكار في النفس ٢٢٦
- الفصل (١١) : الميول النفسية الصالحة والطارحة ٢٢٦
- الفصل (١٢) : الابواب التي منها تدخل الخطيئة ٢٢٧
- الباب الثاني : ترويض النفس واصلاح العادات - احد عشر فصلا ٢٢٩
- الفصل (١) : تحديد العادة ٢٢٩
- الفصل (٢) : صحة النفس وامراضها ٢٢٩
- الفصل (٣) : العادات متبدلة ٢٣١
- الفصل (٤) : الاسباب التي معها يصعب تبدل العادات ٢٣١
- الفصل (٥) : الامور التي بها تنال العادات الطيبة ٢٣٢
- الفصل (٦) : تحديد امراض النفس ٢٣٣
- الفصل (٧) : كيفية معرفة الانسان عيوبه ٢٣٤
- الفصل (٨) : تمزيق الستار عن عيون النفس ٢٣٤
- الفصل (٩) : التزود للسفر الروحي ٢٣٥
- الفصل (١٠) : المكوث في الصومعة ٢٣٥
- الفصل (١١) : عشرات الكاملين ٢٣٦
- الباب الثالث : الشراة وعلاجها - تسعة فصول ٢٣٧
- الفصل (١) : كلام الابهاء في الحذر من الشراة ٢٣٧
- الفصل (٢) : الاهواء الناتجة عن الشراة ٢٣٩
- الفصل (٣) : فوائد الجوع ٢٣٩
- الفصل (٤) : تلقيح كمية الطعام ٢٤٠

- ٢٤١ الفصل (٥) : نوعية الطعام
- ٢٤٢ الفصل (٦) : اوقات الطعام
- ٢٤٢ الفصل (٧) : شرب الماء
- ٢٤٣ الفصل (٨) : الجوع يفيد المتدين اكثر مما يفيد الكاملين
- ٢٤٤ الفصل (٩) : الاهواء التي تور في التوحيد
- الباب الرابع : لم يعرب ولم ينشر .
- ٢٤٥ الباب الخامس : عشرات اللسان - تسعة عشر فصلاً
- ٢٤٥ الفصل (١) : كلام الآباء في لجم اللسان
- ٢٤٧ الفصل (٢) : فضيلة الصمت
- ٢٤٧ الفصل (٣) : الكلام الباطل
- ٢٤٨ الفصل (٤) : كثرة الكلام
- ٢٤٨ الفصل (٥) : الكلام البطن يؤثم
- ٢٤٨ الفصل (٦) : المشاجرة
- ٢٤٩ الفصل (٧) : الخصام
- ٢٤٩ الفصل (٨) : الشتم
- ٢٥٠ الفصل (٩) : الحرم واللعنة
- ٢٥٠ الفصل (١٠) : الغناء والشعر
- ٢٥١ الفصل (١١) : الهزل
- ٢٥٢ الفصل (١٢) : السخرية
- ٢٥٢ الفصل (١٣) : الكذب
- ٢٥٣ الفصل (١٤) : الاغتياب
- ٢٥٤ الفصل (١٥) : التلب
- ٢٥٤ الفصل (١٦) : التفارق
- ٢٥٥ الفصل (١٧) : المديح
- ٢٥٥ الفصل (١٨) : الكلام السافح

| ص | الموضوع |
|-----|--|
| ٢٥٥ | الفصل (١٩) : بحث ما لا يفيد |
| ٢٥٦ | الباب السادس - الغضب والحسد والحقد - خمسة فصول |
| ٢٥٦ | الفصل (١) : اقوال الائمة في الحذر من الغضب |
| ٢٥٧ | الفصل (٢) : الاسباب التي من اجلها غرس الغضب في طبيعة الانسان |
| ٢٥٨ | الفصل (٣) : اسباب الغضب ومعالجتها |
| ٢٥٩ | الفصل (٤) : الضغينة (الحقد) |
| ٢٥٩ | الفصل (٥) : الحسد |
| ٢٦٠ | الباب السابع : الشهوات الباطلة - اربعة فصول |
| ٢٦٠ | الفصل (١) : اقوال الائمة في تفاهة الشهوات |
| ٢٦١ | الفصل (٢) : اشباه العالم الباطلة |
| ٢٦٢ | الفصل (٣) : الشهوات واقسامها |
| ٢٦٣ | الفصل (٤) : اختلاف آراء الناس في الرغبة بالشهوات |
| ٢٦٤ | الباب الثامن : محبة العمال - سبعة فصول |
| ٢٦٤ | الفصل (١) : اقوال الائمة في الحذر من محبة المال |
| ٢٦٥ | الفصل (٢) : الغنى سبب يفيد منه بعض الناس |
| ٢٦٦ | الفصل (٣) : فوائد الغنى |
| ٢٦٧ | الفصل (٤) : مضار الغنى |
| ٢٦٧ | الفصل (٥) : معالجة الطمع |
| ٢٦٨ | الفصل (٦) : البخل والبخل والامراف |
| ٢٦٨ | الفصل (٧) : سبب البخل ومعالجته |
| ٢٦٩ | الباب التاسع : محبة المجد الباطل - اربعة فصول |
| ٢٦٩ | الفصل (١) : كلام الائمة في الحذر من المجد الباطل |
| ٢٧٠ | الفصل (٢) : تحديد الطمع في المجد الباطل وسببه ومعالجته |
| ٢٧١ | الفصل (٣) : درجات الممدوحين |
| ٢٧٢ | الفصل (٤) : درجات المشتمومين |

المقالة الرابعة

تجميل النفس بأنواع الفضائل

ستمائة عشر بابا

- ٢٨٥ الباب الاول : العلم - ثمانية فصول
- ٢٨٥ الفصل (١) : آي الكتاب في فضيلة المعرفة
- ٢٨٦ الفصل (٢) : تقسيم العلوم
- ٢٨٧ الفصل (٣) : كيفية تدرج المبتدئين في العلوم
- ٢٨٨ الفصل (٤) : آي الكتاب في فضيلة التعليم
- ٢٨٨ الفصل (٥) : الشروط التي يجب ان يفيد بها طالب العلم
- ٢٩٠ الفصل (٦) : كلام الابهاء في ان المعلم يجب ان يعلم بالعمل
- ٢٩٠ الفصل (٧) : الشروط التي يجب ان يتقيد بها المعلم
- ٢٩٢ الفصل (٨) : ميزات المعلم الصالح
- ٢٩٣ الباب الثاني : النصح والتوبيخ - خمسة فصول
- ٢٩٣ الفصل (١) : لا حق للنسك ان يوبخوا بل للمرشدين (للمبرين)
- ٢٩٤ الفصل (٢) : كلام الابهاء في الامتناع عن التوبيخ
- ٢٩٥ الفصل (٣) : عناصر التوبيخ
- ٢٩٨ الفصل (٤) : الاعمال التي يجب ان يمنع فاعلوها من فعلها
- ٢٩٩ الفصل (٥) : نصح الملوك والسلاطين
- ٣٠٠ الباب الثالث : الايمان - تسعة فصول
- ٣٠٠ الفصل (١) : آي الكتاب في فضيلة الايمان
- ٣٠٠ الفصل (٢) : تحديد الايمان
- ٣٠١ الفصل (٣) : الايمان ثلاثة انواع
- ٣٠٤ الفصل (٤) : كيف ينبت الايمان في القلب
- ٣٠٣ الفصل (٥) : الدواعي الجذلي عن الايمان
- ٣٠٣ الفصل (٦) : لا يجب التوقف عند المعنى الحرفي لكل آية كتابية

- ٣٠٥ الفصل (٧) : الآيات التي يجب التمسك بها كما هي ، والآيات المفسرة
- ٣٠٦ الفصل (٨) : فوائد الايمان
- ٣٠٧ الفصل (٩) : عظم الايمان وخصائمه
- ٣٠٧ الباب الرابع : التوبة - اثنا عشر فصلا
- ٣٠٧ الفصل (١) : كلام الابهاء في فضيلة التوبة
- ٣٠٨ الفصل (٢) : تحديد التوبة
- ٣٠٩ الفصل (٣) : التوبة مقبولة دائما
- ٣١٠ الفصل (٤) : اقسام الخطايا التي تتوب عنها
- ٣١٠ الفصل (٥) : الاسباب التي تضخم الخطايا
- ٣١١ الفصل (٦) : الخادع التي يصير اليها الخطاة
- ٣١٢ الفصل (٧) : اصناف التائبين
- ٣١٢ الفصل (٨) : ماذا يجب ان يفعل التائب العاثر
- ٣١٣ الفصل (٩) : الاسباب التي يزل بها المؤمنون
- ٣١٤ الفصل (١٠) : العلاجات المجدية للتائبين
- ٣١٤ الفصل (١١) : الامور التي بها يصلح المرشد التائب
- ٣١٥ الفصل (١٢) : الآيات الكتابية في فضيلة الاعتراف
- ٣١٦ الباب الخامس : الصبر - سبعة فصول
- ٣١٦ الفصل (١) : اقوال الابهاء في فضيلة الصبر
- ٣١٧ الفصل (٢) : تحديد الصبر
- ٣١٧ الفصل (٣) : انواع اسماء الصبر
- ٣١٩ الفصل (٤) : طبقات الصبر
- ٣١٩ الفصل (٥) : عناصر الامور التي يجب الصبر عليها
- ٣٢٢ الفصل (٦) : انواع التجارب
- ٣٢٢ الفصل (٧) : العلاجات القوية للصبر
- ٣٢٣ الباب السادس : الشكر - ثلاثة عشر فصلا

- الفصل (١) : اقوال الابهاء في فضيلة الشكر ٣٢٣
- الفصل (٢) : تحديد الشكر ٣٢٣
- الفصل (٣) : النعمة التي هي سبب الشكر وأقسامها ٣٢٤
- الفصل (٤) : نعمة الله لا تنضب ٣٢٦
- الفصل (٥) : النعم الكامنة في اسباب الادراك ٣٢٦
- الفصل (٦) : النعم الكامنة في تكوين الارادة ٣٢٧
- الفصل (٧) : النعمة الكامنة في قوى الحركة واجزائها ٣٢٨
- الفصل (٨) : النعم الكامنة في الاطعمة ٣٢٩
- الفصل (٩) : نعم الوسائط الناقلة للاطعمة ٣٣٠
- الفصل (١٠) : نعم اعداد الاطعمة ٣٣٠
- الفصل (١١) : نعم انجاز عمل الاطعمة ٣٣٠
- الفصل (١٢) : الاسباب التي تمنع الشكر ٣٣١
- الفصل (١٣) : الاسباب التي تجمع بين الشكر والصبر ٣٣٢
- الباب السابع : الرجاء - اربعة فصول ٣٣٢
- الفصل (١) : اقوال داود النبي في فضيلة الصبر ٣٣٢
- الفصل (٢) : تحديد الرجاء ٣٣٤
- الفصل (٣) : اسباب الرجاء ٣٣٤
- الفصل (٤) : العلاجات التي تعزز الرجاء ٣٣٥
- الباب الثامن : التقوى (خشية الله) اربعة فصول ٣٣٦
- الفصل (١) : اقوال الابهاء في التقوى ٣٣٦
- الفصل (٢) : تحديد الخوف ٣٣٦
- الفصل (٣) : درجات التقوى ٣٣٧
- الفصل (٤) : اقسام مادة الخوف ٣٣٧
- الفصل (٥) : الوسائط التي يثبت بها خشية الله ٣٣٨
- الباب التاسع : الفقر - خمسة فصول ٣٤٠

| | |
|-----|---|
| ٣٤٠ | الفصل (١) : اقوال النبي داود في فضيلة الفقر |
| ٣٤١ | الفصل (٢) : تحديد الفقر ، واصناف الفقراء |
| ٣٤٢ | الفصل (٣) : معارضة الفقر والفنى احدى الاخر |
| ٣٤٣ | الفصل (٤) : الشروط التي يجب ان يراعيها الفقير |
| ٣٤٤ | الفصل (٥) : الاسباب التي تميز الطلب او تمنعه |
| ٣٤٥ | الباب العاشر الزهد - ثمانية فصول |
| ٣٤٥ | الفصل (١) : اقوال الائمة في فضيلة الزهد |
| ٣٤٧ | الفصل (٢) : تحديد الزهد وعناصره |
| ٣٤٧ | الفصل (٣) : درجات الزهد |
| ٣٤٨ | الفصل (٤) : الزهد في الطعام |
| ٣٤٩ | الفصل (٥) : الزهد في اللبس |
| ٣٤٩ | الفصل (٦) : الزهد في السكن |
| ٣٥٠ | الفصل (٧) : الزهد في الاثاث |
| ٣٥١ | الفصل (٨) : الزهد في المال |
| ٣٥١ | الباب الحادي عشر : التوكل - عشرة فصول |
| ٣٥١ | الفصل (١) : اقوال الائمة في فضيلة التوكل على الله |
| ٣٥٢ | الفصل (٢) : تحديد درجات التوكل |
| ٣٥٣ | الفصل (٣) : درجات التوكل |
| ٣٥٣ | الفصل (٤) : التوكل طلباً للفاخرة |
| ٣٥٥ | الفصل (٥) : التوكل حفظاً للنعمة المدة |
| ٣٥٥ | الفصل (٦) : التوكل حذراً من الخطر المتوقع |
| ٣٥٦ | الفصل (٧) : حتى حمل السلاح يدل على التوكل |
| ٣٥٦ | الفصل (٨) : شروط التوكل (على الله) |
| ٣٥٧ | الفصل (٩) : دفع الخطر الحاضر |

| | |
|-----|---|
| ٣٥٨ | الفصل (١٠) : الاسباب التي من اجلها يهمل الأبرار المعاجة العظيمة |
| ٣٥٩ | الباب الثاني عشر : المحبة الاخوية - سبعة عشر فصلاً |
| ٣٥٩ | الفصل (١) : اقوال الآباء في المحبة الاخوية |
| ٣٦٠ | الفصل (٢) : اقسام المحبة واسبابها |
| ٣٦١ | الفصل (٣) : الخواص التي يجب ان يتجلى بها من يجب |
| ٣٦٢ | الفصل (٤) : واجبات الاصدقاء بعضهم نحو بعض |
| ٣٦٣ | الفصل (٥) : واجبات الاصدقاء في المساعدة |
| ٣٦٣ | الفصل (٦) : واجبات الاصدقاء في كتم اسرار اصدقائهم |
| ٣٦٤ | الفصل (٧) : واجبات الصديق في الكلام |
| ٣٦٤ | الفصل (٨) : واجبات الاصدقاء في المساعدة |
| ٣٦٥ | الفصل (٩) : واجبات الاصدقاء في الصلاة |
| ٣٦٥ | الفصل (١٠) : واجبات الصديق في صدق المحبة |
| ٣٦٦ | الفصل (١١) : واجبات الصديق في حمل الاعباء |
| ٣٦٦ | الفصل (١٢) : الفرق بين المحبة والصدقة |
| ٣٦٦ | الفصل (١٣) : واجبات المؤمنين بعضهم نحو بعض |
| ٣٦٧ | الفصل (١٤) : واجبات الحيرة |
| ٣٦٧ | الفصل (١٥) : واجبات القرابة |
| ٣٦٨ | الفصل (١٦) : حقوق العبيد والاماء |
| ٣٦٨ | الفصل (١٧) : الصفات الحميدة التي يجب ان يتجلى بها المؤمنون |
| ٣٦٩ | الباب الثالث عشر : ذكر الله والتأمل بمخلوقاته العجيبة - تسعة فصول |
| ٣٦٩ | الفصل (١) : اقوال الآباء في فضيلة ذكر الله |
| ٣٧٠ | الفصل (٢) : يشتد ذكر الله في النفس بتأمل مخلوقاته |
| ٣٧١ | الفصل (٣) : مدهشات اليوم الاول |
| ٣٧٢ | الفصل (٤) : مدهشات اليوم الثاني |
| ٣٧٣ | الفصل (٥) : مدهشات اليوم الثالث |

- ٣٧٥ : الفصل (٦) : مدهشات اليوم الرابع
- ٣٧٦ : الفصل (٧) : مدهشات اليوم الخامس
- ٣٧٨ : الفصل (٨) : مدهشات اليوم السادس
- ٣٨٠ : الفصل (٩) : يتألق العقل في التفكير السليم
- ٣٨١ : الباب الرابع عشر : لقاء الافكار - اربعة فصول
- ٣٨١ : الفصل (١) : اقوال الآباء في الافكار
- ٣٨٣ : الفصل (٢) : تحديد لقاء الافكار
- ٣٨٤ : الفصل (٣) : اجناس الافكار الشريفة
- ٣٨٥ : الفصل (٤) : كيف تسترق الشرور الانسان بشكل الفضائل
- ٣٨٦ : الباب الخامس عشر : محبة الله - خمسة عشر فصلاً
- ٣٨٦ : الفصل (١) : اقوال الآباء في محبة الله
- ٣٨٧ : الفصل (٢) : تحديد المحبة واقسامها واسبابها
- ٣٨٨ : الفصل (٣) : كل سبب من اسباب المحبة هذه يوجب محبة الله
- ٣٩٠ : الفصل (٤) : لذة معرفة الله تفوق كل لذة
- ٣٩١ : الفصل (٥) : ان محبة الله بعد الحياة الحاضرة تسمو وتعظم
- ٣٩٢ : الفصل (٦) : الاسباب التي تضرم محبة الله وتقويها
- ٣٩٣ : الفصل (٧) : درجات محبة الله
- ٣٩٣ : الفصل (٨) : سبب عدم معرفة المخلوقات خالقها
- ٣٩٤ : الفصل (٩) : انواع شوق النفس الى الله
- ٣٩٥ : الفصل (١٠) : ميزات محبي الله
- ٣٩٧ : الفصل (١١) : التعزية بالله والدالة عنده
- ٣٩٨ : الفصل (١٢) : الضيقات التي يقاسيها العارفون حباً بالله
- ٣٩٩ : الفصل (١٣) : درجات العارفين في محبة الله
- ٤٠٢ : الفصل (١٤) : حالات الكاملين
- ٤٠٤ : الفصل (١٥) : جمع الكلمات المتفرقة في المحبة

| | |
|-----|--|
| ٤٠٦ | الباب السادس عشر : التفكير في الموت - ستة فصول |
| ٤٠٦ | الفصل (١) : اقوال الآباء في التفكير في الموت |
| ٤٠٧ | الفصل (٢) : الاسباب التي تحول دون تصور الموت وعلاجها |
| ٤٠٨ | الفصل (٣) : مرارة كأس الموت ومعالجتها |
| ٣٠٩ | الفصل (٤) : كيفية انتقال النفس البارة والنفس الخاطئة |
| ٤١٠ | الفصل (٥) : الندم الذي يستولي على الخاطيء لحظة الموت |
| ٤١٠ | الفصل (٦) : الرؤى التي تجلت لبعض الآباء لحظات الانتقال |
| ٤٢٨ | جدول الخطاء والصواب |



جدول الخطأ والصواب

| الصفحة | الخطأ | الصواب |
|--------|--------------------|--------------------------|
| ١٠ | لا امارة | لأمارة |
| ١١ | بشفاءها | بشفائها |
| ١٤ | ناجحا | ناجها |
| ١٢ | بوجود | بوجوب |
| ١٣ | الخاشية | Vol i |
| ١٣ | ٧ | (الواحد) |
| ١٣ | الخاشية | 3 |
| ١٦ | الرهادة | الرهادة |
| ٢٣ | فيقل | فيقبل |
| ٢٥ | كبح | كبح |
| ٢٠ | الجد | الجد |
| ٢٦ | وهو ذروة مجده | وهو في ذروة مجده |
| ٢٧ | تضفي | تطفي |
| ١٠ | فلا بعد اسم | فلا يوجد بعد اسم |
| ١٤ | ضد | ضده |
| ٢٨ | يجوز | يجوز |
| ٣٠ | الاتصال | الانفصال |
| ٩ | ا | الحب |
| ١٠ | ونزع | وانزع |
| ١٧ | ترفه | تعرفه |
| ٢١ | اقتفى | انتقى |
| ١٤ | ان تهبط | ان لم تهبط |
| ٢٠ | المنع | المنع |
| ٢ | يصرخ | يصرح |
| ١٨ | اذا قلنا معه نتجمد | اذا قلنا معه ، معه نتجمد |

| الصفحة | السطر | الخط | الصواب |
|--------|-------|---|---|
| ٣٦ | ١٩ | لم تقاسي | لم تقاس |
| ٣٨ | ٢ | وجبروت | وجبروت |
| ٣٩ | ٦ | تضاعف ويتضاءل بالنسبة | يتضاعف ويتضاءل ألبا |
| ٤٠ | ١٢ | يزدري | يزدري |
| ٤١ | ٤ | الخضر | الخضرة |
| ٤٣ | ٢٢ | مخورها | مخورها |
| ٤٤ | ٥ | تجمع | تجمع |
| ٤٦ | ١٤ | طبعنا | طبعنا |
| ٤٧ | ٤ | كان محجوبا | كانت محجوبة |
| ٤٩ | ١ | تسريا | او قسريا |
| ٥٢ | ١١ | اعلال | اغلال |
| ٥٣ | ٨ | كالمرأة | كالمرأة |
| ٥٦ | ٢ | تراث | في تراث |
| ٥٦ | | | الحاشية : الرقمان الشيران في هذه الحاشية هما (١٥ و ١٦) والحقيقة يجب ان يكونا (١ و ٢) |
| ٥٧ | ١ | ظاهرة | ظاهرة |
| ٥٧ | ٩ | يفهم | تفهم |
| ٥٩ | ٢ | بالفاء | بالفاء |
| ٥٩ | ٢ | لم يختلفوا على الجوهر | رأيت المسيحيين لم يختلفوا على |
| ٦١ | ٤ | كالرق | كالبروق |
| ٦١ | ٦ | قص | قص |
| ٦٢ | ١١ | فقد | فقط |
| ٦٣ | ١٣ | وشده | رشده |
| ٦٦ | ١٠ | يجب اعتبار الهلال موجودا قبل جملة (ان السفينة المثقوبة) | |
| ٦٧ | ٩ | ليمضي | ليمض |
| ٦٧ | ١٣ | المكوت | الملكوت |

| ص | الموضوع |
|-----|--|
| ٢٧٢ | الباب العاشر : انتظاھر او المرأاة - ثمانية فصول |
| ٢٧٢ | الفصل (١) : كلام الابهاء تحذيرا من المرآت |
| ٢٧٣ | الفصل (٢) : تحديد انتظاھر |
| ٢٧٤ | الفصل (٣) : أقسام انتظاھر |
| ٢٧٤ | الفصل (٤) : درجات انتظاھرين |
| ٢٧٥ | الفصل (٥) : اسباب انتظاھر |
| ٢٧٥ | الفصل (٦) : فرح النامك باشتهار فضائله |
| ٢٧٦ | الفصل (٧) : علاج انتظاھر |
| ٢٧٦ | الفصل (٨) : اسباب اظهار الفضائل الخاصة |
| ٢٧٧ | الباب الحادي عشر : الكبرياء - سبعة فصول |
| ٢٧٧ | الفصل (١) : كلام الابهاء تنديدا بالكبرياء |
| ٢٧٨ | الفصل (٢) : كلام الابهاء في امتداح فضيلة اتواضع |
| ٢٧٩ | الفصل (٣) : تحديد الكبرياء |
| ٢٧٩ | الفصل (٤) : اسباب الكبرياء |
| ٢٨٠ | الفصل (٥) : ميزات الكبرياء |
| ٢٨٠ | الفصل (٦) : علاج الكبرياء |
| ٢٨١ | الفصل (٧) : ميزات من يشقى من داء الكبرياء |
| ٢٨١ | الباب الثاني عشر الخيلاء او التفاخر - اربعة فصول |
| ٢٨١ | الفصل (١) : كلام الابهاء في الحذر من الخيلاء |
| ٢٨٢ | الفصل (٢) : تحديد الخيلاء |
| ٢٨٣ | الفصل (٣) : ينابيع الخيلاء |
| ٢٨٤ | الفصل (٤) : معالجة الخيلاء |

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|--|---------------------------|
| ٩٠ | ٥ | من توضع | من تواضعه |
| ٩٨ | ٢١ | عن كل ما في الأرض والسماء | عن كل ما في الأرض والسماء |
| ١٠٠ | ١٠ | اعظم جهاد الصلاة | اعظم جهاد في الصلاة |
| ١٠٠ | ١٩ | تكتمل لصلاة | تكتمل الصلاة |
| ١٠٣ | ٦ | ويعرضون الصلاة | ويعرضون عن الصلاة |
| ١٠٣ | ١٥ | ويحني ثانية | ويحني رأسه ثانية |
| ١٠٧ | ١٣ | يقض | يقبض |
| ١٠٧ | ١٨ | الجملة في هذا السطر ناقصة ، وصحتها هي كما يلي : | |
| | | قال احد الاخوة للاب تيوخور القرمي : مرت علي ثمانى سنوات في الزهد ولم اجد راحة واحدة ، وقال له الشيخ ان لي سبعين سنة في الزهد ولم اجد راحة واحدة ، اقريدا انت الراحة في ثمانى سنوات ؟ ؟ | |
| ١١٠ | ٩ | الاصح ان يقال في الجملة الاخيرة (ولا تنقل من حالة الى حالة) | |
| ١١٤ | ٢٠ | اعظم | (تحذف هذه الكلمة) |
| ١١٤ | ٢٠ | ان قاض للعارف | ان اعظم قاض للعارف |
| ١١٧ | ٩١ | الالعب | الاعتاب |
| - | ٢٠ | نقول | نقوم |
| ١١٩ | ١٣ | ليؤدي | ليؤد |
| ١٢٠ | | الباب الثالث - هنا اضطراب في تنظيم الموضوع وحقه ان يكون كمايلي : | |
| | | الباب الثالث - الصبر والنوم - وفيه خمسة فصول . الفصل الأول : | |
| | | اقوال الابهاء في الصبر . | |
| ١٢٠ | ٧ | يلحظاك | يلحظاه |
| ١٢٢ | ١٨ | طبقم | طبقه |
| ١٢٥ | ٨ | غلات | غفلات |
| ١٢٨ | | الحاشية الاخيرة عدد ٢ العربية السموعة | العربية اليسوعية |
| ١٣٠ | ١ | مقتصد | مقتصد |
| - | ٤ | مجرد من الدموع | مجردا عن الدموع |
| ١٣٤ | ١ | الباب الرابع | الباب الخامس |

| الصواب | الخطأ | السطر | الصفحة |
|-------------------------|-----------------------------|---------|--------|
| بالمحروقات | بالمحروقات | ١٨ | ١٣٤ |
| لم يزوالوا | لم يزوالوا | ٢١ | ١٣٨ |
| طبيعة اللحن | طبيعة أحر ذاته | الحاشية | ١٤٠ |
| لما ان يكونوا من الشباب | لما ان من الشباب | ٨ | ١٤٣ |
| بإيهامه | بإيهامته | ١٩ | ١٤٤ |
| يكونان | تكونان | ٢٢ | ١٤٥ |
| في مكان | في كل مكان | ١٢ | ١٤٦ |
| الفصل الرابع | الفصل الخامس | ١٧ | ١٤٩ |
| وهذا لا يعتبر صياما | وهذا يعتبر صياما | ٦ | - |
| ماعدا | ماعدى | ٩ | ١٥١ |
| في العصر الحاضر | ٣ (الحاشية) في العصر الواحد | ٣ | ١٥٢ |
| ولما رآه | ولما | ١٥ | ١٥٥ |
| توافلس | توافيس | ٦ | ١٥٦ |
| نحفظها | نحفظهما | ٩ | - |
| ما للرهبان | ما للرهبان | ١ | ١٥٧ |
| عن | من | ١٥ | ١٥٨ |
| الارادة | الادارة | ٢١ | - |
| استطاع | استطال | ٢٤ | ١٦٠ |
| يحصل عليها | يحصل الراهب | ١ | ١٦١ |
| يؤدي | يؤدي | ٦ | - |
| يكتسب عزاء بمعاشرة | يكتسب بمعاثرة | ١٢ | - |
| يزوروا | يزورا | ١٩ | - |
| هداة | هداة | ١٩ | ١٦٢ |
| التوجيه | التوجه | ٢٠ | - |
| بغريزة الحنين | بغريزة الحنين | ٨ | ١٦٣ |
| الساكنين | الساكنين | ١٢ | - |
| الجهاد ضد عدو | الجهاد ضد عدو | ١٨ | - |

| الصفحة | السطر | التحديداً | التحديداً |
|--------|-------|-------------------------------|------------------------------------|
| ١٦٤ | ٢١ | الاشراف | الاشراف |
| ١٦٥ | ٥ | اما ان تكون | اما ان تكون جسدية |
| - | ١٨ | مسكنه | منسكه (موطن نسكه) |
| ١٦٦ | ٢١ | الترهاد | الترهادة |
| ١٦٨ | ٢١ | قدر | قد |
| ١٧٢ | ١٨ | السلية | السلية |
| ١٧٥ | ٧ | فوزع | فوزع |
| - | ١١ | العلي | العلي |
| ١٢٨ | ١٧ | اضطرر | اضطر |
| ١٧٩ | ٢٠ | المقدس | تمحذف هذه الكلمة |
| ١٨٢ | ١٧ | ولم يلبيا | ولم يلبيا |
| ١٨٢ | ١٧ | ومن يلبيا | ومن يلبيا |
| ١٨٤ | ١٢ | ثم المدعوين | ثم المدعوون |
| ١٨٥ | ٦ | لكنه | لكي |
| - | ٢٢ | من بلدة | من بلدة بعيدة |
| ١٨٦ | ٢٠ | لان ذلك من شأن الشرفاء | لان ذلك ليس من شأن الشرفاء |
| ١٨٩ | ٥ | (افسس اص خا) | اقسس ٥ : ٢٥ و ٢٦ |
| - | ٨ | ينالها الرجل من الزواج الصالح | ينالها الرجل اعظم من الزواج الصالح |
| - | ١٠ | امثالها | امثاله |
| - | ١٢ | وهي تعد الحل | وهي تعد الحلل |
| - | ٢١ | ولكن ينقص | ولكي ينقض |
| ١٩٤ | ٥ | مبع | مبعة |
| ١٩٥ | ١٨ | في اجل | من اجل |
| ١٩٦ | ١٤ | ولتزن | ولتزين |
| ١٩٨ | ٣ | ولا يجب | ولا يجب |
| - | ١٣ | يلجأ الكذب | يلجأ الى الكذب |
| - | ١٦ | فيه ميل | وكان فيه ميل |

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|----------------------------|--------------------------------|
| ١٩٨ | ٢٠ | للرجال | لرجال |
| ١٩٩ | ٩ | يتساوزان | يتساوران |
| ٢٠١ | ٣ | مرتبة | مرتبه |
| = | ٧ | وامره | اوامره |
| = | ٧ | ان | من |
| ٢٠٥ | ٢ | الذين يخدمون المقدس ياكلون | الذين يخدمون المقدس فمن المقدس |
| = | ٧ | لتتقدوا | لتتقدوا |
| ٣٠٧ | ٣ | وتدد | وتد |
| ٢١٠ | ٣ | طرقات العين | طرقات العين |
| = | ١٥ | في انحرافات | من انحرافات |
| = | ١٧ | الا ان ليس جديراً | الا ان ذلك ليس جديراً |
| ٢١٩ | ١٧ | اشارة فائقة | اشادة فائقة |
| ٢١٤ | ١٧ | يصرونها في فقير نائم | يصرونها في ثوب فقير نائم |
| ٢١٥ | ١ | المستقين | المستحقين |
| ٢١٦ | ٣ | فيها اثنا عشر فصلاً | فيها اثنا عشر باباً |
| = | ١٥ | داخضة الفصالات | داخضة للفضلات |
| ٢١٧ | ٤ | ثلاثة معاني | ثلاثة معانٍ |
| ٢١٩ | ١٥ | تجمع | تجمع |
| ٢٢١ | ١ | جمع | جمع |
| = | ٨ | بجموع | بجموح |
| = | ١١ | يستقدم | يستقيم |
| ٢٢٢ | ٤ | واحتياجاتها | واحتياجاتها |
| ٢٢٥ | ١٩ | ارض الواطنة | الارض الواطنة |
| = | ١٩ | لما الكنيسة القديسون | لما الكنيسة القديسون |
| ٢٢٦ | ١٤ | ظاهرة | ظاهرة |
| ٢٢٧ | ٢٤ | واذا لم احر | واذا لم احر الجواب |

| الصواب | الخطأ | السطر | الصفحة |
|------------------------------|----------------------|-------|--------|
| ومن لا يمكنه | لا يمكنه | ١٥ | ٢٢٨ |
| لا يمكنه | ولا يمكنه | - | - |
| الا يقتي | الا يقضي | ١٧ | ٢٣٤ |
| واذا عاد يقيم | واذا اعاد يقيم | ٩ | ٢٣٦ |
| اذ يغربه | اذ يغربه | ٢٣ | - |
| الفضيلة الوضاء | الفضيلة الوضاء | ٢٣ | - |
| ينج | ينجو | ٥ | ٢٤٠ |
| يزنون | يززن | ٢ | ٢٤١ |
| الا اذا سفوا | لا ياكلون اذا سفوا | ٣ | - |
| وما يؤوم | يؤوم | ٨ | - |
| حر الهجير | حر الهجر | ٤ | ٢٤٣ |
| اذك تخفي | اذك يخفي | ١١ | ٢٤٤ |
| اذا عرفت الناسك | اذا اعترف الناسك | ٣ | ٢٤٥ |
| اكله مفيد | اكله مقيد | ٦ | ٢٤٧ |
| من جرائها | من جراتها | ١٥ | - |
| الاب اثنون | الاب اثنون | ٣ | ٢٤٩ |
| رفيقها | رفيقها | ٥ | ٢٥٠ |
| وهو ربح السموم | وهو ربح السموم | ٢٥ | ٢٥١ |
| اذن لم تقولي | اذن لم تقولي | ٢٢ | ٢٥٢ |
| كيف اتى القرية | كيف اتى القرية | ١٤ | ٢٥٣ |
| فتنصب نفسك حاكما | فتنصب نفسك كما | ٤ | ٢٥٤ |
| امورا | يبحث الانسان امور | ٢٠ | ٢٥٥ |
| اذا اقام الرجل الغضوب امواتا | اذا قام الرجل امواتا | ١٤ | ٢٥٦ |
| وقد قيل | وقيد قيل | ٧ | ٢٥٨ |
| ان يحسد الانسان | ان يحسد الانسان | ١٠ | ٢٥٩ |
| كما ينقي | كما ينفي | ١٣ | ٢٦١ |
| داخله | دخله كذا | ١٤ | - |

| الصفحة | النظر | الخط | الصواب |
|--------|-------|-------------------------------|----------------------------------|
| ٢٦١ | ١٥ | يكون غير مأسور | ليكون غير مأسور |
| ٢٦٢ | ٩ | الى القسمين الآخرين | الى القسمين الآخرين |
| ٢٦٣ | ٤ | لأنه يستهدف | لأنه لا يستهدف |
| ٢٦٤ | ٢٠ | الحذر على محبة المال | الحذر من محبة المال |
| - | ٢٣ | من يهتم بأمرك | من يهتم بأمرك |
| ٢٦٥ | ٢٢ | يكون الغني لديهم | يكون الغني لديهم |
| ٢٧٠ | ١٦ | الطمع في المجد هو الباطل | الطمع في المجد هو الرغبة |
| ٢٧٣ | ٢٢ | يعطونها | يعملونها |
| ٢٧٧ | ٢٦ | فافحص ضميرك | فافحص ضميرك |
| ٢٨١ | ١١ | دون ان يحزن | دون ان يحزى |
| ٢٨٤ | ٤ | اذا يحدث | اذا يحدث |
| ٢٨٦ | ٣٩ | فصاحة وجمالاً | فصاحة وجمالاً |
| ٢٨٧ | ١٢ | النهر هائج | نهر هائج |
| ٢٩٠ | ٢ | يعلم بالعلم | يعلم بالعمل |
| ٢٩٣ | ٣٦ | ان صلاح الآخرين | ان اصلاح الآخرين |
| ٢٩٤ | ١٨ | تخرج القذى من اخيك | من عين اخيك |
| - | ١٩ | يلوم احد | يلوم احداً |
| ٢٩٧ | ٢١ | ان لرب | ان الرب |
| ٢٩٩ | ٢٠ | فقد حمت السنة | لجت السنة |
| ٣٠٤ | ١ | لا بحرفية الآية بالمعنى الخفي | لا بحرفية الآية بل بالمعنى الخفي |
| ٣٠٦ | ٣ | نذكر فقط اربع | نذكر فقط اربعاً |
| - | ٢١ | يكافئه | يكافؤه |
| ٣١٠ | ٢٢ | ان يخطيء الانسان معتمداً | متعمداً |
| ٣١٣ | ١٦ | على المؤمنين | من المؤمنين |
| - | ٣ | ينجو | ينج |
| ٣١٥ | ١٣ | وقصية الله وانكاره | وقضية بطرس وانكاره |
| ٣١٨ | ٧ | القريب الآبي | الآبي |

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|---------------------------|---------------------|
| ٣١٩ | ٥ | ومن لتعبر | ومن تعبر |
| - | ٢٠ | البدعي | البدعي |
| ٣٢٠ | ٢٠ | تعني | تعني |
| - | ٢١ | قدم | قدم |
| ٣٢١ | ١٥ | المثائب | المصائب |
| ٣٢٢ | ٦ | وشغال | واشغال |
| ٣٢٣ | ١٥ | بنمه | بنعمته |
| ٣٢٥ | ٨ | الظافر | الظفر |
| ٣٢٦ | ٩ | البدعي | البدعي |
| ٣٢٨ | ١١ | تناول بها | بها |
| ٣٣٠ | - | البدعي | البدعي |
| ٣٣٢ | ١٦ | تركوا يعملوا | يعملون |
| - | ٢١ | يأتي الشكوك | قأتي الشكوك |
| ٣٢٣ | ٩ | السيك | إليك |
| - | ٧ | توكلت | توكل |
| ٣٣٤ | ٥ | عم جبل | على جبل |
| ٣٣٦ | ٨ | ترغب في التقوى | ترغب في التقوى |
| - | ١٦ | فتش عن انسان لا يخشى الله | يخشى الله |
| ٣٣٨ | ١٣ | ان اذكر الله | ان ذكر الله |
| ٣٤١ | ١٢ | لمشع مملكتها | لمشع مساكنها |
| ٣٤٢ | ٢ | ياخذ (مادية) | ياخذ بركة (مادية) |
| - | ١٥ | إلا الرغبة | إلا أن الرغبة |
| - | ١٢ | من البسك | من النسك |
| ٣٤٣ | ١٧ | يزدري | يزدري |
| ٣٤٤ | - | الفصل الثالث | الفصل الخامس |
| ٣٤٨ | ٢٦ | عداد خبز الدخن | اعداد خبز الدخن |
| ٣٥٠ | ١ | يل ليعتبر | ليعتبر (بدون بل) |

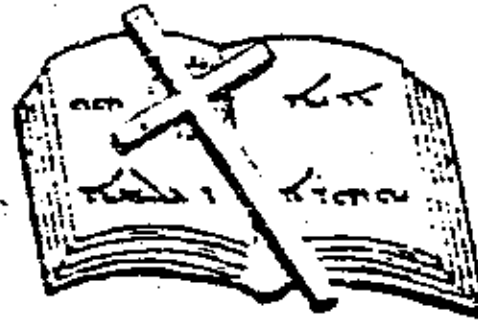
| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|--|--|
| ٣٥٠ | ١١ | يبد له | يبدله |
| ٣٥١ | ١٧ | اذا كنت معتمداً | اذ كنت معتمداً |
| ٣٥٢ | ٨ | البدهي | البدهي |
| - | ١٠ | حجارة لبره | حجارة لقبرة |
| ٣٥٣ | ٨ | ورجائي ثديي أمي | ورجائي من ثديي أمي |
| ٣٥٤ | ٩ | زوادة | زاداً |
| - | ١١ | وفتشوا عمن | فتشوا عمن |
| ٣٥٦ | ٧ | لما كان واحداً الانسان | لما كان واجب الانسان |
| ٣٥٧ | ٧ | يسلمونكم | يسلبونكم |
| - | ١٨ | ان نكون قتلة الاهواء | ان نكون قتلة الجسد بل قتلة الاهواء |
| ٣٦٠ | ٧ | ان اربحك | ان اربحك |
| ٣٦١ | ١ | في هذا السطر جملة هامة جداً محذوفة ، وحقها ان تكون كما يلي : | |
| | | | من اجل ذاته او لأنه يُعِينُ على بلوغ هدف ما جسدي او نفسي وهناك ثلاثة انواع : |
| | | | (١) المحبوب الذي يجب من اجل ذاته كخص معين وايس لسبب آخر الفع |
| ٣٦١ | ٥ | الأب جالينوس ابا الطب | جالينوس ابا الطب |
| ٣٦٤ | ١٠ | كان بعيداً عن | كان بعيداً عنه يثني على حكمته |
| - | ١٢ | ويقاوم مقاوميه | ويقاوم مقاوميه |
| ٣٦٥ | ١١ | الى انصاده | الى اتقاده |
| ٣٦٦ | ٢ | في حمل الاعناء | في حمل الاعباء |
| - | ١١ | فتحول الى رفقة | تتحول الى رفقة |
| - | ١٢ | صداقة ثانية | صداقة ثابتة |
| ٣٦٧ | ١٨ | المحروقات | المحرقات |
| ٣٦٨ | ٩ | بحسب تجدد خالعه | بحسب تجدد خالقه |
| ٣٦٩ | ٤ | التبرج | التبرج |
| - | ١٨ | اذا سئلت | اذ سئلت |
| ٣٧٠ | ٢٤ | ساكناً | ساكباً |
| ٣٧١ | ٢٢ | بهوطة | بهوطة |

| الصفحة | السطر | انخطأ | الصواب |
|--------|---------|---|------------------------|
| ٣٧٢ | ١ | ومن جزاء | ومن جرّاه |
| ٣٧٢ | ١٣ - ١٢ | الجسمية الروحية | الجسمية والروحية |
| - | ٢٢ | بمحتاجها | بمحتاجتها |
| ٣٧٣ | | الفصل الثالث | الفصل الخامس |
| ٣٧٥ | ١٧ - ١٨ | واضح من كونه مقابلاً للشمس | إذا غداً مقابلاً للشمس |
| ٣٧٧ | ٢٥ | والديها | والديها |
| ٣٧٨ | ٢٢ | العصاة | العضاة |
| ٣٧٩ | ٢ | والابل | والايل |
| - | ١٨ | القصة | القمة |
| ٣٨٣ | ١١ | صرفة كل ميل | صرفة في كل ميل |
| ٣٨٤ | ١ | وانعدم طيب | وانعدام طيب |
| ٣٨٥ | ١١ | يشير | يشير |
| - | | ٢٤ للغاية الصالحة تفوق بقيمتها هذه الجملة ناقصة وحقها ان تكون كما يلي : | |
| | | إذا كانت الغاية السيئة مساوية للغاية الصالحة في ذلك العمل لا يوجد هناك | |
| | | لا عقاب ولا ثواب، وإذا كانت الغاية الصالحة تفوق بقيمتها الغاية الشريرة | |
| ٣٨٧ | ٢١ | اللغة العقلية | اللذة العقلية |
| ٣٨٨ | ٥ | محبولة | محبولة |
| - | ٨ | وهذا يتزع لذاته | وهذا يتزع إليه لذاته |
| - | ١٣ | البدعي | البدعي |
| ٣٨٩ | ١١ | - | - |
| - | ٢٣ | فيها للحاق | بها للحاق |
| ٣٩٠ | ١٦ | البدعي | البدعي |
| ٣٩١ | ٢ | حد تعبير الأب اوغريس | على حد تعبير الأب |
| ٣٩٤ | ١ | البدعية | البدعية |
| - | ٢٢ | الوصول الكهل | الوصول الكامل |
| - | ٢٢ | على وراء الضباب | من وراء الضباب |
| ٣٩٦ | ٢٤ | وسئل الثاني | وسئل الثاني فقال : |

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|----------------------|--------------------------|
| ٣٩٨ | ١ | ان عبارات الدائنة | عبارات الدائنة |
| ٤٠١ | ١٠ | يتطلع الملائ الا على | يتطلع الى الملائ الا على |
| - | ١٦ | من الوحيية | من العبارات الوحيية |
| ٤٠٢ | ٣ | بائنتي عشرة عجيبة | بائنتي عشرة حالة عجيبة |
| - | ١٣ | والتجهد اما المصلوب | والتجهد امام المصلوب |
| ٤٠٣ | ٢٢ | وخطفت | وخطت |
| ٤٠٥ | ١٠ | اذا ثملت | اذا ثمل |
| - | ١٥ | تصفي | تصفي الوجوم |
| ٤٠٦ | ٥ | اذ الروح | اذا الروح |
| - | ٧ | محا يمي | ما يمي |
| - | - | الروع | الروح |
| ٤٠٧ | ٢٢ | البدهي | البديهي |
| ٤٠٨ | ٣ | مسيحياً الى | مسيحياً الى |
| ٤١١ | ١٦ | لا يجد فيها | لا يجد فيه |

ملاحظة الى القارئ الكريم :

نأسف جداً لوقوع هذه الاعطال المطبعية الكثيرة في الكتاب ، وطبعاً يعود ذلك الى عدم وجودنا بقرب النطبعة للتدقيق في اصلاح اللزمات تباعاً ، ومع ذلك نوجه اجزل الشكر للأبناء الفيورين الذين بذلوا كل جهد ممكن في تصليح الاخطاء المطبعية في حينه ، وخاصةً عزيزنا الروحي النشيط الشماس جورج صليبا ونشير الى القارئ اللبيب ان يصلح هذه الاخطاء طبقاً لما يجده في هذا الجدول قبل مطاعة الكتاب ، فان ذلك يحل له جميع المشكلات التي قد تصادفه في المطالعة .



ܐܬܝܚܘܢܐ ܕܩܪܝܢܐ ܕܩܝܡܐ

ETHICON

CHRISTIAN ETHICS (MORALS)

WRITTEN IN SYRIAC BY

THE GREAT SYRIAN PHILOSOPHER AND AUTHOR
OF SEVERAL CHRISTIAN WORKS

MAR GREGORIUS BARHEBRAEUS CATHOLICOS OF THE EAST
(1226 - 1286)

TRANSLATED INTO ARABIC BY

MAR GREGORIUS PAULOS BEHNAM
ARCHBISHOP OF BAGHDAD AND BASRAH — IRAQ

1967